التاريخ الكبير

للحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسن بن
هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعي

طبع على نفقة مطبعة (روضة الشام) لصاحبها
قارصلي خالد

عني بترتيبه وتصحيحه الشيخ عبد القادر افندي بدران

﴿ مطبعة ﴾
« روضة الشام » سنة ١٣٢٩

المجلد الاول

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك يا من كل ذرة فى الكون ناطقة بحمدك الاسمى وكل موجود خاضع لتصرفك وانت المحيط به علما وكل معدوم عند تعلق ارادتك بوجوده كان اظهر مما قبله وانمى لك البقاء ولما سواك التنقل فى الاطوار الى اجل مسمى ظهرت لكل عاقل فاستدل بآثارك على وجودك واذعن بانه من المستحيل الاشراك فى توحيدك وكنت الباطن لمن عمى عن نفسه فاعتاض عنك بالطبيعة والاثير وما ذاك الا من افاضة فالهمها فجورها وتقواها وهو الوهاب الوجود على الاثير وخلق الطبيعة وسواها خلقت لنا الارض واستعمرتنا اياها وجعلت لنا بها خزائن من المعايش لا تتناهى وقضيت بتعاقب الامم والاجيال وتقلبات الموجودات طورا فطورا على قاعدة النشؤ والارتقاء بتكرر الايام والليال فليس لغيرك الشكر وان ابدى الجاحد جحودا وليس بغيرك الاستعانة وان تبع المستعين بالسوى مع الانحراف جوداً والصلاة والسلام على من ارسلته بشيراً ونذيراً وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا نبيك محمد النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا فى التوراة والانجيل والفرقان فجاهد فى محو الشرك والطغيان وعبادة الاوثان وانزلت عليه كتابا اعجز الفصحاء والبلغاء وافحم من طولب بمعارضته من العرب العرباء ونطق بسير الماضين للاستبصار اجمالا وامر بالمسير فى الارض ليعلم السائر عاقبة المستبدين حالا ومآلا وذكر بخلق السموات وبما اودعها من الكواكب والعجائب وبدحو الارض وبما اودع بها من صنوف المعادن والنبات والمياه لنتفطن لتلك الغرائب وبالسحاب المسخر بين السماء والارض المؤثر كمثل عقد النكاح بينهما والاصطحاب وبالانفس ليكون ذلك تذكرة وتبصرة لاولى العقول المستنيرة والالباب وليذكرنا

بالجاذبية وافاعيل عناصر القوى المغناطيسية وما بها من قوى التأثير وارشدنا الى ان الكل بخلقه الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وامرنا باستخراج دقائق العلوم والفنون من ذلك البحر الزاخر باشارة ما فرطنا فى الكتاب من شئ والى فن الميقات وتوابعه بالم تر الى ربك كيف مد الظل اى الفيء صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما رمى شهاب العلم الثاقب شيطان الجهل فولى خاسئا مدحورا وقام داعى الحق فملأ الآفاق ضياء ونورا وسلم تسليما

(اما بعد) فيقول الملتجئ لحضرة الرحيم الرحمن عبد القادر بن احمد المشهور كاسلافه بابن بدران المنتمى اصله وبجاره لبنى سعد جيران الصفا وذى سلم المانة عليه دمشق بصقل قريحته بايدى افاضل كانوا كالنجوم فى الظلم اسبغ الله نعمه عليه ظاهرا وباطنا وجعله من كيد الاعداء الواقفين عثرة امام ترقى الامة آمنا لما كان فن التاريخ بمقام يسمو على الكوكب المنير ويتسامى مقاما ليتناول الاطلس والاثير ويتجلى جماله فى صفحات الكتب المنزلة فلا يكاد الحجاب يكشف عن وجوه خرائده الا ويصبو الفؤاد له تنافس فيه ارباب الكمال وصار كل خامل الفكر لمحاسنه الزاهرة من العذال ورفع له الافاضل الاعلام فازداد بتكرر الليالى والايام لما انطوى فى باطنه من التحقيق والنظر وتعليل الكائنات على وجه مطول ومختصر فكان له من الانتساب للحكمة القدح المعلى ونفور ولا نفور الظبا عمن ادبر عنه وتولى واعتنى بتدوينه افاضل كل عصر وجهابذة احرزوا قصب العلاء والفخر وكان ممن اسهر فى جمعه الليالى واظمأ الايام الامام المتقن الحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم على ابن عساكر الدمشقى رحمه الله فجمع تاريخه الملقب بالتاريخ الكبير فى ثمانين مجلداً وجعله تاريخا لمدينة دمشق الزاهرة ضارع به تاريخ بغداد للخطيب البغدادى فجاء روضة زاهرة يجتنى منها المحدث ثمرات المقاصد والاديب ورد الخمائل والسياسى حكمة تبهر العقول واللغوى اكمأ وعساقلا والفقيه نوادر الاصول والواعظ نكتا ولطائف والخطيب فقرا تصاغ من العسجد واللجين والبليغ المطابقة لمقتضى الاحوال والمستفيد نوادر وامثالا لا يجدها مجموعة فى كتاب الا انه طول شرحه بطول السند وكرر فيه الحوادث تكرارا كان مألوفا فى زمنه وقد يمل منه ابناء هذا الزمان فلذلك هجر حتى عز وجوده فصار كعنقاء مغرب وحديث مغرب واصبح لا يسمح لعشاقه بالوصال ولا

يتدانى لقاصده حتى ينال مع احتياج ابناء زمننا اليه وتشوقهم لرؤية طلعته فاحببت ان اتحفهم به محذوف التكرار والاسانيد فشمرت ساعد الجد لذلك واخذت عبارته خالية عن التكرار وابقيت اسانيد الاخبار في محلها من صحفه بحيث ان من طالع ما اتحفته به لا يعزب عنه شئ من الاصل ولا يدركه ملل مما اطال به ثم انى نقحت الحوادث حسب الامكان وبينت مراتب الاحاديث التى رواها من صحة واعتلال واعملت الفكر في تصحيح الفاظه التى تناولتها انامل الكتبة بالتحريف واوضحت ما استعجم من كلماته اللغوية وارجو الله ان يكون كتابا اخدم به اهل الوطن وهدية لمحبى العلم الناهجين فيه على اقوم سنن انه تعالى مفيض الخير والجود ثم انى ابقيت خطبة الاصل على حالها لان بها تعلم مقاصد المؤلف رحمه الله تعالى وقدمت امام المقصود ترجمته سالكا بها مسلك المحدثين فقلت وبالله التوفيق

ترجمة المؤلف

هو الحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعى

امام اهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم مولده في العشر الاخير من المحرم سنة ٤٩٩ اعتنى به ابوه واخوه في صغره فسمع الحديث وعمره ست سنين ثم طلب بنفسه ورحل في هذا الشان سنة عشرين الى الآفاق وجاب البلاد وابعد في الرحلة وجمع وكتب الكثير في العراق وخراسان واصبهان وغيرها وجملة شيوخه الف وثلاثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة قاله النعيمى في تنبيه الطالب وارشاد الدارس وقال وصنف التصانيف الجليلة منها تاريخ دمشق في ثمانين مجلداً ومن تصفحه علم منزلته في الحفظ وكان كثير العلم غزير الفضل حسن السمت دينا ثقة متقنا جمع بين معرفة المتون والاسانيد سمع منه ابو سعد السمعانى واكثر عنه ورحل في طلب الحديث وجمع مالم يجمعه غيره وقال الحافظ عبد القادر الرهاوى

قد رأيت السلفي وابا العلاء الهمذاني فما رأيت فيهم احفظ من ابن عساكر توفي في رجب سنة احدى وسبعين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الصغير في الحجرة التي فيها معاوية وقال الشيخ عبد الوهاب السبكي في طبقات الشافعية الوسطى ان المترجم لا نعلم احدا من جدوده يسمى عساكر وانما هو انتهى الينا كذلك ثم قال هو الشيخ الامام ناصر السنة وخادمها وقامع اركان البدعة وهادمها امام اهل الحديث في زمانه وختام الجهابذة الحفاظ ولا ينكر احد مكان مكانه محط رحال الطالبين وما مل ذوي الهمم من الراغبين والواحد الذي اجمعت الامة عليه والواصل الى ما لم يطمح الانام اليه والبحر الذي لا ساحل له والحبر حمل اعباء السنة كاهله قطع الليل والنهار دائبين في دأبه وجمع نفسه على اسباب العلوم لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى اربه حفظ لا يغيب عنه ساربه وضبط استوت لديه المثلى واتقان ساد به من سبقه ان لم يكن فاته وسبقه علم اثرى به وترك الناس بين يديه ذوي فاقة له تاريخ الشام في ثمانين مجلدة واكثر ابان فيه عما لم يلم به غيره ويعجز عنه ومن طالع هذا الكتاب عرف الى اي مرتبة وصل هذا الامام واستقل الثريا وما رضي بدر التمام وله كتاب الاطراف وكتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري وعدة تصانيف وتخاريج وفوائد ما الحفاظ اليها الا محاويج ثم ذكر ابن السبكي نحوا مما تقدم في ترجمته وعد البلاد التي رحل اليها في طلب العلم واطال وقال ما خلاصته وكان في حداثته تفقه في دمشق ولما دخل بغداد لزم بها الفقه وسماع الدروس بالمدرسة النظامية وقرأ الخلاف والنحو ولما دخل بغداد اعجب به البغداديون وقالوا ما رأينا مثله وكذلك قال مشايخه الخراسانيون وسماه البغداديون شعلة نار لتوقد ذكائه وحسن ادراكه وقال النووي عنه هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا وهو الامام مطلقا الثقة الثبت قال السبكي وللحافظ شعر كثير قل ما املى مجلسا الا وختمه بشيء من شعره وكانت بينه وبين الحافظ السمعاني مودة اكيدة فكتب اليه السمعاني كتابا في مجلد سماه فرط الغرام الى ساكن الشام فكتب اليه ابن عساكر كتابا يقول فيه

ما كنت احسب حاجتي وان نأت داري مضاعه
انسيت ثدي مودتي بيني وبينك وارتضاعه
ولقد عهدتك في الوفا ء اخا تميم لا قضاعه

وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى قد بنى له دار الحديث النورية التى بالعصرونية مقابل العادلية الصغرى فدرس بها الى حين وفاته

وقال ابن خلكان فى تاريخه

كان محدث الشام فى وقته ومن اعيان الفقهاء الشافعية غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ فى طلبه الى ان جمع منه ما لم يتفق لغيره ورحل وطوّف وجاب البلاد ولقى المشايخ وكان رفيق الحافظ ابى سعد عبد الكريم بن السمعانى فى الرحلة وكان حافظاً ديناً جمع بين المتون والاسانيد سمع ببغداد فى سنة عشرين وخمسماية من اصحاب البرمكى والتنوخى والجوهرى ثم رجع الى دمشق ثم رحل الى خراسان ودخل نيسابور وهراة واصبهان والجبال وصنف التصانيف المفيدة وخرّج التخاريج وكان حسن الكلام على الاحاديث محظوظاً فى الجمع والتأليف صنف التاريخ الكبير لدمشق فى ثمانين مجلداً اتى فيه بالعجايب وهو على نسق تاريخ بغداد قال لى شيخنا الحافظ العلامة زكى الدين ابو محمد عبد العظيم المنذرى حافظ مصر ادام الله به النفع وقد جرى ذكر هذا التاريخ واخرج لى منه مجلداً وطال الحديث فى امره واستعظامه ما اظن هذا الرجل الاعزم على وضع هذا التاريخ من حينما عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذى اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها وله غيره تواليف حسنة واجزاء ممتعة وله شعر لا بأس به فمن ذلك قوله

الا ان الحديث اجل علم ... واشرفه الاحاديث العوالى
وانفع كل نوع منه عندى ... واحسنه الفوائد والامالى
وانك لن ترى للعلم شيئاً ... يحققه كافواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرص عليه ... وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى ... من التصحيف بالداء العضال

وكانت ولادة الحافظ المذكور فى اول محرم سنة تسع وسبعين واربعمائة وتوفى ليلة الاثنين الحادى والعشرين من رجب سنة احدى وسبعين وخمسمائة بدمشق ودفن عند والده واهله بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وصلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى

التاريخ الكبير

للحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم على بن الحسن بن
هبة الله بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر الشافعى

طبع على نفقة مطبعة (روضة الشام) لصاحبها
قارصلى خالد

عنى بترتيبه وتصحيحه الشيخ عبد القادر افندى بدران

﴿ مطبعة ﴾
« روضة الشام » سنة ١٣٢٩

المجلد الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق الارواح وبارئ الاجسام وفالق الاصباح بالضياء بعد غسق الظلام ورازق الطيور والانس والجن والوحوش والانعام وفاتق السماء والارض عن قطر الغمام والحب ذي العصف والنخل ذات الاكمام تبصرة لذوي العقول وتذكرة لاولي الافهام (احمده) على تواتر انعامه بنعمه العظام واستزيده من مزيد منته الجسام واشهد ان لا اله الا الله محي العظام ذو الطول والعزة والبقاء والجلال والاكرام واشهد ان محمداً عبده الصادق الكلام الداعي باذنه الى اتباع شريعة الاسلام الماحي بنبوته عباد الاوثان والاصنام الماحق برسالته معالم الانصاب والازلام صلى الله عليه صلاة مقرونة بالمزيد والدوام وعلى آله واصحابه وانصاره البررة الكرام واحله واياهم بفضله ورحمته دار السلام كما طهرهم من دنس العيوب ووضر الآثام (اما بعد) فاني كنت قد بدأت قديما لسوآل من قابلت سوآله بالامتثال والالتزام على جمع تاريخ لمدينة دمشق ام الشام حمى الله ربوعها من الدثور والانفصام وسلم جرعها من كيد قاصديهم بالاهتضام فيه ذكر من حلها من الاماثل والاعلام فبدأت به عازما على الانجاز له والاتمام فعاقت عن انجازه واتمامه عوائق الايام من شدوة الخاطر وكلال الناظر وتعاقب الآلام فصدفت عن العمل فيه برهة من الايام حتى كثر علي في اهماله وتركه لوم اللوام وتجشيم من تجشمته سبب لوجود الاحتشام وظهر ذكر شروعي فيه حتى خرج عن حد الاكتتام وانتشر الحديث فيه بين الخواص والعوام وتطلع الى مطالعته اولوا

النهى وذوو الاحكام ورقى خبر جمعى له الى حضرة الملك القمقام الكامل العادل الزاهد المجاهد المرابط الهمام ابى القاسم محمود بن زنكى بن ابى سنقر الناصر الامام ادام الله ظل دولته على كافة الانام وابقاه مسلما من الاسواء منصور الاعلام منتقما من عداة المسلمين الكفرة الطغام معظما لحملة الدين باظهار الاكرام لهم والاحترام منعما عليهم بادرار الاحسان اليهم والانعام عافيا عن ذنوب ذوى الاساآت والاجرام بانيا للمساجد والمدارس والاسوار ومكاتب الايتام راضيا باخذ الحلال ورافضا لاكتساب الحطام آمرا بالمعروف زاجرا عن ارتكاب الحرام ناصرا للملهوف وقاهرا للظالم العسوف بالانتقام قامعا لارباب البدع بالابعاد لهم والارغام خالعا لقلوب الكفرة بالجرأة عليهم والاقدام وبلغنى تشوقه الى الاستنجاز له والاستتمام ليلم بمطالعة ما تيسر منه بعض الالمام فراجعت العمل فيه راجياً للظفر بالتمام شاكراً لما ظهر منه من حسن الاهتمام مبادرا ما يحول دون المراد من حلول الحمام مع كون الكبر مطية العجز ومظنة الاسقام وضعف البصر دون الاتقان له والاحكام والله سبحانه وتعالى المعين فيه بلطفه على بلوغ المرام وهو كتاب مشتمل على ذكر من حلها من اماثل البرية او اجتاز بها اوباعمالها من ذوى الفضل والمزيد من انبيائها وهداتها وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ودراتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها من امنائها وانبائها وضعفائها وثقاتها وذكر ما لهن من ثناء ومدح واثبات ما فيه من هجاء وقدح وايراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية ما نقل عنهم من جد ومزح وبعض ما وقع من رواياتهم وتعريف ما عرفت من مواليدهم ووفاتهم

وبدأت بذكر من اسمه منهم احمد ليكون الابتدا بمن وافق اسمه اسم المصطفى ثم ذكرتهم بعد ذلك على ترتيب الحروف الثانى والثالث تسهيلا للوقوف وكذلك ايضا اعتبرت الحروف فى اسماء آبائهم واجدادهم ولم ارتبهم على طبقات ازمانهم اوكثرة اعدادهم وعلى قدر علوهم فى الدرجات والرتب ولا لشرفهم فى الافعال والنسب وازيد فيهم من عرف بكنية ولم اقف على حقيقة تسميته ثم ذكر نسبته وبمن لم يسم فى روايته واتبعتهم بذكر النسوة المذكورات والاماء الشواعر المشهورات وقدمت قبل جميع ذلك جملة من الاخبار فى شرف الشام وفضله وبعض ما حفظ من مناقب سكانه واهله وما خصوا به دون اهل الاقطار

وامتازوا به على سائر سكان الامصار ما خلا سكان الحرمين وجيران المسجدين المعظمين وبوّبت ذلك جميعه تبويباً ورتبته فى مواضعه ترتيباً وذلك مبلغ علمي وغاية جهدى على ما وقع اليّ اوثبت عندى فمن وقف فيه على تقصير اوخلل او عثر منه على تغيير او زلل فليعذر اخاه فى ذلك متطولا وليصحح منه ما يحتاج الى اصلاح متفضلا فالتقصير من الاوصاف البشرية وليست الاحاطة بالعلم الا لبارى البرية فهو الذى وسع كل شئ علما واحصى مخلوقاته عينا واسما ومع ذلك فمن ذكرت اكثرهم اهملت وما اصبت فى ذكره اكثرهم اغفلت وليس يخلو من فائدة من الفوائد المستفادة وذكر حكاية من الحكايات المستحسنة المستجادة لما جمعه من الاخبار الجامعة وانطوى عليه من الاثار اللامعة وحواه من الاذكار النافعة وتضمنه من الاشعار الرائقة مما ترغب فيه محسنة الراغب ويستفيده لعزته وجودته الطالب والله سبحانه وتعالى ييسر جمعه على من جمعه وينفع به من رواه ومن سمعه انه جدير باجابتي قدير على تحقيق رجاى وهو ولى كل خير ودافع كل سوء وضير والهادى فى القول لصوابه ولا حول ولا قوة الا به

اصل اشتقاق تسمية الشام

قال محمد بن السائب كان يونان بن نوح اول من عقد الالوية لاخوته ببابل فنزل بنو سام المجدل سرة الارض فيما بين ساتيدما الى البحر وما بين اليمن الى الشام وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والبياض فيهم ونزل بنوا حام مجرى الجنوب والدبور ويقال لتلك الناحية الداروں وجعل الله تعالى فيهم ادمة وبياضا قليلا واعمر بلادهم وسمائهم ورفع عنهم الطاعون وجعل فى ارضهم الاثل والاراك والعشر والغاف والنخل ومجرى الشمس والقمر فى سمائهم ونزل بنوا يافث الصفون مجرى الشام والصبا وفيهم الشقرة والحمرة واخلا الله تعالى ارضهم فاشتد بردها واجلا سمائها فليس يجري فوقهم شئ من النجوم السبعة الجارية لانهم صاروا تحت بنات نعش والجدى والفرقد وابتلوا بالطاعون ثم لحقت عاد بالشحر فاهلكوا بواد يقال له مغيث فلحقت بعدهم مهرة بالشحر ولحقت عبيل بموضع يثرب ولحقت العماليق بصنعا قبل ان تسمى صنعا ثم اغدر بعضهم الى يثرب فاخرجوا منها عبيلا

فنزلوا بموضع الجحفة فنزل سيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت الجحفة ولحقت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثم لحقت طسم وجديس باليمامة وانما سميت اليمامة بامرأة منهم فهلكوا ثم لحقت اميم بارض آباد فهلكوا بها وهى من اليمامة والشحر لا يصل اليها اليوم احد غلبت عليها الجن وانما سميت ابار باباد بن اميم ولحقت بنو يقطن بن عامر باليمن فسميت اليمن حيث تيامنوا اليها ولحق قوم من بنى كنعان بن حازم بالشام فسميت بالشام حيث تشاءموا اليها وكانت الشام يقال لها ارض بنى كنعان ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها واجلوهم الى العراق الا قليلا منهم وجاءت العرب فغلبوا على الشام وكان فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح هو الذى قسم الارض قال ويقطن هو قحطان بن عابر ابن شالخ وطسم واميم وعمليق هو قريب بنو الوذ بن سام بن نوح وثمود وجديس ابنا جاسر بن ارم بن سام بن نوح وعاد وعبيل ابنا عوص بن ارم بن سام بن نوح وبنو السقطان بن ثوبان بن يافث بن نوح عليه السلام وروى عن ابى الخلد انه قال الارض اربعة وعشرون فرسخا منها الف فرسخ للعرب ولسائر الناس البقية اه وهذا بحسب ما تصوره وما علمه فى وقته

قال ابن الانبارى والشام فيه وجهان يجوز ان يكون مأخوذا من اليد الشومى وهى اليسرى قال الشاعر

واجاعل شومى يديه فرادها باظماً من فرع الذؤابة اسحما

ويجوز ان يكون فعلى من الشوم قال ويقال انجد اتى نجدا واعرق دخل العراق واعمن اتى عمانا واشأم اتى الى الشام وبصر وكوّف وايمن ويامن اذا اتى البصرة والكوفة واليمن وقال ابن فارس يقال اخذ شآمه اى على يساره وشاءمت القوم ذهبت على شمالهم وقال قوم هذا اللفظ مأخوذ من شوم الابل وهو سوادها وحصارها وهى البيض قال ابو ذؤيب

فما تشترى الا بربح سباءها بنات المخاض شؤمها وحصارها

وفى كتاب الله تعالى من المعنى الاول واصحاب المشأمة اى اليسار قال النابغة

على اثر الادلة والمطايا وخفق الناعجات من الشآم

ويقال فى النسبة الى الشام شامى وقال ابن فارس وسميت اليمن يمنا لانها على يمين الكعبة وقال ابن المقنع سميت الشام بسام بن نوح وسام اسمه بالسريانية شام

وبالعبرانية شيم وقال الحلبي سميت بشامات لها حمر وسود وبيض ولم ينزلها سام قط وقال غيره سميت الشام لانها عن شمال الارض كما ان اليمن ايمن الارض فيقال تشاءم للذى ذهب الى الشام وتيامن للذى ذهب الى اليمن كما تقول اخذت يمنة اى ذات اليمين وشامة اى ذات الشمال وقال بعض الرواة ان اسم الشام سورية وكانت ارض بنى اسرائيل قسمت على اثنى عشر سهما فصار لكل قسم تسعة اسباط وحصل قسم سامر بن نمر فى ارض فلسطين فكانت العرب تسافر اليه فى تجارتها ومنه كانت ميرتهم فتردد اسم سامر على لسانهم وكان من قاعدتهم انهم اذا نقلوا كلمة الى لغتهم تصرفوا بها فقالوا عن سامر شام

ذكر بناء مدينة دمشق ومعرفة من بناها [١]

قال كعب الاحبار اول حائط وضع على وجه الارض بعد الطوفان حائط حران ودمشق ثم بابل وقال اسحاق بن ايوب القرشى ان شيطانا يقال له جيرون بنى لسليمان بن داود سقيفة مستطيلة على عمد وبنى حولها مدينة لطيفة فسمى المكان باسم البانى وهو جيرون وقال الرازى فى كتاب التاريخ (هو غير فخرالدين الرازى) ان الله بعث نبيا الى اصحاب الرس يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه فسار عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده من الرس فنزل الاحقاف واهلك الله تعالى اصحاب الرس وانتشر ولد عاد فى اليمن كله وفشوا مع ذلك فى الارض حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بد مشق فسميت باسمه وهى ارم ذات العماد وليست اعمدة الحجارة فى موضع اكثر منها فى دمشق فبعث الله هودا عليه السلام الى اولاد عاد بالاحقاف فكذبوه فاهلكهم الله تعالى وفى بعض الكتب ان جيرون وبريد ابنا سعد بن لقمان بن عاد سكنا دمشق فسمى جيرونا وباب البريد بهما وقال وهب بن منبه ان الذى بنى دمشق هو غلام ابراهيم عليه السلام وكان حبشيا وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج

[١] من عادة الحافظ ابن عساكر فى تاريخه انه يسرد الاقوال تسليما لمن حكاها ويترك تمييز غثها من سمينها الى الناظر لها وبها ونحن نقتفى اثره فى ذلك لضيق الوقت ولاننا قصدنا ان لا نترك شيأ من كلامه فى كتابه واليك سرد الاقوال فى ذلك

ابراهيم عليه السلام من النار وكان اسمه دمشق فسميت باسمه وسكنها الروم بعد ذلك بزمان وفي كتاب ابي عبيدة ان بنو راسب هوالذي بنى مدينة بابل وصور ودمشق وقال السدي ان فارس والروم لم يزالوا في ملك منظور مذبادئ الدهر حتى بعث الله رسوله عليه الصلاة والسلام فجمع الله له ملكهما وكان قد ملك من الروم عشرة اهل ابيات فاول بيوتاتهم ملك بالغ وفي زمنه صنع بنوه ماء الذهب ثم صار الملك الى تمنغ فمكث فيهم يسيرا ثم خرج منهم الى علوى فمكث فيهم قليلا ثم خرج منهم الى نبيت ثم الى اهليا ثم الى ايليا وبه سميت ايليا ثم تحول الى تميز فملك من اولاده فترك ثم مبصر ثم جيرون وهو الذي نزل بدمشق وبه سمي باب جيرون ثم ملك بعدهم مهاطيل ثم يردح فولد له الاصفر فكان الملك في اولاده ثم انقرضوا فتحول الى صيفون ومنهم القياصرة فملك بعد قيصر هرقل وكان آخر بني هرقل الاحزم قال صاحب الاصل وبلغني انه لما رجع ذو القرنين من المشرق وعمل السد بين اهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج وسار يريد المغرب بلغ الشام وسار على عقبة دمر ابصر الموضع الذي فيه دمشق اليوم وكان هذا الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غيضة ارز فلما نظر ذوالقرنين الى تلك الغيضة والى ذلك الماء الذي في هذه الانهار مفترقا مجتمعاً في واد واحد اخذ ذو القرنين يفكر كيف يبني في هذا المكان مدينة وكان اكثر فكره وتعجبه انه نظر الى جبل يدور بذلك الموضع وبالغيضة كلها فكان له غلام يقال له دمشق جعله اميرا على سائر ملكه فلما نزل ذو القرنين من عقبة دمر سار حتى نزل في موضع القرية المعروفة ببلدا على ثلاثة اميال عن دمشق فامر ان ان يحفر له في ذلك الموضع حفرة ففعلوا ذلك ثم امر ان يرد التراب منها اليها فلما رده لم تمتلئ الحفرة فقال لغلامه دمشق ارحل فاني كنت قد نويت ان ابني في هذا الموضع مدينة فاما اذ بان لي هذا علمت انه لا يصلح ان يكون هنا مدينة فقال له غلامه ولم يا مولاي فقال ان بنينا ههنا مدينة كان زرعها لا يكفي اهلها وعلامة ذلك ان غوطة دمشق لا تكفيهم غلاتهم حتى يشتروا من المدينة ثم سار ذو القرنين حتى صار الى حوران فاشرف على تلك البقعة ونظر الى تلك التربة الحمراء فامر ان يناول من التراب فلما صار في يده اعجبه لانه وجده كالزعفران فامر ان ينزل هناك ويحفر في ذلك الموضع حفيرة فلما حفرت امر برد ترابها اليها فلما فملو فضل منه تراب

كثير فقال ذو القرنين لغلامه ارجع الى الموضع الذى فيه الارز فاقطع ذلك الشجر
وابن على حفة الوادى مدينة وسمها باسمك فان ما ينقص اهلها من زرعها يجبرونه
بما يزيد عن اهل هذه الارض من غلتهم فرجع ورسم المدينة وبناها وعمل لها حصنا
والمدينة التى كانت على ذلك الرسم هى المدينة الداخلة وعمل لها ثلاثة ابواب باب
البريد مع باب الحديد الذى فى سوق الاساكفة مع باب الفراديس هذه هى كانت
المدينة وكانت اذا اغلقت هذه الابواب اغلقت البلد كلها وخارج هذه الابواب كان
مرعى فبناها دمشق وسكنها ومات فيها وكان قد بنى كنيسة يعبد الله تعالى بها وهى
الجامع الاموى الموجود الى اليوم وبلغنى عن بعضهم ان دمشق بنيت على الكواكب
السبعة وان المشترى بيته دمشق وان بانيها جعل لها سبعة ابواب وصوّر على كل
باب منها كوكبا من احد الكواكب السبعة وجعل صورة زحل على الباب الذى
يقال له باب كيسان فخربت تلك الصور كلها الا ما كان على باب كيسان فان صورة
زحل باقية عليه الى الساعة يعنى الى زمن (تأليف كتابه واما اليوم فانا لم نرشيئا
من ذلك) وفى كتاب عتيق ان باب كيسان لزحل وباب شرقى للشمس وباب توما
للزهرة والباب الصغير للمشترى وباب الجابية للمريخ وباب الفراديس لعطارد وباب
الفراديس الاخر المسدود للقمر وقال ابو الحسين الرازى فى كتابه لما قدم عبد الله
ابن على دمشق حاصر اهلها فلما دخلها هدم سورها فوقع منه حجر عليه كتابة
باليونانية فاتوا براهب ليقرأه فقال ايتونى بحبر اطبعه به فقراه فاذا فيه ما معناه ويك
ارم الجبابرة من رامك بسوء قصمه الله اذا وها منك جيرون الغربى من باب
البريد ويلك من الخمسة اعين ففض سويك على يديه بعد اربعة الاف سنه تعيشى
رغداً فاذا وها منك جيرون الشرقى فويل لك ممن يعرض لك قال فوجدنا الخمسة
اعين عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد الملك

اشتقاق تسمية دمشق واماكن من نواحيها

قال ابن فارس اللغوى يقال ان دمشق مأخوذ من قولهم ناقة دمشق اى
سريعة قال الشاعر

وصاحبتى ذات هباب دمشق   كانها بعد الكلال زورق

ويقال دمشق الضرب دمشقة اذا ضرب ضربا سريعا خفيفا وقال ابن دريد ان لفظ دمشق ليس بعربي بل معرب يمنى فلا يطلب له اشتقاق وقال عبد الله بن محمد الخطابي الشاعر كتب الي سيف الدولة يسئل عن دمشق هل يقال فيها دمشقة ام لا فقلت دمشق اسم هذه المدينة ليست عربية فيما ذكر ابن دريد بل هي معربة ولا يقال الا بغير هاء فاما الدمشقة فهي السرعة وكل سريع دمشق فاعاد عليه الكتاب وقد وقع عليه ما لفظه . قال عبد الرحمن بن صهيل الجهني وهو بعسكر يزيد بن ابي سفيان عند حصارهم دمشق

ابلغ ابا سفيان عنا بانما على خير حال كان جيش يكونها
وانا على بابي دمشقة نرتمي وقد حان من بابي دمشقة حينها

وفي الكتاب ايضا ان الناقة السريعة يقال لها دمشق والمرأة السريعة اليد في العمل تسمى دمشق فكتبت تحته ان كلام هذا الشاعر يحتمل ذلك المعنى ولا سيما اذا قصد بدمشق مدينة ويكون المراد انه زادها التاء تاكيدا للتأنيث كما ان عقربا مؤنث بغير علامة التأنيث والعقربان ذكرها فقالوا عقربة تاكيدا فكذلك دمشق ودمشقة وذكر يونس وغيره اتانة وعجوزة وفرسة كل ذلك تاكيدا وقرأ ابن مسعود تسعة وتسعون نعجة انثى فبعث يستحضرني فلما مثلت بين يديه قلت ايها الامير رب علم كنت سببه وقد استنقذته دمشقة الا انه في النحو كما ذكرت والعرب تزيد المذكر بيانا كما قال صلى الله عليه وسلم ابن لبون ذكر وتزيد المؤنث تاكيدا مثل نعجة انثى وذكر كلاما غيره وقيل انما سميت دمشق بالرومية وان اصل اسمها دومسكس ومعناه مسك مضاعف لطيبها ثم عربت فقيل دمشق والله تعالى اعلم . وقال محمد بن اسحاق ولد لاسماعيل بن ابراهيم اثناعشر ولدا وسماهم ومنهم قتالا وهود ودوما وبه سميت دومة الجندل وقال السائب الكلبي ولد للوط اربعة بنين وابنتان فاما البنون فاسمهم ماث وخلاب وعمان وملكان واما البنات فاسمهم زغر والربه فعمان مدينة البلقاء سميت بعمان بن لوط وماث هي سائر البلقاء سميت بماث بن لوط وقال ابن قطامي سميت صيدا التي بالشام بصيدون بن صيدنا بن كنعان بن حام بن نوح وسميت اريحا التي بالشام باريحا بن مالك بن ارفخشذ بن سام بن نوح وسميت البلقا ببالق بن عمان بن لوط لانه بناها وسكنها وقيل ان البلقا سميت ببالقا بن سويرة من بني عمان بن لوط وهو بناها ويقال ولد للوط

اربعة رجلان ماآب وعمان وابنتان زغر والربة فدينة عمان منسوبة الى الاول ونسبت مدائن البلقا لماآب وزغر لزغر بنت لوط والربة لربة بنت لوط وصيدا منسوبة لصيدون بن صدقا او كنعان ابن حام وقال ابن فارس جيرون ماخوذ من قولك جرن الشيء اذا صار املس وجلق من جلق رأسه اذا حلقه واذرح من الحمرة الشديدة وتدمر من دمراى دخل و بيروت من البرت وهو الرجل الدليل وذكر بعض اشتقاقات كلها لادخل لها فى اسماء البلدان لانها غير عربية فلا يطلب لها اشتقاق منها

اشتقاق اسم التاريخ واصله وسببه وذكر الفائدة الداعية الى الاعتناء به

قال ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فى تاريخه تاريخ كل شيء اخره وهو فى الوقت غايته والموضع الذى انتهى اليه يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا وأرخته تأريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل مملكة واهل ملة تاريخ وجماع القول فى تواريخهم انهم يؤرخون بالوقت الذى فيه حوادث مشهورة عامة قال الله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج و يعتبر بالتاريخ بعض الاحكام الشرعية كالصيام وانقضاء عدة النساء من بعولتهن ومدة حملهن ووضع اجنتهن ووقت محل الديون اللازمة وتصرم [١] مدة عقود التجارات والاجارات واختلاف الفصول والاوقات وبها تحدّ حوادث الامم الخاليات [٢] قال قتادة فى قوله تعالى يسألونك عن الاهلة الاية ان الله تعالى جعل الاهلة لصوم المسلمين وافطارهم وحجهم ومناسكهم وعدد سيأتهم ومحل ذنوبهم [٣] فى اشياء والله تعالى اعلم بما يصلح خلقه قال وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة

[١] انقضاء [٢] الماضيات [٣] مراده اذا انقضى وقت العبادة ولم يفعلها المكلف بها يعلم بانقضاء الوقت الذنب والاثم وفى هذا اشارة الى ان تعلم فن الميقات مما يأمر به الدين الاسلامي وكذا معرفة سير النجوم ومعرفة تنقلات الشمس والقمر فى البروج

لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وقال فى اية اخرى وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون وعن عياش قال نزل قوله تعالى يسألونك عن الاهلة الآية فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما رجلان من الانصار قالا يارسول الله مابال الهلال يبدو ويطلع رقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان لايكون على حال واحد كما كان فنزلت الآية بيانا لحل دينهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم والشروط التى تنتهى الى اجل معلوم وعن قيس بن طلق عن ابيه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جعل هذه الاهلة مواقيت للناس صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته [١] قال عمر وافطروا على عذر فاتموا العدة وروى عن قيس بن طلق عن ابيه بلفظ آخر وهو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جعل هذه الاهلة مواقيت للناس فاذا رأيتموا فصوموا واذا رأيتموا فافطروا فان غم عليكم فاتموا العدة [٢] وفى لفظ آخر جعل الله تبارك وتعالى الاهلة مواقيت فاذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاتموا العدة ثلاثين

﴿ باب في مبدأ التاريخ واصطلاح الامم على التواريخ ﴾

قال ابن عباس كانت فترتان فترة بين ادريس ونوح وفترة بين عيسى ومحمد فكان اول نبى بعث ادريس بعد آدم فكان بين موت آدم وبين بعثة ادريس مائتا سنة لان آدم عاش الف سنة الا اربعين عاما [٣] وجاءت ادريس النبوة بعد

[١] رواه الامام احمد فى مسنده [٢] رواه الطبرانى فى معجمه الكبير والبيهقى فى السنن
[٣] هذه الاساطير مأخوذة من الاصحاح الخامس من سفر التكوين من التوراة وفيها شئ من المخالفة للتوراة الموجودة اليوم فى الايدى ولنلخص هذا الاصحاح لتعلم المخالفة فنقول ولد شيث بعد هبوط آدم بمائة وثلاثين سنة وعاش بعده ثمانمائة سنة فكانت كل ايام آدم تسعمائة وثلاثين سنة وعاش شيث تسعمائة واثنى عشرة سنة وعاش ولده انوش ابن شيث تسعمائة وخمس سنين واقام قينان بن انوش فى الدنيا تسعمائة وعشر سنين وعاش ولده مهيائيل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وكان قد ولد له يارد لخمس وستين سنة من

موت آدم بمائتي سنة فمكث في نبوته مائة سنة وخمس سنين وكان الناس من آدم الى ادريس اهل ملة واحدة متمسكين بالاسلام وهو توحيد الله الخالص فلما مضى ادريس عليه السلام اختلفوا وفتر الوحي الى ان بعث الله نوحا عليه السلام وعمره يومئذ اربعمائة سنة وثمانون سنة فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين عاما وكان بين نوح وهود ثمانمائة سنة وعاش هود اربعمائة واربعا وستين سنة وكان بين هود وصالح مائة سنة وعاش صالح مائة سنة وخمسة وسبعين سنة وعاش اسماعيل مائة سنة وتسعة وثلاثين وعاش اسحق مائة سنة وثمانين سنة وعاش يعقوب بن اسحق مائة سنة وتسعة واربعين سنة وكان بين موسى وابراهيم سبعمائة سنة وكانت الانبياء بين موسى وعيسى متواترة كما انها كانت متواترة بين نوح وموسى قال الله تعالى في سورة المؤمنين من بعد قصة نوح ثم ارسلنا رسلنا تترى اى ياتي بعضها اثر بعض كلما جاءت امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا الى قوله ثم ارسلنا من بعدهم موسى وهارون ويقال انه نبئ من الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا منهم اربعون الفا وثلاثمائة من المرسلين ولكن من زعم انه يعلم عدتهم واسماءهم فقد كذب لان الله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وقال كعب كان بين موسى وعيسى ستمائة سنة وعن ابن عباس انه كان خمسمائة سنة والله اعلم اى ذلك كان من جميع ما تقدم وقد اختلف المؤرخون في بيان هذه المدة فذكروا ما سبق وقال محمد بن اسحاق [١] كان من آدم الى نوح الف ومائتا سنة ومن نوح الى ابراهيم الف ومائة واثنان واربعون سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وستون سنة ومن موسى الى داود خمسمائة سنة

عمره ومات وسنه تسعمائة واثنان وستون سنة وعاش والده اخنوخ ثلاثمائة وخمسا وستين سنة وولد له متوشالخ وكانت مدة حياته تسعمائة وتسعا وستين سنة وولد له لامك والد نوح وعمره مائة وسبع وثمانون سنة واستقرت حياة لامك سبعمائة وسبعا وسبعين سنة وكان عمر نوح لما مات والده خمسمائة سنة هذه خلاصة الاصحاح الخامس وفي الاصحاح السادس ان الطوفان ظهر لستمائة سنة خلت من حياة نوح عليه السلام والله اعلم بالحقيقة ومن اراد بيان نقد هذه الاخبار على وجه مطول محقق فليراجع الجزء الاول من الفصل في الملل والنحل لابن حزم

(١) الذي يعلم من الاصحاحين الخامس والسادس من سفر التكوين من التوراة انه كان من هبوط آدم الى الطوفان الف وست عشرة سنة

وتسع وستون سنة ومن داود الى عيسى الف وثلاثمائة وستة وخمسون سنة
ومن عيسى الى محمد عليه الصلاة والسلام ستمائة سنة فذلك خمسة الاف
واثنان وثلاثون سنة وفى الاصل قال وهذا الاجمال صحيح وقيل ان الماضى
كان ستة الاف سنة وعن ابى سلمة كان بين آدم ونوح عشرة قرون وبين ابراهيم
وموسى عشرة قرون والقرن مائة سنة وعن ابن عباس كان بين موسى بن عمران
وعيسى بن مريم الف وتسعمائة سنة ولم يكن بينهما فترة من الرسل بينهم الف
نبى من انبياء بنى اسرائيل سوى من ارسل من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى
والنبى صلى الله عليهما وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث فى اولها
ثلاثة انبياء وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والذى
عزز به شمعون وكان من الحواريين وكانت الفترة التى لم يبعث الله فيها رسولا
اربعمائة سنة واربعة وثلاثين سنة وان حوارى عيسى كانوا اثنى عشر رجلا وكان
قد تبعه بشر كثير ولكنه لم يك فيهم من الحواريين الا هذا العدد وكانوا عمالا
يعملون بايديهم وهم من الاصفياء وان عيسى حين رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة
وستة اشهر وكانت نبوته ثلاثين شهرا وكانت القرية التى منها تسمى الناصرة
وكان اصحابه يسمون بالناصريين نسبة اليها وكان يقال لعيسى الناصرى وبذلك سميت
النصارى وقال ابن شهاب الزهرى ان قريشا كان يعدون بين الفيل والفجار اربعين
سنة وكان يعدون بين الفجار وبين وفاة هشام ابن المغيرة ست سنين وبين وفاته
وبين بنيان الكعبة تسع سنين وبينها وبين ان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة خمس عشرة سنة منها خمس سنين قبل ان يوحى اليه ثم كان العدد يعنى بعد
التاريخ وقال الشعبى لما هبط آدم من الجنة وانتشر ولده ارخ بنوه من هبوطه فكان
ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحا فأرخوا من بعثه فلما كان الطوفان وغرق
من غرق ونجا نوح ومن معه قسم الارض بين اولاده اثلاثا فجعل لسام وسطا
من الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وفيسون
وذلك ما بين فيسون الى شرق النيل وجعل قسم حام غربى النيل وقسم يافث وراء
قسم سام الى الشرق فكان التاريخ من الطوفان ثم كثر ولد اسماعيل وافترقوا
فارخ بنوا اسحق من نار ابراهيم الى مبعث يوسف ومن مبعثه الى ملك سليمان
ومن ملكه الى مبعث عيسى بن مريم ومن مبعثه الى مبعث النبى صلى الله عليهم

اجمعين وارخ بنوا اسماعيل من نار ابراهيم ثم لما بنى ابراهيم واسماعيل الكعبة ابتدأ بنوا اسماعيل التاريخ من بنائها الى ان تفرقت معد فكان كلما خرج قوم من تهامة جعلوا التاريخ من مخرجهم ومن بقى من بنى تهامة يؤرخ من خروج سعد ونهد وجهينة من بنى زيدثم ارخوا من موت كعب بن لؤى الى عام الفيل فكان التاريخ فيه حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة اوثمانى عشرة من الهجرة وقد كان للعرب ايضا تاريخ وقال ابو عبيدة لم يزل لفارس تاريخ يعرفون امورهم به وتاريخ حسابهم الى هذا اليوم منذ مات يزد جرد بن شهريار ولبنى اسرائيل تاريخ آخر يبتدؤنه من سنى ذى القرنين وكان مبدأه قبل الهجرة بتسعمائة وخمس وعشرين سنة

ذكر اختلاف الصحابة عليهم الرضوان فى التاريخ وما نقل فيه من الاتفاق منهم

قال ابن شهاب الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فى شهر ربيع الاول قال ابوحفص وكان قدومه المدينة يوم الاثنين عندارتفاع النهار لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وهو ابن ثلاث وخمسين سنة انتهى والمحفوظ ان الآمر بالتاريخ عمربن الخطاب قال ميمون بن مهران وقع الى عمر صك فى شعبان يعنى غير معين فقال عمر اى شعبان الذى نجز فيه اهذا الذى مضى او الذى هو آت اوالذى نحن فيه ثم جمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفون به سنيهم فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقالوا ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذى القرنين وقال اخر اكتبوا على تاريخ فارس فقالوا ان فارسا كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله فاجمع رأيهم على ابتداء التاريخ من الهجرة وكان قد مضى من امدها عشر سنين وعن ميمون ابن مهران قال ائتمر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يكتبون التاريخ فقال بعضهم نكتبه من الشهر الذى ولد فيه رسول الله صلى عليه

وسلم وقال بعضهم من حين اوحى اليه وقال بعضهم نكتبه من هجرته التى هاجر فيها من دار الشرك الى دار الاسلام فاجتمع رأيهم على ان يكتبوا التاريخ من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ثم قالوا باى شهر نبدأ فاختلفوا فى ذلك ثم بدا لهم ان يجعلوه من المحرم وقال سعيد بن المسيب جمع عمر بن خطاب جماعة من المهاجرين والانصار فقال من اى شهر نكتب التاريخ فقال له على بن ابى طالب منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من ارض الشرك يعنى يوم هاجر قال فكتب ذلك عمر وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافته وعن ابن سيرين ان رجلا من المسلمين قدم من ارض اليمن فقال لعمر رأيت باليمن شيئا يسمونه التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا فكان ذلك سببا لانشاء التاريخ [١]

باب ذكر تاريخ الهجرة والاقتصار فى ذكره للشهرة

قال ابو حفص الفلاس قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ارتفاع النهار لثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال فضالة بن عبيد قدم للنصف من ربيع الاول انتهى واقام بالمدينة عشر سنين والصحيح الاول وكان خروجه من مكة فى صفر وقال ابن القواس كان اول المحرم سنة الهجرة يوم الخميس اليوم السابع عشر ماه روز سنة ثلاث وثلاثين لكسرى برويز واليوم الثامن من ايار سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة لذى القرنين

---

(١) هذه الآثار تنبئ عن سبب مبدأ التاريخ الاسلامى وتنادى باعلى صوتها ان الصحابة كانوا يحبون المدنية وينادون بها ويقتبسونها من اى محل وجدوها به لا يبالون ان اخذوها من الروم او من الفرس كما يعلم مما سبق ويسيرون على منهاج « الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها التقطها » وقد اقتبسوا اشياء كثيرة من الامم الذين هم خلافهم فالذى يمنع اقتباس المدنية فى الامور السياسية من الغير مخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون والائمة عليهم من الله الرضوان

اشتقاق تسمية الايام والشهور

قال ابن عباس خلق الله يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين فخلق فيهما السموات والارض ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء فخلق فيه الجبال فمن ثم يقول الناس يوم ثقيل ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء فخلق فيه مواقع الاشجار والانهار ثم خلق خامسا فسماه الخميس وبه خلق الطير والوحش والسباع والهوام ثم خلق الجمعة فخلق فيه آدم والامهات ثم قرا ابن عباس ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الاية كلها [١] وقال ابو العلاء المعرى كانت العرب

---

(١) قال ابن الاثير فى النهاية قد يراد باليوم الوقت مطلقا ومنه الحديث تلك ايام الهرج اى وقته ولا يختص بالنهار دون الليل اه فقد علمت ان اليوم فى اللغة يطلق ويراد به الوقت فيجب تفسير ما فى القرآن الكريم به وفى مثل هذه الآية مما يصرح بانه تعالى خلق السموات والارض فى ستة ايام ويستحيل ان يفسر باليوم الذى هو من طلوع الشمس الى غروبها لانه قبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولا قمر فكيف يقدر بهما وايضا فان اليوم امر اعتبارى لانه لا نهار فى قطر الا وفى وقته ليل عند قوم آخرين كما يحققه من له اطلاع على علم الهيئة فالايام المذكورة فى قوله تعالى خلق الارض فى يومين وغيرها مما يشابهها عبارة عن الاوقات والاطوار واذا اردت ان يتضح لك الحق من تاريخ فن الجيولوجيا فتأمل آيات من القرآن الكريم ومن جملتها قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فالآية صريحة فى ان خلق الكواكب متأخر عن الادوار الخمسة فمن اين تقدر ان تفسر الايام باليوم الاعتبارى هذا وقد اوجد تعالى جوهرا ثم انه تجلى عليه بتجليات عظمته فصار سيالا فانفصلت منه الارض ذلك قوله اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما والرتق ضد الفتق الذى هو بمعنى الانفصال ثم مضى على الارض دور وهو المسمى باليوم الاول تحولت فيه الارض من السيلان الى الجمود فبردت قشرتها العليا التى كانت ملتهبة ثم تحولت فى الدور الثانى من الجمود الى التحجر فذلك قوله تعالى خلق الارض فى يومين ثم اسفر مرور الدور الثالث عن تركيبها واثبات جبالها وبحورها وجعلها صالحة للنبات وسكنى الحيوان بها وفى الدور الرابع كان ايجاد النبات والحيوان والمعادن وهى المواليد الثلاثة ولو بسطنا الكلام على ذلك لاستخرجنا فن طبقات الارض وفن المواليد من هذه الآية الكريمة ولكن اجلنا البحث هنا لنبسطه فى مواضع من تفسيرنا اعاننا الله على اكماله ثم انفصلت الكواكب فى الدور الخامس فامرها تعالى بذلك فجاءت طائعة منقادة لامره ثم اوحى لكل من تلك الكواكب والسموات امرها واكمل لها نظامها فتبعت كل واحدة منهن ما رسم لها من الدوران واتباع وظيفتها فكان منها ما هو مصابيح للسماء الدنيا اى القربى وزينة لها ذلك

فى الجاهلية يسمون الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء ابار [١] والاربعا كبار والخميس موٴنس والجمعة عروبة والسبت شبار وقال ابوعمرو بن العلاء انما سمى المحرم [٢] لان القتال حرم فيه وصفر لان العرب كانت تنزل فيه بلادا يقال لها صفر وشهرا ربيع كانوا يربعون فيهما وشهرا جمادى كان يجمد فيهما الماء ورجب كانوا يرجبون [٣] فيه النخل وشعبان كانت القبائل تتشعب [٤] فيه ورمضان لرمض [٥] الفصال [٦] فيه من الحر وشوال لان الابل كانت تشول [٧] فيه باذنابها للضراب [٨] وذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال وذوالحجة كانوا يحجون فيه فاما اول السنة فالمحرم وقال ابن عباس فى قوله تعالى والفجر وليال عشر هو المحرم فجر السنة

فصل فى خواص التاريخ على مصطلح المحدثين

قال سفيان الثورى لما استعمل الرواة الكذب استعملنالهم التاريخ وقال حفص ابن غياث اذا اتهمتم الشيخ [٩] فحاسبوه بالتاريخ يعنى احسبوا سنه وسن من

(١) الذى فى كلام الزجاج والفراء وابى عبيدة ان العرب الدارسة كانت تسمى يوم الثلاثاء جبار والاربعاء ... فى الاصل تصحيف من الناسخ قالوا واول من نقل العروبة الى الجمعة ... ب ابن لؤى (٢) ... النسبة الى زمن الجاهلية فانها قد صادفت تلك الامور المذكورة فسميت بها (٣) الرجب ان ... النخلة الكريمة عمود من حجارة او خشب اذا خيف عليها لطولها و كثرة حملها ان تقع (٤) تصير فرقا (٥) التاذى من حر الشمس (٦) جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن امه وفطم عن الرضاع (٧) ترفع (٨) طلب نزو الفحل عليها (٩) الكبير فى السن

تقدير العزيز العليم فهذه هى الادوار الست المشار اليها فى هذه الاية وقد اشتمل آخر هذه الاية على مهمات فن الهيئة واشتملت الاية كلها على علوم خمسة باخصر عبارة والطفها وادرج فيها علم آخر وهو الاستدلال على وجوده تعالى وقدرته ووحدانيته على نمط يدهش كل عاقل حكيم وتضمنت الرد على فرقتين اولهما هى القائلة بان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى الف هذا الكتاب العظيم فيقال لها انتم تعتقدون ان هذه الفنون لم تكن عند العرب وتدعون ان اكثرها من مخترعات هذا العصر فمن اين احاط علما بهذه الاشياء حتى اورد امهاتها فى كلمات وجيزة ولو لم يكن هذا الكتاب من عند الله تعالى لما قدر من زعمتم ان يتكلم عن مسئلة واحدة فضلا عن هذه الفنون التى تطابق ما تدعون انه من مخترعات هذا العصر تمام الانطباق وثانيهما الفرقة التى تزعم ان تعلم فن طبقات الارض والنباتات والمعادن والحيوان والهيئة يمنع منه الدين الاسلامى فيقال لهم ان القرآن الكريم قد فصل امهات مسائل هذه

كتب عنه وقال حسان بن زيد لم تستعن على الكذابين بمثل التاريخ نقول للشيخ كم سنه وفي اى تاريخ ولدفان اقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه وقال الحسن ابن الربيع قدمت بغداد فلما خرجت شيعنى اصحاب الحديث فلما برزت الى الخارج قالو توقف فان احمد بن حنبل يجيء فقعدت واخرجت الواحى فلما جاء احمد قال لى فى اى سنة مات عبد الله بن المبارك فقلت سنة احدى وثمانين فقيل له ما تريد بهذا فقال اريد الكذابين وقال ابو الفضل صالح التميمي الحافظ ينبغى لطالب الحديث ومن عنى به ان يبدا بكتب حديث بلده ومعرفة اهله وبفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه وسقيمه ويعرف اهل التحديث به واحوالهم معرفة تامة اذا كان فى بلده علم وعلماء قديما وحديثا ثم يشتغل بعد حديث بلده بالبلدان والرحلة فى طلبه

باب ذكر اصل اشتقاق تسمية الشام وحث المصطفى صلى الله عليه وسلم امته على سكنى الشام واخباره بان الله تكفل بمن سكنه من اهل الاسلام

عن عبد الله بن حوالة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] ستجندون اجنادا جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن قال فقمت فقلت خرلى [٢] يارسول الله قال عليك بالشام فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق من غدره [٣] قال الله قد تكفل لى بالشام واهله قال ابن حوالة وما تكفل الله به فلا ضيعة عليه [٤]

(١) رواه ابن عساكر من عشرة طرق ورواه الامام احمد فى مسنده ولفظه سيكون اجناد مجندة شام ويمن وعراق والله اعلم بايهما بدا وعليكم بالشام فلها ثلاثا فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق فى غدره فان الله توكل لى بالشام واهله

(٢) معناه تخيرلى (٣) الغدر الخندين والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يتركها السيل فى مكان منخفض (٤) الضيعة فى الاصل المرة من الضياع ومعناه ان الله لا يجلب له الاطراح والهوان حتى يصير كانه ضائع فى بلده

الفنون فقولوا انه لا يجوز تعلمه ولا تدبر الآيات التى تشتمل على ذلك لانه اشتمل على مازعمتم تحريمه وايضا فكل حكيم عاقل يعلم انه اشتمل على امهات مسائل كثيرة من فنون تنفرون منها وتنفرون عنها فان كنتم تقدرون على ان تنفروا عن هذا الكتاب المنزل فافعلوا حتى يكون الذى انزله لتتدبروا آياته حسبكم وما اخالكم تجسرون على ذلك • والرواسى الجبال الثوابت وبارك فيها اكثر خيرها وانما قال فى الكشاف فى قوله تعالى قالتا اتينا طائعين معناه انه اراد تكوينهما فلم تمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا فى ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وقال فى قوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها معناه ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك اوشانها وما يصلحها

وعن واثلة بن الاسقع [١] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجند الناس اجنادا فجندا بالشام وجندا باليمن وجندا بالعراق وجندا بالمشرق وجندا بالمغرب فقلت يا رسول الله انى رجل حديث السن فان ادركت ذلك الزمان فايها تامرنى يا رسول الله قال عليكم بالشام فانها صفوة الله تعالى فى ارضه يسوق اليها صفوته من خلقه فاذا ابيتم فعليكم باليمن فاسقوا بغدره (٢) وقد تكفل الله تعالى لى بالشام واهله وعن عبد الله بن حوالة الازدى (٣) قال قلت يارسول الله خر لى بلدا اكون فيه فلو علمت انك تبقى لم اختر على قربك شيئا فقال عليك بالشام ثلاثا فلما راى النبى صلى عليه وسلم كراهيتى لها قال هل تدرى مايقول الله تعالى فى الشام انه يقول ياشام يدى عليك ياشام انت صفوتى من بلادى ادخل فيك خيرة عبادى انت سوط نقمتى وسوط عذابى انت الانذر (٤) وعليك المحشر ورأيت ليلة اسرى بى عمودا ابيض كانه لؤلؤة تحمله الملائكة قلت ما تحملون قالوا عمودالاسلام امرنا ان نضعه بالشام وبينا انا نائم اذ رأيت الكتاب اختلس (٥) من تحت وسادتى فظننت ان الله تخلى (٦) عن اهل الارض فاتبعته بصرى فاذا هو بين يدى حتى وضع بالشام فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فان الله قد توكل بالشام واهله • وعن ابىالدرداء (٧) ان النبى صلىالله عليه وسلم قال ستجندون اجنادجندة جندا بالشام وجندا باليمنوجندا بالعراق وجندا بمصر قالوا فخر لنا يا رسولالله قال عليكم بالشام قالوا انا اصحاب ماشية وعمود (٨) ولا نطيق الشام قال فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق بغدره فان الله قد تكفل لى بالشام واهله وعن عبد الله

---

(١) روى حديث واثلة الطبرانى من طريقين ا ... هما حسنة ولفظه يجند الناس اجنادا جند باليمن وجند بالشام وجند بالمشرق وجند بالمغرب فقال رجل يا رسول الله خرلى انى فتى شاب لعلى ادرك ذلك فى ذلك تأمرنى قال عليك بالشام ورواه البغوى عن عبدالله بن الاسقع وقال هو اخو واثلة ويشك فى سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم انتهى وهو وهم والصحيح انه عن واثلة (٢) الغدر بضم الغين والدال جمع غدير كما تقدم (٣) رواه ابو نعيم احمد بن عبد الله الحافظ والطبرانى ورواه ابن عساكر من طريق النسائى وله طرق يقوى بعضها بعضا (٤) قال فى الصحاح تناذر القوم كذا اى خوف بعضهم بعضا اه فالانذر معناه الاكثر تخويفا من غيره كما يشهد لهذا المعنى ما قبله (٥) استلب واخذ والوسادة المخدة (٦) قال فى الصحاح خاليت الرجل تاركته وتخليت تفرغت وخليت عنه اه والمعنى تركهم (٧) رواه الطبرانى عن ابى الدرداء وفى سنده سليمان بن عتبة وقد وثقه جماعة وفيه خلاف لا يضر وبقية رجاله ثقات ورواه ابن عساكر من طريق ابى نعيم الاصبهانى وطرقه ثلاثة (٨) اصحاب بيوت شعر ترفع بالاعمدة ومن كان شأنه كذلك يحتاج للبادية ليرعى غنمه فيها

ابن حوالة (١) قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا اليه الفقر والعرى (٢) وقلة الشئ فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ابشروا فوالله لا نا من كثرة الشئ اخوفنى (٣) عليكم من قلته والله لايزال هذا الامر فيكم حتى تفتح عليكم ارض فارس وارض الروم وارض حمير (٤) وحتى تكونوا ثلاثة اجناد جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل مائة دينار فيستسخطها (٥) قال ابن حوالة فقلت يارسول الله ومن يستطيع الشام وفيها الروم ذات القرون (٦) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفتحها الله عليكم وليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة (٧) منهم البيض قمصهم المحلقة اقفاؤهم (٨) قياما على الرويجل (٩) الاسود منكم قال الواسطى المحلوق وما امرهم فعلوا وان بها اليوم رجالا لا نتم اليوم احقر فى اعينهم من القردان (١٠) فى اعجاز الابل قال ابن حوالة فقلت فاختر لى يارسول الله ان ادركنى ذلك الزمان قال اخترت لك الشام فانها صفوة الله من بلاده يسكنها صفوته من عباده يا اهل اليمن عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق من غدره (١١) فان الله تعالى قد تكفل لى بالشام واهله قال فسمعت عبد الرحمن بن جبير بن نفير يقول فعرف اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فى جزء بن سهل وكان قد ولى الاعاجم وكان اويدما (١٢) قصيرا فكانوا يرون وتلك الاعاجم حوله قيام لا يامرهم بشئ الا فعلوه فيتعجبون من هذا الحديث وفى رواية قال ابو علقمة اقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ثلاث مرات ولا نعلم انه اقسم فى حديث مثله قال

---

(١) رواه من طريق عبد الرحمن الدرامى والبيهقى واللالكائى واسانيده تقوى طرقه ورواه ابو نعيم فى الحلية (٢) بضم العين وسكون الراء قال فى الصحاح عرى من ثيابه فهو عار وعريان والمرأة عريانة (٣) اى اخوف نفسى عليكم (٤) حمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول كذا فى الصحاح (٥) اى يجدها قليلة (٦) قال الاصمعى اراد قرون شعورهم وكانوا يطولون ذلك فعرفوا به ويقال للرجل له قرنان اى ضفيرتان (٧) العصبة من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين (٨) القفا مؤخر العنق (٩) تصغير رجل (١٠) هو بكسر القاف مفرده قراد بضم القاف وهو معروف والاعجاز جمع عجز بضم الجيم مؤخر الشئ يذكر ويؤنث (١١) جمع غدير (١٢) تصغير آدم وهو الاسمر

عليك بالشام وعن عبد الله ابن حوالة مرفوعا (١) سيصير الامر الى ان تكونوا جنودا مجندة جندا بالشام وجندا باليمن وجندا بالعراق فقال ابن حوالة خر لى يارسول الله ان ادركت ذلك فقال عليك بالشام فانه خيرة الله من ارضه يجتبى (٢) اليها خيرته من عباده فان ابيتم فعليكم بيمنكم واستقوا من غدركم فان الله قد توكل لى بالشام واهله وروى من طرق متعددة وفى بعض الفاظهاقال ابن حوالة كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فقال ياابن حوالة كيف انت اذا ادركتك فتنة تفور فى اقطارالارض كانها صياصى بقر(٣) قلت ماتامرنى يارسول الله قال عليك بالشام وعن عبد الله بن يزيد (٤) مرفوعا ان الله تكفل لى بالشام واهله وعن عبد الله بن عمر (٥) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تخرج نار من حضر موت اومن نحو حضر موت فتسوق الناس قلنا يارسول الله ماتامرنا قال عليكم بالشام وفى بعض الفاظه ستخرج نار قبل يوم القيامة من حضر موت تحشر الناس قالوافا تامرنا يارسول الله قال عليكم بالشام عن حكيم بن حزام عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اذا رأيت البنا بلغ سلعا فعليك بالشام قلت فان حيل بينى وبينها افاضرب بسيفى من حال بينى وبين ذلك قال لا ولكن اسمع واطع واوامبد حبشى (٦) وعن بهز بن حكيم (٧) عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالشام وفى رواية قلت يا رسول الله من تامرنى خر لى فقال بيده نحو الشام وقال انكم محشورون رجالا وركبانا وتخرون على وجوهكم وعن ابى طلحة الخولانى واسمه ذرع قال قال رسول الله تكونون جنودا اربعة فعليكم بالشام فان الله تكفل لى بالشام قال الطبرانى فى حرف الذال من معجمه ذرع ابو طلحة الخولانى اختلف فى صحبته وقال فى موضع آخر ولا يثبت له صحبة ومثل هذا يضعف الحديث (٨)

---

(١) رواه الامام احمد فى مسنده بهذا اللفظ وابوداود وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد (٢) يختار (٣) يعنى قرونها شبه الفتنة بها لشدتها وصعوبة الامر فيها وكل شئ امتنع الانسان به وتحصن به فهو صيصة ومنه قيل للحصون الصياصى وقيل شبه الرماح التى تشرع فى الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح بقرون بقر مجتمعة (٤) رواه من طريق الامام احمد وابى يعلى الموصلى ورواه احمد مطولا (٥) رواه احمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حديث حسن صحيح وفى اوله ستخرج عليكم فى اخر الزمان نار ثم ساقوا الحديث (٦) رواه الحاكم والبيهقى فى الدلائل (٧) الدار قطنى والامام احمد (٨) قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد قات وفى اسناده جماعة اختلف فى الاحتجاج بهم

وعن معاوية بن حكيم بن حيدة القشيرى [١] انه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق نبيا ما خلصت [٢] اليك حتى حلفت لقومى عددها يعنى الانامل كـفيه بالله لا اتبعك ولا آمن بك ولا اصدقك وانى اسئلك بالله بم بعثك ربك فقال بالاسلام فقلت وما الاسلام قال تسلم وجهك لله وتخلى له نفسك قال فما حق ازواجنا علينا قال اطعم اذا طعمت واكس اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت كيف وقد افضى [٣] بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ثم اشار قبل الشام وقال ههنا تحشرون ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وعلى وجوهكم وافواهكم الفدام [٤] واول شئ يعرب [٥] عن احدكم فخذه • وعن ابن عباس [٦] قال قال رجل يارسول الله انى اريد الغزو فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالشام فان الله قد تكفل لى بالشام واهله ثم الزم من الشام عسقلان فانه اذا دارت الرحا فى امتى كان اهل عسقلان فى راحة وعافية • وعن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يتحول خيار اهل العراق الى الشام ويتحول شرار اهل الشام الى العراق وقال عليكم بالشام رواه الخطيب يعنى البغدادى [٧] • عن اياس بن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد تكفل لى بالشام واهله وان ابليس اتى العراق فباض فيها وفرخ واتى مصر فبسط عبقريه واتكا وقال جبل الشام جبل الانبياء • هـذا الحـديث مرسل ومع ارساله منقطع فلا يعول عليه [٨] وعن عطاء الخراسانى قال لما تممت النقلة من خراسان شاورت من بها من اهل العلم اين ترون لى ان انزل بعيالى فكلهم يقولون لى عليك بالشام عليك بالشام

---

(١) رواه الامام احمد فى مسنده بمعناه من حديث حكيم بن معاوية ورواه ايضا بطرق متعددة بعضها مطول وبعضها مختصر (٢) وصلت وبلغت (٣) باشر بعضكم بعضا (٤) الفدام ما يشد على فم الابريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذى فيه والمعنى هنا وافواهكم ممنوعة عن الكلام حتى تتكلم جوارحكم (٥) يفصح (٦) رواه الطبرانى فى معجميه الكبير والاوسط بنحوه وفى اسناده يحيى بن سليمان المدنى وهو ضعيف واورد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات ومعنى دارت الرحا الهلاك (٧) ورواه الامام احمد فى مسنده باسناد حسن (٨) وقد حاول السيوطى فى اللآلى المصنوعة ان ينفى عنه الوضع فذكره من طرق متعددة وانها ما كان منها ضعيف لا يقال موضوع وهو مخرج على الكناية وضرب الامثال وقوله عبقريه قال فى نهاية ابن الاثير العبقر الديباج وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس اهـ والمعنى انه بسط طنفسته وجلس مستريحا لطاعة اهلها له

باب بيان ان الايمان يكون بالشام عند وقوع الفتن وكون الملاحم العظام

[١] عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي عليه الصلاة والسلام رايت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فذهب به الى الشام فاولته الملك . هذا حديث حسن غريب وفي لفظ فاذا هو نور ساطع عمد به الى الشام الا ان الايمان اذا وقعت الفتن بالشام وفي لفظ الا ان الايمان قد وقع بالشام وهو غريب ايضا وقد روى من طرق متعددة بالفاظ مختلفة كلها تدور على عبد الله بن عمرو بن العاص وفي بعض طرقه قال عبد الله غزونا مع معاوية مصر فنزلنا منزلا فقلت لمعاوية اتاذن لي ان اقوم فوق فرسي في الناس يعني خطيبا فاذن له فقام فحمد الله واثنى عليه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت في المنام ان عمود الكتاب حمل من تحت وسادتي فاتبعته بصري فاذا هو كالعمود من النار يعمد به الى الشام الا وان الايمان اذا وقعت الفتن بالشام يقولها ثلاثا . وعن عائشة [٢] قالت هب [٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه مذعورا [٤] وهو يرجع [٥] فقلت ما لك انت بابي وامي قال سل [٦] عمود الاسلام من تحت رأسي فاوحشني ثم رميت ببصري فاذا هو قد غرز في وسط الشام فقيل لي يا محمد ان الله قد اختار لك الشام واعباده فجعلها لكم عزا ومحشرا ومنعة وذكرا من اراد الله به خيرا اسكنه الشام واعطاه نصيبا منها ومن اراد به شرا اخرج سهما من كنانته [٧] وهي معلقة وسط الشام فرماه بها فلا يسلم

(١) حديث عبدالله بن عمرو رواه الطبراني في معجميه الكبير والاوسط وفي احدهما ابن الهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع عليه هذا وبقية رجاله رجال الصحيح

[٢] لم اجد بعد الفحص من خرجه غير ابن عساكر فهو ضعيف [٣] استيقظ

[٤] الذعر الفزع [٥] بتشديد الراء اي يقول انا لله وانا اليه راجعون [٦] بضم السين

[٧] التي يجعل فيها السهام

فى دنيا ولا اخرة وقال ضمرة بن شوذب تذاكرنا الشام فقلت لابى سهل اما بلغك انه يكون بها كذا وكذا قال بلى ولكن ما كان بها يكون ايسر مما يكون بغيرها وعن سلمة الكندى وكان قومه بعثوه وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وركبتاه الى ركبتى مستقبل الشام بوجهه مولىّ الى اليمن ظهره اذ أتانا رجل فقال يارسول الله ازال الناس الخيل ووضعوا السلاح وزعموا ان الحرب قد وضعت اوزارها [١] فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذبوا بل الآن جاء القتال لا تزال فرقة وفى لفظ لا يزال قوم من أمتى يقاتلون على امر الله يزيغ الله بهم قلوب اقوام وينصرهم عليهم حتى تقوم الساعة او حتى يأتى امر الله الخيل معقود بنواصيها الخير [٢] الى يوم القيامة وقد اوحى الى انى مقبوض غيرملبث وانكم متبوا افنادا وعقودا [٣] والمؤمنون بالشام وعن سلمة بن نفيل [٤] قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال يوحى الى انى مقبوض غيرملبث (٥) وانكم متبعوا افنادا (٦) يضرب بعضكم رقاب بعض ولا يزال من امتى ناس يقاتلون على الحق ويزيغ (٧) الله بهم قلوب اقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وعقر (٨) دار المؤمنين بالشام وعن ابى امامة مرفوعا (٩) صفوة الله من ارضه الشام وفيها صفوته من خلقه وعباده وليدخلن الجنة من امتى ثلة (١٠) لا حساب عليهم ولا عقاب و فى لفظ الشام صفوة الله من ارضه وفيها صفوته من خلقه فمن خرج الى الشام الى غيرها فبسخطه ومن دخل اليها من غيرها فبرحمته (١١)

---

[١] اى انقضى امرها وخفت اثقالها فلم يبق قتال (٢) اى ملازم لها كانه معقود فيها (٣) اراه قاله فى النهاية (٤) رواه الامام احمد بمعناه (٥) مخلد او متأخر (٦) قال ابن الاثير فى النهاية وفى الحديث الا انى من اولكم وفاة تتبعون افنادا يهلك بعضكم بعضا اى جماعات متفرقين قوما بعد قوم (٧) يميل (٨) قال فى النهاية عقر الدار بفتح العين وضمها اصلها ومنه الحديث عقر دار الاسلام الشام اى اصله وموضعه كانه اشار به الى وقت الفتن اى يكون الشام يومئذ امنا منها واهل الاسلام فيه اسلم (٩) رواه الطبرانى باسناد فيه رجل ضعيف (١٠) بالضم الجماعة من الناس (١١) ورواه الطبرانى وفيه عمير بن معدان وهو ضعيف ورواه الحاكم وضعفه المنذرى

وعن ابن حوالة (١) انه قال يارسول الله خرلى بلدا اكون فيه فلو علمت انك تبقى مااخترت على قربك شيئا قال عليك بالشام فلما رأى كراهتى للشام قال اتدرون ما يقول الله فى الشام يقول يا شام انت صفوتى من بلادى ادخل فيك خيرتى من عبادى ان الله قد تكفل لى بالشام واهله

وعن واثلة بن الاسقع (٢) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشير انه فى المنزل فاوما الى الشام ثم سئالاه فاوما الى الشام ثم سئالاه فاوما الى الشام وقال عليكم بالشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده يسكنها خيرته من عباده فمن ابى فليلحق بيمنه وليسق من غدره فان الله قد تكفل لى بالشام واهله . وعن انس بن مالك(٣) قال قلت يارسول الله اين الناس يوم القيمة فقال فى خير ارض الله واحبها اليه الشام وهى ارض فلسطين والاسكندرية من خير الارضين المقتاون فيها لا يبعثهم الله الى غيرها فيقاتلوا وفيها يبعثون ومنها يحشرون ومنها يدخلون الجنة . وعن زيد بن ثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طوبى للشام لنا لاى شئ ذاك قال لان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليها (٤) . وعن سالم بن عبد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قال اللهم بارك لنا فى مكتنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى شامنا وبارك لنا فى يمننا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا فقال رجل يارسول الله وفى عراقنا فاعرض عنه فرددها ثلاثا كل ذلك يقول الرجل وفى عراقنا فيعرض عنه فقال بها الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان وفى رواية وفى نجدنا بدل وفى عراقنا (٥) ورواه الحاكم بلفظ فقال رجل يارسول الله العراق

---

(١) رواه ابوداود باختصار كثير ورواه الطبرانى من طريقين ورجال احدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة (٢) رواه الطبرانى باسانيد كلها ضعيفة (٣) رواه المصنف بطرق لا تعرف باستقامة (٤) رواه الترمذى عن زيد بن ثابت وقال هذا حديث حسن غريب ورواه احمد بلفظ طوبى للشام طوبى للشام (٥) ان صح هذا فتكون الاشارة فيه الى ماوقع بعده صلى الله عليه وسلم من الحروب بين الصحابة فى الوقائع المشهورة بين سيدنا على رضى الله عنه ومعاوية ومن بعدهما فى مقتل سيدنا الحسين رضى الله عنه (٦) هذه الرواية خرّجها ابوعيسى الترمذى فى سننه عن ابن عمر مرفوعا ولفظه اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يمننا قالوا وفى نجدنا قال اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قالوا وفى نجدنا قال هناك الزلازل والفتن وبها او قال منها يخرج قرن الشيطان قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب قال وقد روى هذا الحديث عن سالم بن عبد الله بن عمر

ومصر فقال هناك ينبت قرن الشيطان وثم الزلازل والفتن وفى رواية وفى مشرقنا قال من هناك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة اعشار الشر وروى عن بشر ابن حرب من غير زيادة فقال رجل الخ ورواه من طريق احمد بن ثابت الخطيب عن معاذ بن جبل يا اهل ارض الاول ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا وفى شامنا وفى يمننا وفى حجازنا فقام اليه رجل فقال يارسول الله وفى عراقنا فامسك عنه فلما كان فى اليوم الثانى قال مثل ذلك فقام اليه الرجل فأعاد مقالته فامسك عنه فولى وهو يبكى فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم وقال امن العراق انت قال نعم فقال ان ابى ابراهيم عليه السلام اراد ان يدعو عليهم فاوحى الله اليه لا تفعل فانى جعلت خزائن علمى فيهم واسكنت الرحمة قلوبهم

﴿ فصل ﴾

عن زهير بن محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بارك العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس يعنى بالتطهير (اسناد هذا الحديث منقطع) وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها هى مشارق الشام ومغاربها وقال قتادة فى قوله تعالى واقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق بوأهم الشام وبيت المقدس

﴿ باب ماجاء فى ان الشام مهاجر ابراهيم الخليل وانه من المواضع المختارة لانزال التنزيل ﴾

عن شهر بن حوشب (١) قال لما جئنا لبيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فاخبرت بمقام يقومه نوف (٢) فجئته اذ جاء رجل فاشتد (٣) الناس اليه وعليه

(١) رواه الامام احمد وابو داود (٢) هو نوف البكالى (٣) اسرع

عن ابيه اه وهى الرواية التى اثبتناها هنا وهى حسنة ايضا لان الترمذى اشار اليها ولم يتكلم عليها وعادته انه اذا فعل ذلك تكون كالتى قبلها ثم ان هذا الحديث فيه اشارة الى ان الشام ستفتح لانها كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بيد الروم وآخر يشير الى الواقعة التى كانت بين الصحابة فى صفين وغيرها والى واقعة الحسين رضى الله عنه وليست على العموم وتعاقب الازمان بدليل الحديث الذى بعدها

خميصة (١) فاذا هو عبد الله بن عمر وبن العاصى فلما رآه نوف امسك عن الحديث فقال عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة حتى ينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم لا يبقى فى الارض الاشرار اهلها تلفظهم (٢) ارضوهم وتقذرهم نفس الله (٣) تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا (٤) وتأكل من تخلف قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج اناس من امتى من قبل المشرق يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم (٥) كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع (٦) حتى عدها زيادة على عشر مرات كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال فى بقيتهم ٠ وعن شهر بن حوشب (٧) قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم باحق من اخيه المسلم ثم لقد رأيتنا باخرة الان والدينار والدرهم احب الى احدنا من اخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن انتم اتبعتم اذناب البقر وتبايعتم بالعينة (٨) وتركتم الجهاد فى سبيل الله ليلزمنكم الله مذلة فى اعناقكم لاتنزع منكم حتى ترجعوا الى ماكنتم عليه وتتوبوا الى الله عزوجل وسمعته يقول لتكونن هجرة بعد هجرة الى مهاجر ابيكم ابراهيم عليه السلام حتى لا يبقى فى الارضين الاشرار اهلها وتلفظهم (٩) ارضوهم وتقذرهم روح الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقيل حيث يقيلون وتبيت حيث يبيتون وما سقط منهم فلها ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من امتى قوم يسيئون الاعمال

---

(١) ثوب خز او صوف معلم اطرافه مطرزة وقيل لا تكون خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديما عنه فى النهاية (٢) تطرحهم (٣) اى يكره خروجهم الى الشام ومقامهم بها فلا يوفقهم لذلك يقال قذرت الشئ اتقذره اذا كرهته واجتنبته اه نهاية (٤) اذا ناموا وقت الظهر (٥) قيل بكسر الفاء وفتح الباء معناه الجهة والتراقى جمع ترقوة بالفتح وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين (٦) مقدار المتوسط فى اعمار كل زمان فكانه المقدار الذى يقترن به اهل ذلك الزمان فى اعمارهم (٧) رواه احمد والبيهقى واللالكائى (٨) ان يبيع الرجل من رجل سلعة بثمن معلوم الى اجل مسمى ثم يشتريها منه باقل من الثمن الذى باعها به فان اشترى بحضرة طالب العينة سلعة من آخر بثمن معلوم وقبضها ثم باعها المشترى من البائع الاول بالنقد باقل من الثمن فهذه ايضا عينة وهى اهون من الاولى وسميت عينة لحصول النقد لصاحب العينة لان العين هو المال الحاضر من النقد والمشترى انما يشتريها ليبيعها بعين حاضرة تصل اليه معجلة (٩) تطرحهم

يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم (١) قال يزيد (احد الرواة) لا اعلمه الا قال يحقر احدكم عمله مع عملهم يقتلون اهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه كلما طلع منهم قرن قطعه الله فردد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة وانا اسمع . وقال قتادة فى قول ابراهيم عليه السلام انى مهاجر الى ربى سيهدين قال الى الشام وقال كعب الاحبار (٢) يوشك بالرعد والبرق (٣) ان يهاجر الى الشام حتى لا يكون رعدة ولا برقة الا مابين العريش والفرات . وقال الاوزاعى يهاجر الناس من الرعد والبرق الى مهاجر ابراهيم حتى لا تبقى قطرة الا فيما بين العريش والفرات وقال ابو قلابة سيهاجر من الرعد والبرق من ارض العراق الى ارض الشام حتى لا يبقى بها رعد ولا برق . وقال ضمرة بن ربيعة سمعت انه لم يبعث نبي الا من الشام فان لم يكن منها اسرى به اليها . عن ابى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انزلت على النبوة فى ثلاثة امكنة بمكة والمدينة وبالشام (٤) وروى من طريق الحاكم عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل القرآن فى ثلاث امكنة مكة والمدينة والشام قال الوليد (احد الرواة) يعنى بيت المقدس

باب ما جاء فى اختصاص الشام وقصوره بالاضاءة عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم وظهوره

عن ابى امامة (٥) قال قيل يارسول الله ما كان بدء امركم قال دعوة ابى ابراهيم (٦) وبشرى اخى عيسى عليهما السلام ورات امى كانما خرج منها شئ اضاءت له قصور الشام وفى رواية ورأت امى انه خرج منها نور اضاءت له

(١) رأس الغلصمة حيث تراه ناتيا من خارج الحلق والجمع الحناجر قاله فى النهاية وفى المختار والحنجرة بفتح الحاء الحلقوم (٢) روى البخارى عن عبدالرحمن بن عوف انه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحدثين وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب قال ابن حجر اى نختبر عليه الكذب اى يقع بعض ما يخبرنا به بخلاف ما يخبرنا به قال ابن عباس يدل من قبله فوقع كعب بالكذب وقال ابن الجوزى المعنى ان بعض الذى يخبر به كعب عن اهل الكتاب يكون كذبا اهـ فليعلم المطالع فى هذا الكتاب درجة اخبار كعب لانه كثيرا ما روى عنه (٣) ان صح فيحتمل ان يكون المراد الرعد والبرق الحقيقيين ويحتمل رعد المدافع وبرقها (٤) حينما اسرى به الى بيت المقدس (٥) رواه ابو نعيم والطبرانى واحمد والبيهقى (٦) المشار اليها بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة

قصور الشام. عن العرباض بن سارية السلمي (١) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى عند الله فى ام الكتاب (٢) لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسوف انبئكم بتأويل ذلك دعوة ابى ابراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا امى التى رأت حين وضعت انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام وكذلك يرى امهات النبيين صلى الله عليهم . عن ابى مريم الكندى [١] قال اقبل اعرابى من بهز (٣) حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد عنده حلقة من الناس فقال الا تعلمنى شيئا تعلمه واجهله وينفعنى ولا يضرك فقال الناس مه مه (٤) اجلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعوه فانما سأل الرجل ليعلم ففرجوا له حتى جلس فقال اى شيء كان اول من امر نبوتك قال اخذ الله عز وجل منى الميثاق كما اخذ من النبيين ميثاقهم وتلى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وبشرى المسيح عيسى بن مريم ورأت ام رسول الله فى منامها انه خرج من بين رجليها سراج اضاءت لها منه قصور الشام فقال الاعرابى هاه (٥) وادنى رأسه منه وكان فى سمعه (٦) شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووراء ذلك ووراء ذلك مرتين او ثلاثا . عن خالد بن معدان عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ابن مريم ورأت امى حين حملت بى انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت فى بنى سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لى فى بهم (٧) انما اتانى رجلان بثياب بياض ومعهما طست من ذهب مملوء ثلجا فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فغسلاه ثم جعلا فيه حكمة وايمانا . وعن عتبة بن عبد انه حدثهم ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف كان اول بدو شأنك يا نبى الله فقال كانت حاضنتى من بنى بكر بن سعد فانطلقت انا وابن لها فى بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت لاخى يا اخى اذهب فائتنا بزاد من عند امنا فذهب اخى ومكثت انا عند البهم فاقبل

(١) رواه احمد والطبرانى والحاكم وابونعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب (٢) رواه الطبرانى وابن مردويه وابونعيم فى دلائل النبوة (٣) اسم قبيلة (٤) مبنى على السكون اسم لفعل الامر ومعناه اكفف فان وصلت نونت فقلت مه مه (٥) كلمة تقال فى الايعاد وفى حكاية الضحك وهى المراد هنا (٦) ثقل (٧) البهم جمع بهمة وهى ولد الضأن المذكر والمؤنث وجمع البهم بهام واولاد المعزى سخال فاذا اجتمعا اطلق عليهم البهم والبهام

الى طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه (١) هو هو فقال الآخر نعم قال فاقبلا يبتدراني فاخذني فبطحاني للقفا فشقا بطني فاستخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سود اوين فقال احدهما لصاحبه ايتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بماء برد فغسلا به جوفي والصواب قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها (٢) في قلبي ثم اطبقه فقال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فقال احدهما لصاحبه اجعله في كفة (٣) واجعل الفا من امته في كفة فاذا انا انظر الى الالف فوقي اشفق (٤) ان يخرّ عليّ بعضهم فقال احدهما لصاحبه لو ان امته وزنت به لمال بهم او لرجحهم ثم انطلقا وتركاني وفرقت (٥) فرقا شديدا ثم انطلقت الى امي فاخبرتها بالذي لقيته فاشفقت على ان يكون قد التبس او البس بي فقالت اعيذك بالله فرحلت (٦) بعيرا لها فحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا الى امي فقالت قد اديت امانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك وقالت اني رأيت اني خرج مني نور اضاءت منه قصور الشام · وقال عثمان بن ابي العاتكة ان آمنة ابنت وهب حين وضعته صلى الله عليه وسلم كفأت عليه برمة (٧) حتى تبزع (٨) له قال فوجدت البرمة قد انشقت عن نور اضاءت منه لها عن قصور كثيرة من قصور الشام · عن الضحاك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابراهيم قال وهو يرفع القواعد من البيت ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فقرأ الآية حتى اتمها والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي وفي سنده جويبر بن سعيد البلخي وهو ضعيف والحديث مرسل قال ابو بكر احمد بن علي بن الحسين البيهقي انما اراد والله اعلم انه كذلك في قضاء الله وتقديره قبل ان يكون آدم عليه السلام وانما دعوة ابراهيم عليه السلام لما اخذ في بناء البيت دعا الله تعالى فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعائه في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما بشارة عيسى عليه السلام به فهو ان الله تعالى امر عيسى فبشر به قومه فعرفه بنوا اسرائيل قبل ان يخلق

(١) رواه احمد والطبراني ولفظ احمد خصه فخاصه بدل خطه فخاطه (٢) عيناها (٣) بكسر الكاف وفتحها (٤) [illegible] الا يسقط (٥) خفت (٦) بالتشديد اخذ اي جعلت عليها الرحل (٧) [illegible] وهي في الاصل بغير المعجمة معروف بمكة واليمن (٨) يقال تبرع الغلام اي ظرف

باب ما جاء عن سيد البشر ان الشام ارض المحشر والمنشر

عن ابي ذر (١) قال قيل لرسول الله صلاة في بيت المقدس افضل ام صلاة في مسجدك قال صلاة في مسجدي هذا افضل من اربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو ارض المحشر والمنشر وليأتين على الناس زمان ولبسطة قوس من حيث يرى منه بيت المقدس افضل من الدنيا وما فيها جميعا وروى من طريق عبد الله بن الامام احمد ان ابا ذر كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فرغ من خدمته آوى الى المسجد وكان هو بيته فجلس اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف انت اذا اخرجوك منه قال اذا الحق بالشام فان الشام ارض المحشر والمنشر وارض الانبياء ثم ذكر الحديث . وتقدم حديث معاوية البهزي وقد رواه هنا بطرق متعددة وفي بعضها زيادة وهي ما من مولى (٢) ياتي مولى له فيسأله من فضل عنده فيمنعه الا جعله الله شجاعا (٣) ينهشه قبل القضاء قال عفان يعني بالمولى ابن عمه قال وقال ان رجلا ممن كان قبلكم رغسه (٤) الله مالا وولدا حتى ذهب عصر وجاء عصر آخر فلما احتضر قال اولاده اي اب كنت لكم قالوا خير اب فقال هل انتم مطيعي والا اخذت مالي منكم انظروا اذا انا مت ان تحرقوني حتى اذا تدعوني حمما (٥) ثم اهرسوني بالمهراس (٦) وادار رسول الله صلى الله عليه وسلم يده حذاء (٧) ركبتيه وقال بيده هكذا ثم ذروني في يوم ريح لعلي اضل الله ففعلوا والله ذاك فاذا هو قائم في قبضة الله فقال يا ابن آدم ما حملك على ما فعلت قال من مخافتك قال فتلافاه الله عز وجل بها . وعن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود اتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فان الشام ارض المحشر

(١) رواه الشافعي والطبراني (٢) يطلق المولى على العبد وعلى السيد (٣) الحية الذكر (٤) الرغسة في النعمة والبركة والنماء (٥) فحما (٦) صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء وقد يعمل منها حياض للماء (١) مقابل

وارض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لايريد الا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله عليه ايات من سورة بني اسرائيل بعد ما ختمت السورة وان كانوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا الى قوله تحويلا فامره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصر بني النضير حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما اراده منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم ومن ديارهم ومن اوطانهم وان يسير بهم الى اذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء واخرجهم من ارضهم الى ارض اخرى . وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر . وجاءت مولاة لابن عمر فقالت له اني قد اشتد على الزمان وما اريد ان اخرج الى العراق قال فهلا الى الشام ارض المحشر اصبري يالكاع (١) فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على شدتها ولا وائها كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة . ويروى ان الشام اشتكت الى الرحمن فقالت اى رب جعلتني اضيق الارض واوعرها وجعلتني لا اشرب الماء الا عاما الى عام فاوحى الله اليها انك داري وقراري وانت الاندر وانت منبت الانبياء وانت موضع قدسي وانت موطأي واليك اسوق خيرتي من خلقي واليك محشر عبادي وانزل عليك من اول يوم من الدهر الى اخر يوم منه بالطل والمطر واذا يعجز اهلك المال لم يعجزهم الخبز والماء .

(باب ما جاء من ان الشام يكون ملك الاسلام)

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم الخلافة بالمدينة والملك

(١) يقال للرجل لكع وللمرأة لكاع وهو اللئيم والوسخ وقد يطلق على الصغير

بالشام (١) عن على بن ابى طالب (٢) ان يهوديا يقال له جريجرة وكان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فتقاضى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يايهودى ما عندى ما اعطيك فقال فانى لا افارقك يامحمد حتى تعطينى مالى فقال نبى الله اذاً اجلس معك فجلس معه فصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المجلس الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخيرة والغداة وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه ويتوعدونه ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ما الذى تصنعون به فقالوا يا رسول الله يهودى يحبسك فقال منعنى ربى ان اظلم معاهدا غيره فلما ترحل النهار قال اليهودى اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وشطر مالى فى سبيل الله اما والله ما فعلت الذى فعلت بك الا لانظر الى نعتك فى التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة وهجرته الى طيبة وملكه بالشام ليس بفظ (٣) ولا غليظ (٤) ولا صخاب (٥) فى الاسواق ولا متزين بالفحش (٦) ولا قوله الخنا (٧) اشهدان لااله الا الله وانك رسول الله وهذا مالى فاحكم فيه بما اراك الله وكان اليهودى كثير المال . وعن ميسرة بن حليس عنه صلى الله عليه وسلم هذا الامر (يعنى الخلافة) كائن بعدى بالمدينة ثم بالشام ثم بالجزيرة ثم بالعراق ثم بالمدينة ثم ببيت المقدس فاذا كان ببيت المقدس فثم عقر دارها ولن يخرجها قوم فتعود اليهم ابدا يعنى بقوله بالجزيرة امر مروان بن محمد الحمار وبقوله بالمدينة بعد العراق يعنى به المهدى يخرج فى آخر الزمان بالعراق ثم ينتقل الى بيت المقدس وبها يحاصره الدجال . ان ابن عباس قال لكعب الاحبار كيف تجد نعت النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال كعب نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر الى طابة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا صخاب فى الاسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر امته الحمادون الذين يحمدون الله تعالى على كل حال ويسبحونه فى كل منزلة ويكبرونه على كل

(١) هذا بالنسبة الى اول الاسلام فان الخلافة كانت زمن الخلفاء الراشدين فلما انتقلت الى بنى امية بالشام صارت ملكا وسلطنة (٢) مروى من طريق موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن على عن ابيه اسماعيل عن موسى عن جعفر عن محمد عن على بن الحسين عن الحسين عن على وهو بسند اهل البيت وقال الحافظ ابن حجر فى الاطراف لم يتكلم عليه الحاكم وفى اسناده محمد بن الاشعث الكوفى وكذبه جماعة (٣) سيئ الخلق (٤) اى غليظ القلب بحيث يكون جافى الطبع قاسى القلب (٥) اى ليس صياحا فى الاسواق والصخاب فعال للنسب كثمار ولبان وقد جاء سخاب بالسين ايضا (٦) الفحش كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصى (٧) هو الفحش فى القول

مجد ويغضون ابصارهم ويأتزرون فى اوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم فى جو السماء وفى رواية يصلون الصلاة حيثما ادركتهم وفيها ايضا ويوضئون اطرافهم قلوبهم اناجيلهم رهبان بالليل ليوث بالنهار وفى رواية عنه مكتوب فى التوراة سطران فى السطر الاول محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وفى السطر الثانى محمد رسول الله امته الحمادون يحمدون الله فى السراء والضراء يسبحون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل شرف (١) رعاة الشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس جبل ويأتزرون على اوساطهم ويوضئون اطرافهم واصواتهم بالليل فى جو السماء كاصوات النحل

﴿ باب ما حفظ عن الطبقة العليا من ان الشام سرة الدنيا ﴾

عن ابن مسعود مرفوعا المدينة بين عينى السماء عين بالشام وعين باليمن وهى اقل الارض مطراء وقال عبدالله بن عمر (٢) صورت الارض على خمسة اجزاء على اجزاء الطير الرأس والصدر والجناحان والذنب رأس الدنيا الصين والجناح الايمن الهند والجناح الايسر الخزر وخلف الهند أمة يقال لها واق واق وخلفها منسك وبعدها ناسك وخلفهم يأجوج ومأجوج وبعدهم من الامم ما لا يعلمه الا الله والجانب الاخر من الخزر ليس خلفه الا البحر ووسط الدنيا العراق والشام والحجاز ومصر وذنب الدنيا من ذات الحمام الى المغرب وشر شيء فى فى الطير الذنب وقال كعب نجد صفة الارض فى التوراة على صفة النسر فالرأس الشام والجناحان المشرق والمغرب والذنب اليمن ولا يزال الناس بخير ما تعالى الرأس فاذا نزع الرأس هلك الناس وايم الذى نفس كعب بيده ليأتين على الناس زمان لا تبقى جزيرة من جزائر العرب اوقال مصر من امصار العرب الا وفيهم جيل

(١) المكان العالى (٢) لا يستنكر هذا فانه بحسب ما كان عليه فن تقويم البلدان فى ذلك الزمان ومثل هذا لا يتعلق به احكام شرعية بحيث يدقق فيه ويبحث عنه ليوجد هل هو مخالف لما نحن عليه اليوم اولا

من الشام يقاتلونهم على الاسلام وفى رواية وجمل رأس الرأس حمص وفيها منقار فاذا وقف المنقار تأفف الناس وجمل الجؤجؤ(١) دمشق وفيها القلب فاذا تحرك القلب تحرك الجسد وللرأس ضربتان ضربة من الجناح الشرقى وهى على دمشق وضربة من الجناح الغربى وهى على حمص وهى انكاهما ثم يقبل الراس على الجناحين فينتفهما ريشة ريشة . وقال كعب ويل للجناحين من الراس وويل للراس من الجناحين فالرأس الشام والجناحان المشرق والمغرب . وذكر علماء الاوائل ان اقاليم الارض سبعة وان الهند رسمتها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة مستديرة تكنفها ست دوائر فالوسطى اقليم بابل والدوائر الست المحدقة بالدائرة الوسطى كل دائرة منها اقليم من الاقاليم السبعة فالاول بلاد الهند والثانى الحجاز والثالث مصر والرابع بابل وهو الممثل فى الدائرة الوسطى التى اكتنفتها سائر الدوائر وهو اوسط الاقاليم واعرها وفيه جزيرة العرب والعراق الذى هو سرة الدنيا وحد هذا الاقليم مما يلى الحجاز ونجد الثعلبية من طريق مكة وحده مما يلى الشام وراء نصيبين من ديار ربيعة ثلاثة عشر فرسخا وحده مما يلى ارض خراسان وراء نهر بلخ وحده مما يلى الهند خلف الديبل بستة فراسخ وبغداد اوسط هذا الاقليم والاقليم الخامس بلاد الروم والشام والاقليم السادس بلاد الترك والاقليم السابع بلاد الصين

باب ما جاء من الاخبار والآثار ان الشام يبقى عامرا بعد خراب الامصار

عن عوف بن مالك مرفوعا تخرب الارض قبل الشام باربعين سنة . وقال كعب الاحبار تخرب الدنيا او قال الارض قبل الشام باربعين عاما وفى رواية بزيادة حتى يكون من العمران كالرمانة ولا يبقى فيها خربة فى سهل ولا جبل الا عمرت وليغرسن فيها من الشجر ما لم يغرس فى زمان نوح وتبنى فيها القصور اللائحة فى السماء فاذا رايت ذلك فقد نزل بك الامر . وعن بحير بن سعيد قال يقيم الشام بعد خراب الارض اربعين عاما وهذا هو المحفوظ وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ضد هذه الاقوال فانه قال اول الارض خرابا الشام

(١) الصدر وقيل عظامه

وقال بشر بن غنم انهد من مدينة دمشق حجرا حجرا · لعله اراد بذلك ما وجد من هدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس سورها حين افتتحها · وعن الحسن بن القاسم الازرقي قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية تبوك فقال (١) ما ههنا يمن واشار الى جهة المدينة وما ههنا شام واشار بيده الى جهة الشام · وسئل ابو الاعيس القرشي وكان من التابعين عن الارض المباركة واين حدودها فقال حدودها عريش مصر والحد الاخر طرف الثنية والحد الاخر الفرات والحد الاخر جبل فيه قبر هود عليه السلام · وقيل اول الشام بالس واخره عريش مصر

باب تمصير الامصار في قديم الاعصار

عن عثمان بن ابى العاص مرفوعا يكون للمسلمين (١) ثلاثة امصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالجزيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال وقال عمر رضى الله عنه الامصار سبعة المدينة والشام ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وفى رؤية ثانية ومكة والمدينة · وقال ابو حاتم السجستاني لما كتب عثمان رضى الله عنه المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف فبعث واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى اليمن وآخر الى البحرين وآخر الى البصرة وآخر الى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا · وقال ابراهيم النخعى قال رجل من اهل الشام مصحفنا ومصحف اهل البصرة احفظ من مصحف اهل الكوفة فقلت له لم كان ذلك قال ان عثمان لما كتب المصاحف بلغه قراءة اهل الكوفة على حرف عبدالله بن مسعود فبعث به اليهم قبل ان يعرض (يقابل بالقراءة) وعرض مصحفنا ومصحف اهل البصرة قبل ان يبعث به · وقال الحسن البصرى (٢) لاجمعة الا فى الامصار فقال له الربيع ماالامصار ياابا سعيد قال المدينة والبصرة والكوفة والبحرين والجزيرة والشام ومصر قال الضحاك هذه هى البلدان التى جعلها عمر رضى الله عنه امصارا

---

(١) رواه الشافعى (٢) رواه ابو يعلى الموصلى (٣) رواه الخطيب البغدادى

(باب الايضاح والبيان عما ورد في فضلها من القرآن)

عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ثم قال هل تدرون اين هما قالوا الله ورسوله اعلم قال هي بالشام بارض يقال لها الغوطة مدينة يقال هي خير مدائن الشام وقال ابن عباس الربوة هي دمشق والقرار المعين انهارها وكذا قال عبد الله بن سلام وغيرهم وقال يزيد بن شجرة دمشق هي الربوة المباركة . وقال محمد بن خالد الهاشمي امر الله عيسى بن مريم وامه عليهما السلام ان يسكنا دمشق وهي ارم ذات العماد وقال الحسن البصري في تفسير قوله تعالى ذات قرار ومعين ذات معيشة تقوتهم وتحملهم ومعين ماء جار وهي الربوة وهي دمشق وهي الغوطة وقال سعيد بن جبير الربوة النشز من الارض والقرار المستوى . وهذا التفسير موجود في صفة ربوة دمشق فلا يمتنع ان يكون هو الحق وقيل ان الربوة الرملة (اسم بلد) . وعن ابي وعلة شيخ من عك قال قدم علينا كريب من مصر فزرناه فاخبرنا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (١) لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين على من ناواهم (عاداهم) وهم كالاناس الاكلة حتى يأتي امر الله وهم كذلك قال فقلنا يارسول الله من هم واين هم قال باكناف بيت المقدس وقال ايضا ان الرملة هي الربوة وذلك انها تسيل مغربة ومشرقة . وقال ابو هريرة (٢) الربوة ذات قرار ومعين هي الرملة من فلسطين وقيل انها بيت المقدس وقال قتادة هي بيت المقدس وقيل الاسكندرية وقيل انها مصر وقيل انها الكوفة والمعين الفرات وقال جعفر الصادق الربوة النجف والقرار المسجد والمعين الفرات ثم قال ان نفقة الدرهم الواحد بالكوفة (في الصدقة) يعدل مائة درهم في غيرها والركعة بمائة ركعة ومن احب ان يتوضأ من ماء الجنة ويشرب من ماء الجنة ويغتسل بماء الجنة فعليه بماء الفرات فان فيه شعبتين من الجنة وينزل من الجنة كل ليلة مثقالان من مسك في الفرات وكان امير المؤمنين على يأتي النجف ويقول وادي السلام ومجمع ارواح المؤمنين ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان وكان يقول اللهم اجعل قبري بها قال ابو الغنائم

---

(١) رواه الطبراني (٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني في مسنده

في الجوف ماء كبيت ينزله العرب يقال له السلام . وقال بن عباس في تفسير قوله تعالى والتين والزيتون وطور سنين التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين وطور سنين الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهذا البلد الامين مكة لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم محمد صلى الله عليه وسلم ثم رددناه اسفل سافلين عبدة اللات والعزى الا الذين آمنوا وعملو الصالحات فلهم اجر غير ممنون ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين اذ بعثك فيهم نبيا وجمعك على التقوى يا محمد وفي رواية من طريق الخطيب البغدادي قال ابن عباس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ابو بكر وعمر فلهم اجر غير ممنون عثمان بن عفان فما يكذبك بعد بالدين علي بن ابي طالب قال ابو بكر الخطيب هذا الحديث باطل لا اصل له يصح فيما نعلم وقد قال يحيى بن سعيد القطان مارأيت الصالحين في شيء اكذب منهم في الحديث وروى ابو عبد الرحمن النسائي في الكنى عن كعب ان التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس . وقال الحسن التين والزيتون جبال ومساجد بالشام . وقال بشر بن الحارث ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد هي دمشق

باب ما ورد من السنة من ان دمشق من ابواب الجنة

عن ابي هريرة (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مدائن من مدائن الجنة واربع مدائن من مدائن النار فاما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق واما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء هذا حديث غريب وفي رواية رومية بدل طبرية . وقال ابن عدي الحديث منكر وقال ابو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء اليمن انما هي صنعاء بارض الروم وذكر البلاذري ان انطاكية المحترقة ببلاد الروم احرقها العباس بن الوليد ابن عبد الملك . وعن ابي هريرة مرفوعا ان الله اختار من الملائكة اربعة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومن النبيين اربعة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمدا

(١) رواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال لا اصل له ومن رواته الوليد بن محمد المرقدي وهو كذاب

عليهم الصلاة والسلام ومن المهاجرين اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا رضى الله عنهم ومن الموالى اربعة سلمان الفارسى وبلالا الاسود وصهيبا الرومى وزيدا بن حارثة واختار من النساء اربعة خديجة ابنة خويلد ومريم ابنة عمران وفاطمة ابنة محمد واسية ابنة مزاحم واختار من الاهلة اربعة ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجبا واختار من الايام اربعة الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عاشوراء واختار من الليالى اربعا ليلة القدر وليلة النحر وليلة الجمعة وليلة نصف شعبان واختار من الشجر اربعا السدرة والنخلة والتينة والزيتون واختار من المداين اربعة مكة وهى السدرة والمدينة وهى النخلة وبيت المقدس وهى الزيتونة ودمشق وهى التينة واختار من الثغور اربعة اسكندرية بمصر وقزوين خراسان وعبادان العراق وعسقلان الشام واختار من العيون اربعة يقول فى محكم كتابه فيهما عينان تجريان وقال فيهما عينان نضاختان فاما اللتان تجريان فعينا بيسان وسلوان واما النضاختان فعينا زمزم وعكا واختار من الانهار اربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات واختار من الكلام اربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . هذا حديث منكر بالمرة وفى اسناده اثنان مجهولان . وقال كعب خمس مدائن من مدائن الجنة بيت المقدس وحمص ودمشق وبيت جبرين وظفار اليمن وخمس مدائن من مدائن النار القسطنطينية والطرانة وانطاكية وتدمر وصنعا صنعا اليمن وفى رواية وعمورية بدل الطرانة . وعن عبد الله بن عمر وانه قال الجنة مطوية فى قرون الشام

باب ما جاء عن صاحب الحوض والشفاعة ان الشام مهبط عيسى بن مريم قبل قيام الساعه

عن النواس بن سمعان مرفوعا (١) ينزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين (٢) قال ابو بكر احمد بن الحسين البيرى حفظناه

(١) رواه الخطيب (٢) اى فى شقتين او حلتين وقيل الثوب المهرود الذى يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجئ لونه مثل لون زهرة الحوذ وقال القتيبى هو خطأ من النقلة واراه مهروتين اى صفراوين يقال هرت العمامة اذا لبستها صفراء وان كان محفوظا بالدال المعجمة فهو من الهرد اى الشق وقال ابن الانبارى القول عندنا فى الحديث مهرودتين يروى بالدال والذال اى ممصرتين والممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة وقيل المهرود الثوب الذى يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد

عن احمد بن الهيثم بالذال وتفسيره بين ممصرتين وفي رواية اريت ان ابن مريم يخرج من عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضع يده على اجنحة الملكين بين ريطتين (١) ممشقتين (٢) اذا ادنى رأسه قطر واذا رفع رأسه تحادر منه جمان (٣) كاللؤلؤ يمشي وعليه السكينة والارض تقبض له ما ادرك نفسه من كافر مات ويدرك نفسه حيثما ادرك بصره حتى يدرك بصره في حصونهم وقرياتهم حتى يدرك الدجال عند باب لد فيموت ثم يعمد الى عصابة من المسلمين عصمهم الله بالاسلام فيترك الكفار ينتفون لحاهم وجلودهم فتقول النصارى هذا الدجال الذي انذرناه وهذه الآخرة ومن مس عيسى بن مريم كان من ارفع الناس قدرا ويعظم مبيته ويمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم من الجنة فبينما هم فرحون بما هم فيه اذ خرجت يأجوج ومأجوج فيوحى الى المسيح اني قد اخرجت عبادا لي لا يستطيع قتلهم الا انا فاحرز عبادي الى الطور فيمر صدر يأجوج ومأجوج على بحيرة طبرية فيشربونها ثم يقبل آخرهم فيركزون رماحهم فيقولون اقد كان ههنا مرة ماء حتى اذا كانوا حيال بيت المقدس قالوا قد قتلنا من في الارض فهلم نقتل من في السماء فيرمون بنبلهم الى السماء فيردها الله مخضوبه بالدم فيقولون قد قتلنا من في السماء ويتحصن ابن مريم واصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الجمل خير من مائة دينار اليوم · كذا قال المغارة وهو تصحيف المنارة · وقال ابن عباس الحضرمي يخرج عيسى بن مريم عند المنارة عند الباب الشرقي ثم يأتي مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر ويدخل المسلمون المسجد والنصارى واليهود كلهم يرجوه حتى لو القيت شيئا لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين فيقوم ويأتي صاحب بوق اليهود ويأتي صاحب ناقوس النصارى فيقول صاحب اليهود اقرع فيكتب سهم المسلمين وسهم النصارى وسهم اليهود ثم يقرع عيسى فيخرج سهم المسلمين فيقول صاحب اليهود ان القرعة ثلاث فيقرع فيخرج سهم المسلمين ثم يقرع الثالثة فيخرج سهم المسلمين فيؤذن المؤذن ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ثم يخرج فيتبع الدجال بمن معه من اهل دمشق ثم يأتي بيت المقدس وهي مغلقة قد حصرها الدجال فيأمر بفتح

---

(١) كل ثوب رقيق لين (٢) مصبوغتين بالمشق وهو المغرة (٣) اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة امثال اللؤلؤ

الابواب ويتبعه حتى يدركه بباب لد فيذوب كما يذوب الشمع ويقول عيسى ان لي فيك ضربة فيضربه فيقتله الله عزوجل على يديه فيمكث في المسلمين ثلاثين سنة او اربعين سنة الله اعلم اى العددين فيخرج على اثره ياجوج وماجوج فيهلكهم الله على يديه ولا يبقى منهم عين تطرف وترد الى الارض بركتها حتى ان العصابة (١) ليجتمعون على العنقود وعلى الرمانة وينزع من كل ذات حمة (٢) حمتها يعنى سمها حتى ان الحية تكون مع الصبيّ والاسد والبقرة فلا تضر شيئا ثم يبعث الله عزوجل ريحا طيبة تقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس تقوم عليهم القيامة . وعن كعب (٣) يهبط المسيح عليه السلام عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي تحمله غمامة واضع يديه على منكبي ملكين عليه ريطتان مؤتزر باحدهما مرتد بالاخرى اذا اكب رأسه يقطر منه الجمان

باب ماجاء عن المبعوث بالمرحمة انها فسطاط المسلمين يوم الملحمة

قال ابو الدرداء سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم الملحمة الكبرى فسطاط (٤) المسلمين بارض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ قال ابراهيم بن الجنيد سمعت يحيي بن معين وقد ذكروا عنده احاديث من ملاحم الروم فقال يحيي ليس من حديث الشام شيء اصح من حديث صدقة ابن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم معقل المسلمين ايام الملاحم دمشق انتهى وفي رواية فسطاط المسلمين (٥) يوم الملحمة بالغوطه الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مداين الشام . وقال عوف بن مالك الاشجعي (٦) اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بناء له فسلمت عليه فقال اعوف قلت نعم قال ادخل قلت ادخل كلي ام بعضي قال بل كلك قال فقال اعدد ستا بين يدي الساعة او لهن موتي قال فاستبكيت حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكتني

---

(١) الجماعة (٢) الحمة بالتخفيف السم وقد تشدد وتطلق على ابرة العقرب للمجاورة لان السم منها يخرج (٣) رواه احمد بلفظ فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى الخ (٤) رواه الطبراني وابو داود بلفظ ان فسطاط الخ (٥) رواه ابن ماجه في سننه بنحو لفظه وقوله اعوف الهمزة للنداء وقوله ادخل محذوف منه همزة الاستفهام والمراد أادخل والمعنى ان البيت كان صغيرا بحيث كان في محل التردد انه يسع جسده كله ام لا

فقال قل احدى والثانية فتح بيت المقدس قل اثنين والثالثة تكون فتنة فى امتى وعظمها قل ثلاثا والرابعة موتان (١) يقع فى امتى يأخذهم كقعاص الغنم (٢) قل اربعة والخامسة يفيض المال فيكم حتى ان الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها قل خمسة والسادسة هدنة (٣) تكون بينكم وبين بنى الاصفر (٤) يسيرون اليكم على ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر الفا فسطاط (٥) المسلمين يومئذ فى ارض يقال لها الغوطة (٦) فى مدينة يقال لها دمشق ولفظ الحديث للطبرانى وفى رواية راية بدل غاية وفى رواية فيغدرون يعنى الروم فيوافونكم على ثمانين غاية . والغاية الراية (٧) وفى رواية تحت كل غاية ثمانون الفا رواها العسكرى وكلا القولين باسناد صحيح وعن جبير بن نفير قال حدثنا اصحاب رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم انه قال ستفتح (٨) عليكم الشام فاذا خيرتم المنازل منها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فانها معقل (٩) المسلمين من الملاحم وفسطاطهم منها بارض يقال لها الغوطة وفى رواية الا انها ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فانها خير مدائن الشام وفسطاط المؤمنين بارض منها يقال لها الغوطة وهى معقلهم . وعن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال موضع فسطاط المسلمين فى الملاحم ارض يقال له الغوطة وقال سعيد بن عبد العزيز كان من ادركنا من علمائنا يقول يخرج اهل مصر من مصرهم الى مايلى المدينة ويخرج اهل فلسطين والاردن الى مشارق البلقا والى دمشق ويخرج اهل الجزيرة وقنسرين وحمص الى دمشق وذلك لما كان حدثنا به سعيد عن مكحول مرفوعا فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة مدينة يقال لها دمشق وهذا الحديث قد سقط منه الصحابى وهو معاذ ومكحول لم يدرك معاذا (١٠) ورواه البغوى عن مكحول عن معاذ ورواه الحاكم عن ابى مالك الاشعرى عن معاذ وروى من طريق القاسم بن عبيد بلفظ ستفتح الشام فعليكم بمدينة منها يقال لها دمشق فانها خير مداين الشام وهى معقل

(١) الموتان بوزن البطلان الموت الكثير الوقوع (٢) القعاص بضم القاف بعدها عين مهملة داء يأخذ الغنم لا يلبثها ان تموت (٣) بضم الهاء وسكون الدال المهملة الصلح والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحاربين (٤) هم الروم سموا بذلك لصفرة اللون فى آبائهم (٥) بضم الفاء وكسرها المدينة التى فيها مجتمع الناس (٦) قال فى النهاية الغوطة اسم البساتين والمياه التى حول دمشق وهى غوطتها (٧) ومن رواه بالباء الموحدة اراد به الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها وعندى ان الرواية بالياء المثناة التحتية اصح لانه ان صح الحديث لم يكن يومئذ رماح للاستغناء عنها بالمدافع والسلاح النارى (٨) رواه احمد باسناد فيه ابوبكر بن ابى مريم وهو ضعيف (٩) حصن (١٠) رواه ابو داود وهو موقوف

المسلمين من الملاحم وفسطاط المسلمين بارض منها يقال لها الغوطة ومعقلهم من الدجال بيت المقدس وهي معقلهم من ياجوج وماجوج وقال محمد بن على بن الحسين بن فاطمة الزهراء رضي الله عنهم سمعت ابي عن جدي انه سمع جده رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للناس ثلاث معاقل فمعقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق انطاكية دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سينا رواه ابو نعيم (١) ٠ وعن حسان بن عطية قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحوز الاعداء امته من بلد الى بلد فقال يارسول الله فهل من شيء قال نعم ان بالغوطة مدينة يقال لها دمشق هي فسطاطهم ومعقلهم (٢) من الملاحم لا ينالها عدو الا منها وكان حفص بن غيلان الهمذاني يقول لا ينالهم عدو لهم الا منها يعني من الامة وهو يوم دخلها عبد الله بن على بجنوده ٠ عن ابي سالم الجبشاني قال انطلقت الى المدينة اسئل عن علم الاحداث (٣) فقيل لى اين انت من عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان صعلوكا (٤) فعده (٥) ابوه لذلك قال فقدمت فاخبرت عبد الله بن عمرو بذلك فقال نعم فسلوني عما شئتم اخبركم به فوالله او شئتم لاخبرتكم بالسنة التي يخرجون فيها من مضر فقلت يا ابا محمد اخبرني وخرلي قال نعم انك لن يرابك (٦) مالم يأت اهل المشرق اهل المغرب فان كان ذلك خفق الدين (٧) وخفقت الالسنة ووقعت بين العرب البغضاء فاقل المؤمنين من يحجزه (٨) ايمانه واقل المعاهدين (٩) من يكفه ساعيه فان استطعت ان تسكن السروات (١٠) فكن بها وان عجزت فالاسكندرية فان عجزت فالطور او سوق مازن وان اقشعت (١١) شيئا ابيت اللعن (١٢) واصاب

---

(١) وكذا رواه ابن ابي خيثمه (٢) من تأمل هذا الخبر يراه منطبقا على ما كان في ايام حروب الصليبين والمعاقل الحصون (٣) الحدث الامر المنكر الذى ليس بمعتاد ولا معروف والمراد هنا انه يسئل عن علم ما سيحدث فى آخر الزمان (٤) فقيرا (٥) هيأه واهله لذلك اى للعلم (٦) يقال رابني الامر وارابني اذا رأيت منه ما يكره والمعنى لن ترى شيئا تكرهه مدة عدم اتيان اهل المشرق الخ (٧) ضعف الدين مأخوذ من خفق الليل اذا ذهب اكثره وخفقت الالسنة اى صارت غير ثابتة ولا مستقرة اى لا يستقر كلا منها على قرار (٨) اى يحيل بينه وبين ما يكره والحاجز الحائل بين الشيئين (٩) المعاهد من كان بينك وبينه عهد واكثر ما يطلق فى الحديث على اهل الذمة وقد يطلق على غيرهم من الكفار اذا صولحوا على ترك الحرب مدة ما والساعى الرئيس الذى يصدر المرأوسون عن امره ولا يمضون امرا دونه وكل من ولى امر قوم فهو ساع عليهم (١٠) المواضع المنحدرة من الجبال (١١) اقشع السحاب تصدع واقلع والمعنى تصدعت واخرجت شيئا والتنوين للتكثير اى شيئا كثيرا (١٢) اللعن الطرد والابعاد عن الخير والمعنى تباعدت عما يؤدى الى ذلك وهو خبر ومعناه الدعاء

المامومة (١) وذات الاصابع ذنباتها فعليك بالفحص قال وهي الغوطة فانها فسطاط للمسلمين فاذا امتنعت الحمراء والبيضاء ووهن(٢) الاولياء عن الاولياء فعليك بمدينة الاسباط فان العافية تجوز اليها كما يجوز السيل الهد من لو ارى انى ادرك ذلك لكان رحيلي اليها ولا انت تدركه . يريد بمدينة الاسباط بانياس وقال عبد الله بن عمرو ما اود الى ان لى مصر وكورها (٣) بعد الخمسين والمائة اسكنها ولدمشق خير لو كنتم تعلمون . وقال نافع بن كيسان الدمشقي لقيت يزيد بن شجرة الرهاوى فقلت انى اردت ان آتى فلسطين قال لا تفعل فانى احدثك فى دمشق احاديث ليست فى غيرها ان حبل (٤) الناس اذا اضطرب كانت دمشق عصمتهم وان اهلها مدفوع عنهم وانه لا ينزل بارضها جوع ولا بلاء ولا فتنة الا خفف ذلك عنهم . وقال جابر بن عبد الله الانصارى من سكن دمشق نجا فقيل له اعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فقال اعن رايي احدثك . وقال ابن محيريز قال لى رويفع بن ثابت الانصارى وكان من اصحاب بيعة الشجرة اسكن فلسطين ما استقامت العرب فاذا باؤا بشعار (٥) الجاهلية فاسكن دمشق وشرقها خير من غربها ولما حضرت عقبة بن رافع الوفاة اوصى بنيه فقال لهم يابنى احفظوا ما اوصيكم به تنتفعون الا تداموا (٦) وان لبستم العبا ولا يدخل احد منكم فى بيعة الرايات السود طائعا ان ادركتموها ولا تدعن حظكم من دمشق وان لم تصيبوا البيت الابدية (٧) وقال الاوزاعي بلغنا ان بالشام واديا يقال له الغوطة فيه مدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الناس يوم الملاحم وقال كعب الاحبار معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال نهر ابى

---

(١) الشجة التى بلغت ام الرأس وهى الجلدة التى تجمع الدماغ وذات الاصابع اليد والذنبات الاسافل والمعنى اذا بلغ الامر منتهى الشدة وتطاول الاسافل على الرؤوس وعلى الناهضين بالاصلاح (٢) بخل والولى ضد العدو (٣) جمع كورة المدينة والصقع (٤) العهد والميثاق [٥] التزموا شعار الجاهلية ورجعوا اليه والشعار العلامة والمعنى اذا التزموا ورجعوا الى علامات الجاهلية التى كانوا يتعارفون بها قبل الاسلام من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر وغير ذلك [٦] كذا فى النسخة التى بايدينا ولم اجد لها تخريجا الا على ما فى النهاية من ان هذه المادة تدل على الانتقال تقول دوم به اداره والمعنى لاتنتقلوا من مكانكم (٧) الدية الهاء فيها عوض عن الواو المحذوفة واصلها ودى وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لاهل اليمن ان دية النفس مائة من الابل والمعنى ولو كان ثمن البيت هذا المقدار

قطرس ومعقلهم من ياجوج وماجوج الطور ومن رواية ابى داود لتمخرن (١) الروم الشام اربعين صباحا لا يمتنع منها الا دمشق وعمان ومن طريقه ايضا عن عبد الرحمن بن سلمان انه قال سيأتى ملك من ملوك العجم يظهر على المداين كلها الا دمشق (٢)

﴿ باب ما نقل عن اهل المعرفة ان البركة فيها مضاعفة ﴾

قال سفيان بن سعيد القارى توفى اخى واوصى بمائة دينار فى سبيل الله فوافق ذلك صلح ابن فرعون صاحب الروم ولم يكن عامئذ غازيا فقدمت المدينة فى حج او عمرة فدخلت على عثمان بن عفان وعنده رجل قاعد وعلى قباء من بزن والصواب بزيون وكان اصابه من الغنيمة بارض الروم وكان جيبه وبروجه مكفوفا بحرير فلما رآه ذلك الرجل اقبل على يجاذبنى قبائى ليخرقه فلما رأى ذلك عثمان قال دعه فتركنى ثم قال لقد عجلتم فسألت عثمان فقلت يا امير المؤمنين مات اخى واوصى بمائة دينار فى سبيل الله فوافق ذلك صلح بن فرعون فلم يجىء غاز فما تأمرنى قال فهل سئلت احدا قبلى فقلت لا قال لئن استفتيت احدا قبلى فافتاك غير الذى افتيتك به ضربت عنقه ان الله عز وجل امرنا بالاسلام فاسلمنا فنحن المسلمون وامرنا بالهجرة فهاجرنا فنحن المهاجرون اهل المدينة ثم امرنا بالجهاد فجاهدتم فانتم المجاهدون اهل الشام انفقها على نفسك او على اهلك وعلى ذى الحاجة ممن حولك فانك لو خرجت بدرهم ثم اشتريت به لحما فاكلت انت واهلك كتب لك بسبعمائة درهم فخرجت من عنده فسألت عن الرجل الذى جاذبنى فقيل هو على بن ابى طالب فاتيته فى منزله فقلت مارأيت منى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول او شك ان تستحل امتى فروج النساء والحرير وهذا اول حرير رأيته على احد من المسلمين فخرجت من عنده فبعته الى الخياط

وقال عبد الرحمن بن سابط الجمحى قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص ان

---

(١) اصل المخر الشق يقال مخرت السفينة الماء اذا شقته بصدرها وجرت والمعنى هنا ان الروم تدخل الشام وتخوضه وتجوس خلاله وتتمكن منه فشبهه بمخر السفينة البحر ويمكن ان يكون هذا اشارة الى ما وقع ايام حروب الصليبين (٢) يمكن ان يكون اشارة الى ما كان ايام التتار

لى رحما (١) وقرابة وان منزلى قد نبا (٢) بى بالعراق والحجاز قال له مارضى به لنفسى وولدى عليك بدمشق مرتين ثم عليك بمدينة الاسباط بانياس فانها مباركة السهل والجبل يعيش اهلها بغير الحجرين الذهب والفضة اجلى (٣) الله عنها اهلها حين بدلوا تطهيرا لها وان البركة عشر بركات خص الله بانياس من ذلك ببركتين لايعيل (٤) ساكنها يعيش من برها وبحرها واذا وقعت الفتن كانت بها اخف منها فى غيرها فاتخذها وارتدها (٥) فو الله لفدان (٦) بها احب الى من عشرين بالوهط والوهط بالطائف . وقال معاوية لكعب الاحبار احمص اعجب اليك ام دمشق فقال لمربض (٧) ثور فى دمشق خير من دار عظيمة بحمص كذا قال وقال عبدالله بن الهدير منزل فى دمشق خير من عشر منازل فى غيرها من ارض حمص ومنزل داخل دمشق خير من عشر منازل بالفراديس (٨) واياك وارباضها (٩) فان فى سكناها الهلاك وعن يونس بن ميسرة ان رجلا سكن طبرية بعياله شهرا فكفاهم بها عشرة امداد من قمح ثم تحول الى دمشق فكفاهم خمسة امداد قمح وقيل لابى سلام الاسود مانقلك من حمص الى دمشق قال ماسألنى عنها عربى قبلك بلغنى ان البركة فيها مضاعفة وقال عبيد بن يعلى بركات الشام كلها مسوقات الى دمشق وقال جابر بن ازد سيأتى على الناس زمان لمربض ثور فى دمشق خير من دار عظيمة بحمص وانها لمعقل المسلمين وقال محمد بن عبدوس لما كان المال يحمل الى بغداد لبيت المال من جميع النواحى كان الذى يحمل من دمشق اربعمائة الف وعشرين الفا من الدنانير وقال المداينى كان يفضل فى زمان معاوية اربعمائة الف دينار من مال دمشق خاصة بعد صرف ما لا بد من صرفه فى ديوان الجند والولاة وارزاق الفقهاء والمؤذنين والقضاة وهذا يدل على كثرة دخلها وعظم البركة فى مغلها

باب ما جاء عن سيد المرسلين فى ان اهل دمشق لايزالون على الحق ظاهرين

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال عصابة

---

(١) الرحم الاقارب ويطلق على كل من يجمع بينك وبينه نسب فعطف قرابة عليه عطف تفسير (٢) تجافى وتباعد (٣) اجلاء الخروج من البلد والاخراج (٤) لايفتقر و فى الحديث ماعال مقتصد ولن يعيل اى ماافتقر ولن يفتقر (٥) أطلبها (٦) كلمة اصطلاحية تطلق على قطعة معلومة من الارض تختلف باختلاف اصطلاح البلدان (٧) بكسر الباء الموضع الذى ينام فيه والمراد مقداره (٨) موضع بالشام (٩) ماحولها من القرى

يقاتلون على ابواب دمشق وما حولها وعلى ابواب بيت المقدس وما حولها لايضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق الى يوم القيامة رواه عبدالجبار الداراني فى تاريخ داريّا وفى لفظ آخر لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على ابواب بيت المقدس وما حولها وعلى ابواب انطاكية وما حولها وعلى باب دمشق وما حولها وعلى ابواب الطالقان وما حولها ظاهرين على الحق لا يبالون بمن خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كنزه من الطالقان فيحيى به دينه كما اميت من قبل واسناد هذا الحديث غريب والفاظه غريبة جدا وروى من وجه آخر عن ابى هريرة وليس فيه هذه الزيادة بل هو مثل ماتقدم وروى من وجه آخر فى اهل الشام على العموم من غير تخصيص دمشق ولفظه لايزال لهذا الامر او على هذا الامر عصابة على الحق لايضرهم خلاف من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وفى لفظ آخر لاتزال من امتى عصابة قوامة على امر الله لايضرها من خالفها تقاتل اعداء الله كلما ذهب حرب نشبت (١) حرب قوم آخرين يزيغ الله قلوب قوم لرزقهم منه حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم فيفزعون لذلك حتى يلبسوا له ابدان الدروع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اهل الشام ونكت باصبعه يومى بها الى الشام حتى اوجعها رواه البخارى فى تاريخه وفى لفظ آخر هذه الامة منصورة بعدى منصورون اينما توجهوا لايضرهم من خالفهم من الناس حتى يأتيها امر الله اكثرهم اهل الشام وفى لفظ آخر لن تبرح هذه الامة منصورة تقذف كل مقذف (٢) منصورين اينما توجهوا لايضرهم من خذلهم من الناس هم اهل الشام وفى لفظ لاتزال عصابة من امتى على الحق ظاهرين على الناس لايبالون بمن خالفهم حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام قال ابو عمرو فحدثت قتادة بهذا الحديث فقال لا اعلم اولئك الا اهل الشام وروى عن انس مرفوعا ولفظه لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة واومأ بيده الى الشام (٣) وعن عمير بن هانئ قال خطبنا معاوية بن ابى سفيان فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (٤) لا تزال طائفة من امتى امة قائمة بامر الله لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى امر الله وهم

---

(١) يقال نشبت الحرب بينهم وقد ناشبه نابذه اه صحاح (٢) تسير حيث شاءت (٣) رواه بن قانع والضيا عن جابر قال البخارى فى التاريخ هذا الحديث خطأ انما هو عن قتادة عن مطرف عن عمران (٤) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم واللفظ لاحمد

ظاهرون على الناس فقام مالك بن يخامر فقال سمعت معاذ بن جبل يقول وهم بالشام فقال معاوية هذا مالك بن يخامر زعم انه سمع معاذا يقول وهم اهل الشام ورواه البغوى والبيهقى والخطيب البغدادى بهذا اللفظ وروى بلفظ انها ان تبرح عصابة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين على الناس حتى يأتى امر الله وهم على ذلك ثم نزع (١) بهذه الآية ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وروى عن معاوية من وجه آخر ولفظه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يايها الناس انما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (٢) وانما يخشى الله من عباده العلماء ولن تزال امة من امتى على الحق ظاهرين على الناس لايبالون بمن خالفهم ولا بمن ناوأهم حتى يأتى امر الله وهم ظاهرون روى عن مكحول عن معاوية ومكحول لم يدرك معاوية وعن ابى هريرة مرفوعا اذا وقعت الملاحم يخرج بعث من دمشق من الموالى هم اكثر وفى لفظ هم اكرم العرب فرسا واجودهم سلاحا يؤيد الله بهم الدين وروى اذا وقعت الملاحم (٣) خرج بعث (٤) من دمشق هم خيار عباد الله الاولين والآخرين وقال محيريز خير فوارس تظل السماء فوارس من قيس يخرجون من غوطة دمشق يقاتلون الدجال وقال الوليد بن مسلم حدثنى شيخ من قدماء الجند ممن كان يلزم الجهاد فى الزمن الاول ان اهل الشام كانوا اذا غزوا الصوايف (٥) كانوا ينزلون اجنادا كما كان ينزل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيرهم اذا

---

(١) حذب ومعناه انه قرأها بتكلف وفى الحديث مالى انازع القرآن اى اجاذب فى قرأته كأنهم جهروا بالقرأة خلفه فشغلوه [٢] قال فى النهاية الفقه فى الاصل الفهم واشتقاقه من الشق والفتح يقال فقه الرجل بالكسر يفقه فقها اذا فهم وعلم وفقه بالضم يفقه اذا صار عالما وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة وتخصيصا بعلم الفروع انتهى ولا يناسب هنا الا المعنى اللغوى ليتناول فهم كل علم من علوم الدين قال الحسن البصرى الفقيه هو الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بامر دينه المداوم على عبادة ربه وقال ابن الانبارى قولهم رجل فقيه معناه عالم اه فيشمل الفقه علم التوحيد والتفسير والحديث والفروع وكل علم مطلقا ولما كان معناه عاما شاملا لكل علم خصصه بالعلوم الشرعية بقوله فى الدين فتخصيص الفقه بعلم الفروع اصطلاح للمتأخرين فلا يجوز قصر الحديث عليه • ويخشى يخاف والامة الجماعة والمناوأة المعادات [٣] جمع الحمة وهى الحرب وموضع القتال مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدا وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها [٤] جماعة مبعوثون فهو مصدر بمعنى اسم المفعول [٥] جمع صائفة وهى غزوة الروم لانهم يغزون صيفا لمكان البرد

ساروا الى الشام ينزلون ارباعا قال الشيخ وكما كانت بنوا اسرائيل مع موسى عليه السلام ثم بعده ينزل فى عساكرها اسباط وكان بين كل جندين فرجة وطريق للعامة ومجال للخيل ومركز لها ان كانت فزعة من ليل او نهار قلت فاين كان ينزل قال الصائفة ومنهم من كان ينزل بخاصته ورهطه فى القلب فى اهل دمشق ثم ينزل اجناد الشام يمنة ويسرة قال وحدثنى شيخ من قدماء المشيخة ممن كان يلزم الجهاد انهم كانوا اذا كان اللقاء تقدم ربع قريش من اهل دمشق حتى يكونوا عند راية الامير والجماعة ثم ربع كندة من جند دمشق عن يمنتهم اى عن يمين المشيخة لان دمشق كانت عند سير اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشام والشام يومئذ وجهتهم فاليها ساروا وبها بدأوا فلما افتتحوها كان غيرها من مدائن الشام لها تبعا قال فاتخذها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دارا وفسطاطا ومجتمعا وفيها منزل واليهم الاعظم وبيت مالهم . وقال سليمان بن ابى شيخ سألت ابا سفيان الحميرى كم كان جند بنى امية فقال ثلاثمائة الف وخمسون الفا من اهل الشام ومائة وخمسون الفا من اهل العراق

باب ماجاء عن كعب الاحبار ان اهل دمشق يعرفون فى الجنة بالثياب الخضر

قال عروة بن رويم ان رجلا لقى كعب الاحبار فسلم عليه ودعا له فسأله كعب ممن هو فقال من اهل الشام قال لعلك من الجند الذين يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب ولا عذاب قال ومن هم قال اهل دمشق فقال لست منهم قال فلعلك من الجند الذين ينظر الله اليهم فى كل يوم مرتين قال ومن هم قال اهل فلسطين قال انا منهم وفى لفظ قال لعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم بسبعين قال ومن هم قال اهل حمص قال لا قال فلعلك من الذين يعرفون فى الجنة بثياب خضر قال من هم قال اهل دمشق ثم ساق ماتقدم

باب دعاء النبى عليه السلام لاهل الشام بان يهديهم الله فيقبلوا بقلوبهم الى الاسلام

عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر نحو الشام فقال اللهم بارك لنا فى

ثمرة ارضنا وبارك لنا فى صاعنا ومدنا رواه البيهقى وفى لفظ نظر قبل العراق والشام واليمن فقال اللهم اقبل بقلوبهم الى طاعتك وحط من ورائهم وفى رواية لابى نعيم والبيهقى والطبرانى عن انس قال نظر رسول الله قبل اليمن فقال اللهم اقبل بقلوبهم ونظر قبل العراق فقال اللهم اقبل بقلوبهم ونظر قبل الشام فقال اللهم اقبل بقلوبهم وبارك لنا فى صاعنا ومدنا • هذا حديث غريب ولم اجده فى مسند احمد • وفى بعض رواياته مثل المؤمن كمثل السنبلة تخر(١) مرة ومثل الكافر كمثل الارزة (٢) لاتزال تستقيم حتى تخر ولا تشعر

باب ماروى فى ان اهل الشام مرابطون وانهم جند الله الغالبون

عن ابى الدرداء مرفوعا اهل الشام وازواجهم وذراريهم وعبيدهم واماؤهم الى منتهى الجزيرة مرابطون فى سبيل الله فمن احتل منها مدينة من المدائن فهو فى رباط ومن احتل منها ثغرا من الثغور فهو فى جهاد وفى لفظ نزل بدل احتل ورواه الطبرانى وفى رواية سيفتح على امتى من بعدى الشام وشيكا (٣) فاذا فتحها واحتلها فاهل الشام ـ مرابطون الى منتهى الجزيرة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم فمن احتل ساحلا من تلك السواحل فهو فى جهاد ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو فى رباط وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجلسائه يوما اى الناس اعظم اجرا فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة ويقولون فلان وفلان بعد امير المؤمنين فقال الا اخبركم باعظم الناس اجرا ممن ذكرتم ومن امير المؤمنين قالوا بلى قال رويجل بالشام اخذ بلجام فرسه يكلأ (٤) من وراء بيضة المسلمين لا يدرى اسبع يفترسه ام هامة (٥) تلدغه او عدو يغشاه فذلك اعظم اجرا ممن ذكرتم ومن امير المؤمنين وقال ابراهيم اليمانى قدمت من اليمن فاتيت سفيان الثورى فقلت يا ابا عبد الله انى جعلت فى نفسى ان انزل جدة فارابط بها كل سنة واعتمر فى كل شهر عمرة واحج فى كل سنة حجة واقرب من اهلى احب اليك ام آتى الشام فقال لى يا اخا اليمن عليك بسواحل الشام قالها مرتين فان هذا البيت يحجه كل عام مائة الف ومائتا الف او ثلاثمائة الف وما شاء الله من التضعيف له مثل حجهم وعمرهم (٦) ومناسكهم وقال انس قال لى ابو جعفر

---

(١) تسقط (٢) بسكون الراء وفتحها قال فى النهاية شجرة الارزن وهو خشب معروف وقيل هى الصنوبر اه قلت وهو فى لبنان معروف (٣) قريبا وضمير فتحها واحتلها للامة وهذا من المعجزات حيث اخبر انها تفتح من بعده (٤) يكلأ يحفظ وبيضة المسلمين مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم (٥) الهامة تقال للدابة والمراد هنا ما كان من ذوات السموم واللدغ بالدال المهملة (٦) عمرهم بضم العين وفتح الميم جمع عمرة

المنصور يوما ما على ظهرها احد أعلم منك قلت بلى قال فسمهم لى فقلت لااحفظ اسمائهم فقال قد طلبت هذا الشان فى زمن بنى امية وقد عرفته اما اهل العراق فاهل افك وباطل وزور واما اهل الشام فاهل جهاد وليس فيهم كبير علم واما اهل الحجاز ففيهم بقية العلم وانت عالم الحجاز وعن خريم بن فاتك الاسدى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الشام سوط الله فى ارضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم ان يظهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا الا هما وغما رواه البغوى • و عن عطاء السائب قال سمعت عبد الرحمن الحضرمى ايام ابن الاشعث يخطب وهو يقول يا اهل الشام ابشروا فان فلانا اخبرنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون قوم من آخر امتى يعطون من الاجر مثل ما يعطى اولهم ويقاتلون اهل الفتن وينكرون المنكر وانتم هم وقال قتادة فى قوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون قال هم اهل الشام وقال مرة ولا اعلم اولئك الا اهل الشام وقال كعب اهل الشام سيف من سيوف الله ينتقم الله بهم ممن عصاه فى ارضه وقال قرأت فيما انزل الله على الانبياء ان الله تعالى يقول الشام كنانتى فاذا غضبت على قوم رميتهم منها بسهم وقال ابو بكر النهشلى كنت فى جمع الكوفة يوم جاء اهل الشام يقاتلون اهل الكوفة فاذا شيخ حسن الخضاب حسن الهيئة على دآبة له وهو يقول اللهم لاتنصرنا عليهم اللهم فرق بيننا وبينهم اللهم فرق بيننا وبينهم قال فقلت يا عبد الله الا تتقى الله الا تخرج فترى قوما قد جاؤا يريدون ان يقاتلوا مقاتلتنا ويسبوا ذرارينا وانت تقول اللهم لاتنصرنا عليهم فقال ويحك سمعت عبد الله بن مسعود يقول لايغلب اهل الشام الا شرار الخلق وكان سعيد بن خالد بن معدان يقول الحمد لله الذى اطعمنا الطعام وجعلنا من اهل الشام وكان مكحول يقول الحمد لله الذى اطعمنا الطعام وسقانا الشراب وجعلنا من اهل الشام

باب ماجاء ان بالشام يكون الابدال (١) الذين بهم تصرف عن هذه الامة الاهوال

قال شريح بن عبيد ذكر اهل الشام عند على بن ابى طالب رضى الله عنه

(١) قال بن الاثير فى النهاية الابدال هم الاولياء والعباد سموا بذلك لانهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر اه ولهم اوصاف ونعوت ستذكر آخر هذا الباب ويؤيد وجودهم ماروى من الاحاديث هنا على اختلاف درجاتها فى القوة والضعف واحاديث لاتزال طائفة

وهو بالعراق فقالوا العنهم يااميرالمؤمنين فقال لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا فيسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب رواه الامام احمد (١) وجاء من لفظ آخر بزيادة وبهم يصرف عن اهل الارض البلاء والغرق ولكن اسناده منقطع وقال شهر بن حوشب (٢) لما فتح معاوية بن ابى سفيان مصر وفى لفظ لما فتحت مصر جعل اهلها يسبون اهل الشام فاخرج عوف بن مالك رأسه من برنسه ثم قال يااهل مصر انا عوف بن مالك لاتسبوا اهل الشام فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم الابدال وبهم تنصرون وبهم ترزقون وعن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (٣) بدلاء امتى اربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم واحد ابدل الله مكانه فاذا جاء الامر قبضوا وفى لفظ قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وروى عن انس بلفظ آخر مرفوعا ولفظه دعائم (٤) امتى عصائب اليمن واربعون رجلا من الابدال بالشام كلما مات رجل ابدل الله آخر مكانه أما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام بل بغناء الانفس وسلامة الصدور والنصيحة للمسلمين وعن عبادة بن الصامت مرفوعا (٥) الابدال فى هذه الامة

---

(١) ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد وهو ثقة (٢) رواه الطبرانى وفى اسناده عمرو بن واقد وقد ضعفه جمهور الائمة ووثقه محمد بن المبارك الصورى وشهر اختلف فيه وبقية رجاله ثقات (٣) رواه الحكيم الترمذى والخلال فى كرامات الاولياء وابن عدى (٤) الدعامة عماد البيت الذى يقوم عليه وبه سمى السيد دعامة (٥) قال الهيثمى فى منبع الفوائد رواه احمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وقد وثقه العجلى وابو زرعة وضعفه غيرهما

من امتى قائمة على الحق وهى مشهورة وما اخرجه احمد وابن ماجة عن ابى عنبة الخولانى انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لايزال الله يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فى طاعته حكى ابن مفلح فى الآداب الشرعية عن الامام احمد انه قال هم اصحاب الحديث وقال ونص احمد على ان لله تعالى ابدالا فى الارض وقال ايضا ان لم يكن اصحاب الحديث هؤلاء الناس فلا ادرى من الناس قال السندى فى شرح سنن بن ماجة معنى الحديث ان الله يوجد فى اهل هذا الدين ولذا يستعمل اهل الدين فى طاعته ولعل هذا هو المجدد للدين على رأس كل مائة سنة ويحتمل انه اعم فيشمل كل من يدعو الناس الى اقامة دين الله وطاعته وسنة نبيه انتهى ويمكن ان يكون الغوث هو المجدد وملخص القول ان هؤلاء الناس هم انصار الشرع المتصفون بالصفات المذكورة آخر الباب العارفون بربهم تعالى السائرون بسيرة خير الانام وليسوا هم البله الذين يمشون وهم مكشوفوا العورة الخاليون من الآداب العقلية والشرعية كما يتوهمه كثير من العوام فليكن المطلع على ماهنا محتاطا فى دينه لئلا يفهم الاشياء على غير حقيقتها

ثلاثون مثل ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا رواه عبدالله فى زوائد مسند والده وفيه الحسن بن ذكوان وهو منكر الحديث وعن ام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشو رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم ويلقى الاسلام بجرانه(١) الى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون قال ابو داود وقال بعضهم عن هشام تسع سنين رواه البيهقى واحمد وابو يعلى الموصلى وفى رواية فيخرج رجل من بنى هاشم من المدينة حتى يأتى مكة وعن ابن عباس مرفوعا (٢) مكة آية الشرف والمدينة معدن الدين والكوفة فسطاط الاسلام والبصرة فخر العابدين والشام معدن الابرار ومصر عش ابليس وكهفه ومستقره والسند مداد ابليس والزنا فى الزنج والصدق فى النوبة والبحرين منزل مبارك والجزيرة معدن القتل واهل اليمن افئدتهم رقيقة ولا يعدمهم الرزق والائمة من قريش وسادة الناس بنو هاشم . وقال سهل لما رجع عمر من تشييع اهل القادسية الى صرار كان قد كتب الى ابى عبيدة اذا فرغت من دمشق ان شاء الله فاصرف اهل العراق الى العراق فانه قد القى فى روعى انكم ستفتحونها ثم تدركون اخوانكم فتنصرونهم على عدوهم واقام عمر بالمدينة لمرور الناس به وذلك انهم ضربوا اليه من بلدانهم فجعل اذا سرح قوما الى العراق قال ليتنى ادرى خبرا عن الابدال هل مرت بهم الركاب ام لا واذا سرح قوما الى الشام قال ليت شعرى كم فى هذا الجيش من الابدال وقال على رضى الله عنه قبة الاسلام بالكوفة والهجرة بالمدينة والنجباء بمصر والابدال بالشام وهم قليل قال كعب الابدال ثلاثون وقال ايضا الابدال بالشام والنجباء بالكوفة

(١) الجران العنق والمعنى انه يقر قراره ويستقيم كما ان البعير اذا برك واستراح مد عنقه على الارض (٢) تفرد به ابن عساكر وهو ضعيف لما قال السيوطى فى اول الجامع الكبير ما اوريه عن ابن عساكر والديلمى فى مسند الفردوس يعنى على الانفراد فهو ضعيف انتهى فلتعلم هذه القاعدة

وقال ابو الطفيل خطبنا علي رضي الله عنه فذكر الخوارج فقام رجل فلعن اهل الشام فقال له ويحك لاتعمّ ان كنت لاعنا ففلانا واشياعه فان منهم الابدال ومنهم النجباء وقال ايضا الابدال من الشام والنجباء من اهل مصر والاخيار من اهل العراق وقال اذا قام قائم اهل محمد جمع الله له اهل المشرق واهل المغرب فيجتمعون كما يجتمع قزع الخريف(١)فاما الرفقاء فمن اهل الكوفة واما الابدال فمن اهل الشام وقال ايضا وهو بالكوفة ماشد بلايا الكوفة لاتسبوا اهل الكوفة فو الله ان فيهم لمصابيح الهدى واوتاد ذكر الله ومتاعا الى حين والله ليدقن الله بهم جناح كفر لاينجبر ابدا ان مكة حرم ابراهيم والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم والكوفة حرمي وما من مؤمن الا هو من اهل الكوفة او هواه لينزع اليها الا ان الاوتاد من ابناء الكوفة وفي مصر من الامصار وفي اهل الشام ابدال وقال الحسن البصري لاتخلوا الارض من الابدال لايهلك منهم رجل الا اخلف مكانه مثله هم اربعون بالشام وثلاثون في سائر الارضين وقال قتادة لن تخلو الارض من الاربعين بهم يغاث الناس وبهم ينصرون وبهم يرزقون كلما مات منهم واحد ابدل مكانه غيره واني لارجو ان يكون الحسن منهم وقال خالد بن معدان قالت الارض للرب تبارك وتعالى كيف تدعني وليس علي نبي فقال لها سوف ادع عليك اربعين صديقا بالشام وقال ابو الزاهرية الابدال ثلاثون رجلا بالشام بهم تجازون وبهم ترزقون اذا مات منهم رجل ابدل الله مكانه وقال الفضيل ابن فضالة ان الابدال بالشام في حمص خمسة وعشرون رجلا وفي دمشق ثلاثة عشر وببيسان اثنان وقال الحسن الخشني بدمشق من الابدال سبعة عشر نفسا وببيسان اربعة وقال بن شوذب الابدال سبعون فستون بالشام وعشرة في سائر الارضين وقال عطاء الابدال اربعون انسانا فقيل له اربعون رجلا فقال لاتقل هم اربعون رجلا ولكن قل هم اربعون انسانا لعل ان يكون فيهم امرأة وقال ابو سليمان المجتهدون بالبصرة والفقهاء بالعراق والزهاد بخراسان والبدلاء بالشام وقال الكتاني النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة

---

(١) قطع السحاب المتفرق وانما خص الخريف لانه اول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقا غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه الى بعض بعد ذلك

من امر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته وروى عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار امتى خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون كلما مات بدل ابدل الله من الخمسمائة مكانه وادخل فى الاربعين مكانهم فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون قالوا يارسول الله دلنا على اعمال هؤلاء قال هؤلاء يعفون عن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم وفى رواية كلما مات بدل ادخل الله مكانه من الخمسمائة وادخل فى الاربعين مكانهم وزاد فى آخره ويواسون فيما آتاهم الله وتصديق ذلك فى كتاب الله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ورواه ابو نعيم الحافظ (١) وعن عبد الله بن عمر (٢) ايضا مرفوعا ان الله فى الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم واربعون قلوبهم على قلب موسى وسبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وخمسة قلوبهم على قلب جبريل وثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وواحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه واحدا من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة ومن مات من السبعة ابدل مكانه من الاربعين ومن مات من الاربعين ابدل مكانه من الثلاثمائة ومن مات من الثلاثمائة ابدل مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء فقيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيي ويميت قال لانهم يسألون الله عز وجل اكثار الامم فيكثرون ويدعو على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم البلاء وقال ابو الزناد لما ذهبت النبوة وكان اهلها اوتاد الارض اخلف الله مكانهم اربعين رجلا من امة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الابدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ مكانه آخر يخلفه وهم اوتاد الارض قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين ابراهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصبر رصين(٣) او لب (٤) حليم

---

(١) وعلامات الضعف لائحة عليه (٢) رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ولا يخفى ضعفه (٣) محكم ثابت (٤) عقل

وتواضع فى غير مذلة واعلم انهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذون احدا ولا يتطاولون على احد تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون احدا فوقهم ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين (١) ولا معجبين لا يحبون لدنيا ولا يحبون الدنيا ليسوا اليوم فى وحشة وغدا فى غفلة

باب نفى الخير عن اهل الاسلام عند وجود فساد اهل الشام

عن معاوية بن قرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فسد اهل الشام فلا خير فيكم ورواه الامام احمد وزاد ولن تزال طائفة من امتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ورواه ابو داود وفى لفظ اذ اهلك اهل الشم فلا خير فى امتى ولا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يقاتلو الدجال وقال الحسن البصرى خيار اهل الشام خير من خياركم وشرار اهل الشام خير من شراركم قالوا لم تقول هذا يا ابا سعيد قال لان الله قال ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين

باب ما جاء ان بالشام يكون بقايا العرب عند حلول البلايا والامر

عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اول الناس هلاكا فارس ثم العرب الا بقايا ههنا يعنى الشام وقد سقط من اسناده سعيد بن بشير ويروى هلكة بدل هلاكا وروى عن ابى هريرة من وجه آخر قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل معاذ بن جبل او سعد بن معاذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين رآه انى لارى فى وجهه لاحسن طالع قال فجاء حتى سلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابشر يا رسول الله قد قتل الله كسرى فقال صلى الله عليه وسلم لعن الله كسرى ثلاثا ثم قال ان اول الناس فناء او هلاكا فارس والعرب من ورائها ثم اشار بيده قبل الشام وقال الا بقية ههنا

(١) يقال تماوت الرجل اذا اظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم ومنه ان عمر رأى رجلا مطأطئاً رأسه فقال ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض ورأى رجلا متماوتا فقال لاتمت علينا ديننا اماتك الله اه نهايه

باب ماروى عن الافاضل والاعلام من انحياز بقية المؤمنين في آخر الزمان الى الشام

قال القاسم مدّ الفرات على عهد عبد الله فكره الناس ذلك فقال عبد الله يا ايها الناس لا تكرهوا مده يوشك ان يلتمس فيه ملئ طست من ماء فلا يوجد ذلك وذلك حين يرجع كل ماء الى عنصره فيكون بقية الماء والمؤمنون بالشام رواه ابو داود وعبد الله هو ابن مسعود واضطربت الرواية فيه مرة قال القاسم شكونا الى ابن مسعود قلة الماء بالفرات وفي رواية المسعودى شكونا اليه كثرة الماء وعلى الاتفاق في الروايتين ان الفرات يقل ماؤه قلة ضارة بالناس وقال عبد الله بن عمرو ليأتين على الناس زمان لا يبقى على وجه الارض مؤمن الا لحق بالشام وجاء من طريق مرفوعا والمحفوظ انه موقوف على ابن عمر وقال ابو امامة لا تقوم الساعة حتى تحول اشرار الناس الى العراق وخيار اهل العراق الى الشام حتى تكون الشام شاما والعراق عراقا زاد في رواية واكره ان يدركني اجلي وانا بالعراق

باب ما ذكر من تمسك اهل الشام بالطاعة واعتصامهم بلزوم السنة والجماعة

تقدم حديث ابن عمر ان ابليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى بلغ يساف ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه وتقدم انه موضوع قال ابن وهب ارى ذلك في فتنة عثمان لان الناس افتتنوا فيه وسلم اهل الشام كذا قال وقال يزيد بن اسد لما قدم كتاب عثمان الى اهل الشام في القراءة (١) قالوا سمعنا واطعنا وما اختلف في ذلك اثنان انتهوا الى ما اجتمعت عليه الامة وعرفوا فضله وقال معاوية لابن الكوا اخبرني عن اهل الاحداث (٢) من اهل الشام فقال هم اطوع الناس لمرشدهم واعصاهم لمغويهم (٣) ولما قدم ابو الدرداء حاجا على عثمان قال له يا ابا الدرداء اني قد

(١) على مقتضى المصحف الذى كتبه وارسله اليهم (٢) الحدث الامر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد ولا معروف في السنة والمراد من اهل الاحداث هنا اهل الفتن (٣) الغى ضد الرشد

استنكرت من يليني ولم اسئال احدا من اهل الافاق عمن يليه الا وجدته استنكر من يليه فما اعرف شيئا فكيف بكم كررها مرتين فقال ما يعصينا اهل بلادنا ولا يستبدون علينا قال فالزمها فو الله لينقلن الامر اليكم فقد استنكرت الاشياء فما اعرف الا الصلاة يا ابا الدرداء وانها من آخر ما ينكر من هذا الامر وعن عبد الملك بن عمير قال كانت عامة خطب يزيد وهو على الشام عليكم بالطاعة والجماعة فمن ثم لا يعرف اهل الشام الا الطاعة وقال زهير بن الاقمر خطبنا على بن ابى طالب فقال الا ان بشيرا قد طلع عليه من قبل معاوية ولا ارى هؤلاء القوم الا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبطاعتهم اميرهم ومعصيتكم اميركم وبادائكم الامانة وبخيانتكم استعملت فلانا فغل (١) وغدر وحمل المال الى معاوية واستعملت فلانا فخان وغدر وحمل المال الى معاوية حتى لو ائتمنت احدهم على قدح من الخشب لغل علاقته اللهم انى ابغضتهم وابغضونى فارحمهم منى وارحمنى منهم وقال ايضا يا اهل العراق وددت انى ابيع عشرة منكم برجل من اهل الشام تصرف الدراهم العشرة بدينار فقيل له نحن وانت كما قال الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيرى وعلق اخرى غيرها الرجل

علقناك وعلقت اهل الشام وعلق اهل الشام معاوية وقال خباب بن عبد الله بعث معاوية خيلا فاغارت على هيت والانبار فاستنفر على الناس فابطؤا وتثاقلوا (٢) فخطبهم فقال ايها الناس المجتمعة ابدانهم المتفرقة اهواؤهم (٣) ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم (٤) كلامكم يوهي الصم الصلاب (٥) وفعلكم يطمع فيكم عدوكم فاذا دعوتكم الى المسير ابطأتم وتثاقلتم وقلتم كيت وكيت اعاليل اباطيل (٦) سئالتمونى التأخيردفاع ذى الدين المطول (٧) حيدى

(١) الغلول الخيانة فى المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة وكل خائن فى شئ خفية يقال له غال وسميت الخيانة غلولا لان الايدى تكون فيها مغلولة اى ممنوعة مجعول فيها غل وهو الحديدة التى تجمع يد الاسير الى عنقه ويقال لها جامعة ايضا (٢) تأخروا ولم يخفوا الى ما أمرهم به (٣) اهواؤهم آراؤهم وما تميل اليه قلوبهم (٤) اى من دعاهم وحاملهم بالترغيب على نصرته لم تصر دعوته عزيزة لتخاذلهم فان قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه (٥) الصم من الحجارة الصلت المصمت والصلاب جمع صليب وهو الشديد ويوهى يضعف ويفتت اى ان كلامكم يضعف ويفتت الحجارة الشديدة الصلابة المصمتة (٦) اى انكم تتعللون بالاباطيل التى لاجدوى لها (٧) اى كما يدافع صاحب الدين الذى يحب المماطلة غريمه فيوعده من يوم الى يوم آخر

حياد لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق (١) الا بالجد والصدق (٢) فاى دار بعد داركم تمنعون ومع اى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من غرر تموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب (٣) اصبحتم والله لا اصدق قولكم ولا اطمع فى نصركم فرق الله بينى وبينكم واعقبنى بكم من هو خير لى منكم واعقبكم منى من هو شر لكم منى اما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة (٤) قبيحة يتخذها فيكم الظالمون سنة (٥) فتبكى لذلك اعينكم ويدخل الفقر بيوتكم وستذكرون عند تلك المواطن فتودون انكم رأيتمونى وهرقتم دمائكم دونى فلا يبعد الله الا من ظلم والله لوددت انى اقدر اصرفكم صرف الدينار بالدراهم عشرة منكم برجل من اهل الشام فقام اليه رجل فقال ياامير المؤمنين انا واياك كما قال الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيرى وعلق اخرى غيرها الرجل(٦)

علقنا بحبك وعلقت انت باهل الشام وعلق اهل الشام معاوية وقال دعفل قال المال انا اسكن العراق فقال الغدر وانا اسكن معك وقالت الطاعة انا اسكن الشام فقال الجفا انا اسكن معك وقال العيش انا اسكن مصر فقال الموت وانا اسكن معك وقالت المروءة انا اسكن الحجاز فقال الفقر وانا اسكن معك وقيل انه كان مكتوب على صخرة بباب العريش يقرأه من دخل مصر ادخل الى بلد وفى وعيش رخى وموت وحى (٧) وقال يحيى بن سعيد بن سليمان بن يسا لو نزل اخوان من حصن فسكن احدهما الشام وسكن الآخر العراق ثم لقيت الشامى لوجدته يذكر الطاعة وامر الطاعة والجهاد ولو لقيت الآخر اوجدته يسئل عن السنة يقول كيف سنة كذا وكذا وكيف

---

(١) عبارته فى نهج البلاغة فاذا جاء القتال قلتم حيدى حياد ه وهى كلمة يقولها الهارب كانه يسأل الحرب ان تتنحى عنه من الحيدان وهو الميل والانحراف عن الشئ وحياد مبنى على الكسر والمعنى انهم يقولون فى المجلس سنفعل بالاعداء مانفعل فاذا جاء القتال فروا وتقاعدوا (٢) اى ان الذليل الضعيف اليأس الذى لامنعة له لايقدر على منع الضيم ولكنما القوى العزيز هو الذى يمنع الضيم (٣) فاز ظفر والمعنى من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الاخيب وهو من سهام الميسر الذى لاحظ له اى من فاز بكم خسر وخرجت قرعته فارغة (٤) يقال استأثر بالشئ استبد به والاسم الاثرة والمعنى ستلقون استبدادا قبيحا (٥) طريقة متبعة • ورضى الله عن ذلك الامام فان كل امة تخاذل وتتفرق ولم تدفع الضيم عن انفسها فانها تبتلى بهذه الاشياء الثلاثة ويكون مالها الى ماقاله من قوله فتبكى اعينكم الخ (٦) المعنى هويتها عن غير قصد منى وهويت رجلا غيرى عرضا ايضا وهوى ذلك الرجل امرأة غيرها فكل واحد منا متعلق بشخص وهو متعلق بغيره فلا يهدأ لكل منهم بال (٧) الوفى صاحب الوفاء والرخى الناعم المحبوب والوحى السريع

الامر فى كذا وكذا وسئل عامر عن قتال اهل العراق واهل الشام فقال عامر لا يزالون يظهرون علينا اهل الشام لانهم جهلوا واجتمعوا وعلتم وتفرقتم فلم يكن الله ليظهر اهل فرقة على جماعة ابدا وقال سعيد بن عبد العزيز اذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وطاعته شامية فناهيك به فانه قد كمل وقال سليمان بن موسى اذا وجدت الرجل علمه علم حجازى وسخاؤه سخاء عراقى واستقامته استقامة شامى فهو رجل وقال ابو جعفر المنصور لاسماعيل ابن عبد الله صف لى الناس فقال اهل الحجاز مبتدأ الاسلام وبقية العرب واهل العراق ركن الاسلام والمقاتلون عن الدين واهل الشام حصن الامة واسنة الائمة واهل خراسان فرسان الهيجاء (١) واعنة الرجل والترك منابت الحصون وابناء المغازى واهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عما سواها والروم اهل كتاب ودين نحاهم من القرب الى البعد والانباط كان ملكهم قديما فظهر لكل قوم عبيد قال فاى الولاة افضل قال الباذل للعطاء والمعرض عن السيئة قال فايهم اخرق قال انهكهم للرعية واتعبهم لها بالخرق (٢) والعقوبة قال فالطاعة على الخوف ابلغ فى حاجة الملك ام الطاعة له على المحبة قال يا امير المؤمنين الطاعة على الخوف تسر العدو وتبالغ عند المعاينه والطاعة على المحبة تضم الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة قال فاى الناس اولاهم بالطاعة قال اولاهم بالمضرة والمنفعة قال ما علامة ذلك قال سرعة الاجابة وبذل النفس قال فمن ينبغى للملك ان يتخذه وزيرا قال اسلمهم قلبا وابعدهم عن الهوى وذكر الامام احمد كورة (٣) من نحو الشام فقال قدرية ويتكلمون به فى مساجدهم ويتعرضون للناس ولكن اهل دمشق واهل حمص خاصة اصحاب سنة وهم اذا راوا الرجل يخالف السنة اخرجوه من بينهم كانت حمص مسكن ثور بن يزيد فلما عرفوه بالقدر اخرجوه من بينهم فسكن بيت المقدس

باب توثيق اهل الشام فى الرواية ووصفهم بصرف الهمة الى العلم والعناية

عن جبير بن نفير قال دخلنا على عبدالله بن عمر نسأله ونسمع منه فقال لنا ان

---

(١) الحرب (٢) الخرق بفتحتين مصدر الاخرق وهو ضد الرفيق وبابه طرب والاسم الخرق بالضم (٣) الكورة بوزن الصورة المدينة والصقع والجمع كور

الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا فاتبعته ناصية (١) من الناس كان الرجل يخرج من بين ابويه فيبايعه فقاتلوا على الدين حتى امن الله الناس وحتى لزموا كلمة الحق فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم تشايع (٢) الناس وتحزبوا فقامت تلك الناصيه فقاتلوا الناس حتى ردوهم الى كلمة الاسلام وحتى قالوا لا اله الا الله وان نبيكم حق فلما اجتمعوا انطلقت تلك الناصية براية محمد صلى الله عليه وسلم ومعهم الشرائع التى جاء بها مهاجرين حتى نزلوا الشام وتركوا الناس اعوانا فمن رأهم فلم يتعلم من هديهم وينتهى اليه وعمى عنه ثم ابتغاه من الاعراب فهو اقلهم علما واشدهم غما وقال الزهرى قالت عائشة رضى الله عنها ياهل العراق اهل الشام خير منكم خرج اليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير فحدثونا بما نعرف وخرج اليكم نفر قليل من اصحابه فحدثتمونا بما نعرف وبما لا نعرف قال الزهرى اذا سمعت بالحديث العراقى فاردد به ثم اردد بها وقال الوليد بن مسلم دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مسلم بن مسلم قال لى ابو الدرداء اعدد من يقرأ عندنا يعنى فى مجلسنا هذا فعددت الفا وستمائة ونيفا (٣) فكانوا يقرأون ويتسابقون عشرة عشرة لكل عشرة منهم مقرى وكان ابو الدرداء قائما يستفتونه فى حروف القرآن يعنى المقرئين فاذا احكم الرجل من العشرة القرأة تحول الى ابى الدرداء وكان ابو الدرداء يبتدى فى كل غداة اذا انفتل من الصلاة فيقرأ جزأ من القرآن واصحابه محدقون به (٤) يسمعون الفاظه فاذا فرغ من قرائته جلس كل رجل منهم فى موضعه واخذ على العشرة الذين اضيفوا اليه وكان ابن عامر مقدما فيهم وكان ابو الدرداء يأتى المسجد ثم يصلى الغداة ويقرى (٥) حتى اذا اراد القيام قال لاصحابه هل من وليمة نشهدها او عقيقة او فطرة (٦) فان قالوا نعم قام اليها وان قالوا لاقال اللهم انى اشهدك انى صائم وان ابا الدرداء هو الذى سن هذه الحلق يقرأ بها وقال ابو عمرو الكلبى كان عند كل عمود من اعمدة جامع دمشق شيخ وعليه الناس يكتبون العلم وقال الاوزاعى كانت الخلفاء بالشام فاذا كانت

(١) الناصية هنا الرؤس الاشراف تشبيها بناصية الانسان التى هى من رأسه فيقال للرؤساء نواص كما يقال للاتباع اذناب على سبيل المجاز (٢) صاروا فرقا (٣) النيف بتشديد الياء الزيادة وكل زاد على عقد فهو نيف مأخوذ من ناف الشئ ينوف اذا طال وارتفع (٤) اى يحيطون به (٥) يقرئ القرآن (٦) الوليمة طعام العرس والعقيقة الشاة التى تذبح عن المولود يوم اسبوعه والفطرة زكاة الفطر

الحادثة سألوا عنها علماء اهل الشام واهل المدينة وكانت احاديث العراق لاتجاوز جدر (١) بيوتهم فمتى كان علماء اهل الشام يحملون عن خوارج اهل العراق وقال سفيان بن عيينة من اراد المناسك (٢) فعليه باهل مكة ومن اراد مواقيت الصلاة فعليه باهل المدينة ومن اراد السير فعليه باهل الشام ومن اراد شيئا لايعرف حقه من باطله فعليه باهل العراق وقال ايضا اذا اردت الحديث الصحيح والاسناد الجيد فعليك باهل المدينة واذا اردت النسك فعليك باهل مكة واذا اردت المغازي فعليك باهل الشام وفي لفظ آخر من اراد الاسناد والحديث الذي يسكن (٣) اليه فعليه باهل المدينة ومن اراد المناسك والعلم بها والمواقيت فعليه باهل مكة ومن اراد المقاسم وامر الغزو فعليه باهل الشام ومن اراد شيئا لايعرف حقه من باطله فعليه باهل العراق وقال ابن بنت الشافعي ان اردت الصلاة يعني احكامها فعليك باهل المدينة وان اردت المناسك فعليك باهل مكة وان اردت الملاحم فعليك باهل الشام والرأي عن اهل الكوفة وقال ابن المبارك مادخلت الشام الا لاستغني عن حديث اهل الكوفة وقال موسى بن هارون اهل البصرة يكتبون لعشر سنين واهل الكوفة لعشرين واهل الشام الثلاثين وقال الزبير نسخت كتب الحديث في العشرين لانها مجتمع العقل واحب ان يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض وقال عطاء الخراساني مارأيت فقيها افقه اذا وجدته من شامي وكان عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يقول من اراد العلم فلينزل بداريا من عنس وخولان قال يزيد بن محمد عنس وخولان قريتان بدمشق فيهما مسجدان فتجمع في واحد عنس وفي واحد خولان فاذا كان هذا في اهل داريا وهي قرية من قرى دمشق فما ظنك باهل البلد الكبير الذي حوى الخلق

باب وصف اهل الشام بالديانة وما ذكر عنهم من الثقة

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر باعت امرأة طستا في سوق الصفر (٤) بدمشق فوجده المشتري ذهبا فقال لها اما اني لم اشتره الا على انه صفر وهو ذهب فهو لك فقالت ماورثناه الا على انه صفر فان كان ذهبا فهو لك قال

(١) جمع الجدار وهو الحائط وجمع الجدر جدران (٢) المناسك جمع منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ثم سميت افعال الحج كلها مناسك (٣) يطمئن (٤) الصفر بالضم الذي يعمل منه الاواني وابو عبيدة يقوله بالكسر ولونه كلون الذهب

فاختصما الى عبد الملك فاحضر رجاء بن حيوة فقال انظر فيما بينهما فعرضه رجاء على الامرأة فابت ان تقبله وعرضه على الرجل فابى ان يقبله فقال يا اميرالمؤمنين اعطها ثمنه واطرحه في بيت مال المسلمين وقال ايضا رأيت سوارا من ذهب وزنه ثلاثون مثقالا معلقا في قنديل من قناديل مسجد دمشق اكثر من شهر لايأتيه احد فيأخذه وقال جعفر بن محمد كنت مع ابى محمد بن على بمكة في ليالى العشر قبل التروية بيوم او يومين وابى قائم يصلى بالحجر وانا جالس ورائه اذ جاءه رجل ابيض الرأس واللحية جليل العظام بعيد مابين المنكبين (١) عريض الصدر عليه ثوبان غليظان في هيئة المحرم (٢) فجلس الى جنبه فعلم ابى انه يريده فخفف الصلاة فسلم ثم اقبل عليه فقال له الرجل يا ابا جعفر اخبرنى عن بدأ خلق هذا البيت كيف كان فقال له ابى ممن انت قال رجل من اهل الشام فقال له ان احاديثنا اذا سقطت (٣) الى الشام جاءتنا صحاحا واذا سقطت الى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص

باب النهى عن سب اهل الشام وما ورد في ذلك عن اعلام الاسلام

قال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن (٤) ولا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا شرارهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل الله على اهل الشام سيبا (٥) من السماء فيغرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب لغلبتهم (٦) فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتى في ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر الفا والمقل يقول هم اثنا عشر الفا امارتهم (٧) امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى

---

(١) الجليل العظيم وبعيد تصح قراءته بالتصغير والتكبير وما موصولة او موصوفة وليست زائدة والمنكبان تثنية منكب وهو مجمع العضد والكتف والمراد بكونه بعيد مابين المنكبين انه عريض اعلى الظهر ويلزمه انه عريض الصدر (٢) بضم الميم وكسر الراء (٣) وقعت واخذت (٤) المعنى ان هذه الفتنة تميز بين الاخيار وبين الاشرار من الناس كما يحصل اى يخلص المعدن الذهب من ترابه (٥) السيب والسائب من المطر ما كان جاريا (٦) اى لما يعتريهم من الوهن والضعف وتفرق الكلمة (٧) علامتهم وامت امر بالموت والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الامر بالاماتة مع حصول الغرض بالعلامة وذلك ان العرب كانت تجعل هذه الكلمة علامة بينهم في الحرب يتعارفون بها في ظلمة الليل

المسلمين الفهم ونعمتهم وقاصيهم وبداريهم الصواب ودانيهم قال الطبراني لم يرو هذا الحديث الا زيد بن ابى الزرقاء وهذا وهم من الطبراني فقد رواه الوليد بن مسلم ايضا عن ابن لهيعة ورواه الحارث بن يزيد المصرى فوقفه على علي ولم يرفعه (١) وقال علي بن ابى طالب لاتسبوا اهل الشام فان فيهم الابدال وسبوا ظلمتهم وقال ايضا ياأهل العراق لاتسبوا اهل الشام فان فيهم الابدال لايموت منهم رجل الا أبدل الله مكانه آخر ثم قال لرجاء بن حيوة يارجاء اذكر لى رجلين صالحين ببيسان فان الله تبارك وتعالى اختص بيسان برجلين من الابدال لاتذكر مناناً ولا لعاناً على الائمة (٢) فانه لايكون منهم الابدال وفى لفظ فانه بلغنى ان الله اختص اهل بيسان برجلين من الابدال لايموت واحد الا جعل الله مكانه واحدا ولا تذكر لى منهما متماوتا (٣) ولا طعانا على الائمة فانه لايكون منهما الابدال وقال ابو عثمان قام رجل فسب اهل الشام فقال على لاتسبوهم جماغفيرا (٤) فان فيهم او منهم الابدال وقال رجل يوم صفين اللهم العن اهل الشام فقال له على لا تسب اهل الشام جما غفيرا فان بها الابدال قالها ثلاثا وفى لفظ فان بها كارهين لما يرون وان فيهم يكون الابدال قال ابو عبيدة وفى حديث ياأهل العراق لا تسبوا اهل الشام جما غفيرا فان فيهم الابدال يعنى جماعتهم كلهم والمغفر البيضة (٥) يقول هم فى جماعتهم واستوائهم اذا اجتمعوا كالبيضة فى اجتماعها واستوائها وقال البيضة هى جما ليس لها حيود والواحد حيد اى ماشرف منها وهى غفير تغفر الراس اى تغطيه قال الراعي

صغيرهمُ وكلهمُ سواء هم الجماء فى اللوم الغفير

وقال العبسي

وان وراء الاثل غزلان ايكة مضمخة آذانها والغفائر

والغفائر ماغطين به رؤوسهن وقال ذو الرمة

❊ سقى دارها مستمطر ذو غفارة ❊

(١) طعن فيه الطبراني وكونه من كلام على رضى الله عنه اقرب الى الصواب (٢) المنان هو الذى لايعطى شيئا الا منة واعتد به على من اعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة والمراد باللعان من يسب الائمة ويدعو عليهم فان الابدال لايكونون من المتصفين بهذين الوصفين (٣) يقال تماوت الرجل اذا اظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم وذلك من علامات الرياء (٤) معناه على وجه العموم (٥) وعبارة النهاية المغفر هو مايلبسه الدراع على راسه من الزرد ونحوه

والغفارة سحابة رقيقة تكون فوق اخرى كثيفة وقالوا هو الغفر وقال ابو هريرة لا تسبوا اهل الشام فانهم جند الله المقدم

باب ما ورد من اقوال المنصفين فيمن قتل من اهل الشام بصفين

عن ابى هريرة مرفوعا (١) اربع ملاحم فى الجنة الجمل فى الجنة وصفين فى الجنة وحرة فى الجنة وكان يكتم الرابعة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال سمع علي يوم الجمل او يوم صفين رجلا يغلو فى القول يقول الكفر فقال لاتقولوا ذلك فانهم زعموا انا بغينا عليهم وزعمنا انهم بغوا علينا فقاتلناهم على ذلك وقال سالم بن عبيد الاشجعى رأيت عليا بعد صفين وهو آخذ بيدى ونحن نمشي فى القتلى فجعل علي يستغفر لهم حتى بلغ قتلى اهل الشام فقلت له ياامير المؤمنين انا فى اصحاب معاوية فقال علي انما الحساب على عليّ ومعاوية وقال نافع القارى قدمت العراق فدخلت دار علي بن ابى طالب التى كان يسكنها فاذا الموالى حلقتان يتحدثون فجلست معهم فخرج علي وهم يذكرون قتلى علي ومعاوية فقالوا قبلتنا واحدة والهنا واحد ونبينا واحد فاين قتلانا وقتلاهم فاقبل علي فلما رآهم قصد اليهم فسكتوا فقال علي عزمت عليكم لتخبروننى فقالوا ذكرنا قتلانا وقتلى معاوية وان قبلتنا واحدة والهنا واحد وديننا واحد فقال علي فانى اخبركم عن ذلك ان الحساب علي وعلى معاوية وعن سعد بن ابراهيم قال خرج علي ذات يوم وهم يذكرون قتلاه ومعه عدى بن حاتم الطائى فاذا رجل من طى قتيل قد قتله اصحاب علي فقال عدى ياويح هذا كان امس مسلما واليوم صار كافرا فقال علي مهلا كان امس مؤمنا واليوم هو مؤمن وسئل عمن قتل من اصحاب معاوية فقال هم مؤمنون وقال

---

(١) لم اجد بعد الفحص الشديد احدا اخرجه غير ابن عساكر واورده الجلال السيوطى فى الجامع الكبير وعزاه لصاحب هذا التاريخ وهو حديث ضعيف والمراد فيه ان اصحاب واقعة الجمل وصفين والحرة فى الجنة وسيأتى تفصيل هذه الثلاثة فى هذا الكتاب مستوفى ان شاء الله تعالى

رجل يوم صفين من دعى الى البغلة (١) يوم كفر اهل الشام فقال على من الكفر فروا وقال عقبة بن علقمة اليشكرى شهدت مع على يوم صفين فاتى بخمسة عشر اسيرا من اصحاب معاوية فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه وسئل عن قتلاه وقتلى معاوية فقال يؤتى بى وبمعاوية يوم القيامة فنجتمع عند ذى العرش فاينا فلج فلج صاحبه (٢) وقال ايضا من كان يريد وجه الله نجا يعنى اصحاب صفين وقال عبدالله بن عروة حدثنى رجل شهد صفين قال رأيت عليا خرج فى بعض تلك الليالى فنظر الى اهل الشام فقال اللهم اغفر لى ولهم قال فاتى عمار فاخبر فقال جروا له الخضير (٣) فاجره لكم وقال عمار بن ياسر لاتقولوا كفر اهل الشام ولكن قولوا ظلموا قولوا فسقوا يريد بذلك وقائع صفين وسمع عمار رجلا يقول كفر اهل الشام فقال لم يكفروا ان حجتنا وحجتهم واحدة وقبلتنا وقبلتهم واحدة ولكنهم قوم مفتونون حادوا عن الحق فحق علينا ان نردهم الى الحق وفى لفظ بغوا علينا فحق لنا قتالهم

باب ذكر ما ورد في ذم اهل الشام

عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجفا والبغى فى الشام وهذا الحديث لا يمكن الاعتماد عليه لضعف اسناده فان فيه ابان ابن ابى عياش البصرى وهو مجمع على ضعفه وفيه الفضل بن المختار وهو صاحب غرائب وعبيد الله بن سعيد بن كثير لا يحتج بحديثه وعن انس انه سمع النبى صلى الله

---

(١) هذه الواقعة ستأتى مفصلة ولكننا نشير الى شرح هذه الكلمة وذلك انه لما كان القتال بصفين وجرح الاشتر وحمى الحرب دعا على رضى الله عنه بفرسه التى كانت لرسول الله ثم دعا ببغلة رسول الله عليه الصلاة والسلام الشهباء ثم تعصب بعمامة الرسول السوداء ثم نادى من يبع نفسه اليوم يربح غدا يوم له مابعده وان عدوكم قد قدح كما قدحتم فانتدب له مابين عشرة الاف الى اثنى عشر الفا فحمل على والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا انهمد حتى افضى الامر الى معاوية وعلى يضرب بسيفه ولا يستقبل احدا الاولى عنه وعلى اثر هذه الواقعة نادى اهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم (٢) المعنى اينا ... وظفر بصاحبه عليه بحجته [٣] فى النهاية حضير قاع يسيل عليه فيض النقيع بالنون و... فتح الخاء وكسر الضاد

عليه وسلم يقول اذا ركب الناس الخيل ولبسوا القباطى(١) ونزلوا الشام واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء عمهم الله بعقوبة من عنده رواه بن عدى وقال هذا الاسناد منكر موضوع على حماد بن سلمة وعبد الوهاب الثقفى كان منكر الحديث يسرق الحديث ويحدث بالبواطيل وقال ابو حاتم الرازى كان عبد الوهاب هذا يضع الحديث فلا يحتج بروايته وقد تقدم باب حث النبى صلى الله عليه وسلم امته على سكنى الشام فكيف يكون نزولهم به مذموما ولعله ان صح كان المراد به قرب الساعة وقال ابو هريرة سينعق (٢) الشيطان بالشام نعقة يكذب ثلثاهم بالقدر وهو حديث موقوف على ابى هريرة وقد روى من وجه آخر مرفوعا وهو ضعيف وقال ابن ابزى بلغ عمر ان اناسا تكلموا فى القدر فقام خطيبا فقال يا ايها الناس انما هلك من كان قبلكم فى القدر والذى نفسى بيده لا اسمع برجلين تكلما فيه الا ضربت اعناقهما قال فامسك الناس عنه حتى نبعت نابعة او نبغة بالشام رواه ابو داود وقال الشيبانى قال لى الاوزاعى يا ابا ذرعة اهلك عبادنا وخيارنا هذا الرأى يعنى القدر (٣) وكان المتكلم فى القدر بالشام غيلان القدرى وتبعه على ذلك اتباع فاخذه هشام بن

---

[١] القباطى جمع قبطية وهو ثوب من ثياب كانت تصنع بمصر رقيقة بيضاء وكأنها منسوبة الى القبط وهم اهل مصر [٢] النعيق صوت الراعى بغنمه فشبه ابليس بالراعى وشبه من يتبعه بالغنم بجامع التقليد الاعمى

(٣) هذه المسألة طويلة الذيل يضيق المقام عن شرحها وسأ اخره الى ان اجعل له مؤلفا مخصوصا وحاصل القول هنا انه ذهب بعض الناس الى ان فى معنى القضاء والقدر مايدل على معنى الاكراه والاجبار وليس الامر كما زعموا بل معنى القدر فى اللغة العربية الترتيب والحد الذى ينتهى اليه الشئ ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى فى شئ بحمده او بذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا والى وقت كذا وليس فيه شئ من معنى الاجبار كما ذهب اليه الجبرية وهذا معنى قول علماء السنة القدر هو اعتقاد انه كلما يوجد فى العالم حتى افعال العبد بقضاء الله وتأثيره واما المراد من ذم القول بالقدر هنا فليس القصد منه هذا المعنى بل القصد منه ان قوما كذبوا بالقدر فقال جمهور المعتزلة ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم فى اقوالهم وافعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ثم اختلفوا فقالت طائفة منهم خلقها فاعلوها دون الله وقالت طائفة هى افعال موجودة لا خالق لها اصلا وقالت طائفة وهم الدهريون ان الطبيعة اوجدتها بلا تكلف والمعتزلة يسمون بالقدرية وهم فرق متعددة واولى ماانذكره هنا من فرقهم الواصلية اصحاب واصل بن عطاء ومن قواعده القول بالقدر وقد تبع بها غيلان الدمشقى ومعبد الجهينى فقال ان البارى تعالى حكيم عادل لايجوز ان يضاف اليه شر وظلم ولا يجوز ان يريد من العباد خلاف مايأمر ويحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله والرب اقدره على ذلك كله وافعال العباد محصورة فى الحركات

عبد الملك فصلبه وكفى اهل الشام امره وقد كانت القدرية بالبصرة اكثر وضررهم على اهل السنة اكبر فانهم صنفوا في نفيه التصانيف والفوا لاهل الاعتزال فيه التأليف فافناهم الله وابادهم ولم يبلغوا مما حاولوا مرادهم وعن عائشة مرفوعا ان الله عز وجل خلق اربعة اشياء واردفها اربعة اشياء خلق الجدب واردفه الزهد واسكنه الحجاز وخلق العفة واردفها الغفلة واسكنها اليمن وخلق الريف واردفه الطاعون واسكنه الشام وخلق الفجور واردفه الدرهم واسكنه العراق وهذا اسناد فيه مجاهيل فلا يحتج به وقال سليمان بن يسار كتب عمر بن الخطاب الى كعب الاحبار ان اختر لي المنازل فكتب اليه كعب يا امير المؤمنين ان الاشياء اجتمعت فقال السخاء اريد اليمن فقال حسن الخلق وانا معك وقال الجفا اريد الحجاز فقال الفقر وانا معك وقال البأس اريد الشام فقال السيف وانا معك وقال العلم اريد العراق فقال العقل وانا معك فلما ورد الكتاب على عمر قال فالعراق اذاً فالعراق اذاً وفي لفظ وقال الغنى اريد مصر فقال الذل وانا معك والاسانيد التي روت هاته الحكاية كلها منقطعة فلا يحتج بشيء من ذلك وقال انس ابن مالك (١) لما حشر الله الخلائق الى بابل بعث اليهم ريحا شرقية وغربية وقبلية وبحرية فجمعتهم الى بابل فاجتمعوا يومئذ ينظرون لما حشروا له اذ نادى مناد من جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره واقتصد الى البيت الحرام بوجهه فله كلام اهل السماء فقام يعرب بن قحطان فقيل له ما يعرب بن قحطان فقال ابن هود فقيل انت هو فكان اول من تكلم بالعربية ولم يزل المنادى ينادى من جعل كذا وكذا فله كذا وكذا حتى افترقوا على اثنين وسبعين لسانا وانقطع الصوت وتبلبلت الالسن فسميت بابل وكان اللسان يومئذ بابليا وهبطت ملائكة الخير والشر وملائكة الايمان والحياء وملائكة الصحة والشفاء وملائكة

---

١) هذا مخرج مخرج التشبيه والتمثيل وهو من اللطائف حيث فيه تصوير المتخيل بصورة الحاصل المحسوس

والسكنات والاعتقادات والنظر والعلم قال ويستحيل ان يخاطب العبد بالفعل وهو لا يمكنه ان يفعل وهو يحس من نفسه الاقتدار والفعل ومن انكره فقد انكر الضرورة وهذه قاعدة غيلان وستأتي ترجمته في حرف الغين من هذا الكتاب مع تزييف مقالاته وقد بينا الصواب في اول كلامنا هنا بعبارة تكفي المطالع وسنورد فيما بعد ما فيه مقنع

الغنى وملائكة الشرف وملائكة المرؤة والجفا والجهل والسيف والبأس حتى انتهوا الى العراق فقال بعضهم لبعض افترقوا فقال ملك الايمان انا اسكن المدينة ومكة فقال ملك الحياء انا معك فاجمعت الامة على ان الايمان والحياء ببلد الرسول وقال ملك الشقاء انا اسكن البادية فقال ملك الصحة وانا معك فاجتمعت الامة على ان الصحة والشقاء في الاعراب وقال ملك الجفا انا اسكن المغرب فقال ملك الجهل انا معك فاجتمعت الامة على ان الجفا والجهل في البربر وقال ملك السيف انا اسكن الشام فقال له ملك البأس انا معك وقال ملك الغنى انا اقيم ههنا فقال له ملك المرؤة انا معك فقال ملك الشرف وانا معكما فاجتمع ملك الغنى والمرؤة والشرف بالعراق وقال حكيم بن جابر اخبرت ان الاسلام قال انا لاحق بارض الشام قال الموت وانا معك وقال الملك وانا لاحق بارض العراق فقال القتل وانا معك قال الجوع وانا لاحق بارض المغرب قالت الصحة وانا معك وانما اراد بذلك كثرة ما كان بها من الطاعون او القتل في الجهاد وكلاهما شهادة والى هذا يشير قول حسان

يغدا علينا بنا جود ومسمعة (١) ان الحجاز رضيع الجوع والبوس

قال الجاحظ اشياء اتفقت ثمانية ازواج ستة عشر صنفا ثم اتفقت ازواجا فصارت ثمانية ازواج قال الدين اسكن الحرمين مكة والمدينة قالت الامانة وانا معك قال الغنى واليسار اسكن مصر قال الذل وانا معك قال السخاء اسكن الشام قالت الشجاعة وانا معك قال العقل اسكن العراق قالت المرؤة وانا معك قال العلم اسكن خراسان قال الورع وانا معك قالت التجارة اسكن الحوز ستان واصبهان قالت النذالة وانا معك قال الجفاء اسكن المغرب قال الجهل وانا معك قال الفقر اسكن اليمن قالت القناعة وانا معك وهذا مدح ليس بذم قال عبد الله بن ابي الهذيل ان عمر رضى الله عنه اتى برجل قد افطر في رمضان فلما رجع اليه عثر فقال على وجهك اوبوجهك وصبياننا صيام فضربه الحد وكان اذا غضب على انسان سيره الى الشام فبسيره الى الشام لم يكن عمر ينفي الى الشام لدنائة حال اهله عنده وانما كان ينفي اليها لكثرة ما كان بها من الطاعون رجاء ان يكفيه الطاعون امر من

---

[١] الناجود كل اناء يجعل فيه الشراب ويقال للخمر ناجود وللراووق ايضا والمسمعة المغنية ورضيع بمعنى مرتضع والبوس الخضوع والفقر

يغضب عليه فينفيه اليها ليكون الطاعون شهادة له ومكفرا عنه مافرط منه وهـذا مأخوذ مما رواه احمد وابو يعلى الموصلى عن ابى عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعا اتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام فالطاعون شهادة لامتى زاد احمد ورحمة لهم ورجس على الكافر وعلى هذا المعنى تحمل جميع الاحاديث التى وردت فى طاعون الشام وقيل لعمرو بن العاص صف لنا اهل الامصار فقال اهل الحجاز احرص الناس على فتنة وابعدهم عنها واهل العراق احرص الناس على العلم وابعدهم عنه واهل الشام اطوع الناس للمخلوق واعصاهم للخالق واهل مصر اكيس (١) الناس فى الصغر واحقهم فى الكبر وروى هذا عن زيد بن جدعان عن عمرو وزيد ضعيف ولم يدرك عمرا وقال معاوية لعبد الله بن الكوا اخبرنى عن اهل البصرة فقال يقاتلون معا ويدبرون شتى فقال له اخبرنى عن اهل الكوفة فقال انظر الناس فى صغيرة واوقعهم فى كبيرة قال فاخبرنى عن اهل المدينة فقال احرص الناس على الفتنة واعجزهم فيها قال اخبرنى عن اهل مصر فقال لقمة آكل قال فاخبرنى عن اهل الجزيرة فقال كناسة بين مدينتين قال فاخبرنى عن اهل الموصل فقال قلادة وليدة فيها من كل خرزة قال فاخبرنى عن اهل الشام فقال جند امير المؤمنين ولا اقول فيهم شيئا قال لتقولن فقال اطوع الناس للمخلوق واعصاهم للخالق ولا يحسبون للسماء ساكنا وفى لفظ واجرأهم على الموت لايدرى مابعده دمشقيهم يشتمل ولا يدرى وحمصيهم يشبع ولا يعى وسئل لسان الحمرة عن اهل الكوفة فقال انظرهم لصغيرة واركبهم لكبيرة قيل فاهل البصرة فقال ابل وردت معا وصدرت اشتاتا فقيل واهل الشام فقال ما اطوعهم للمخلوق واعصاهم للخالق قيل فاهل مصر فقال عبيد لمن غلب قيل فاهل الجزيرة فقال كاسد بين اجمتين (٢) وسئل عن اهل الموصل فقال قلادة خرز جمعت انواعا والمراد مما فى هذه الحكايات ما كان عليه اهل الشام من طاعة ائمتهم وامرائهم واقتدائهم فى الفتن والحروب بارائهم من غير نظر فى عواقب الامور والفتن كما فعلوا فى سالف الزمن من قتالهم على بن ابى طالب وهو الامام المرتضى وفعلهم فى يوم الحرة وحصار بن الزبير ومالا يرتضى وتلك

---

[١] الكيس بفتح الكاف الظرف [٢] تثنية اجمة وهى غابة القصب

امور قد خلت والله يعفو عنها وفتن قد مضت والله يعصم منها وعبد الله بن اكوا لايعتمد على مايرويه فكيف يعتمد على مايقوله من تلقاء نفسه والاحتجاج بها قال لسان الحمرة من الاحتجاجات الباطلة المنكرة. وعن ابي المخيس قال كنت جالسا عند الاحنف فاتاه كتاب من عبد الملك بن مروان يدعوه الى نفسه فقال يدعونى ابن الزرقاء الى طاعة اهل الشام ولوددت ان بيننا وبينهم جبلا من نار من اتانا منهم احترق ومن اتاهم منا احترق وهذا لما كان يجرى بين اهل الشام والعراق من الحروب فاما الآن فقد الف الله بين المسلمين وازال ما كان فى القلوب وقال ابو زياد قال لى كعب الاحبار اترى هذه الاهواء التى هى فيكم اليوم يعنى بالعراق فانها ستنتقل الى الشام وقال الزهرى ينبغى للناس ان يدعوا من حديث اهل المدينة حديثين ومن حديث اهل مكة حديثين ومن حديث اهل العراق حديثين ومن حديث اهل الشام حديثين فاما حديثا اهل المدينة فالسماع والقيان واما حديثا اهل مكة فالصرف والمتعة واما حديثا اهل العراق فالنبيذ والسحور واما حديثا اهل الشام فالطلا والطاعة والمراد بالسحور تأخيره وروى من لفظ آخر وفيه واما اهل المدينة فاتيان النساء فى ادبارهن والسماع واما اهل الشام فبيع العصير واخذ الديوان وهذا ان الامران قد ذهبا امابيع العصير فليس فى الشام عالم اليوم يبيحه وانما يفعل ذلك اهل الفسوق واما الديوان فقد منعهموه السلطان وعن النعمان ابن المنذر الغسانى قال كنت مع مكحول بالصايفة فاتاه فتيان من اهل العراق فجعلوا يسألونه قال فجعل يخبرهم فقالوا له عمن ومن حدثك قال فنشط لهم مكحول فجعل يسند لهم قال فلما تهيأ اقيامه ضحك ثم قال هكذا ينبغى لكم يااهل العراق فلا يصلحكم الا هذا واما اصحابنا هؤلاء اهل الشام فيأخذون كما تيسر ثم قام وقال الاعمش اذا جاءنا الحديث فانكرناه قلنا شامى وقال شعبة لا تكتب عن الشامى كثيرا وقيل لعبد الرحمن بن مهدى اى الحديث اصح قال حديث اهل الحجاز قيل ثم من قال حديث اهل البصرة قيل ثم من قال اهل الكوفة قيل ثم من قال فنفض يده وربما كانت هذه الحكاية موضوعة ولم يقلها ابن مهدى لان الحديث اذا جاء مسندا من رواية ثقات اهل الشام بعضهم عن بعض فهو صحيح تلزم به الحجة كما تلزم باحاديث غيرهم من اهل الامصار وقال الثورى

اذا كنت بالشام فحدث بفضائل علي واذا كنت بالعراق فحدث بفضائل عثمان انتهى وهذا انما كان لما وجد في اهل الشام الانحراف عن آل بيت الرسول واما الآن فقد انمحى هذا كله وامن منه لما وقفوا عليه من فضلهم المنقول وقال ابو يحي السكري دخلت مسجد دمشق فرأيت به حلقا فقلت هذا بلد قد دخله جماعة من الصحابة فملت الى حلقة في صدرها شيخ جالس فجلست اليه فقال له رجل امامه من علي بن ابي طالب فقال خفاق (١) كان بالعراق اجتمعت عليه جماعة فقصد امير المؤمنين ليحاربه فنصره الله عليه قال فاستعظمت ذلك وقت فرأيت في جانب المسجد شيخا يصلي الى سارية حسن السمت والصلاة والهيبة فقلت له ياشيخ انا رجل من اهل العراق جلست الى تلك الحلقة وقصصت عليه القصة فقال في هذا المسجد عجائب بلغني ان بعضهم يطعن على ابي محمد الحجاج بن يوسف فعلي بن ابي طالب من هو ثم جعل يبكي فقمت عنه وقلت لااستحل ان ابيت بهذا البلد وهذه الحكاية وردت عن طرق كلها لاتصح واما مايحكيه العامة من تأخير معاوية صلاة الجمعة الى يوم السبت ورضاء اهل الشام بذلك فانما هو امر مختلق لا اصل له ومعاوية ومن كان معه في عصره في الشام من الصحابة والتابعين اتقى لله واورع واشد محافظة على اداء فريضة واقعة في دين الله من ان يخفى عنهم ان ذلك لايجوز ولم اجد لذلك اصلا في شيء من الروايات وانما يحكى باسناد منقطع ان بعض المغفلين من اهل الشام امتحن بذكر ذلك في العراق في زمن الحجاج فلعل بعض الناس بلغه ذلك فعزاه الى اهل الشام وانتشر عنه واصل الحكاية انه كان للحجاج قاض من اهل الشام بالكوفة يقال له ابو حمير فحضرت الجمعة فمضى لصلاتها فلقيه رجل من اهل العراق فقال له يا ابا حمير الى اين تذهب فقال الى صلاة الجمعة فقال له اما بلغك ان الامير قد اخر الجمعة اليوم فانصرف راجعا الى بيته فلما كان من الغد قال له الحجاج اين كنت يا ابا حمير ولم تحضر معنا الجمعة فقال لقيني بعض اهل العراق فاخبرني ان الامير اخر الجمعة فانصرفت فضحك الحجاج وقال يا ابا حمير اما علمت ان الجمعة لا تؤخر وهذه الحكاية ان صحت تدل على بطلان ما نسب الى معاوية من ذلك لانه لو كان لما نسب اليه اصل لكان ابو حمير يقول للحجاج قد

---

(١) الخفاق الضعيف

دخل معاوية في مثل ذلك ولا على الحجاج ان يقول لابي حمير وهذا كما قال معاوية لاهل الشام . والله يعيذنا من اشاعة الكذب على سلف الامة ويمن علينا بالثبات على الحق فيما نحكيه وهو ولي العصمة وانما يتم من الامر ما هـذا سبيله على من اشتهر منه تغفيله ومثل ما مر مما اشتهر عن المغفلين فنسب لعموم اهل بلده ما حكاه ابو عمرو بن العلاء قال خرج ابو بكر ابن بدر يوم خميس وقد لبس ثيابه يريد الجمعة فمر بميمون بن مهران فقال له اين تريد فقال الجمعة فقال له ميمون قداخروها الى غد فرجع الى اهـله فقـال لهم قال لي ميمون بن مهران انهم قد اخروا الجمعة الى غد فالى مثل هذا ينسب امثال هذه الحكاية واما الى من كلف في عصر معاوية من الصحابة والتابعين فلا يجوز ان يلحق بهم ما لا يليق من اختراعات المخترعين وقد كان معاوية يأمر بحضور الجمعة اهل القرى القاصية من ساكني قين وقردا وذاكيه فكيف يظن به انه اخرها عن حاضرتها من مرتقبي تاديتها ومنتظريها وهذا مما لا يظنـه به الا اهل الغباوة ولا يكلفـه في حق ذلك القرن الا اهل الشقاوة وقد قال يونس بن حليس سمعت معاوية بن ابي سفيان على هذا المنبر منبر دمشق يقول يا اهل قردا وذاكية يا اداني البثنية الجمـعة الجمعة وربما قال يا اهل قين يا اهل الغوطة الجمعة الجمعة لا تدعوها

باب ذكر بعض ما بلغنا من اخبار ملوك الشام قبل الاسلام

قال ابو سعيد الخدري لمـا كان يوم بدر وظهرت الروم على فارس واعجب بذلك المؤمنون وفرحوا بظهور الروم عـلى فارس نزل قوله تعـالى آلم غلبت الروم الى قوله ويومئـذ يفرح المؤمنون رواه ابو يعـلى الموصلي وقال سيـار بن مكرم وكانت له صحبة لما نزل اول سورة الروم اتخذ المؤمنون ذلك اليوم شبـه عيد وكان المشركون يحبون ان لا تغلب الروم فارسا لانهم اهل كتاب وتصديق بالبعث فقالوا لابي بكر نبايعك على ان الروم لاتغلب فارسا فقـال ابو بكر البضع مابين الثـلاث الى التسع ننتظر من ذلك ست سنين لااقل ولا اكثر فلمـا كانت السنة السادسة لم يظهر الروم على فارس فاخذوا الرهان فلما كانت السنة السابعة

ظهرت الروم على فارس فذلك قوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال الدار قطني هذا اثر غريب تفرد به ابو الزناد ولم يروه عنه غير ابنه عبد الرحمن وقال ابن عباس لما نزل آلم غلبت الروم الاية اتى ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد ناجيت قريشا فقال له فهلا احتطت فان البضع مابين الثلاث الى التسع قال الحجبي المناجبة المراهنة وذلك قبل ان يكون تحريم ذلك وفى رواية ان ابا بكر لقى رجالا من المشركين فقال لهم ان اهل الكتاب سيغلبون فارسا قالوا فى كم قال فى بضع سنين قالوا فنحن نناجيك (نراهنك) على ذلك فسم سنينا نناجيك عليها فسمى ابو بكر سبع سنين فعقدوا المناجبة على ذلك وكان ذلك قبل ان يحرم القمار فلما رجع ابو بكر اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال لم فعلت فكل مادون العشرة بضع وكان ظهور فارس على الروم لسبع سنين زمن الحديبية وقيل بعدها ففرح المؤمنون بظهور اهل الكتاب وكان ظهور المؤمنين على المشركين بعد مدة الحديبية وقال ابو سعيد الخدرى التقينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركى العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركى العرب ونصر الله اهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على المشركين وفرحنا بنصر اهل الكتاب على المجوس وفى رواية عن البراء ان ابا بكر لما مضى الست سنين واخذ المشركون منه الذى راهنهم عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت هذا قال مافعلته الا تصديقا لله ورسوله ثم انه اتى المشركين فقال لهم هل لكم فى العود والعود احمد قالوا نعم فبايعوه واعظموا الخطر فلم تمض السنون حتى ظهرت الروم على فارس فاخذ ابو بكر الخطر (المراهنة) واتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا التجيب يعنى المراهنة وقال عياش بن عبد الله لما نزل الهرمزان عظيم الاهواز على حكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاسلم وعفا عنه سأله عن شأن جيوش فارس التى بعث بها كسرى مع شهر براز اومع شهريار وما الذى سبب من كشف فارس عنهم فقال الهرمزان كان كسرى بعث شهر براز وبعث معه جنود فارس فملك الشام ومصر وخرب عامة حصون الروم واقام زمنا فى تلك الارض فجعل كسرى يستبطئه وفى رواية كان عامل كسرى اذا انتهى الى حصن من حصونهم ابتنى حصنا بجنب حصنهم فنزل به هو

وجنده ثم حاصرهم بجنده وعساكره وقاتلهم فكانوا يخلون له الحصن وقت الحصار وينضمون الى من ورائهم من الحصون فكان هذا سبب استبطاء كسرى له فجعل كسرى يكتب اليه انك لواردت ان تفتح مدينة الروم لكنت افتتحتها في هذه المدة ولكنك رضيت بمكانك فاردت طول السلطان وجعل كسرى يكثر من ارسال الكتب اليه وشهر براز يكثر المراجعة والاعتذار اليه فلما طال ذلك على كسرى كتب الى عظيم من عظماء فارس كان مع شهر براز يأمره بقتله وان يقوم هو مقامه في امر الجنود فكتب اليه ذلك العظيم كتابا يقول فيه ان شهر براز مجاهد ناصح وانه انيل الجنود وامثلهم وهو اعلم مني بالحرب فكتب اليه كسرى يؤكد في قتله فجعل يراجعه ويكتب له ليس لك عبد مثل شهر براز وانك لو تعلم ما يكيد به الروم لعذرته فكتب اليه كسرى يأمره بقتله وان يكون هو قائد الجيوش فكتب اليه يراجعه ايضا فغضب كسرى وكتب الى شهر براز يأمره بقتل ذلك العظيم فارسل الى ذلك العظيم من فارس واقراه كتاب كسرى فقال له راجع فيّ فقال له قد علمت ان كسرى لا يراجع وقد علمت محبتي اياك ولكنه قد جاءني مالا استطيع تركه فقال له ذلك الرجل الا تدعني ارجع الى اهلي فآمرهم بامري واعهد اليهم عهدي فقال بلى وذلك الذي املك لك فانطلق الى اهله واخذ صحايف كسرى الثلاث التي كتبها اليه فجعلها في كمه ثم جاء حتى دخل على شهر براز فرفع اليه الصحيفة الثانية فلما قراها نزل عن سريره وقال اجلس عليه فابى ان يفعل ودفع اليه الصحيفة الثالثة فقراها ولما فرغ من قرأتها قال له انت خير مني ثم قال شهر براز اقسم بالله لأسوأن كسرى فاجمع حينئذ المكر به وكاتب هرقل وقال له ان كسرى قد افسد فارسا وجهز بعوثها واستبد بملكه وسأله ان يلقاه بمكان يحكمان فيه الامر ويتعاهدان فيه ثم كشف عنه شهر براز جنود فارس وخلى بينه وبين السير الى كسرى فلما وصل الكتاب الى هرقل دعا رهطا من عظماء الروم وقال لهم حين جلسوا انا اليوم احزم الناس او اعجز الناس وقد اتاني مالا تحسبونه وساعرضه عليكم فاشيروا علي فيه ثم قرأ عليهم كتاب شهر براز فاختلفوا عليه في الرأي فقال بعضهم هذا مكر من كسرى وقال بعضهم اراد هذا العبد ان يلقاك فيفعل بك ما يريده ثم لا يبالي ما لقي فقال هرقل ان الرأي ليس حيث ذهبتم اليه انه لعمري لو كان هذا الكتاب في حق بعض كتاب كسرى لما شتمه هذا الشتم

الذي فيه ولم يكن شهريار ليكتب هذا الكتاب وهو ظاهر على عامة ملكي الا لامر حدث بينه وبين كسرى فوالله لالقينه فكتب اليه هرقل انه قد بلغني كتابك وفهمت ماذكرت فيه واني ملاقيك غدا بمكان كذا وكذا فاخرج باربعة آلاف من اصحابك فاني خارج في مثلهم فاذا بلغت مكان كذا وكذا فضع ممن معك خمسمائة فاني سأضع بمكان كذا وكذا مثلهم وهكذا الى ان نلتقي انا وانت في خمسمائة وبعث هرقل الرسل من عنده الى شهر براز وامرهم ان يقوموا على ذلك فان فعل كما كتب اليه لم يرسلوا اليه جوابا وان لم يفعل عجلوا اليه بكتاب فرأى رأيه ثم ان شهر براز لما وصل رسل هرقل اليه فعل ما امره به وسار هرقل في اربعة آلاف ولم يضع منهم احدا بمكان مما وعد به حتى التقيا بالموعد وعسكره كله معه واتى شهر براز بخمسمائة فلما رآهم ارسل الى هرقل يقول له اغدرت فارسل اليه هرقل اني لم اغدر ولكن خفت الغدر من قبلك وامر هرقل بقبة من ديباج فضربت لهما بين الصفين فنزل هرقل فدخلها ومعه ترجمانه واقبل شهر براز حتى دخل عليه فتكلما فيما بينهما حتى احكما امرهما واستوثق كل واحد منهما بالعهود والمواثيق فلما فرغا من امرهما خرج هرقل واشار الى شهر براز ان يقتل الترجمان لئلا يفشي امرهما وسرهما فقتله ثم انكشف جيش الفرس وسار جيش هرقل الى كسرى حتى اغاروا عليه وعلى من بقي معه فكان ذلك اول هلكة لكسرى ووفى هرقل لشهر براز بما عاهده عليه فاعطاه ماصار الميثاق عليه من ارض فارس ثم ان الفرس هاجت على كسرى فقتلته ولحق شهر براز بفارس ومعه العسكر التي كان قائدها (١) وقال محمد بن مهاجر الانصاري ان فارسا غلبت الروم بالشام وظهرت عليهم الى مادون خليج القسطنطينية وسارت جنود الفرس حتى نزلت بخليجها واخذت تبنيه بالحجارة والكلس حتى تجعله طريقا يبسا فبينما هم على ذلك اذ بلغ كسرى ان ملك الهند وملك الخزر قد خلفاه في بلاده من العراق فانصرف عن القسطنطينية وخلف على ماظهر عليه من مدائن الشام عاملين في جماعة من اساورته (٢) وخيولهم فنزل ذلك العامل حمص وضبط له ماخلفه عليه

---

(١) في سياق هذه القصة عبرة سياسية يعلم منها كيف يكون تلاشي الدول اذا خون الصادق وعومل بالاستبداد وكيف ان الحاكم اذا كان مستبدا تنحل رابطته ويرجع مكره عليه (٢) الاساورة قوم من العجم نزلوا بالبصرة كالاحامرة بالكوفة قاله في القاموس

كسرى الى عراقه واذا بالحرب قد نشبت بين ملك الهند وملك الخزر فكتب اليه كلاهما يسألانه النصرة على كل واحد منهما على ان يرد من والاه على صاحبه جميع ماا ستباحه من بلاده ويزيده كذا وكذا فرأى كسرى واساورته ان يعاون ملك الخزر على ملك الهند لمجاورته له ومقارعته اياه فى كل يوم وحزة (١) ملك الهند عليه وتناوله الفرصة منه اذا امكنته من بعد فوالى كسرى ملك الخزر على ملك الهند فقهراه واستنقذا ماكان اصاب من بلاده واستباح عسكره فخرج مغلوبا مدحورا ورد ملك خزر الى كسرى ما كان اصاب من بلاده من سبى او غير ذلك وزاده هدية ثلاثين الف مملوك وانصرف عنه بجنوده فملك كسرى على الثلاثين الف مملوك الذين خلفهم ملك خزر رجلا من عنده وسيرهم الى ماخلف القسطنطينية واسكنهم تلك البلاد وهى يومئذ خراب قال محمد بن المهاجر فهم اليوم بوجان (٢)

باب تبشير المصطفى عليه الصلاة والسلام امته المنصورة بافتتاح الشام

عن ابى زهير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيتحملون باهاليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم او كانوا يعلمون ويفتح الشام فيأتى قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ويفتح العراق فيأتى قوم يبسون فيتحملون باهاليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وسقط من كلام ابى القاسم القشيرى ذكر الشام ورواه مالك والبيهقى بمعناه (٣) وروى الامام احمد صدره ورواه العسكرى وقال ومما يشكل قوله فى ذكر اهل المدينة ثم يجئ قوم يبسون باهل المدينة ليذهبوا معهم وقد خلطوا فيه ورواه ينشون ذهبوا الى النشى والصواب يبسون بالضم اوبفتح الياء والسين غير معجمة تقول ابسست بالرجل اذا دعوته الى طعام اوغيره واصله من ابسست الناقة اذا دعوتها الى الحلب ويقال بسست وابسست لغتان وانشدنا نفطويه . ولم يك فيها للمبسين محلب . وهو من ابس وفى امثال

(١) الحزازة وجع فى القلب من غيظ (٢) كذا فى النسخة التى بايدينا وصوابه بغدان وهى مملكة رومانيا كما فى قاموس الاعلام (٣) رأيت فى الجامع الكبير رمزا الى انه رواه البخارى ومسلم

العرب لا افعل ذلك ما أبس عبد بناقة وفى مثل آخر الايناس قبل الابساس وقال ابو سعيد المكفوف انما هو يبسون او ينشون يعنى يسحون فى الارض وانشد. وانبش حبات الكثيب (١) الاهيل. وروى من طريق البغوى عن بشر بن سعد انه سمع سفيان بن ابى زهير فى مجلس يقول ان فرسه اعيت عليه بالعقيق وهم فى بعث بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليه يستحمله وفى لفظ (٢) فخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم يبتغى له بعيرا فلم يجد الا عند ابى جهم بن حذيفة العدوى فسامه فقال ابو جهم لاابيعكه يا رسول الله ولكن خذه فاحمل عليه من شئت فاخذه منه ثم خرج حتى اذا ابلغ بير الاهاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك البنيان ان يبلغ هذا المكان ويوشك الشام ان يفتح فيأتيه رجال من اهل هذا البلد ويعجبهم ريفه (٣) ورخاؤه فيسيرون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم يفتح العراق فيأتى قوم يبسون فيتحملون باهليهم ومن اطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ان ابراهيم عليه السلام دعا لاهل مكة وانى اسأل الله ان يبارك لنا فى صاعنا ومدنا وان يبارك لنا فى مدينتنا بما بارك لاهل مكة رواه الامام احمد بن حنبل وقال ابو الرباب سمعت ابا ذر يقول استعيذوا بالله من زمن التباغى وزمن التلاعن قالوا وما ذاك قال لاتقوم الساعة حتى يكون قتال قوم دعوتهم دعوة جاهلية فيقتل بعضهم بعضا ولا تقوم الساعة حتى توقف العربية التى تنتسب الى سبعة آباء بالاسواق لايمنع الرجل ان يبتاعها الا حموشة (٤) ساقيها وكان يقال المحروم من حرم غنيمة كلب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الناس هلاكا قريش واول الناس هلاكا اهل بيتى قال ويقال اشتكى اليه وباء المدينة فقال اللهم انقل وباءها الى مهيعة (٥) اللهم حببها الينا ضعف ماحببت الينا مكة قال ويقال استقبل الشام فقال اما ههنا فيبس الناس اليه بسا ويفتح المشرق فيبس الناس اليه بسا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وبورك لهم فى صاعهم ومدهم وقال من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدا يوم القيامة . وقال ابن زغب الايادى نزل على عبد الله بن

---

(١) الكثيب ما اجتمع من الرمل والاهيل الجارى المنصب وهو افعل تفضيل (٢) هذا اللفظ هو الثابت فى مسند احمد وقبله فزعموا ووقع فيه يبسون بالسين فى جميع رواياته وبير الاهاب بفتح الهمزة موضع قرب المدينة وضبطه ابن الاثير وعياض بكسر الهمزة ويقال فيه يهاب بالياء التحتية (٣) الريف ارض فيها زرع وخصب والجمع ارياف (٤) حموشة ساقيها اى دقة ساقيها (٥) المهيعة بوزن مشرعة الجحفة وهى ميقات اهل الشام

حوالة الازدي فقال لي بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على اقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئا وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال اللهم لاتكلهم الي فاضعف عنهم ولا تكلهم الى انفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم الى الناس فيستأثروا عليهم ثم قال لتفتحن الشام والروم وفارس او الروم وفارس حتى يكون لكم من الابل كذا وكذا ومن البقر كذا وكذا وحتى يعطى احدكم مائة دينار فيتسخطها ثم وضع يده على رأسي او قال على هامتي ثم قال يا ابن حوالة اذا رأيت الخلافة نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلاء والامور العظام والساعة يومئذ اقرب الى الناس من هذه من رأسك ورواه البيهقي بمعناه وقال البراء بن عازب لما كان حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لاتأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء فلما رأها القى ثوبه واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال الله اكبر اعطيت فارس والله انى لا ابصر قصر المدائن الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر ابواب صنعاء من مكاني هذا الساعة رواه احمد بن حنبل وعن ابى امامة مرفوعا ان الله استقبل بي الشام وولى ظهري اليمن وقال لي يامحمد اني جعلت ماوراءك مددا وجعلت ماتجاهك عصمة لك ورزقا ثم قال والذي نفسي بيده لايزال الله يزيد الاسلام واهله وينقص الشرك واهله حتى يسير الراكب من النطفتين (١) لايخشى الا جورا يعني جور السلطان قيل يارسول الله وما النطفتان فقال بحر المشرق والمغرب ثم قال والذي نفسي بيده ليبلغن هذا الدين مابلغ الليل وفي رواية حتى تسير المراتان لاتخشيان الا جورا ثم قال والذي نفسي بيده لاتذهب الايام والليالي حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم وعن عبد الله بن بسر اهديت للنبي

(١) النطفتين بالفاء هما بحر المشرق وبحر المغرب يقال للماء القليل والكثير نطفة وهو بالقليل اخص وقيل اراد ماء الفرات وماء البحر الذي يلي جده وهكذا في كتاب الغريب للهروي والفائق للزمخشري لايخشى جورا اى لايخاف في طريقه احدا يجور عليه والذي جاء في كتاب الازهري لايخشى الا جورا اى لايخاف في طريقه غير الضلال والجور عن الطريق

صلى الله عليه وسلم شاة والطعام يومئذ قليل فقال لاهله اطبخوا هذه الشاة وانظروا الى هذا الدقيق فاخبزوه واطبخوا واثردوا عليه قال وكانت للنبي صلى الله عليه وسلم قصعة يقال لها الغراء يحملها اربعة رجال فلما اصبح وسبح الضحى اتى بتلك القصعة فالتفوا عليها فاذا كثر الناس جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابي ماهذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً ثم قال كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها (٢) يبارك الله فيها ثم قال خذوا فكلوا فوالذي نفس محمد بيده لتفتحن عليكم ارض فارس والروم حتى يكثر الطعام ولا يذكر اسم الله عليه وقال سليمان كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في عصابة من اصحابه فجاءت عصابة فقالوا يارسول الله انا كنا قريبي عهد بالجاهلية وكنا نصيب من الآثام والزنا فائذن لنا بالخصاء فكره مسألتهم حتى عرف ذلك في وجهه ثم جاءت عصابة اخرى فقالوا يارسول الله ان كنا قريبي عهد بجاهلية وكنا نصيب من الآثام فاذن لنا بالجلوس في البيوت نصوم ونقوم حتى يدركنا الموت فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم حتى عرف البشر في وجهه وقال انكم ستجندون اجنادا وستكون لكم ذمة وخراج وارض يفتحها الله لكم منها مايكون على شفير البحر مدائن وقصور فمن ادرك ذلك منكم فاستطاع ان يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائن او قصر من تلك القصور حتى يدركه الموت فليفعل (١) وعن عوف بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الفقر تخافون او العوز او تهمكم الدنيا ان الله عز وجل فاتح لكم ارض فارس والروم ويصب عليكم الدنيا صبا حتى لايزيغكم الا هي رواه الطبراني وقال عمر بن الخطاب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انها ستفتح عليكم الشام وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات هي حرام على رجال امتي الابازر وعلى نساء امتي الانفساء او سقيمة وعن معاذ مرفوعا ستهاجرون

---

(١) ذرا الشيء بالضم اعاليه الواحدة ذروه بكسر الذال وضمها

(٢) انفرد ابن عساكر برواية هذا الحديث ورواه في الجامع الكبير عنه فقط وقال السيوطي في خطبة الجامع الكبير وكلما عزي الى العقيلي وابن عدي والخطيب في التاريخ وابن عساكر او للحكيم الترمذي في نوادر الاصول او للحاكم في تاريخه او لابن الجارود في تاريخه او للديلمي في مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغني بالعز واليها او الى بعضها عن بيان ضعفه . ه . وقد مشينا نحن على هذه القاعدة هنا

الى الشام فتفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمّل او كالحرة يأخذ بمراق الرجل يستشهد به انفسهم ويزكى به اعمالهم اسناد هذا الحديث منقطع وعن ابى ايوب مرفوعا ستفتح عليكم الشام وسيضرب عليكم بعوث يكره الرجل فيها البعث ثم يتخلف عن قومه ثم يتبع القبائل فيقول من اكفه من اكفه الا وذاك الاجير الى آخر قطرة من دمه رواه الطبرانى وعن معاذ بن جبل مرفوعا تنزلون منزلا يقال له الجابية او الجويبية يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل يستشهد الله به انفسكم وذراريكم ويزكى فيه اموالكم وعن سهل بن سعد مرفوعا اتقوا الله ياعباد الله فانكم ان اتقيتم الله اشبعكم من خبز الشام وزيت الشام وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الاية الى قوله على كل شئ قدير المغانم فتوح من لدن خيبر تأخذونها وتغنمون مافيها عجل لكم من ذلك خيبر وكف ايدى الناس قريش عنكم بالصلح يوم الحديبية ولتكون آية للمؤمنين شاهدا على مابعدها ودليلا على انجازها واخرى لم تقدروا عليها على علم وقتها افيئها عليكم فارس والروم قد احاط الله بها قضى الله بها لكم منها الايام والقوادس والراقومية والمداين والحمر بالشام ومصر والضواحى فاجتمعت هذه الصفات فيمن قاتل فارس والروم وسائر الاعاجم ذلك الزمان وقال بن ابى ليلا فى قوله تعالى واثابهم فتحا قريبا هى خيبر قال واخرى لم تقدروا عليها قال فارس والروم رواه البيهقى وقال ابن عباس واخرى لم تقدروا عليها هى مافتحه الله من هذه الفتوح وقال الواقدى هى فارس والروم ويقال مكة وقال مجاهد فى قوله تعالى اولى باس شديدهم فارس والروم وكذلك قال الحسن

باب سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشام وبعوثه الاوائل وهى غزوة دومة الجندل وذات اطلاح وغزوة مؤتة وذات السلاسل

غزوة دومة الجندل (١)

حكى ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى فى كتاب له سماه

(١) قال السهيلى فى الروض الانف قال ابو عبد الله البكرى سميت دومة الجندل بدوما بن اسماعيل وكان قد نزلها ه ٠ وقال ياقوت فى المعجم دومة الجندل بضم اوله وفتحه وقد انكر ابن دريد الفتح وعده من اغلاط المحدثين وقد جاء فى حديث الواقدى دوماء الجندل وعدها ابن السقفية من اعمال المدينة وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة وقال ابو سعيد دومة الجندل فى غائط من الارض خمسة فراسخ ومن قبل مغربه عين تثج فتسقى مابه من النخل والزرع وحصنها يقال له مارد وسميت دومة الجندل لان حصنها مبنى بالجندل وهى بالقرب من جبلى طئ

الصوائف ان غزوة دومة الجندل اول غزوات الشام قال وهى من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ومن الكوفة على عشرة مراحل فى برية مرت ومن دمشق على عشرة مراحل وهى ارض نخل وزرع يسقون على النواضح وحولها عيون قليلة وزرعهم الشعير وهى مدينة عليها سور ولها حصن عادى مشهور فى العرب يدعى ماردا والغزوة الثانية مؤتة والغزوة الثالثة تبوك والغزوة الرابعة غزوة اسامة بن زيد ابل الزيت فى سنة احدى عشرة وهى التى امره عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مريض فغزاها بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ولم اجد احدا من العلماء فرق بين غزوة يبنى وبين غزوة ابل الزيت غير الواقدى وقد ذكر فى كتاب المغازى الذى صنفه حديث الامر بالغارة على يبنى فى جملة قصة انفاذ ابي بكر لجيش اسامة واغارته على ابل الزيت وعندى انهما غزوة واحدة اغار فيها على الموضعين جميعا ومن رواية الواقدى عن ابن عمر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فقال له تجهز فانى باعثك فى سرية من يومك هذا او من غد ان شاء الله قال ابن عمر فسمعت ذلك فقلت لادخلن فلأصلين مع النبي عليه الصلاة والسلام الغداة ولا سمعن وصيته لعبد الرحمن بن عوف قال فقعدت فصليت فاذا ابو بكر وعمر وناس من المهاجرين فيهم عبد الرحمن واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان امره ان يسير من الليل الى دومة الجندل فيدعوهم الى الاسلام فقال عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن ما خلفك عن اصحابك قال ابن عمر وقد مضى اصحابه فى السحر فهم معسكرون بالجرف وكانوا سبعمائة رجل فقال احببت يا رسول الله ان يكون آخر عهدى بك وعليّ ثياب سفرى قال وعلى عبد الرحمن ابن عوف عمامة قد لفها على رأسه فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فاقعده بين يديه فنقض عمامته بيده ثم عممه بعمامة سوداء فارخى بين كتفيه منها ثم قال هكذا فاعتم يا ابن عوف قال وعلى ابن عوف السيف متوشحه ثم قال اغز بسم الله وفى سبيل الله فاقتل من كفر بالله لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا قال ابن عمر ثم بسط يده فقال ايها الناس اتقوا خمسا قبل ان يحل بكم البلاء ما نقص مكيال قوم الا اخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون وما نكث قوم عهدهم الا سلط الله عليهم عدوهم وما منع قوم الزكاة الا امسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما ظهرت

الفاحشة فى قوم الا سلط الله عليهم الطاعون وما حكم قوم بغير آى القرآن الا البسهم الله شيعا واذاق بعضهم بأس بعض قال فخرج عبد الرحمن فسار حتى لحق اصحابه ثم سار حتى قدم دومة الجندل فلما حل بها دعاهم الى الاسلام فمكث بها ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا ابوا اول ما قدم ان يعطوه الا السيف فلما كان اليوم الثالث اسلم الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا وكان رأسهم فكتب عبد الرحمن الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك وبعث رجلا من جهينة يقال له رافع بن مكيث وكتب يخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه قد اراد ان يتزوج فيهم فكتب اليه النبى عليه الصلاة والسلام ان تزوج ابنة الاصبغ تماضر فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها ثم اقبل بها وهى ام سلمة بن عبدالرحمن بن عوف

﴿ سرية ذات اطلاح ﴾

قال الزهرى بعث النبى صلى الله عليه وسلم كعبا بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا حتى انتهوا الى ذات اطلاح من ارض الشام فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فلما رأى ذلك اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قاتلوهم اشد القتال حتى قتلوا فأفلت منهم رجل جريحا فى القتلى فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله فاخبره بذلك فشق على النبى عليه الصلاة والسلام وهم بالبعثة اليهم فبلغهم انهم قد ساروا الى موضع آخر فتركهم وقال ابن اسحاق فى عدد الغزوات والبعوث والسرايا ان غزوة كعب بن عمير الغفارى ذات الطلاح من ارض الشام اصيب فيها هو واصحابه جميعا

﴿ غزوة مؤتة (١) ﴾

روى البيهقى عن محمد بن اسحاق قال حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آتيا من عمرة القضاء فى ذى

(١) مؤتة مهموزة بالواو وهى قرية من ارض البلقاء بالشام واما موتة بلا همز فضرب من الجنون قاله فى الروض الانف

الحجة فاقام بالمدينـة حتى بعث الى مؤتة فى جمادى الاولى من سنة ثمان وامرّ على الناس فى مؤتة زيد بن حارثة ثم قال فان اصيب زيد فجعفر وان اصيب جعفر فعبـد الله بن رواحـة فان اصيب فليرتض المسلمون رجـلا فليجعلوه عليهم فتجهز الناس وتهيؤا للخروج فودع الناس امراء رسول الله صلى الله عليـه وسلم وسلموا عليهم وودعوا عبد الله بن رواحة قال البيهقى فلما ودعوه بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال اما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة اليها (١) ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست ادرى كيف لى بالصدر بعد الورود (٢) فقال المسلمون صحبكم الله وردكم الينـا صالحين ودفع عنكم فقال ابن رواحة

لكننى اسئـال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا (٣)
او طعنـة بيـدى حران مجهزة بحربة تنـفذ الاحشاء والكبدا (٤)

وقال البيهقى حمران بدل حران

حتى يقولوا وقد مروا على جـدثى يا ارشـد الله من غاز وقد رشدا

ثم اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وودعه فقال

وثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا
انى تفرست فيك الخـير نافلة والله يعـلم انى ثابت البصـر (٥)
انت الرسول فمن يحرم نوافـله والوجه منه فقد ازرى به القـدر

---

(١) الصبابة بفتح الصاد رقة الشوق وحرارته ولفظ ابن هشام فى السيرة ولا صبابة بكم (٢) الورود هو الاشراف عليها ومعاينتها فما من احد الا يشرف على النار ويعاينها وحكوا عن العرب وردت الماء فلم اشرب وقال ابن عباس قد يرد الشئ الشئ ولا يدخله والصدر بفتحتين من باب نصر ودخل الرجوع والورد ضد الصدر يقول اذا وردت النار فكيف انى ارجع عنها (٣) اى صاحبة فراغ يعنى تكون شديدة تفرغ الدم بسرعة بحيث يقذف بزبده (٤) الحران العطشان وهو من امثلة المبالغة ومجهزة من اجهز على الجريح اذا اسرع قتله والمعنى او طعنة من يدى عطشان الى القتال تسرع فى قتل الجريح

(٥) فى البيت الاقواء وهو اختلاف حركات الروى لان اواخر القصيـدة مرفوع والبصر مجرور واورده ابن هشام بلفظ

انى تفرست فيك الخـير نافلة فراسة خالفت فيك الذى نظروا

ويمكن ان يكون هذا هو الصحيح

ثم خرج القوم حتى نزلوا معان فبلغهم ان هرقل قد نزل بمآب من ارض البلقاء بمائة الف من الروم ومائة الف من العرب المستعربة فاقاموا بمعان يومين فقالوا نبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بكثرة عدونا فاما ان يمدنا بالرجال واما ان يأمرنا بامره فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال يا قوم ان التى تكرهون للتى خرجتم لها اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ولا قوة وانما نقاتلهم بهذا الدين الذى اكرمنا الله به فربما فعل وان تكن الاخرى فهى الشهادة وليست بشر المنزلتين فقال الناس والله لقد صدق ابن رواحة فانشمر الناس وهم ثلاثة آلاف حتى لقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها شراف ثم انحاز المسلمون الى مؤتة قرية فوق إحسا يقال لها مؤتة وكان سبب هذه الغزوة ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الحارث بن عمير الازدى ثم احد بنى لهب الى ملك بصرى بكتاب فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له اين تريد قال الشام قال لعلك من رسل محمد قال نعم انا رسول رسول الله فامر به فاوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه صبرا ولم يقتل لرسول الله رسول غيره فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر فاشتد عليه وندب الناس فاخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله فاسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف ولم يبين النبي صلى الله عليه وسلم الامر فلما صلى الظهر جلس وجلس اصحابه حوله وجاء النعمان بن مهض اليهودى فوقف على رسول الله مع الناس فقال رسول الله زيد بن حارثة امير الناس الى آخر ما مر سابقا فقال النعمان يا ابا القاسم ان كنت نبيا فسميت من سميت قليلا او كثيرا قتلوا ان الانبياء فى بنى اسرائيل اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان اصيب فلان فلو سموا مائة اصيبوا جميعا ثم جعل اليهودى يقول لزيد بن حارثة اعهد فلا ترجع الى محمد ابدا ان كان نبيا فقال زيد اشهد انه نبي صادق بار فلما اجمعوا المسير وقد عقد لهم النبي صلى الله عليه وسلم اللواء ودفعه الى زيد بن حارثة وكان لواء ابيض مشى الناس الى امراء رسول الله يودعونهم ويدعون لهم وجعل المسلمون يودع بعضهم بعضا وهم ثلاثة آلاف من المهاجرين والانصار وغيرهم وفى بعض طرق هذه القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث هذا البعث فخرجوا

وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون بها رجالا فى الصوامع معتزلين الناس فلا تتعرضوا لهم وستجدون آخرين للشياطين فى رؤوسهم مفاحيص فافلقوا هامهم بالسيوف ولا تقتلن امرأة ولا صغيرا ضرعا ولا كبيرا فانيا ولا تحرقن نخلا ولا تقطعن شجرا ولا تهدموا بناء وروى هـذا الخبر من طرق بها اسنادان مرسلان والمحفوظ ان هذه وصية ابى بكر رضى الله عنـه ثم ساق القصة من طريق الخطيب البغـدادى عن موسى بن عقبة قال فانطلقوا يعنى عبـد الله بن رواحة واصحـابه حتى لقوا ابن ابى سبرة الغسانى بمؤتة وبها جمـوع من نصارى العرب والروم فاغلق سـبرة الحصن دون المسلمين ثلاثة ايام ثم خرجوا فالتقوا على درع احمر (١) فاقتتلوا قتالا شديدا فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ثم اخذه جعفر بن ابى طالب فقتل ثم اخذه عبدا الله بن رواحة فقتل ثم اصطلح المسلمون بعد امراء رسول الله صلى الله عليـه وسلم على خالد بن الوليـد المخزومى فهزم الله العدو واظهر المسلمين وزعموا والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال مر جعفر بن ابى طالب فى الملائكة يطير معهم كما يطـيرون له جناحان (٢) وقتل يومئذ من المسلمين من قريش ثم من بنى هاشم زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ومن بنى مخزوم هبار بن سفيان بن عبـد الاسـد ومن بنى عدىّ بن

---

(١) كذا فى الاصل وهو فى اصل الخطيب ايضا ولم يحضرنى تخريج له الاان يكون المعنى على ذى درع احمر فيكون المعنى انهم اجتمعوا على قائد لهم ذى درع احمر (٢) قال ابو قاسم السهيلى فى الروض الانف ومما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين انهما ليسا كما يسبق الى الوهم على مثلى جناحى الطائر وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور ولكنها عبارة عن صورة ملكية وقوة روحانيـة اعطيها جعفر كما اعطيتها الملائكة وقد قال تعالى لموسى اضمم يدك الى جناحك فعبر عن العضـد بالجناح وليس ثم طيران فكيف بمن اعطى القوة مع الملائكة اليس الاخلق به اذاً ان يوصف بالجنـاح مع كمال الصورة الادمية وتمام الجوارح البشرية وقد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة انها ليس كاجنحة الطير كما يتوهم ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة ولم ير طائر له ثلاثة اجنحة ولا اربعة فكيف بستمائة جناح كما جاء فى وصف جبريل عليه السلام فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها بالفكر ولا ورد فى بيانها خبر حتى يجب علينا الايمان بها ولا يفيدنا اعمال الفكر علما بكيفيتها ٠ هـ ٠ وكان سن جعفر رضى الله عنه لما قتل ثلاثا وثلاثين كما فى زاد المعاد وغيره

كعب مسعود بن الاسود ومن بنى عامر بن لؤى وهب بن سعد بن ابى سرح وقتل من الانصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة وعبد الله بن ربيع ومن بنى زريق عباد بن ماعص وفى هذه الغزوة يقول عبد الله بن رواحة

اذا بلغتنى وحملت رحلى　　مسافة اربع بعد الحساء (١)
فحمدك انعم وخلاك ذم　　ولا ارجع الى اهلى ورائى
وآب المسلمون وغادرونى　　بارض الروم مشتهر الثواء (٢)
هنالك لا ابالى طلع فحل　　ولا نخل اسافلها رواء (٣)

وخرج ابو سفيان الى الشام تاجرا فقدم على قيصر فارسل اليه قيصر ليسئاله عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال له اخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج فيكم اكل مرة يظهر عليكم فقال ما ظهر علينا قط الا وانا غائب ثم قد غزوتهم مرتين فى بيوتهم فبقرنا البطون (٤) وجدعنا الانوف وقطعنا الذكور قال قيصر أتراه كاذبا ام صادقا قال بل هو كاذب قال قيصر لا تقولوا ذلك فان الكذب لا يظهر فيه احد فان كان فيكم نبيا لا تقتلوه فان افعل الناس لذلك اليهود .

وقال عبد الله بن رواحة ايضا فى يوم مؤتة

اقسمت بالله انتزلنه　　يانفس طوعا او لتكرهنه
مالى اراك تكرهين الجنة　　وقبل ذا قد كنت مطمئنه
اذ اجلب الناس وشدوا الرنه (٥)

---

(١) يروى اذا ادنيتنى بدل اذابلغتنى والحساء مكان معروف بارض الشام وانعم جمع نعمة وخلاك ذم معناه اعذرت وسقط عنك الذم (٢) اب رجع وغادرونى تركونى والثواء الاقامة والمعنى ورجع المسلمون وتركونى بارض الروم ثاويا مدفونا بمكان مشهور بانه قبرى وبعد هذا البيت فى سيرة ابن هشام

وردك كل ذى نسب قريب　　الى الرحمن منقطع الاخاء

(٢) طلع النخلة معروف والفحل من النخل الذى كرها الذى تلقح منه وفى رواية عبد الملك بن هشام طلع بعل بدل طلع فحل قال الازهرى هو ماينبت من النخل فى ارض يقرب ماؤها فرسخت عروقها فى الماء واستغنت عن ماء السماء والانهاروغيرها وهذه الرواية هى المناسبة لقوله بعد ولا نخل اسافلها رواء اى حصل لها الرى من الماء الذى تسقى به ورواء بالرفع فى القافية الاقواء وهو اختلاف الجرى بكسر وضم (٤) البقر بفتح الباء وسكون القاف الشق والتوسعة وجدع الانوف قطعها (٥) اجلب الناس تجمعوا والشد القوة والرنة الصوت

وزعموا والله اعلم ان يعلى بن منيه قدم على رسول الله صلى الله عليـه وسلم بخبر اهل مؤتة فقال له ان شئت فاخبرنى وان شئت اخبرك فقال بل اخبرنى يا رسول الله قال فاخبرهم خبرهم كله ووصفه لهم فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره وان امرهم لكما ذكرت فقال رسول الله ان الله تبارك وتعالى رفع لى الارض حتى رأيت معتركهم وروى عن رجل من الاشعريين وكان من الصحابة ان النبى صلى الله عليـه وسلم بعثـه مبعثا ركب فيه البحر حتى خرج الى ايلة وما يليها فلما كان بالمكان الذى هو به من الشام بلغه قدوم زيد بن حارثة وذلك الجيش بالبلقـاء (١) ومن لقيهم من جماعـة الروم ومن معهم من قبائل العرب قال فخرجت حتى اتيتهم قال فلقيناهم وشهدت المعركة فاقتتلنا قتالا شـديدا ولبس زيد درعا له وركب فرسـا وبيده الراية يقاتل ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع وقال من يأخذ هذا وقتل زيد فاخذه جعفر فلبس الدرع وركب الفرس واخـذ الراية فتقدم فقاتل قال ونزل جعفر عن الفرس ونزع الدرع وقال من يأخذ هذا فتقدم عبـد الله بن رواحة فلبس الدرع وركب الفرس واخذ الرايـة فقاتل فقتل ولما انتهت الراية الى عبـدالله بن رواحـة قاتل ثم صنع ما صنع صـاحباه ثم نزل عن الفرس ونزع الدرع ثم قال من يأخذ هذا وجال الناس جولة واخذ الراية رجل من الانصار فقاتل بها اذ مر به خالد بن الوليد فقال له الانصارى ياخالد خذ الراية فقال انت احق بها انت اخذتها وقال الانصـارى انت احق بها فانت اشجع الناس فاخذها خالد وقال الواقدى مضى المسلمون وقدامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتهيؤا الى مقتل الحارث بن عمير فلما فصـل المسلمون من المدينـة سمع العـدو بمسيرهم فجمعوا الجموع وقام فيهم رجل من الازد يقال له شرحبيل فقدم الطلائع امامه وقد نزل المسلمون وادى القرى (٢) واقاموا اياما وبعث اخاه سـدوسا بن عمرو فى خمسين من المشـركين فالتقوا وانكشف اصحابه وقتل سـدوس وخاف شرحبيل بن عمرو فتحصن وبعث اخا له يقال وبر بن عمرو فسار المسلمون حتى

---

(١) البلقاء قال ياقوت هى كورة من اعمال عمان بين الشـام ووادى القرى قبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل سميت باسم بالق من بنى عمان بن لوط وبها مدينة الشراة شراة الشـام ارض معروفة قيل وبها الكهف والرقيم وقيـل سميت ببلقاء بن سويدة من بنى عسل بن لوط

(٢) قال ياقوت هو واد بين المدينة والشام من اعمال المدينة كثير القرى

نزلوا معان من ارض الشام فبلغ الناس ان هرقل قد نزل مآب (١) من ارض البلقاء فى بهراء وبلىّ وبلقين وبكر ولخم وجذام فى مائة الف عليهم رجل من بلى يقال له مالك فلما بلغ ذلك المسلمين اقاموا ليلتين لينظروا امرهم فقالوا نكتب الى رسول الله ثم ساق القصة على نحو ما تقدم وروى الواقدى عن ابى هريرة انه قال شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا مالا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع (٢) والديباج والحرير والذهب فبرق بصرى فقال لى ثابت بن اقرم يا ابا هريرة مالك كأنك ترى جموعا كثيرة قلت نعم قال لم تشهدنا ببدر انا لم ننصر بالكثرة وقال عبد الله بن ابى بكر لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له ما بينه وبين الشام فهو ينظر الى معتركهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت وحبب اليه الدنيا فقال الآن قد استحكم الايمان فى قلوب المؤمنين تحبب الدنيا فمضى قدما (٣) حتى استشهد فصلى عليه رسول الله وقال استغفروا له وقد دخل الجنة وهو يسعى ثم اخذ الراية جعفر بن ابى طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحكم الايمان فى قلوب المؤمنين تمنينى الدنيا ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ثم قال استغفروا لاخيكم فانه شهيد دخل الجنة فهو يطير فى الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة ثم اخذ الراية بعده عبدالله بن رواحة فاستشهد ثم دخل الجنة معترضا فشق ذلك على الانصار قيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما اصابته الجراح نكل (٤) فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنة فسرى عن قدمه وقال الواقدى عن رجل من العرب انه لما قتل عبد الله بن رواحة انهزم المسلمون اسوء هزيمة رايتها قط فى كل وجه ثم انهم تراجعوا فاقبل رجل من الانصار يقال له ثابت بن اقرم فاخذ اللواء وجعل يصيح بالانصار فجعل الناس يثوبون اليه (٥) من كل وجه وهم قليل وهو يقول الىّ ايها الناس فاجتمعوا اليه قال فنظر ثابت الى خالد بن الوليد فقال له خذ اللواء يا ابا سليمان فقال لا آخذه انت احق به انت رجل

(١) مآب بفتح الميم مدينة فى طريق الشام من نواحى البلقاء قاله ياقوت (٢) الكراع اسم يجمع الخيل (٣) القرم السيد (٤) نكل بفتح الكاف جبن والكسر لغة فيه وانكرها الاصمعى (٥) يرجعون

لك سن وقد شهدت بدرا قال ثابت خذه ايها الرجل فوالله ما اخذته الا لك فاخذه خالد فحمله ساعة وجعل المشركون يحملون عليه فيثبت حتى تكركر (١) المشركون وحمل باصحابه ففض جمعا من جمعهم ثم دهمه منهم جمع من بشر كثير فانحاش (٢) بالمسلمين فانكشفوا راجعين وقال الواقدى حدثنى عطاف بن خالد قال لما قتل ابن رواحة مساءبات خالد بن الوليد فلما اصبح غدوا وقد جعل مقدمته ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة وميسرته ميمنة فانكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا قد جاءهم مدد فرعبوا فانكشفوا منهزمين فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم وقال الوليد سمعت انهم ساروا حتى اذا كانوا بناحية معان من ارض الشراة (٣) فاخبروا ان الروم قد نذروا (٤) وجمعوا لهم جموعا كثيرة من الروم وقضاعة وغيرهم من نصارى العرب فاستشار زيد بن حارثة اصحابه فقالوا قد وطئت البلاد واخفت اهلها فانصرف فانه لا يعدل العافية شئ وعبد الله بن رواحة ساكت فسئاله زيد عن راية فقال انا لم نسر الى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم ولكنا خرجنا نريد لقاهم ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة والرأى المسير اليهم فقبل زيد رايه وسار اليهم وحدثنى رجل بنى سلامان عن غير واحد من كبراء قومه ان زيد بن حارثة سار بهم على جبال بين الشراة والبلقاء على ريفها وعمارتها فمر بقرية من قرى الجبال يقال لها اكثب فشد اهلها على ساقة المسلمين فاصابوهم بجراحة وقتلوا رجلا من المسلمين فبلغ ذلك جماعة الجيش فاستأذنوا زيد بن حارثة فى الرجعة اليهم والانتقام منهم فقال زيد لا ارى ذلك لان عدوكم امامكم قد جمعوا لكم ودنوا منكم فاكره ان يفلوا جدكم ونشاطكم بقتال غيرهم ثم لا امن ان يجمعوا لكم فيكونوا من ورائكم فتكونوا بين عسكرين فمضى زيد ومن معه حتى بلغوا عدوهم بين قريات ثلاثة بين موتة وزقوقين فصافوهم هناك وقال السلاميون هم الى زقوقين اقرب قال الوليد واخبرنا رجل من اهل البلقاء ان الذين لقوهم يومئذ من اهل المشارق من النصارى من لخم وجذام وبلقين قال الوليد اما السلامى فانه اخبرنى عن غير واحد ان خالدا لما اخذ الراية قاتلهم قتالا شديدا ثم انحاز الفريقان كل عن كل قافلا من غير هزيمة

---

(١) تكركر المشركون يعنى رجعوا (٢) جمعهم وضمهم (٣) الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول (٤) ابلغوا من ورائهم

يقفل المسلمون على طريقهم التى اتوا منها حتى مروا بتلك القرية والحصن الذين كانوا شدوا على ساقتهم وقتلوا رجلا منهم فحاصروهم فى حصنهم حتى فتحه الله عليهم عنوة فقتل خالد بن الوليد مقاتلتهم فى نقيع الى جانب حصنهم صبرا فبها سمى ذلك النقيع نقيع الدم الى اليوم وهدموا حصنهم هدما لم يعمر بعده الى اليوم وفى حديث طويل رواه ابو يعلى الموصلى وقد تقدم وفيه غير ما سنذكره وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر وأراه الله تعالى محل الواقعة حتى اذا اخذ الراية خالد بن الوليد رفع صلى الله عليه وسلم اصبعه وقال هو سيف من سيوفك فانتصر به ومن يومئذ سمى خالد سيف الله ثم قال انفروا فأمدوا اخوانكم ولا يتخلفن احد فنفر الناس فى حر شديد مشاة وركبانا وقال عوف بن مالك الاشجعى خرجت مع زيد بن حارثة فى غزوة مؤتة فرافقنى مددى من اهل اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزورا فسأله المددى فى طائفة من جلده فاعطاه اياه فاتخذه كهيئة الدرقة ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له اشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب فجعل الرومى يفرى بالمسلمين وقعد له المددى خلف صخرة فمر به الرومى فعرقب فرسه فخر فعلاه وقتله فحاز فرسه وسلاحه فلما فتح الله على المسلمين بعث خالد بن الوليد فاخذ منه السلب (١) قال عوف فأتيته فقلت ياخالد اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل قال بلى ولكنى استكثرته قال عوف قلت لتردنه او لاعرفنكها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يرده عليه فاجتمعنا فقصصت عليه قصة المددى وما فعل خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخالد ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله استكثرته فقال له رد عليه ما اخذت منه فقلت دونك يا خالد الم اقل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذاك فاخبرته فغضب وقال ياخالد لاترد عليه هل انتم تاركوا لى امرائى لكم صفوة امرهم وعليهم كدره اخرجه الامام مسلم (٢) وقال محمد بن اسحاق بكى حسان بن ثابت اهل موتة فقال

(١) ما يأخذه احد القرنين فى الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها وهو فعل بمعنى مفعول اى مسلوب (٢) ورواه احمد وابو داود ورواه ايضا مسلم واحمد مختصرا وفيه هل انتم تاركون لى امرائى انما مثلكم كمثل رجل استرعى ابلا وغنما فرعاها ثم تخير بيعها فاوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره لهم ه ٠ وفيه حجة لمن جعل السلب المستكثر الى الامام وان الدابة من السلب

تأوّبنى ليل بيثرب اعسر ... وهمّ اذا ما نوّم الناس مسهر (١)
لذكرى حبيب هيجت لى عبرةً ... سفوحا واسباب البكاء التذكر (٢)
بلى ان فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تتابعوا ... شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر (٣)
فلا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا واسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... الى الموت ميمون النقيبة ازهر (٤)
اغرّ كضوء البدر من آل هاشم ... أبيّ اذا سيم الظلامة مجسر (٥)
فطاعن حتى مات غير موسد ... بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق اخضر (٦)
وكنا نرى فى جعفر من محمد ... وفاءً وامرا حازما حين يأمر (٧)
وما زال فى الاسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر (٨)
هم جبل الاسلام والناس حولهم ... رضام الى طود يروق ويقهر (٩)
بها ليل منهم جعفر و ابن امه ... علىّ ومنهم احمد المتخير (١٠)
وحمزة والعباس منهم ومنهمُ ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأْواء فى كل مازق ... عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر (١١)

---

(١) تاوبنى تراجعنى ويثرب من اسماء المدينة والاعسر من جعله بمعنى عسر بالفتح قال عسير ومن قال عسر يعسر بكسرتين قال فى الاسم عسروا عسر مثل حمق واحمق ونوّم للتكثير اى اكثر الناس من النوم ومسهر بكسر الهاء اسم فاعل (٢) ضمير هيجت للذكرى وعبرة مفعوله وهى بفتح العين تحلب الدمع (٣) فى سيرة ابن هشام • رأيت خيار المؤمنين تواردوا • وشعوبا فرقا والخلف المتأخر وتخطر تهتز وتتبختر (٤) ميمون النقيبة مبارك النفس والازهر النير والابيض المشرق الوجه (٥) الاغر الشريف والابى المتنع وسيم الظلامة اوليها واريد عليها والظلامة ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما اخذه منك (٦) الحديقة الروضة ذات الشجر وقيل هى كل بستان عليه حائط (٧) الحزم ضبط الرجل امره واخذه بالثقة (٨) الدعامة بالكسر عماد البيت (٩) الرضام دون الهضاب وقيل صخور بعضها على بعض والطود الجبل العظيم (١٠) البهاليل جمع بهلول وهو المضيئ الوجه مع طول وقوله منهم احمد المتخير قد عابه بعض الناس لانه اضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم (١١) اللاواء الشدة والمازق المضيق من مضايق الحرب والخصومة والعماس المظلم

هم اولياء الله انزل حكمه　　عليهم وفيهم والكتاب المطهر (١)

وقال كعب بن مالك يبكي جعفرا واصحابه يوم مؤتة

نام العيون ودمع عينك يهمل　　سحا كما وكف الطباب المخضل (٢)
في ليلة وردت علىّ همومها　　طورا أحنّ وتارة اتململ (٣)
واعتادني حزن فبت كأنني　　ببنات نعش والسماك موكل
وكانما بين الجوانح والحشا　　مما تأوّبني شهاب مدخل (٤)
وجدا على النفر الذين تتابعوا　　يوما بمؤتة اسندوا لم ينقلوا (٥)
صلى الاله عليهم من فتية　　وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للاله نفوسهم　　حذر الردى وحفيظة ان ينكلوا (٦)
فمضوا امام المؤمنين كانهم　　فنق عليهن الحديد المرفل (٧)
اذ يهتدون بجعفر ولوائه　　قدام اولهم فنعم الاول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر　　حيث التقى وعث الصفوف مجدل (٨)
فتغير القمر المنير لفقده　　والشمس قد كسفت وكادت تأفل (٩)

---

(١) والكتاب بالواو في الاصل وفي سيرة ابن هشام وفيهم ذا الكتاب المطهر اى صاحب الكتاب والمطهر خبر لمبتدأ محذوف وهذه الرواية اولى (٢) تهمل يفيض وسح الدمع سال من فوق والوكف التقاطر والطباب جمع طبابة وهو سير بين خرزتين في المزادة فاذا كان غير محكم وكف منه الماء والطباب شقة مستطيلة قاله في الروض الانف والمخضل الرطب والمراد هنا المبتل (٣) يروى اخن بالخاء والمعجمة واصل الخنين خروج الصوت من الانف كالحنين من الفم ثم اطلق على نوع من البكاء فيه خنين ويروى احن بالحاء المهملة وهو ما ليس معه دمع ولا بكاء والتململ عدم الاستقرار من الوجع (٤) تاوبني تراجعني والمعنى كانما بين جوانحي والحشا شهاب من نار مدخل لكثرة ما يراجعني من الحزن (٥) النفر بفتحتين عدة رجال من ثلاثة الى عشرة والوجد الحزن والمعنى حزنا على النفر الذين تتابعوا في الشهادة يوم مؤتة فدفنوا في مكانهم ولم ينقلوا عنه واصل السند ما ارتفع من الارض وقيل ما قابلك من الجبل وعلا (٦) والحفيظة الغضب والنكل الجبن اى وغضبا من ان يجبنوا (٧) الفنق جمع فنيق وهو الفحل المكرم من الابل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم والمعنى هنا على التشبيه والمراد من الحديد المرفل الدروع السابغات (٨) الفرجة الانفراج والوعث هو الانفراج ما بين الصفوف ومنه الحديث مثل الرزق كمثل حائط له باب فما حول الباب سهولة وما حول الحائط وعث ووعر ومجدل مرمى ملقى على الارض قتيلا (٩) تافل تغيب والمراد منه تعظيم الحزن والمصاب واذا فهم مغزى الشاعر في كلامه فالمبالغ في الشيء ليس بكذب وانما الكذب ان يقولوا فعلنا ولم يفعلوا وقتلنا ولم يقتلوا

قرم علا بنيانه من هاشم فرعا أشم وسؤددا ما ينقل (١)
فضلوا المعاشر عزة وتكرما وتعمدت احلامهم من يجهل (٢)
لا يطلقون الى السفاه حباهم ويرى خطيبهم بحق يفضل (٣)
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تندى اذا اعتذر الزمان الممحل (٤)
وبهديهم رضى الاله لخلقه وبجدهم نصر النبي المرسل

غزوة ذات السلاسل

واما غزوة ذات السلاسل (٥) فهي بعد غزوة مؤتة فيما ذكر اهل المغازي سوى ابن اسحاق فانه ذكرانها قبل غزوة مؤتة قال اهل السير بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بلى وقضاعة قد تجمعوا يريدون ان يدنوا الى اطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عمراً بن العاص فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في سراة (٦) المهاجرين والانصار في ثلاثمائة فمن المهاجرين عامر بن ربيعة وصهيب بن سنان وابو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسعد بن ابي وقاص ومن الانصار اسيد بن حضير وعبادة بن بشر وسلمة بن سلامة وسعد بن عبادة وامره ان يستعين بمن مر به من العرب وهي بلاد بلى وعذرة وبلقين (٧) وذلك ان عمراً بن العاص كان ذا

(١) القرم الرجل السيد هنا واصله الفحل من الابل ثم اطلق على الماجد الشريف والبطل الشجاع والشمم ارتفاع قصبة الانف واستواء اعلاها واشراف الارنبة قليلا ثم جعل كناية عن الرفعة والعلو وشرف الانفس والسؤدد السيادة والمعنى انه ماجد كريم فرع من بني هاشم سيادته لم تنتقل عنه لأن شرف النفس لا يزول (٢) المعنى ان احلامهم اى عقولهم تسع الجاهل (٣) السفه في الاصل الخفة والطيش وسفه فلان رأيه اذا كان مضطربا لا استقامة له والسفيه الجاهل والحبى بضم الحاء وكسرها جمع حبوة بالكسر واصل الاحتباء ان يضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما والمعنى هنا انهم لايحلون ازرهم لعمل السفه بمعنى انهم عفيفون لايهمون بشئ من الفواحش وان خطيبهم يفضل خطيب غيرهم بالحق (٤) تندى تجود بالعطاء (٥) هي وراء وادي القرى بضم السين الاولى وفتحها لغتان وبينها وبين المدينة عشرة ايام وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان (٦) سراة خيار (٧) اصله ابني القين فحذفوا الهمزة والياء ووصلوا النباء بالكلمة كما قالوا بلحادث وبلعنبر لابني الحارث وابني العنبر

رحم بهم وكانت ام العاص بن وائل بلوية فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتالفهم بعمرو فسار وكان يكمن النهار ويسير الليل وكان معه ثلاثون فرسا فلما دنا من القوم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فتمهل قريبا منهم عشاء وهم شاتون فجمع اصحابه الحطب يريدون ان يصطلوا وهى ارض باردة فنعهم فشق ذلك عليهم حتى كلمه فى ذلك بعض المهاجرين فغالظه فقال عمرو قد امرت ان تسمع لى وتطيع قال نعم قال فافعل وبعث رافع بن مكيث الجهنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ان لهم جمعا كثيرا ويستمده بالرجال فبعث ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه من سراة المهاجرين ابا بكر وعمر والانصار وامره ان يلحق عمرا بن العاص فخرج ابو عبيدة فى مائتين وامره ان يكونا جميعا ولا يختلفا فساروا حتى لحقوا بعمرو بن العاص فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس ويتقدم عمرا فقال عمرو انما قدمت علىّ مددا لى وليس لك ان تؤمنى وانا الامير وانما ارسلك النبى صلى الله عليه وسلم الىّ مددا فقال المهاجرون كلا بل انت امير اصحابك وهو امير اصحابه فقال عمرو لا بل انتم مدد لنا فلما رأى ابو عبيدة الاختلاف وكان حسن الخلق لين الشيمة فقال انظرن يا عمرو تعلمن ان آخر ما عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وانك والله ان عصيتنى لاطيعنك فاطاع ابو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس فآب (١) الى عمرو وجمع فكانوا خمسمائة فسار الليل والنهار حتى وطئوا بلاد بلى ودوخها (٢) وكلما انتهى الى موضع بلغه انه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى الى اقصى بلاد بلى (٣) وعذرة وبلقين واتى فى آخر ذلك جمعا ليس بالكثير فتقاتلوا ساعة وتراموا بالنبل ورمى يومئذ عامر بن ربيعة بسهم فاصيبت زراعه وحمل المسلمون عليهم فهربوا واعجزوا هربا فى البلاد وتفرقوا ودوخ عمرا هناك واقام اياما لا يسمع لهم بجمع ولا بمكان صاروا فيه وكان يبعث اصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم وكانوا ينحرون ويذبحون فلم يكن فى ذلك اكثر من ذلك ولم يكن غنائم تقسم الاما لا ذكر له واورد البيهقى القصة مختصرة وفى آخرها اخبرنا يونس عن ابى معشر

(١) رجع (٢) قهرها واستولى عليها (٣) قبيلة من قضاعة

عن بعض مشيختهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لأؤمر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه لانه ايقظ عينا وابصر بالحرب وروبت القصة عن ابن شهاب الزهرى قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثين الى كلب وغسان وكفار العرب الذين كانوا بمشارف الشام وامر على احد البعثين ابا عبيدة ابن الجراح وامر على البعث الآخر عمرا بن العاص فانتدب فى بعث ابى عبيدة ابو بكر وعمر فلما كان عند خروج البعث اوصاه بقوله لا تتغاضبا فلما فصلا من المدينة خلا ابو عبيدة بعمرو فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى واليك على ان لاتتغاضبا فاما ان تطيعنى واما ان اطيعك فقال لابل اطعنى فاطاعه ابو عبيدة وكان عمرو اميرا على البعثين كلاهما فوجد عمر من ذلك وقال اتطيع ابن النابغة وتؤمره على نفسك وعلى ابى بكر وعلينا ما هذا الرأى فقال ابو عبيدة لعمر يا ابن ام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى واليه ان لاتتغاضبا فخشيت ان لم اطعه ان اعصى رسول الله ويدخل بينى وبينه الناس وانى والله لا اطيعنه حتى اقفل (١) فلما قفلوا كلم عمر بن خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه ذلك فقال لن أؤمر عليكم بعدها الا منكم يريد المهاجرين فكانت تلك غزوة ذات السلاسل واسر فيها ناس كثير من العرب وروى البيهقى القصة ايضا بنحو اللفظ الاول عن موسى بن عقبة بلا زيادة غير ان بها غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من مشارف الشام فى بلى وسعد الله ومن يليهم من قضاعة وفى رواية لاحمد فى مسنده عن داود بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ابا عبيدة على المهاجرين وعمر ابن العاص على الاعراب فقال لهما تطاوعا فكانوا يأمرون ان يغيروا على بكر فانطلق عمرو فاغار على قضاعة لان بكرا اخوا له فانطلق المغيرة بن شعبة الى ابى عبيدة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا وان ابن فلان قد ارتبع امر القوم وليس لك معه امر فقال ان رسول الله امرنا ان نتطاوع فانا اطيع رسول الله وان عصاه عمرو والصواب انه اغار على بلى لا على قضاعة وروى من طريق البيهقى عن ابى عثمان النهدى قال سمعت عمرا بن

(١) ارجع

العاص يقول بعثنى رسول الله على جيش ذات السلاسل وفى القوم ابو بكر وعمر فحدثت نفسى انه لم يكن يبعثنى على ابى بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده قال فاتيته حتى قعدت بين يديه وقلت يا رسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قلت انى لست اسئالك عن اهلك قال فابوها قلت ثم من قال ثم عمر قلت ثم من حتى عد رهطا قال قلت فى نفسى لا اعود اسئال عن هذا وعن قيس بن حازم لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرا بن العاص فى ذات السلاسل سأله اصحابه ان يأذن لهم ان يوقدوا نارا ليلا فنعهم فكلموا ابا بكر فكلمه فى ذلك فاتاه فقال قد ارسلوك الى لا يوقد احد منهم نارا الا القيته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فارادوا ان يتبعوهم فنعهم فلما انصرف ذلك الجيش ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وشكوه اليه فقال يا رسول الله انى كرهت ان آذن لهم ان يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم فاحمد رسول الله امره فقال يا رسول الله من احب اليك قال لمَ قال لاحب من تحب قال عائشة قال من الرجال قال ابو بكر

باب غزاة النبي صلى الله عليه وسلم تبوك بنفسه وذكر مكاتباته ومراسلاته منها الى الملوك

قال ابن عباس جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الطائف بستة اشهر ثم امره الله بغزوة تبوك وهى التى ذكر الله فى ساعة العسرة وذلك فى حر شديد وقد كثر النفاق وكثر اصحاب الصفة والصفة بيت كان لاهل الفاقة يجتمعون فيه فتأتيهم صدقة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين واذا حضر غزو عمد المسلمون اليهم فاحتمل الرجل الرجل اوماشاء الله بشبعه فجهزوهم وغزوا معهم واحتسبوا عليهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنفقة فى سبيل الله والحسبة فانفقوا احتسابا وانفق رجال غير محتسبين وحمل رجال من فقراء المسلمين وبقى اناس وافضل ما تصدق به يومئذ احد عبدالرحمن بن عوف تصدق بمأتى اوقية وتصدق عمر بن الخطاب بمائة اوقية وتصدق عاصم الانصارى بتسعين وسقا من تمر وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله انى لا ارى عبد الرحمن

الا قد احتوب (١) فاترك لاهله شيئا فسئاله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لاهلك شيئا قال نعم اكثر مما انفقت واطيب قال كم قال ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير وجاء رجل من الانصار يقال له ابوعقيل بصاع من تمر فتصدق به وعمد المنافقون حين رأوا الصدقات يتغامزون فاذا كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا مرائى واذا تصدق رجل بيسير تمر من طاقته قالوا هذا احوج الى ما جاء به فلما جاء ابو عقيل بصاع من تمر قال بت ليلتى اجر بالحزير على صاعين والله ما كان عندى من شئ غيره وهو يعتذر وهو يستحى فاتيت باحدهما وتركت الآخر لاهلى فقال المنافقون هذا افقر الى صاعه من غيره وهم فى ذلك ينتظرون ان يصيبوا من الصدقات غنيهم وفقيرهم فلما ازف (٢) خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا الاستيذ ان وشكوا الحر وخافو زعموا الفتنة ان غزوا ويحلفون بالله على الكذب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لهم لا يدرى ما فى انفسهم وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون به الفاسق ابا عامر وهو عند هرقل قد لحق به وكنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن علاثة العامرى وسورة براءة تنزل فى ذلك ارسالا ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعد فلما انزل الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا اشتكى الضعيف الناصح لله ولرسوله والمريض والفقير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا الامر لا رخصة فيه وفى المنافقين ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك وتخلف رجال غير مستيقنين ولا ذوى علة ونزلت هذه السورة بالبيان والتفضيل فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبر بنبأ من اتبعه حتى بلغ تبوك فبعث منها علقمة بن محيرز المدلجى الى فلسطين وبعث خالدا بن الوليد الى دومة الجندل فقال اسرع اعلك ان تجده خارجا يتقنص فتأخذه فوجده فأخذه وارجف المنافقون فى المدينة بكل خبر سوء فاذا بلغهم ان المسلمين اصابهم جهد وبلاء تباشروا به وفرحوا وقالوا قد كنا نعلم ذلك ونحذر منه واذا اخبروا بسلامة منهم وخير حزنوا وعرف ذلك منهم فيهم كل عدو لهم بالمدينه فلم يبق احدمن المنافقين اعرابى ولا غيره الا استخفى بعمل خبيث ومنزلة خبيثة واستعلن ولم

(١) ارتكب الاثم (٢) ازف دنا

يبق ذو علة الا وهو ينظر الفرج فيما ينزل الله فى كتابه ولم تزل سورة براءة تنزل حتى ظن الناس بالمؤمنين الظنون واشفقوا ان لا ينفلت منهم كبير ولا صغير اذنب فى شأن التوبة قط ذنبا الا انزل فيه امر بلاء حتى انقضت وقد وقع بكل عامل تبيان منزلته من الهدى والضلالة وقال الزهرى ان قائد كعب بن مالك الذى كان يقوده حين عمى قال له حدثنى كعب بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد المسير فى الغزاة اذن بالمسلمين بالجهاد وكتمهم اين يجاهدون مكيدة للعدو وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن بالجهاد الا وعندى بعير فاقوى به على الخروج معه حتى كانت تبوك فكانت فى حر شديد وحين اقبلت الثمرة فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد الى تبوك وبينها للمسلمين ووافق ذلك عندى بعيرين فرأيت انى قوى على الخروج فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وغدوت انا لا تجهز فوالله لكانما اجيئ لاربط فارجع وما قطفت ثمرة وعندى بعيران وانا ارى انى قوى على الخروج اذا اردت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ثم ذهبت انظر فاذا انا لا ارى رجلا تخلف الا رجلا مغموصا عليه فى دينه غير انى قد رأيت رجلين من الانصار صحيحين كدت اسكن اليهما هلال بن امية الواقفى ومرارة العمرى حتى اذا ايست من الخروج قلت اعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجع قال ابن اسحق ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخميس واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصارى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ومعه زيادة على الثلاثين الفا من الناس وضرب عبد الله بن ابيّ عدو الله على ذى حدة عسكره اسفل منه نحو ذباب وما كان فيما يزعمون باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن ابى فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب على اهله وامره بالاقامة فيهم فارجف به المنافقون فقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فلما قال ذلك المنافقون اخذ على بن ابى طالب سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال رسول الله زعم المنافقون انما خلفتنى انك استثقلتنى وتخففت منى فقال رسول الله كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى اهلى واهلك افلا ترضى يا على

ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع على الى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واخرج الامام احمد في مسنده عن كعب بن مالك انه قال لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك الابدرا ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم احدا تخلف عن بدر انما خرج يريد العير (١) فخرجت قريش مغوثين (٢) لعيرهم فالتقوا عن غير موعد كما قال الله عز وجل ولعمري ان اشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر وكنت احب اني كنت شهدتها فكانت بيعتي ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام ولم اتخلف بعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاها فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالرحيل واراد ان يتأهبوا اهبة عدوهم وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار فكان قلما اراد غزوة يغزوها الا ورّى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة (٣) فاراد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ان يتأهب الناس اهبته وانا ايسر ما كنت قد جمعت راحلتين وانا اقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ (٤) وانا في ذلك اصغوا الى الظلال وطيب الثمار فلم ازل كذلك حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم غازيا بالغداة وذلك يوم الخميس وكان يحب ان يخرج يوم الخميس قال الزهري ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم وكفار العرب بالشام حتى اذا بلغ تبوك اقام بها بضعة عشرة ليلة ولقيه بها وفد ازرح ووفد ايلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ثم قفل من تبوك ولم يجاوزها وفي رواية للبيهقي عن محمد بن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام ما بين ذي الحجة الى رجب ثم امر بالنهي عن غزو الروم واخرج القصة البيهقي من طريق ابن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم انه قال ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج

---

(١) العير بالكسر الابل التي تحمل الميرة (٢) معينين (٣) خدعة يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضمها مع فتح الدال فالاول معناه ان الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة من الخداع اي ان المقاتل اذا خدع مرة واحدة لم يكن لها اقالة وهو افصح الروايات واصحها ومعنى الثاني هو الاسم من الخداع ومعنى الثالث ان الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة للذي يكثر اللعب والضحك قاله في النهاية (٤) خفة الظهر من العيال

فى وجه من مغازيه الا اظهر انه يريد غيره غير انه فى غزوة تبوك قال ياايها الناس انى اريد الروم فأعلمهم وذلك فى زمان من البأس وشدة الحر وجدب من البلاد وحين كانت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى جهازه ذلك قال للجد بن قيس ياجد هل لك فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله ائذن لى ولا تفتنى لقد علم قومى انه ليس من احد اشد عجبا بالنساء منى وانى اخاف ان رأيت نساء بنى الاصفر ان يفتننى فأذن لى يا رسول الله فاعرض عنه وقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا يقول ما وقع فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبته بنفسه عن نفسه مما يخاف من فتنة نساء بنى الاصفر وان جهنم لمحيطة بالكافرين يقول لمن ورائه وقال رجل من جملة المنافقين لا تنفروا فى الحر فانزل الله تعالى قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره وامر الناس بالجهاد وحض اهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فحمل رجال من اهل الغنى واحسنوا وانفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق احد اعظم منها وحمل على مأتى بعير واخبر طائفة من الثقات انه كانت طائفة من الانباط يقدمون المدينة بالدرمك (١) والزيت فى الجاهلية وبعد ان دخل الاسلام فانما كانت اخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الانباط فقدمت منهم قادمة فذكروا ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وان هرقل قد رزق اصحابه لسنة واجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة وزحفوا وقدموا مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص ولم يكن ذلك انما ذلك شئ قيل لهم فقالوه ولم يكن عدو اخوف المسلمين منهم وذلك لما عاينوا منهم اذ كانوا يقدمون عليهم تجارا من العدد والعدة والكراع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغزو غزوة الاورى بغيرها كى لا تذهب الاخبار بانه يريد كذا وكذا حتى كانت غزوة تبوك فغزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا واستقبل غزوا وعددا كثيرا فجلى

---

[١] الدرمك هو الدقيق الحوارى بضم الحاء وتشديد الواو اى المبيض

للناس امرهم ليتاهبوا لذلك اهبة عدوهم واخبرهم بالوجه الذي يريده وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبائل والى مكة يستنفرهم الى عدوهم فبعث بريدة بن الحصيب الى اسلم وامره ان يبلغ الفرع وبعث ابارهم الغفاري الى قومه وامره ان يطلبهم ببلادهم وخرج ابو واقد الليثي في قومه وخرج ابو جعد الضمري في قومه بالساحل وبعث رافع بن مكيث وجندب بن مكيث الى جهينة وبعث نعيم بن مسعود الى اشجع وبعث في بني كعب بن عمرو عدة وهم بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبشر بن سفيان وبعث في سليم عدة منهم العباس بن مرداس وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه وامرهم بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة وكان اول من حمل ابو بكر الصديق ماله كله اربعة آلاف درهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك شيئا فقال الله ورسوله اعلم ثم جاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك شيئا قال نعم نصف ما جئت به وبلغ عمر ما جاء به ابو بكر الصديق فقال ما استبقنا الى خير قط الا سبقني اليه وحمل العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحمل عبد الرحمن بن عوف اليه مأتي اوقية وحمل سعد بن عبادة اليه مالا وكذلك محمد بن مسلمة وتصدق عاصم بن عدي بتسعين وسقا تمرا وجهز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش وكان من اكثرهم نفقة حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤنتهم حتى ان كان ليقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شق اسقيتهم فيقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا ورغب اهل الغنى في الخير والمعروف واحتسبوا في ذلك الخير وقوى ناس دون هؤلاء من هو اضعف منهم حتى ان الرجل ليأتي بالبعير الى الرجل والرجلين فيقول هذا البعير بينكما يعتقبانه ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج حتى ان كن النساء ليعن بكل ما قدرن عليه لقد قالت ام سنان الاسلمية لقد رأيت ثوبا مبسوطا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة فيه مسك (١) ومعاضد وخلاخل واقرطة وخواتيم وقدمات مما بعث به النساء يعينون به المسلمين

[١] المسك من الطيب فارسي معرب ويقال له المشموم

فى جهازهم والناس فى عسرة شديدة وحين طابت الثمار وأحبت الظلال فالناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالانكماش والجد وضرب رسول الله عسكره بثنية الوداع والناس كثير لا يجمعهم كتاب قل رجل يريد ان يتغيب الاظن ان ذلك سيخفى له مالم ينزل فيه وحى من الله فلما استمر برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره واجمع السير استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ويقال محمد بن مسلمة ولم يتخلف عنه فى غزوة غيرها ويقال ابن ام مكتوم واثبتهم عندنا محمد بن مسلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من النعال فان الرجل لايزال راكبا مادام منتعلا فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف ابن ابى عنه فيمن تخلف من المنافقين وقال يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا قبل له به يحسب محمد ان قتال بنى الاصفر اللعب ونافق ممن هومعه على مثل رأيه ثم قال ابن ابى والله لكأنى انظر الى اصحابه غدا مقرنين فى الحبال ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية الوداع الى تبوك وعقد الالوية والرايات رفع لوائه الاعظم الى ابى بكر ورايته العظمى الى الزبير ورفع راية الاوس الى اسيد بن الحضير ولواء الخزرج الى ابى دجانة ويقال الى الحباب ابن المنذر بن الجموح ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فصبح ذا خشب فنزل تحت الدومة فراح منها ممسيا حيث ابرد وكان فى حر شديد وكان الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين الفا ومن الخيل عشرة آلاف فرس وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بطن من الانصار ان يتخذوا ورائه والقبائل من العرب فيها الرايات والالوية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفع راية بنى مالك بن النجار الى عمارة بن حزم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن ثابت فاعطاه الراية فقال عمارة يارسول الله لعلك وجدت علىّ قال لاوالله ولكن قدّموا القرآن وكان زيد اكثر اخذا للقرآن منك والقرآن يقدم وان كان عبدا اسود مجدعا وامر فى الاوس والخزرج ان يحمل راياتهم اكثرهم اخذا للقرآن وكان ابو زيد يحمل راية بنى عمرو بن عوف وكان معاذ بن جبل يحمل راية بنى سلمة قالوا وكان هرقل قد بعث رجلا من غسان

الى النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى صفته والى علامته والى حمرة فى عينيه والى خاتم النبوة بين كتفيه وسأل فاذا هو لا يقبل الصدقة فوعى اشياء من حال النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى هرقل يذكر ذلك له فدعا قومه الى التصديق فاجابوا حتى خافهم على ملكه وهو فى موضعه لم يتحرك ولم يزحف وكان الذى اخبرالنبي صلى الله عليه وسلم عن تغيب اصحابه ودنوه الى ادنى الشام باطل لم يرد ذلك ولم يهم به وشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فى التقدم فقال عمر بن الخطاب ان كنت امرت بالسير فسر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو امرت به ما استشرتكم فيه فقال يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها احد من اهل الشام وقد دنوت منهم حيث ترى وقد افزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى او يحدث الله لك فى ذلك امر وعن معاذ بن جبل قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء قال فاخر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب ثم قال والعشاء جميعا ثم قال انكم ستأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض (١) بشئ من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ماشاء الله ان يقول ثم غرفوا من العين بايديهم قليلا قليلا حتى اجتمع شئ ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقا الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ماءها هنا قد ملأ جنانا وقال الحسن آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وعن سعيد بن ابى راشد وكان مولى لآل معاوية قال قدمت الشام فقيل لى فى هذه الكنيسة رسول قيصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدخلت الكنيسة فاذا انا بشيخ كبير فقلت له انت الذى ارسلك قيصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فقلت حدثنى عن ذلك قال انه لما غزا تبوكا ارسل الى قيصر كتابا وبعث به مع رجل يقال له دحية بن خليفة فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره وبعث

---

[١] تبض تقطر وتسيل

الى بطارقته ورؤوس اصحابه فقال لهم ان هذا الرجل بعث اليكم رسولا وكتب اليكم كتابا يخبركم طالبا منكم احدى ثلاث اما ان تتبعوه على دينه او تقرّوا له بخراج يجرى له عليكم ويقركم على هيئتكم فى بلادكم او ان تلقوا اليه بالحرب قال فنخروا نخرة حتى خرج بعضهم من برانسهم وقالوا لا نتبعه على دينه وندع ديننا ودين ابائنا ولا نقر له بخراج يجرى له علينا ولكن نلقى اليه بالحرب فقال قد كان ذلك ولكنى كرهت ان ابيات دونكم بامر قال عباد المهلبى قلت لابى خيثم عند روايته هذه القصة او ليس قيصر قد كان قارب وهم بالاسلام فيما بلغنا قال بلى اولا انه رأى ما رأى منهم ثم قال قيصر لقومه ابغونى رجلا من العرب اكتب معه اليه جواب كتابه قال فاتيت وانا شاب فانطلق بي اليه فكتب جوابه وقال لى مهما نسيت من شئ فاحفظ عنى ثلاث خلال انظر اذا هو قرأ كتابي هذا هل يذكر الليل والنهار وهل يذكر كتابه الى وانظر هل ترى فى ظهره علما قال فاقبلت حتى اتيته وهو بتبوك فى حلقة من اصحابه محتبين فسئالت عنه فاخبرت به فدفعت اليه الكتاب فدعى معاوية فقرأ عليه الكتاب فلما بلغ الى قوله دعوتنى الى جنة عرضها السموات والارض قلت له فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء الليل فاين النهار ثم قال انى قد كتبت الى النجاشى فخرقه فخرقه الله مخرق الملك فقال عباد فقلت لابى خيثم اليس قد اسلم النجاشى ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى اصحابه فصلى عليه فقال بلى وانما ذلك فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان يعنى ان ذاك النجاشى غير هذا النجاشى ثم قال وكتبت الى كسرى كتابا فمزقه فمزقه الله ممزق الملك وكتبت الى قيصر كتابا فاجابنى فيه فلن يزال الناس يجدون منهم بأسا ما كان فى العيش خير ثم قال لى ممن انت قلت من تنوخ فقال يا اخا تنوخ هل لك فى الاسلام قلت لا انى اقبلت من قبل قوم وانا منهم على دين ولست مستبدلا بدينهم حتى ارجع اليهم قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتبسم فلما قضيت حاجتى قمت فلماوليت دعانى فقال يا اخا تنوخ هلم فامض للذى امرت به قال وكنت نسيتها فاستدرت من وراء الحلقة والقى بردة كانت عليه عن ظهره فرأيت على غضروف (١) كتفه مثل المحجم الضخم ورويت هذه

(١) الغضروف ويقال له الغرضوف كل عظم رخص يؤكل وهو مثل مارن الانف ونغض الكتف ورؤوس الاضلاع ورهابة الصدر وداخل قوف الاذن قاله فى القاموس

القصة من طريق ابي يعلى الموصلي وبها زيادات قليلة نذكرها تباعا فنها ان قيصر
لما جمع بطارقته وقسيسيه قال لهم قد تجدون فيما تقرأون من كتبكم انه سيملك
ما تحت قدميّ من ملكي فنخروا نخرة حتى ان بعضهم خرجوا من برانسهم
وقالوا نرسل الخراج الى رجل من العرب جاء في بردته فقال اسكتوا انما اردت
ان اعلم تمسككم بدينكم ورغبتكم فيه ومنها انه لما وصل الى تبوك اتى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو مع اصحابه وهم محتبون بحمائل سيوفهم حول بئر تبوك
فقلت ايكم محمد فاومأ بيده الى نفسه زاد ابن المقرى انهم قالوا له انك رسول
قوم وان لك حقا ولكن جئتنا ونحن مرملون (١) فقال عثمان بن عفان انا
اكسوه حلة صفورية وقال رجل من الانصار هو على ضيافته قال وقد كان قيصر
قال لي فيما قال انظر الى ظهره فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اريد
النظر الى ظهره فالقى ثوبه عن ظهره فنظرت الى الخاتم في بعض الكتف فاقبلت
عليه اقبله وفيه قال وكتبت الى قيصر فرفع كتابي فلا يزال في الناس خير
ما كان في العيش خير ومن ذلك اليوم لم يزل في الناس ذكر هذه الكلمة وهي
ما كان في العيش خير وروى هذه القصة الامام احمد في مسنده بنحو الرواية
الاولى وهي اتم والراوى لها عباد وهو احسن اقتصاصا للحديث فلذلك اخترناها
وزاد في رواية احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حين دعاه الى الاسلام
فابى ان يسلم وتلى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وروى
البيهقي عن ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى تبوك اتاه يحنة
بن روبة صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا واذرح فاعطوه
الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم فكتب ليحنة بن روبة بسم الله الرحمن
الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي ورسوله ليحنة بن روبة واهل ايلة
اساقفتهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من
اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله
دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ما يريدونه
ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن
حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق وكتب لاهل جربا

(١) المرملون هم الذين قد نفد زادهم واصله من الرمل كأنهم قد لصقوا بالرمل قاله في النهاية

واذرح بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم آمنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة وذكر باقي الكتاب قال واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل ايلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم امانا لهم فاشتراها ابو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالدا بن الوليد فبعثه الى اكيدر دومة وقال قيس بن النعمان السكوني خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع بها اكيدر دومة الجندل فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه بلغنا ان خيلا انطلقت واني خفت على ارضي ومالي فاكتب لي كتابا لا يتعرضوا لشيء لي فاني مقر بالذي على من الحق فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ثم ان اكيدر اخرج قبا من ديباج منسوجا مما كان كسرى يكسوهم فقال يا رسول الله اقبل مني هذا فاني اهديته لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع بقباك فانه ليس يلبس هذا في الدنيا الا حرمه يعني في الآخرة فرجع به حتى اتى منزله وانه وجد في نفسه ان ترد عليه هديته فقال يا رسول الله انا اهل بيت يشق علينا رد هديتنا فاقبل مني هديتي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى عمر بن الخطاب قال وقد كان سمع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ودمعت عيناه وظن انه قد لحقه شيء فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله احدث فيّ امر حتى قلت في هذا القباء ما قلت ثم بعثت به الى فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضع يده او ثوبه على فيه ثم قال ما بعثت به اليك لتلبسه ولكن تبيعه وتستعين بثمنه

باب ذكر بعث النبي صلى الله عليه وسلم اسامة قبل وامره اياه ان يشن الغارة على مؤتة ويبنى وابل الزيت

قال ابو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ما قضى حجة التمام فتحلل به السير وضرب على

الناس بعثا وامّر عليهم اسامة بن زيد وامره ان يوطئ ابل الزيت من مشارق الشام بالاردن فقال المنافقون فى ذلك ورد عليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه لخليق لها اى حقيق بالامارة ولئن قلتم فيه لقد قلتم فى ابيه من قبله وان كان لها خليقا وطارت الاخبار لتحلل السير بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم قد اشتكى ووثب الاسود باليمن ومسيلمة باليمامة وجاء النبى صلى الله عليه وسلم الخبر عنهما ثم وثب طليحة فى بلاد بنى اسد بعد ما افاق النبى صلى الله عليه وسلم ثم اشتكى فى المحرم وجعه الذى توفاه عز وجل فيه وقال ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم قد ضرب بعث اسامة ولم يستتب فرجع اليه صلى الله عليه وسلم واخلع مسيلمة والاسود (١) وقد اكثر المنافقون فى تأمير اسامة حتى بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخرج عاصبا رأسه من الصداع لذلك من الشأن ولبشارة اريها فى بيت عائشة وقال انى أريت البارحة فيما يرى النائم فى عضدىّ سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فاولتهما هذين الكلبين صاحب اليمامة وصاحب اليمن وقد بلغنى ان اقواما يقولون فى امرة اسامة ولعمرى لان قالوا فى امارته لقد قالوا فى امارة ابيه من قبله ولئن كان ابوه لخليقا لها وانه لها لخليق فانفذوا بعث اسامة وقال لعن الله الذين يتخذون قبور انبيائهم مساجد فخرج اسامة فضرب بالجرف وانشأ الناس فى العسكرة ونجم طليحة يهل الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستتم الامر وانتظروا لهم آخرهم حتى توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وروى الامام احمد عن اسامة بن زيد قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قرية يقال لها ابنى فقال ائتها صباحا ثم حرّق وروى الزهرى عن عروة عن اسامة بن زيد ان رسول الله بعثه الى الشام وامره ان يغير على ابنى صباحا ثم يحرق ورواه الامام احمد بلفظ اتم وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم كان وجه اسامة فقبض عليه الصلاة والسلام فسئاله ابوبكر رضى الله عنه ما الذى عهد اليك فقال عهد الى ان اغير على ابنى صباحا ثم احرق ورواه ابو يعلى الموصلى وزاد ولم يتوجه اسامة حتى قبض النبى صلى الله عليه وسلم ورواه ابو

(١) واخلع هى عادة فى العرب فانهم كانوا يتعاهدون ويتعاقدون على النصرة والاعانة وان يأخذ كل منهم بيد الآخر فاذا ارادوا ان يتبرؤا من انسان قد خالفوه اظهروا ذلك للناس وسموا ذلك الفعل خلعا والمتبرأ منه خليعا اى مخلوعا فلا يؤخذون بجنايته ولا يؤخذ بجنايتهم فكأنهم قد خلعوا اليمين التى كانوا قد لبسوها معه وسموه خلعا وخليعا مجازا واتساعا

نعيم والبيهقى وهو حديث غريب واهل الشام يقولون يبنى بالياء المثناة التحتية وكلا القولين صواب وقد تبدل الالف ياء والياء همزة فى مواضع كقولهم احد ويحمد واساف ويساف واخامر ويخامر وقال عبد الله بن عمرو الغزى سمعت ابا مسهر وقد قيل له ابنى فقال نحن اعلم هى يبنا فلسطين · وقال الحسين بن ابى الحسين ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا قبل وفاته على اهل المدينة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وامر عليهم اسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف اسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لى فليرجع الناس فان معى وجوههم وحدهم (١) ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله واثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون وقالت الانصار فان ابى الا ان نمضى فابلغه عنا واطلب اليه ان يولى امرنا رجلا اقدم سنا من اسامة فخرج عمر بامر اسامة فاتى ابا بكر فاخبره بما قال اسامة فقال ابو بكر لو اختطفتنى الكلاب والذئاب لم ارد قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان الانصار امرونى ان ابلغك انهم يطلبون اليك ان تولى امرهم رجلا اقدم سنا من اسامة فوثب ابو بكر وكان جالسا فاخذ بلحية عمر وقال ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى ان انزعه فخرج عمر الى الناس فقالوا له ما صنعت فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت فى سببكم اليوم من خليفة رسول الله ثم خرج ابو بكر حتى اتاهم فاشخصهم وشيعهم وهو ماشى واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة ابى بكر فقال له اسامة يا خليفة رسول الله لتركبن او لانزلن فقال والله لا تنزل ووالله لااركب وما على ان اغبر قدمى ساعة فى سبيل الله فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له ويمحى عنه سبعمائة خطيئة حتى اذا انتهى قال انى رأيت ان تعيننى بعمر بن الخطاب فافعل فأذن له وقال يا ايها الناس قفوا اوصيكم بعشر فاحفظوها عنى لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تتلفوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فى الصوامع

(١) المراد من الحد هنا المضاء فى الدين والصلابة والقصد الى الخير

فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على اقوام يأتونكم بآنية فيها انواع
الطعام فاذا اكلتم منها شيئا بعد ما يبقى بقية فاذكروا اسم الله عليها وسوف تلقون
اقواما قد فحصوا اوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصافير فاخفقوهم
بالسيوف خفقا اندفعوا باسم الله افنا كم الله بالطعن والطاعون وفي رواية عروة
ان ابا بكر رضي الله عنه وصل الى الجرف وانه قال لاسامة ابدأ ببلاد قضاعة
ثم ائت ابل الزيت فمضى اسامة يتغذى على ذي المروة والوادي وانتهى الى
ما امره به النبي صلى الله عليه وسلم من بث الخيول في بلاد قضاعة والغارة على
ابل الزيت فسلم وغنم وكان فراغه في اربعين يوما سوى مقامه ومقيله راجعا
وقال زيد بن اسلم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله على قضاعة وعلى
كلب امرؤ القيس بن الاصبغ الكلبي من بني عبد الله وعلى القين عمرو بن
الحكم وعلى سعد هزيم معاوية بن فلان الوائلي فارتد وديعة الكلبي فيمن آزره
من كلب وبقي امرؤ القيس على دينه وارتد زميل بن قطبة القيني فيمن آزره
من بني القين وبني عمرو وارتد معاوية فيمن آزره من سعد هزيم فكتب ابو
بكر الى امرؤ القيس بن فلان وهو جد سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما
فثار بوديعة وآل عمرو فاقام ازميل وآل معاوية العذري ولمعاوية فلما توسط
اسامة بلاد قضاعة بث الخيول قبلهم وامرهم ان ينهضوا من اقام على الاسلام
الى من رجع عنه فخرجوا هرابا حتى آزروا الى دومة الجندل واجتمعوا الى
وديعة ورجعت خيول اسامة اليه فمضى فيها اسامة على انخار وعلى الحملتين
فاصاب في بني الضبيب من جذام وفي بني حيليل من لخم ولفها من القبيلتين
وحازهم من ابل ثم انكفأ سالما غانما وقال السحيط بن النعمان اللخمي

اما ينفك من زيد جذام ولا لخم وان رمّت عظامه

وروى عن عروة من طريق آخر قال لما فرغوا من البيعة واطمأن الناس قال ابو بكر
لاسامة امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه رجال
من المهاجرين والانصار وقالوا امسك اسامة وبعثه فانا نخشى ان تميل علينا العرب
اذا سمعوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وكان احزمهم
امرا انا احبس جيشا بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اجترأت على امر
عظيم والذي نفسي بيده لان تميل على العرب احب الى من ان احبس جيشا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم امض يا اسامة فى جيشك للوجه الذى امرت به ثم اغز حيث امرك رسول الله من ناحية فلسطين وعلى اهل مؤتة فان الله سيكفى ما تركت ولكن ان رأيت ان تأذن لعمر بن الخطاب فاستشره واستعن به فانه ذو رأى ومناصح للاسلام فافعل ففعل اسامة ورجع عامة العرب عن دينهم وعامة اهل المشرق وغطفان وبنو اسد وعامة اشجع وتمسك طيء بالاسلام وقال عامة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امسك اسامة وجيشه ووجههم الى من ارتد عن الاسلام من غطفان وسائر العرب فابى ابو بكر ان يحبس اسامة وجيشه وقال انكم قد علمتم انه قد كان من عهد رسول الله اليكم فى المشورة فيما لم يمض من نبيكم فيه سنة ولم ينزل عليكم به كتاب وقد اشرتم وسأشير عليكم فانظروا ارشد ذلك فأتمروا به فان الله ان يجمعكم على ضلالة والذى نفسى بيده ما ارى من امر افضل فى نفسى من جهاد من منع منا عقالا كان يأخذه رسول الله صلى الله عليه و سلم فانقاد المسلمون لرأى ابى بكر ورأوا انه افضل من رأيهم فبعث ابو بكر حينئذ اسامة بن زيد اوجهه الذى امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب فى الغزو مصيبة عظيمة وسلمه الله وغنمه هو وجيشه وردهم صالحين وخرج ابو بكر فى المهاجرين والانصار حين خرج اسامة وهربت الاعراب بذراريهم فلما بلغ المسلمين هرب الاعراب بذراريهم كلموا ابا بكر وقالوا ارجع الى المدينة والى الذرارى والنساء وامر رجلا من اصحابك على الجيش واعهد اليه بأمرك فلم يزل المسلمون بابى بكر حتى رجع وامر خالد بن الوليد على الجيش فقال له اذا اسلموا واعطوا الصدقة فمن شاء منكم ان يرجع فليرجع ورجع ابو بكر الى المدينة وقال الواقدى قالوا لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر مقتل زيد بن حارثه وجعفر واصحابه ووجد عليهم وجدا شديدا فلما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتأهب لغزو الروم وامرهم بالانكماش (١) فى غزوهم فتفرق المسلمون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجدّون فى الجهاز فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد يوم الثلاثا لثلاث ليال بقين من صفر دعا اسامة بن زيد فقال يا اسامة سر على اسم الله

(١) الانكماش التشمير والجد

وبركته حتى تنتهي الى مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على اهل ابنا وحرق عليهم واسرع السير يسبق الخبر فان اظفرك الله فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون امامك والطلائع فلما كان يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من صفر بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدع وحم فلما اصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده لواء ثم قال يا اسامة اغز بسم الله فى سبيل الله فقاتل من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا تمنوا القاء العدو فانكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولوا اللهم اكفناهم واكفف بأسهم عنا فان لقيتموهم فداجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقولوا اللهم نحن عبادك وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغلبهم انت واعلموا ان الجنة تحت البارقة وروى الزهرى عن عروة عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يغير على اهل ابنى صباحا وان يحرق ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة امض على اسم الله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الحصيب الاسلمي فخرج به الى بيت اسامة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فعسكر بالجرف وضرب عسكره فى موضع سقاية سليمان اليوم وجعل الناس يأخذون بالخروج فيخرج من فرغ من حاجته الى معسكره ومن لم يقض حاجته فهو على فراغ ولم يبق احد من المهاجرين الاولين الا انتدب فى تلك الغزوة عمر بن الخطاب وابو عبيدة وسعد بن ابى وقاص وابو الاعور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فى رجال من المهاجرين وكان اشدهم فى ذلك عدة قتادة بن النعمان وسلمة بن اسلم بن حريش فقال رجال من المهاجرين وكان اشدهم فى ذلك قولا عياش بن ابى ربيعة يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فكثرت القالة فى ذلك فسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك القول فرده على من تكلم به وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقول من قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فخرج وقد عصب على رأسه بعصابة وعليه قطيفة ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم فى تأميرى اسامة فوالله لئن طعنتم فى امارتى اسامة لقد طعنتم فى امارتى اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليق وان ابنه من بعده لخليق

بالامارة وان كان لاحب الناس الىّ وان هذا لمن احب الناس الى وانهما لمخيلان لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الاول وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عمر بن الخطاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انفذوا بعث اسامة ودخلت ام ايمن فقالت اى رسول الله لو تركت اسامة يقيم فى معسكره حتى تماثل فان اسامة ان خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفذوا بعث اسامة فمضى الناس الى المعسكر فباتوا ليلة الاحد ونزل اسامة يوم الاحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل مغمور وهو اليوم الذى لدوه (١) فيه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وعنده العباس والنساء حوله فطأطأ عليه اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ويصبهما على اسامة فاعرف انه كان يدعو لى قال اسامة فرجعت الى معسكرى فلما اصبح يوم الاثنين غدا من معسكره واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مفيقا فجاءه اسامة فقال اغد على بركة الله فودعه اسامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مفيق وجعل نساءه تماشطن سرورا براحته ودخل ابوبكر فقال يا رسول الله اصبحت مفيقا بحمدالله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لى فاذن له فذهب الى السنح وركب اسامة الى معسكره وصاح فى اصحابه باللحوق الى العسكر فانتهى الى معسكره ونزل وامر الناس بالرحيل وقد متع (٢) النهار فبينا اسامة يريد ان يركب من الجرف اتاه رسول ام ايمن وهى امه تخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت فاقبل اسامة الى المدينة ومعه عمر وابو عبيدة فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفى عليه السلام حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب

---

(١) اللدود بفتح اللام ما يسقاه المريض من الادوية فى احد شقى الفم ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم لُدّ فى مرضه فلما افاق قال لا يبقى فى البيت احد الا لُدّ فعل ذلك عقوبة لهم لانهم لدوه بغير اذنه قاله فى النهاية (٢) متع النهار طال وامتد وتعالى والمراد هنا الاخير

بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابى بكر امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ولا يحله ابدا حتى يغزوهم اسامة فقال بريدة فخرجت باللواء حتى انتهيت به الى بيت اسامة ثم خرجت به الى الشام معقودا مع اسامة ثم رجعت به الى بيت اسامة فما زال معقودا فى بيته حتى توفى فلما بلغ العرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد منها عن الاسلام قال ابو بكر لاسامة انفذ فى وجهك الذى وجهك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الناس بالخروج وعسكروا فى موضعهم الاول وخرج بريدة باللواء حتى انتهى الى معسكرهم الاول فشق ذلك على كبار المهاجرين الاولين ودخل على ابى بكر عمر وعثمان وابو عبيدة وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد فقالوا يا خليفة رسول الله ان العرب قد انتقضت عليك من كل جانب وانك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئا اجعلهم عدة لاهل الردة ترمى بهم فى نحورهم واخرى لا تأمن على اهل المدينة ان يغار عليها وفيها الذرارى والنساء ولو تأخرت لغزو الروم حتى يضرب الاسلام بجرانه (١) ويعود اهل الردة الى ما خرجوا منه او يفنيهم السيف ثم تبعث اسامة حينئذ فنحن نأمن الروم ان تزحف الينا فلما استوعب ابو بكر كلامهم قال هل منكم احد يريد ان يقول شيئا قالوا لا قد سمعنا مقالتك فقال والذى نفسى بيده او ظننت ان السباع تأكلنى بالمدينة لا نفذت هذا البعث ولا بد ان يؤوب منه كيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى من السماء يقول انفذوا جيش اسامة ولكن خصلة اكلم بها اسامة اكلمه فى عمر يقيم عندنا فانه لا غنى بنا عنه والله ما ادرى يفعل اسامة ام لا والله ان ابى لا اكرهه فعرف القوم ان ابا بكر قد عزم على انفاذ بعث اسامة ومشى ابو بكر الى اسامة فى بيته وكلمه فى ان يترك عمر ففعل وجعل يقول له اذنت ونفسك طيبة فقال اسامة نعم قال فخرج وامر مناديه ينادى عزمة منى ان لا يتخلف عن اسامة من بعثه من كان انتدب معه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لن اوتى باحد ابطأ عن الخروج معه الا الحقته به ماشيا وارسل الى النفر من المهاجرين الذين كانوا

(١) اى يقر قراره ويستقيم والجران عنق البعير يقال القى البعير جرانه اذا مد عنقه على الارض واستراح

تكلموا فى امارة اسامة فغلظ عليهم واخذهم بالخروج فلم يتخلف عن البعث انسان واحد وخرج ابو بكر يشيع اسامة والمسلمين فلما ركب من الجرف فى اصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم الف فرس فسار ابو بكر الى جنب اسامة ساعة ثم قال استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصاك فانفذ لامر رسول الله فانى لست آمرك ولا انهاك عنه انما انا منفذ لامر امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج سريعا فوطئ بلادا هادئة لم يرجعوا عن الاسلام مثل جهينة وغيرها من قضاعة فلما نزل وادى القرى قدم عينا (١) له من بنى عذره يدعى حريثا فخرج على صدر راحلته امامه فغزى حتى انتهى الى أبنى فنظر الى ما هناك وارتادا (٢) الطريق ثم رجعا سريعا حتى لقى اسامة على مسيرة ليلتين من أبنى فاخبره ان الناس غازون ولا جموع لهم وامره ان يسرع السير قبل ان تجتمع الجموع وان شنها غارة وقال بريدة لاسامة يا ابا محمد انى شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى اباك ان يدعوهم الى الاسلام فان اطاعوه خيرهم فان احبوا ان يقيموا فى ديارهم ويكونوا كاعوان المسلمين فلا شئ لهم فى الفيئ ولا فى الغنيمة الا ان يجاهدوا مع المسلمين وان تحولوا الى دار الاسلام كان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فقال اسامة هكذا وصية رسول الله لابى ولكنه امرنى وهو آخر عهده الى ان اسرع المشى واسبق الاخبار وان اشن الغارة عليهم بغير دعاء فاحرق واخرب فقال بريدة سمعا وطاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى أبنى فنظر اليها منظر العين عبى اصحابه وقال اجعلوها غارة ولا تمعنوا فى الطلب ولا تفترقوا واجتمعوا واخفوا الصوت واذكروا اسم الله فى انفسكم وجردوا سيوفكم وضعوها فيمن اشهر واعليكم السلاح ثم رفع عليهم الغارة فما نبح كلب ولا تحرك احد ولا شعروا الا بالقوم قد شنوا عليهم الغارة ينادون بشعارهم يا منصور امت فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق فى طوائفها بالنار وحرق منازلهم وحروثهم ونخلهم فصارت اعاصير من الدخاخين واقام الخيل فى عرصاتهم ولم يمعنوا فى الطلب بل اصابوا ما قرب منهم واصابوا يومهم ذلك فى تعبية ما اصابوا

---

(١) العين الجاسوس وهو مجاز مرسل من اطلاق الجزء وارادة الكل وشرط هذا النوع فقدان الكل بفقد الجزء (٢) طلب الطريق

من الغنائم وكان اسامة خرج على فرس ابيه التى قتل عليها ابوه يوم مؤتة وكانت تدعى سبحة وقتل قاتل ابيه فى الغارة اخبره به بعض اهل أبنى واسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهما واخذ لنفسه مثل ذلك فلما استوى امر الناس بالرحيل• ومضى وكان الدليل امامه حريث العذرى فاخذوا الطريق التى جاؤا منها ودأبوا ليلهم حتى اصبحوا بارض بعيدة ثم طووا البلاد حتى وصلوا الى وادى القرى فى تسع ليال ثم توجهوا الى المدينة وما اصيب من المسلمين احد فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص فدعى بطارقته فقال هذا الذى حذرتكم فابيتم ان تقبلوه منى قد صارت العرب تأتى من مسيرة شهر فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تتكلم قال اخوه ينَاف فابعث رابطة تكون بالبلقاء فبعث رابطة (١) واستعمل عليهم رجلا من اصحابه فلم يزل مقيما حتى تقدمت البعوث الى الشام فى خلافة ابى بكر وعمر قالوا واعترض لاسامة فى منصرفه قوم من اهل كثكث قرية هناك قد كانوا اعترضوا لابيه فى بدأته فاصابوا من اطرافه فناهضهم اسامة بمن معه فظفر بهم وحرق عليهم وساق من نعمهم (٢) واسر منهم اسيرين فاوثقهما وهرب من بقى فقدم بهما المدينة فضرب اعناقهما وكان اسامة ارسل بشيره من وادى القرى بسلامة المسلمين وانهم اغاروا على العدو فاصابوهم فلما سمع المسلمون بقدومهم خرج ابوبكر فى المهاجرين وخرج اهل المدينة حتى العواتق وسروا بسلامة اسامة ومن معه من المسلمين ودخل يومئذ على فرسه سبحة كأنما خرج من ذى خشب عليه الدرع واللواء امامه يحمله بريدة حتى انتهى به الى المسجد فدخل فصلى ركعتين وانصرف الى بيته ومعه اللواء وكان مخرجه من الجرف لهلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة فغاب خمسة وثلاثين يوما سار عشرين فى بدأته وخمس عشرة فى رجعته وعن ابى هريرة انه قال والذى لا اله الا هو لولا ان ابا بكر استخلف ما عبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له يا ابا هريرة ما تقول فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه اسامة بن زيد فى سبعمائة الى الشام فلما نزل بذى خشب قبض النبى صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع اليه

(١) معناه بعث اليه جندا من القوم الذين كانوا مرابطين بالبلقاء يقال خلف فلان بالثغر خيلا رابطة وببلد كذا رابطة من الخيل كما فى الصحاح (٢) النعم واحد الانعام وهى المال الراعية واكثر ما يقع على الابل

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابا بكر رد هؤلاء توجههم الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بارجل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشا وجهه رسول الله ولا حللت لواء عقده رسول الله فوجه اسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فبلغوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام

باب ذكر اهتمام ابى بكر الصديق بفتح الشام وحرصه عليه ومعرفة انفاذه الامراء بالجنود الكثيفة اليه

قال ابن اسحق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى الشام سنة اثنتى عشرة وذلك ان ابا بكر لما حدث نفسه بان يغزوا الروم ولم يطلع عليه احد جاءه شرحبيل بن حسنة فجلس اليه فقال يا خليفة رسول الله اتحدث نفسك انك تبعث الى الشام جندا فقال نعم قد حدثت نفسى بذلك وما اطلعت عليه احدا وما سئالتنى عنه الا لشئ قال اجل انى رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشى فى الناس فوق حرشفة (١) من الجبل ثم اقبلت تمشى حتى صعدت قنة (٢) من القنان العالية فاشرفت على الناس ومعك اصحابك ثم انك هبطت من تلك القنان الى ارض سهلة دمثة (٣) فيها الزرع والقرى والحصون فقلت للمسلمين شنو الغارة على اعداء الله وانا ضامن لكم بالفتح والغنيمة فشد المسلمون وانا فيهم معى راية فتوجهت بها الى اهل قرية فسئالونى الامان فامنتهم ثم جئت فاجدك قد انتهيت الى حصن عظيم ففتح الله لك والقوا اليك السلم ووضع الله لك مجلسا فجلست عليه ثم قيل لك يفتح الله عليك وتنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة ثم انتبهت فقال له ابو بكر نامت عيناك خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله ثم قال بشرت بالفتح ونعيت الىّ نفسى ثم دمعت عينا ابى بكر ثم قال اما الحرشفة التى رأيتنا نمشى عليها حتى صعدنا الى القنة العالية فاشرفنا على الناس فانا نكابد من

(١) الحرشفة الارض الغليظة (٢) القنة اعلى الجبل والجمع قنان (٣) دمثة لينة

امر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه ثم نعلوا بعد ويعلوا امرنا واما نزولنا من القنة العالية الى الارض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون فاننا ننزل الى امر اسهل مما كنا فيه من الخشب (١) والمعاش واما قولى للمسلمين شنو الغارة على اعداء الله فانى ضامن لكم الفتح والغنيمة فان ذلك دنو المسلمين الى بلاد المشركين وترغيبى اياهم على الجهاد والاجر والغنيمة التى تقسم لهم وقبولهم واما الراية التى كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم ودخلتها واستأمنوا فامنتهم فانك تكون احد امراء المسلمين ويفتح الله على يديك واما الحصن الذى فتح الله لى فهوذلك الوجه الذى يفتح الله لى واما العرش الذى رأيتنى عليه جالسا فان الله يرفعنى ويضع المشركين قال الله تعالى حكاية عن يوسف ورفع ابويه على العرش واما الذى امرنى بطاعة الله وقرأ على السورة فانه نعى الىّ نفسى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نعى الله اليه نفسه حين نزلت هذه السورة وعلم ان نفسه قد نعيت اليه ثم سالتا عيناه فقال لآمرنّ بالمعروف ولأنهينّ عن المنكر ولا جاهدن من ترك امر الله ولا جهزن الجنود الى العادلين بالله فى مشارق الارض ومغاربها حتى يقولوا الله احد احدلا شريك له او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون هذا امر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا توفانى الله عز وجل لا يجدنى عاجزا ولا وانيا ولا فى ثواب المجاهدين زاهدا فعندذلك امّر الامراء وبعث الى الشام البعوث وروى الزهرى عن عبدالله بن ابى اوفى الخزاعى انه قال لما اراد ابو بكر غزو الروم دعا عليا وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد وابا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والانصارمن اهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه فقال عبد الله بن ابى اوفى وانا فيهم فقال ابو بكر ان الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ولا تبلغ جزاءها الاعمال فله الحمد قد جمع الله كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم الى الاسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع ان تشركوا به ولا تتخذوا الها غيره فالعرب اليوم بنوا امّ واب وقد رأيت ان استنفر المسلمين الى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع ان للمسلمين فى ذلك الحظ الاوفر لانه من هلك منهم هلك شهيدا وما عند الله خير للابرار ومن عاش عاش مدافعا عن الدين

(١) خشونة العيش

مستوجبا على الله ثواب المجاهدين وهذا رأيي الذي رأيت فليشر امرء عليّ برأيه فقام عمر بن الخطاب فقال الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما استبقنا الى شئ من الخير قط الا سبقتنا اليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قد والله اردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت فما قضي ان يكون حتى ذكرته فقد اصبت اصاب الله بك سبيل الرشاد سرّب اليهم الخيل في اثر الخيل وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود فان الله ناصر دينه ومعز الاسلام واهله ثم ان عبدالرحمن بن عوف قام فقال يا خليفة رسول الله انها الروم وبنوا الاصفر حدّ حديد وركن شديد ما ارى ان نقتحم عليهم اقتحاما ولكن نبعث الخيل فتغير في قواصي ارضهم ثم ترجع اليك واذا فعلوا ذلك بهم مرارا اضروا بهم وغنموا من اداني ارضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم ثم تبعث الى اراضي اليمن واقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعا اليك ثم ان شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وان شئت اغزيتهم ثم سكت وسكت الناس ثم قال لهم ابوبكر ما ترون فقال عثمان بن عفان اني ارى انك ناصح لاهل هذا الدين شفيق عليهم فاذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحا فاعزم على امضائه فانك غير ظنين فقال طلحة والزبير وسعد وابو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والانصار صدق عثمان ما رأيت من رأي فامضه فانا لا نخالفك ولا نتهمك وذكروا هذا واشباهه وعلي في القوم لم يتكلم فقال ابوبكر ماذا ترى يا ابا الحسن فقال ارى انك ان سرت اليهم بنفسك اوبعثت اليهم نصرت عليهم ان شاء الله فقال بشرك الله بخير ومن اين علمت ذلك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا الدين ظاهرا على كل من ناواه حتى يقوم الدين واهله ظاهرون فقال سبحان الله ما احسن هذا الحديث لقد سررتني به سرك الله ثم ان ابا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو اهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس ان الله قد انعم عليكم بالاسلام واكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله الى غزو الروم بالشام فاني مؤمر عليكم امراء وعاقد لكم الوية فاطيعوا ربكم ولا تخالفوا امرائكم لتحسن نيتكم واشربتكم واطعمتكم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال فسكت القوم فوالله ما اجابوا فقال عمر يامعشر المسلمين

مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله وقد دعاكم لما يحييكم اما انه لو كان عرضا قريبا اوسفرا قاصدا لا تبـدرتموه فقام عمرو بن سعيد فقال يا ابن الخطاب ألنا تضرب الامثال امثال المنافقين فما منعك مما عبت علينا فيه ان تبدأ به فقال عمر انه يعلم انى اجيبه لو يدعونى واغزو لو يغزينى فقال عمرو بن سعيد ولكن نحن لا نغزوا لكم ان غزونا انما نغزوا لله فقال عمر وفقك الله فقـد احسنت فقال ابو بكر لعمرو اجلس رحمك الله فان عمر لم يرد بما سمعت اذى مسلم ولا تأنيبه انما اراد بما سمعت ان ينبعث المتثاقلون الى الارض الى الجهـاد فقام خالد بن سعيد فقال صدق خليفة رسول الله اجلس اى اخى فجلس وقال خالد الحمد لله الذى لا اله الا هو الذى بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فالحمد لله منجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوه ونحن غير مخالفين ولا مختلفين وانت الوالى الناصح الشفيق ننفر اذا استنفرتنا ونطيعك اذا امرتنا ففرح بمقالته ابو بكر وقال له جزاك الله خيرا من اخ وخليل فقـد كنت اسلمت مرتغبا وهاجرت محتسبا قد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما ترضى الله ورسوله وتعلو كلمته وانت امير النـاس فسر يرحمك الله ثم انه نزل ورجع خالد بن سعيد فتجهز وامر ابو بكر بلالا فاذن فى الناس ان انفروا ايها الناس الى جهاد الروم بالشـام والنـاس يرون ان اميرهم خالد بن سعيد وكان الناس لا يشكون ان خالدا بن سـعيد اميرهم وكان قد عسكر قبل كل احد ثم ان النـاس خرجوا الى معسـكرهم من عشـرة وعشـرين وثلاثين واربعين وخمسين ومائة كل يوم حتى اجتمع اناس كثيرون فخرج ابو بكر ذات يوم ومعه رجال من الصحـابة حتى انتهى الى عسكرهم فرأى عـدة حسنة لم يرض عدتها للروم فقال لاصحابه ما ترون فى هؤلاء ان ارسلهم الى الشام فى هذه العدة فقال عـمر ما ارضى هذه العـدة بجموع بنى الاصفر فقال لاصحـابه ماذا ترون انتم فقالوا نحن نرى ما رآى عمر فقال الا اكتب كتابا الى اهـل اليمن ندعوهم به الى الجهـاد ونرغبهم فى ثوابه فرأى ذلك جميع اصحـابه فقالوا نعم ما رأيت افعل فكتب بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله الى من قرئ عليـه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين من اهل اليمن سلام عليكم فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو اما بعد فان الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وامرهم ان ينفروا

خفافا وثقالا ويجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم وقد استنفرنا المسلمين الى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا الى ذلك وقد حسنت بذلك نيتهم وعظمت حسبتهم فسارعوا عباد الله الى ماسارعوا اليه ولتحسن نيتكم فيه فانكم الى احدى الحسنيين اما الشهادة واما الفتح والغنيمة فان الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل ولا يزال الجهاد لاهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويقروا لحكم الكتاب حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وزكى اعمالكم ورزقكم اجر المجاهدين الصابرين وبعث بهذا الكتاب مع انس بن مالك رضى الله عنه قال عبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لما اجمع ابوبكر ان يبعث الجيوش الى الشام كان اول من سار من عماله عمرو بن العاص وامره ان يسلك على ايلة عامدا لفلسطين فقدم عمرو امامه مقدمة عليهم سعيد بن الحارث السهمى ورفع لوائه الى الحجاج بن الحارث السهمى وكان جند عمرو بن العاص خرجوا معه من المدينة ثلاثة آلاف فيهم ناس كثير من المهاجرين والانصار وخرج ابوبكر الصديق يمشى الى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول يا عمرو اتق الله فى سر امرك وعلانيته واستحيه فانه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمى اياك على من هو اقدم سابقة منك ومن كان اعظم غناء عن الاسلام واهله منك فكن من عمال الآخرة وارد بما تعمل وجه الله وكن والدا لمن معك ولا تكشفن الناس عن استارهم واكتف بعلا نيتهم وكن مجدا فى امرك واصدق اللقاء اذا لاقيت ولا تجبن وتقدم فى الغلول (١) وعاقب عليه واذا وعظت اصحابك فاوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فى وصية له طويلة وعهد عهده اليه ليعمل به وقال جعفر ان ابا بكر رضى الله عنه قال لعمرو بن العاص انى قد استعملتك على من مررت به من بلى وعذرة وسائر قضاعة ومن سقط هناك من العرب فاندبهم الى الجهاد فى سبيل الله ورغبهم فيه فمن تبعك منهم فاحمله وزوده ورافق بينهم واجعل كل قبيلة على حدتها ومنزلتها وقال قوم بعث ابو بكر الصديق ثلاثة امراء الى الشام عمرو بن العاص ويزيد بن ابى سفيان وشرحبيل بن حسنة فكان عمرو هو الذى يصلى بالناس اذا اجتمعوا وان تفرقوا كان كل رجل منهم على اصحابه وكتب ابوبكر الى خالد بن الوليد ان يمد

(١) الذين جاوزوا حدود ما امروا به من الدين وطاعة الامام وبغوا عليه وطغوا

عمرا بن العاص فكان خالد مددا لعمرو وكان امر الناس الى عمرو بن العاص يوم اجنادين ويوم فحل ويوم حصار دمشق حتى فتحت قال ابو عبد الله الصورى الحافظ فى الاصل فحل بكسر الحاء والمحفوظ سكونها وقال الحارث التيمى لما رأى عمرو بن العاص كثرة الجموع بالشام كتب الى ابى بكر يذكر امر الروم وما جمعوا ويستمده فشاور ابو بكر من عنده من المسلمين فقال عمر بن الخطاب يا خليفة رسول الله اكتب الى خالد بن الوليد ان يسير بمن معه الى عمرو فيكون له مددا ففعل ابو بكر وكتب الى خالد فلما اتاه كتاب ابى بكر قال هذا عمل عمر حسدنى على فتح العراق وان يكون على يدى واحب ان يجعلنى مددا لعمرو و اصحابه فاكون كأحدهم فان يكن فتح شركنا فيه او ان اكون تحت يدى بعضهم فان كان فتح كان ذكره له دونى وقال المطلب بن السائب بن وداعة لما كتب ابو بكر الى خالد كتب ايضا الى عمرو بن العاص انى كتبت الى خالد بن الوليد ليسير اليك مددا لك فاذا قدم عليك فاحسن مصاحبته ولا تطاول عليه ولا تقطع الامور دونه لتقديمى اياك عليه وعلى غيره شاورهم ولا تخالفهم وقال موسى بن عقبة لما ارسل ابو بكر امرائه الثلاثة الى الشام وكان خالد بن الوليد قد فرغ من امر اليمامة كتب اليه ابو بكر يأمره بالمسير الى الشام فمضى خالد على وجهه وسلك على عين التمر فمر بدومة الجندل فاغار عليها فقتل بها رجالا وهزمهم وسبى ابنة الجودى ثم مضى حتى قدم الشام وبه يومئذ ابو عبيدة ابن الجراح على جند ويزيد بن ابى سفيان على جند وعمرو بن العاص على جند وشرحبيل بن حسنة على جند فقدم عليهم خالد بن الوليد فامرهم يوم اجنادين وهزم الله عدوه وكان مسير عمرو الى جهة ايلة كما تقدم وبقية الامراء سلكوا طريق البلقاء من عليا الشام من جهة التبوكية وقال الوليد بن مسلم سمعت اشياخنا يذكرون المغازى فكان من جملة كلامهم ان ابا بكر لما انفذ الجيوش لقتال اهل الردة ثم اتته وفود العرب مقرة بما كانت انكرت راجعة الى ما كانت خارجة منه وراى ابو بكر حسن خلافته وما سهل عليه فيه ربه وما من به عليه من التصرد على العرب الى جهاد قيصر وكسرى ومن يليهما من اهل ملكهما فاجتمع له اربعة وعشرون الفا وولى عليهم الامراء ثم وجههم للجهاد وقالوا امر ابو بكر خالدا ان ينزل تيماء وان لا يبرحها وان

يدعو من حوله الى الانضمام اليه وان لا يقبل شيئا الا ممن لم يرتد وان لايقاتل
الا من قاتله حتى يأتيه امره ففعل خالد ما امره به ابو بكر رضى الله عنه واقام
بتيماء فاجتمع اليه جموع كثيرة وبلغ الروم عظم ذلك العسكر فضربوا على العرب
الضاحية البعوث بالشام اليهم ليستعينوا بهم فكتب خالد بن سعيد الى ابى بكر
بذلك وبنزول من استنفرت الروم فنفر اليهم من بهراء وكلب وصليح وتنوخ ولخم
وجذام وغسان ومن انضم اليهم من مثلهم وكان نزولهم من دون زيزا بثلاث
فكتب اليه ابو بكر ان اقدم ولا تحجم واستنصر الله فسار اليهم خالد فلما دنا
منهم تفرقوا وتركوا منزلهم فنزله خالد ودخل عامة من كان تجمع له فى الاسلام
وكتب خالد الى ابى بكر بذلك فكتب اليه ابو بكر اقدم ولا تقتحمن حتى لا
تؤتى من خلفك فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به فى طرق
الرمل حتى نزلوا فيما بين ابل وزيزا والقسطل فسار اليه بطريق من بطارقة
الروم يدعى ماهان فهزمه وقتل جنده وكتب بذلك الى ابى بكر واستنفره وقدم
على ابى بكر اوائل مستنفرى اليمن ومن بين مكة وبين اليمن؟ وفيهم ذو الكلاع وقدم
عليه عكرمة قافلا وغازيا فيمن كان معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو فكتب
لهم ابو بكر الى امراء الصدقات ان يبدلوا من استبدل فكلهم استبدل فسمى
ذلك الجيش جيش البدال وقدموا على خالد بن سعيد وعند ذلك اهتاج ابو
بكر للشام وعناه امره وقد كان رد عمرا بن العاص على عمالة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولاها اياه من صدقات سعد هزيم وعذرة ومن لقيهم من
جذام وحديس قبل ذهابه الى عمان فخرج الى عماله وهو على عدة من عمله اذا
هو رجع فخرج الى عمان فانجز له ذلك ابو بكر وكتب ابو بكر عند اهتياجه
للشام الى عمرو انى قد كنت رددتك الى العمل الذى كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولاكه مرة وسماه لك اخرى وهو مبعثك الى عمان انجازا لمواعيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وليتكه ثم وليتكه وقد احببت ان افرغك لما
هو خير لك فى حياتك ومعادك الا ان يكون الذى انت فيه احب اليك فكتب
اليه عمرو انى سهم من سهام الاسلام وانك بعد الله الرامى بها والجامع لها
فانظر اشدها واخشاها وافضلها فارم به شيئا ان جاءك من ناحية من النواحى
وكتب الى الوليد نحو ذلك فاجابه بايثار الجهاد ورويت هذه القصة من وجه

آخر ولا يخلو نصها من فائدة وهى ما قاله القاسم بن محمد قال كتب ابو بكر الى عمرو والى الوليد بن عقبة وكان على النصف من صدقات قضاعة وقد كان ابو بكر شيعهما وبعثهما على الصدقات واوصى كل واحد منهما بوصية واحدة فقال اتق الله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا فان تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله انك فى سبيل من سبل الله لا يسعك فيه الارهان والتفريط ولا الغفلة عما فيه قوام دينكم وعصمة امركم فلا تنيا ولا تفترا وكتب اليهما استخلفا على اعمالكما واندبا من يليكما فولى عمرو على عليـاء قضاعة عمرا بن فلان العذرى وولى الوليد على ضاحية قضاعة مما يلى دومة امرئ القيس وندب الناس فتضام اليهم بشر كثير وانتظرا امر ابى بكر وقام ابو بكر فى الناس خطيبا فحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان لكل امر جوامع فمن بلغها فهو حسبه ومن عمل لله عز وجل كفاه الله عليكم بالجد والقصد فان القصد ابلغ الا انه لا دين لاحد لا ايمان معه ولا اجر لمن لا حسبة له ولا عمل لمن لا نية له الا وان فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لما ينبغى للمسلم ان يحب ان يخص به هى النجاة التى دل الله عليها ونجى بها من الخزى والحق بها الكرامة فى الدنيا والآخرة فامد عمرا ببعض من انتدب الى من اجتمع اليه وامّره على فلسطين وامره بطريق سماها له واتى الوليد فامره بالاردن وامده ببعضهم ودعا يزيد بن ابى سفيان فامّره على جند عظيم هم جمهور من انتدب له وفى جنده سهيل بن عمرو واشباهه من اهل مكة وشيعه ماشيا وقال يزيد يا خليفة رسول الله امشى وانا راكب فابى عليه وقال انى احتسب خطاى فى سبيل الله وقال عبد الرحمن بن جبير ان الله تبارك وتعالى لما نصر المسلمين على اهل الردة وكفرة بنى حنيفة وقتل مسيلمة الكذاب كتب ابو بكر الى خالد يأمره بالمسير الى العراق فسار فى ستة آلاف وجهز ابو بكر الجيوش الى الشام فاجتمع له اربعة وعشرون الفا من المهاجرين والانصار ومسلمة الفتح وامداد اليمن واهل العالية وولى ابا عبيدة على ربع وعمرا بن العاص على ربع وشرحبيل بن حسنة على ربع ويزيد بن ابى سفيان على ربع وولاه على جماعته وقال الزهرى ان ابا بكر بعث خالدا على جيشه قبل العراق وبعث

الى الشام ثلاثة امراء خالد بن سعيد بن العاص على جند وعمرو بن العاص على جند وشرحبيل بن حسنة على جند ولم يزل عمرو بابي بكر حتى امر يزيد بن ابي شقيق على جند فادركه بذى مروة وهذه الرواية ثابتة وبها اجتمعت الروايات

وصية ابي بكر رضي الله عنه لامرائه

رويت هذه القصة من اوجه متعددة ولنذكر هنا اختلاف الفاظها فى الرواية فنقول . قال ابن عمر ان ابا بكر بعث يزيد بن ابى سفيان الى الشام فمشى مع الجيش نحوا من ميلين فقيل له يا خليفة رسول الله لو انصرفت فقال لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار ثم بدا له فى الانصراف الى المدينة فقام فى الجيش فقال اوصيكم بتقوى الله عز وجل لا تعصوا ولا تغلوا ولا تجبنوا ولا تهدموا بيعة ولا تفرقوا نخلا ولا تحرقوا زرعا ولا تشجروا بهيمة ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تقتلوا شيخا كبيرا ولا صبيا صغيرا وستجدون اقواما قد حبسوا انفسهم للذى حبسوها فذروهم وما حبسوا انفسهم له وستجدون اقواما قد اتخذت الشياطين اوساط رؤوسهم افحاصا فاضربوا على اعناقهم وسترون بلدا يغدو ويروح عليكم فيه الوان الطعام فلا يأتيكم لون الا ذكرتم اسم الله عليه ولا ترفعوا لونا الا حمدتم الله عز وجل عليه ورويت بالمعنى من طريق ابى محمد بن الاكفانى ومن طريق البيهقى ايضا بالفاظ مختلفة والمعنى متقارب ولكن تركنا رواية البيهقى لما رواه عبد الله بن احمد بن حنبل قال سمعت ابى يقول هذا حديث منكر ما اظنه انه شئ هذا كلام اهل الشام ورويت من طريق ابن اسحق وفى آخرها عن ابن اسحق حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير وقال لى هل تدرى لم فرق ابو بكر وامر بقتل الشمامسة ونهى عن قتل الرهبان فقلت لا اراه الا لحبس هؤلاء انفسهم فقال اجل ولكن يلقون القتال فيقاتلون وان الرهبان رأيهم ان لا يقاتلوا وقد قال الله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم

عود الى ما كنا بصدده

قال مصعب بن عبد الله لما سار خالد بن الوليد يريد دومة الجندل اخذ المفاوز

واستأجر رافعا الطائى يهديه واشترى خمسين شارفا فكبتها واوجرها وسقاها عللا ونهلا فكلما نزل منزلا نحر وجعل اكراشها على النار وشرب القوم منها حتى اذا شارفوا رمد رافع حتى لم يبصر فقال ايتونى بغلام حدث قال ارونى الماء ثم قال للغلام ما ترى قال ارى سدرا على موضع مرتفع فقال ذلك سدر دومة الجندل وقال خالد بن الوليد اقسم بالله لتركبن وقال يرتجز ويقول وقال اسحق بن ابى فروة ان خالدا ومن معه هبطوا من ثنية الغوطة (١) تقدمهم راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء التى يقال لها العقاب فبها سميت ثنية العقاب وقال ابن اسحق وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد فسار الى الشام فاغار على غسان بمرج راهط ثم سار فنزل على قناة بصرى وعليها يزيد بن ابى سفيان وابو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة فاجتمعوا فرابطوها حتى صالحت على اخذ الجزية وفتحها الله على المسلمين فكانت اول مدائن الشام فتحا فى خلافة ابى بكر وصالح خالد فى وجهه ذلك اهل تدمر ومر على حوارين فقتل وسبى وروى اللالكائى عن عبد الرحمن بن جبير ان خالد بن الوليد لما كان بالعراق وكتب اليه ابو بكر رضى الله عنه ان ينصرف بثلاثة آلاف فارس الى الشام اسرع فاشتق الارض بمن معه حتى خرج الى ضمير فوجد المسلمين معسكرين بالجابية وتسامع الاعراب الذين كانوا فى مملكة الروم بخالد ففزعوا له هذه رواية اللالكائى والبيهقى وزاد اللالكائى فنزل خالد على شرحبيل بن حسنة ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الاربعة امراء وسارت الروم من انطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلك وخرج هرقل كراهية لمسيرهم متوجها نحو الروم وسار باهان الرومى بن الرومية الى الناس بمن كان معه وقال جعفر ان المسلمين ساروا وعليهم هؤلاء الامراء يزيد بن ابى سفيان وعمرو وابو عبيدة وشرحبيل كل على عسكره ومن كانت الواقعة ما يلى عسكره فهو على اصحابه وسار معهم النساء والذرية بالخيل والسلاح وليس معهم حمار ولا شاة فاخذوا على طريق فلسطين حتى نزلوا على قرية يقال لها تادن من قرى غزة ومايلى الحجاز فلقيهم بها بطريق من بطارقة الروم فارسل اليهم ان يخرجوا اليه احد القواد ليكلمه قال فتواكلوا ذلك (٢) وقالوا لعمرو بن العاص انت لذلك فخرج اليه عمرو فرحب به

---

(١) هى الثنية التى بقرب عذرا وهى مشهورة (٢) يعنى اتكل كل واحد منهما على صاحبه

للبطريق ومتّ (١) اليه بقرابة العيص بن اسحاق بن ابراهيم وقال ما الذى جاء بكم فقد كانت الاباء اقتسمت الارض فصار لكم ما يليكم وصار لنا ما يلينا وقد عرفنا انكم انما اخرجكم من بلادكم الجهد وسنأمر لكم بمعروف وتنصرفون فقال عمرو اما القرابة فهى على ما ذكرت واما القسمة فانها كانت قسمة شططا (٢) فنحن نريد ان نتراد فتكون قسمة معتدلة انأخذ نصف ما فى ايديكم من الانهار والعمارة ونعطيكم نصف ما فى ايدينا من الشوك والحجارة واما ما ذكرت من الجهد الذى اخرجنا فانا قدمنا فوجدنا فى هذه البلاد شجرة يقال لها الحنطة فدقعنا (٣) منها طعاما فنحن لا نفارقكم حتى نصيركم عبيدا او تقتلونا تحت اصول هذه الشجرة قال فالتفت الى اصحابه فقال صدقوا وافترقنا فاقتتلوا فكانت بينهم معركة انصرف القوم على حامية ومضى المسلمون فى آثارهم حتى طووهم عن فلسطين والاردن الا ما كان من ايليا وقيسارية فقد تحصن فيهما اناس فتركوهم ومضوا الى ناحية البثنية ودمشق وقال شراحيل بن مرثد بعث ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته خالدا بن الوليد الى اهل اليمامة وبعث يزيد بن ابى سفيان الى الشام فكنت ممن سار مع خالد الى اليمامة فلما قدمنا قاتلنا اهلها قتالا شديدا وظفرنا بهم وهلك ابو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث ابا عبيدة بن الجراح الى الشام فقدم دمشق فاستشار ابو عبيدة عمر فكتب عمر الى خالد ان سر الى ابى عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال فى كم تأتى الى الحيرة فقال فى كذا وكذا فعطش خالد الابل ثم سقاها واستقا وسقى الخيل ثم طمم (٤) افواه الابل وادبارها وقال له الدليل ان انت اصبحت عند الشجرة نجوت ونجا من معك وان اصبحت دون الشجرة فقد هلكت وهلك من معك فسار خالد بمن معه فاصبح عند اضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الابل وسقى الخيل مما فى بطونها واطعم لحومها المسلمين وسقى المسلمين من المياه التى كانت تحمل معه ثم اتى الحيرة او الكوفة فصالحه اسقفها كذا قال وانما كان هذا بعد رجوعه من الحيرة وابو عبيدة كان بالشام ايام ابى بكر وقال سياه الاحمرى كان ابو بكر وجه خالدا

---

(١) المت التوسل والتوصل بحرمة او قرابة اوغير ذلك (٢) قسمة جائرة (٣) يقال دقع دقعا وادقع اسف الى مداق الكسب ومعناه هنا اكتسبنا طعاما (٤) ربطها او جعل لها كيسا

بن سعيد بن العاص الى الشام حيث وجه خالدا بن الوليد الى العراق فسار
خالد بن سعيد حتى نزل على الشام ولم يقتحم واستجاب الناس وعز فهابته
الروم واجموا عنه فلم يصبر على امر ابى بكر ولكن توردها فاستطردت له
الروم حتى اوردوه الصفرين ثم تعطفوا عليه بعد ما امن فوافقوا ابنه سعيد
بن خالد مستمطرا فوافقوه فقتلوه ومن معه واتى الحىّ خالدا فخرج هاربا حتى
اتى البر فتنزل منزلا واجتمعت الروم الى اليرموك فنزلوا به وقالوا والله لنشغل ابا
بكر فى نفسه عن تردد بلادنا بخيوله وكتب خالد بن سعيد الى ابى بكر بالذى كان
فكتب ابو بكر الى عمرو بن العاص وكان ببلاد قضاعة بالسير الى بلاد اليرموك
ففعل وبعث ابا عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابى سفيان وامر كل واحد منهما
بالغارة وان لاتتوغلوا حتى لا يكون ورائكم احد من عدوكم وقدم عليه شرحبيل
بن حسنة بفتح من فتوح خالد فسرحه نحو الشام فى جند وسمى لكل واحد
من امراء الاجناد كورة (١) من كور الشام وتوافوا باليرموك فلما رأت الروم
توافيهم ندموا على الذى ظهر منهم ونسوا الذى كانوا يتواعدون ابا بكر به
واهتموا وهمتهم انفسهم واشجوهم وشجوهم ثم نزلوا الواقوصة وقال ابو بكر
والله لا يسبن الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد فكتب اليه كتابا وامره
ان يخلف المثنى بن حارثة على العراق فى نصف الناس واذا فتح الله على المسلمين
الشام فارجع الى عملك بالعراق فقال عمرو هذا عمله من حسدنى ان يكون فتح العراق
على يدى فاحب ان يبعدنى بعد ما كسر الله حد العراق ورعب اهله وشجع
المسلمين على غزوه قاله ذو الجوشن الضبابى قال وكان قصد بذلك عمر بن الخطاب
ولا يشعر ان عمر لا ذنب له فقال القعقاع لعمرو ارفع لسانك عن عمر فوالله
ما كذب الصديق ولا صدقت على ان اخيك قال صدقنى الله ففتح الله الغضب
والظنون وما لله يا قعقاع لقد اغريتنى بحسن الظن فقال القعقاع الحمد لله الذى
خلصك وابقى فيك الخير ونفى عنك الشر وبعث خالد بالاحماس الى ما نقل
منها مع عمير بن سعد الانصارى بميرة الى الشام ثم ارتحل من الحيرة سائرا الى
دومة ثم طعن فى البر الى قراقر ثم قال كيف لى بطريق اخرج فيه من وراء

(١) الكورة بالضم المدينة والصقع وفى المحكم الكورة من البلاد المخلاف وهى القرية
قال ابن دريد لا احسبه عربيا

جموع الروم فانى اذا استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين فكلهم قال لا نعرف الا طريقا لا يحمل الجيوش يأخذه الفذ (١) والراكب فاياك ان تغرر المسلمين فعزم عليه ولم يجبه الى ذلك الا رافع بن عميرة فانه قال انى اعرف طريقا ولكنه حذر من السلوك فقال خالد له وللمسلمين لا يهولنكم فانا عباد الله وفى سبيل الله وفى طاعة خليفة رسول الله ونحن وان كثرنا بعد ان نتزود فكالقليل المنكمش (٢) فناشدوه فثاب فيهم (٣) فقال لاتختلفن ولا تضعفن انفسكم واعلموا ان المعونة تأتى على قدر النية والمعونة على قدر الحسنة وان المسلم لا ينبغى له ان ان يكترث بشئ يقع فيه مع معونة الله له فقالوا له انت رجل قد جمع الله لك الخير ثم وافقوه على رأيه ثم ساق الحكاية نحوا مما تقدم من سقى الابل وغير ذلك ولما سار خالد قال له محرز بن حريش المحاربى اجعل كوكب الصبح على حاجبك الايمن ثم امه (٤) تفضى الى سواد فهداهم الله الى الطريق وقال ابن اسحق خرج عمرو من العراق حتى نزل على عين التمر واغار على اهلها ورابط حصونها حتى استنزلهم فضرب اعناقهم وسبى من عين التمر بشرا كثيرا بعث بهم الى ابى بكر وذلك اول سبى قدم المدينة من تلك البلاد ووجدوا فى كنيسة اليهود صبيانا يتعلمون الكتابة فى قرية من قرى عين التمر وكان فيهم حمران بن ابان مولى عثمان فسباهم ثم سار على نحو ما تقدم وفى آخر هذه القصة انه لما نفذت الابل التى سقاها خالد وربط افواهها خاف العطش فقال لرافع وهو ارمد ويحك ما عندك قال ادركت الرى ان شاء الله هل ترى علمين كأنهما توامان قال نعم فلما دنا من العلمين قال انظروا هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل قالوا لا والله فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم فتشوا على الشجرة فوجدوها قد قطعت وبقى منها بقية فحفروا فوجدوا الماء فقال رافع اما والله ما وردته قط الا مرة واحدة مع ابى وانا غلام صغير فقال ابو احيحة القرشى فى ذلك

لله عينا رافع انى اهتدى في مهمه مشتبه الى سوى (٥)

---

(١) الفذ الرجل وحده (٢) اى صاحب التشمر والجد (٣) جمعهم (٤) اجعله امامك (٥) انى كحتى تكون بمعنى اين تقول انى لك هذا اى من اين لك هذا وبمعنى متى وبمعنى كيف كما هنا فانها بمعنى كيف اهتدى والمراد التعجب والمهمه المفازة والبرية القفر والمعنى التعجب منه كيف اهتدى فى برية مشتبهة الى محلة سوى

والعين منه قد تغشاها الردى … معصوبة كأنها ملآى ثرى (١)
فهو يرى بقلبه مالا يرى … من الصوى تترى له تمر الضوى (٢)
اذا التقى بعد النقا اذا سرى … وهو به يخبرنا وما دنا (٣)
وما رآه ليس بالقلب حسى … قلت حفيظ وفهاد قد على (٤)
فوّز من قراقر الى سوى … والسير زعزاع فما فيه ونا (٥)
خمس اذا ما سارها الجيش بكى … فى اليوم يومين رواحا وسرى (٦)
ما سارها من قبله انسى ارى … هذا لعمرى رافع هو الهدى

ثم استقام بخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى اذا اغار على مرج العذرا وبه ناس من غسان فاصاب منهم ثم مضى حتى نزل مع ابى عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابى سفيان وشرحبيل بن حسنة على قناة بصرى فنزل معهم حتى صالحت بصرى على الجزية وكانت اول جزية وقعت بالشام على عهد ابى بكر وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد اما بعد فدع العراق وخلف اهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ثم امض مخففا فى اهل قوة من اصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتى الشام فتلقى ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين واذا التقيتم فانت امير الجماعة والسلام عليك ورحمة الله

---

(١) الردى الرمد والمعنى ان عينه قد حل بها الرمد وقد عصبها كأنها مملوءة ترابا (٢) الصوى العلامات التى تجعل ليستدل بها فى الطريق وما لا يرى بضم الياء وتترى تتتابع وتظهر وقوله تمر الضوى كذا فى الاصل وتمر من قولهم تمر اللحم اذا قطعه قطعا صغارا كالتمر والضوى الضعيف النحيف ومعناه ان علامات الطريق تظهر له وهو ارمد على نحافتها وصغرها حتى كأنها التمر (٣) النقا كثيب الرمل والمعنى انه اذا تلاقت اطراف الرمل المتباعد عن بعضه فذلك الدليل يخبرنا به قبل ان يدنو منه ويصل اليه ومن غير ان يراه (٤) حسى اى احساس كأحساس العين والمعنى انه اذا اخبرك به وهو على هذه الحالة وليس فى القلب احساس اى حس كالعين قلت انه حفيظ اى حافظ لما يراه وفهاد قال فى التهذيب يقال فهد فلان كمنع اذا عمل فى امره بالغيب جيلا اه والمعنى انه يعمل بالغيب عملا جيلا قد على به على غيره وقوله قلت جواب الشرط (٥) اى سار فى تلك المفازة المهلكة من قراقر الى محلة سوى مأخوذ من قولهم فوز اذا مات اى كأنه مات فى تلك المفاوز ثم حي والسير الزعزع الشديد كما فى لسان العرب والالف هنا للاشباع وما فيه ونا اى ضعف (٦) اى سار خمسة ايام فسار اليومين فى يوم واحد والرواح الوقت من زوال الشمس الى الليل والسرى المشى بالليل والمعنى سار ليلا ونهارا

﴿ باب ما روى من توقع المشركين لظهور دولة المسلمين ﴾

روى الطبرانى بسنده الى ابن عباس انه قال اخبرنى ابو سفيان بن حرب ان هرقل ارسل اليه فى ركب (١) من قريش وكانوا تجارا فى الشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهوبايليا (٢) فدعاهم الى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعى بترجمانه ثم قال ايكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم انه نبى قال ابو سفيان فقلت انا اقربهم به نسبا فقال ادنوه منى وقربوا اصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم انى سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه فقال ابو سفيان فو الله لولا الحياء ان يؤثروا (٣) على كذبا لكذبته عنه قال ثم كان اول ما سئالنى عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قال لا قال فهل كان فى ابائه ملك قلت لا قال فاشراف الناس (٤) اتبعوه ام ضعفائهم قلت بل ضعفائهم قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه (٥) بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل يغدر (٦) قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول الذى قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ولم يمكنى كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال (٧) ينال منا وننال منه قال فماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول اباؤكم ويأمرنا بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان قل له انى سئالتك عن نسبه فقلت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها وسئالتك هل قال احد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتم (٨) بقول قيل قبله وسئالتك

---

(١) الركب اصحاب الابل فى السفر العشرة فما فوقها (٢) بيت المقدس (٣) اى يحكوا على الكذب فى بلادى (٤) الشريف من كان ذا قدر وقيمة عند قومه ورفعة يرفع الناس ابصارهم بالنظر الى رفعته وقيمته وقدره يستشرفونها كذا فى النهاية (٥) سخطة كراهة (٦) الغدر ترك الوفاءبالعهد (٧) اى نوبة لنا ونوبة له وينال يصيب (٨) يأتم يقتدى

هل كان من ابائه من ملك فذكرت ان لا فقلت لو كان من ابائه من ملك قلت هو رجل يطلب ملك ابيه وسئالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر (١) الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل وسئالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفائهم فذكرت ان ضعفائهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسئالتك ايزيدون ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسئالتك ايرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب (٢) وسئالتك هل يغدر فزعمت ان لا وكذلك الرسل لا يغدرون وسئالتك بما يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة وبالصدقة والعفاف والصلة فان كان ما يقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وهو نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اكن اظن انه منكم ولكن لو انى اعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقائه (٣) ولو كنت عنده لغسلت قدميه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الى عظيم بصرى (٤) فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا هو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اسم الاريسيين (٥) ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا الآية قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب (٦) وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد امر امر (٧) ابن ابي كبشة انه ليخافه بنوا الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر

---

(١) يدع يترك (٢) معناه ان الايمان لا يزال ينمو حتى يختلط بفرح القلب به والانبساط اليه والانس به فلا يزال الانس به مصاحبا له فلا يتركه المتلبس به ساخطا عليه كارها له لان المحب للشيء لا يمكنه ان يترك ما يحبه سخطا عليه (٣) اخلص اصل لتجشمت اى تكلفت الوصول اليه ولاستصغرت الخطر والمشقة (٤) اميرها وبصرى بضم الباء مدينة حوران وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء ولقبه قيصر (٥) الاريس الزارع والفلاح والمعنى عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك (٦) الصخب اختلاط الاصوات وارتفاعها (٧) اى كثر امره وعلا شأنه

حتى ادخل الله على الاسلام وكان ابن الناظور وهو صاحب ايليا وهرقل اسقفا (١) على نصارى الشام يحدث ان هرقل حين قدم ايلياء اصبح يوما خبيث (٢) النفس فقال له بعض بطارقته (٣) لقد انكرنا هيئتك قال ابن الناظور وكان هرقل رجلا حزاء (٤) ينظر فى النجوم فقال لهم حين سألوه انى رأيت الليلة حين نظرت فى النجوم ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قالوا ليس يختتن غير اليهود فلا يهمنك شأنهم وامر الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبيناهم على امرهم ذلك اتى هرقل برجل ارسل به ملك غسان (٥) يخبره عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخبره هرقل فقال اذهبوا فانظروا امختتن هو ام لا فنظروا اليه فحدثوه انه مختتن فسأله عن العرب ايختتنون فقال نعم هم يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر فكتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره فى العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم (٦) حمص حتى اتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه نبى فاذن هرقل بعظماء الروم فى دسكرة(٧) له بحمص ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع فقال لهم يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم تتبعوا هذا الرجل فحاصوا (٨) حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد اغلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وايس من ايمانهم قال ردوهم على وقال انما قلت مقالتى التى قلت لكم آنفا اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت الذى احب فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل واخرجه البخارى (٩) عن ابى اليمان ووقع فى روايته ابن الناظور بالظاء المعجمة والصواب انه بالمهملة وقال سيف بن عمرو اخبرنى محمد وطلحة ان امير جند الروم قد كان بعث عينا من عرب الشام من غسان وقال له ادخل فى هؤلاء القوم يعنى ابا عبيدة وجنوده فدخل على عسكر المسلمين ومكث يوما وليلة ثم رجع فاخبرهم انهم

---

(١) اى رئيسا من رؤساء دينهم وهو فوق القسيس ودون المطران (٢) خبث النفس كسلها وقلة نشاطها وسوء خلقها (٣) البطارقة قواد الملك وخواص دولته واهل الرأى والشورى منهم (٤) الحزاء الكاهن وينظر فى النجوم يعرف فن احكام النجوم فيستدل به على الحوادث (٥) هو الحارث بن ابى شمر (٦) يفارقها (٧) الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت (٧) نفروا وكروا راجعين (٩) رواه البخارى فى اربعة عشر موضعا من كتابه واخرجه مسلم من خمسة طرق ورواه ابو داود والترمذى والنسائى ولم يخرجه ابن ماجة

رهبان بالليل وفرسان بالنهار هم فيما بينهم كالعبيد وعلى من سواهم كالاسود اذا قالوا صدقوا واذا وعدوا وفوا يأخذون لله حقوقهم ولو من انفسهم وفى رواية ولو سرق ملكهم قطعوا يده ولو زنا رجموه يعنى بذلك اقامتهم الحق لله فقال ان كنت بما تقول صادقا للموت خير من الحياة و ليرن علينا منهم شر طويل واوددت ان حظى من ربى ان يخلى بيننا وبينهم فلم ينصرنا عليهم ولم ينصرهم علينا قالوا وقد كان هرقل قبل مهزم خالد بن سعيد حج بيت المقدس فبينما هو مقيم به اتاه الخبر بقرب الجنود منه فجمع الروم وقال ارى من الرأى الا تقاتلوا هؤلاء القوم ابدا فوالله لان تعطوهم نصف ما اخرجت الشام وتبقى لكم جبال الروم خير من ان يغلبوكم على الشام ويشاركوكم فى جبال الروم فنحن احق ونحن ختنة (١) ونصدع عنه من كان حوله فلما راهم يعصونه ويردون عليه بعث اخاه وامر الامراء ووجه الى كل جند جندا فلما اجتمع المسلمون امرهم بمنزل جامع واسع حصين فنزل بالواقوصة وخرج فنزل حمص فلما بلغه ان خالدا قد اطلع على سود فاشف اهله (٢) واعوالهم وعمد الى بصرى فافتحها واماج عذرا (٣) فقال لجلسائه الم اقل لكم لا تقاتلوهم فانه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ان دينهم دين جديد يجدد لهم جدهم ونشاطهم ولا يقوم لهم احد حتى يبلى (٤) فقالوا له قاتل عن دينك ولا تخش الناس واقض الذى عليك قال واى شئ اطلب بهذا الا توفير دينكم ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك بعث اليه المسلمون انا نريد كلام اميركم وملاقاته افتدعونا نأتيه نكلمه فابلغوه فاذن لهم فاتاه ابو عبيدة كالرسول ويزيد بن ابى سفيان والحارث بن هشام وضرار بن الازور وابو جند بن سهيل ومع اخى الملك يومئذ فى عسكره ثلاثون رواقا وثلاثون سرادقا (٥) كلها من ديباج فلما انتهوا

(١) الاختان من قبل المرأة والاحماء من قبل الزوج والصهر يجمعهما وخاتن الرجل اذا تزوج اليه وفى الصحاح الختن كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ (٢) اشف استأصل مأخوذ من الاشتفاف وهو شرب جميع ما فى الاناء (٣) امالهم وهو مجاز (٤) من هنا اخذ ابن خلدون قوله ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية لانهم لا ينقاد بعضهم لبعض فاذا كانت رابطتهم صبغة دينية تذهب عنهم مذمومات الاخلاق وتأخذهم بمحمودها وتؤلف كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق فلتراجع مقدمة ابن خلدون (٥) الرواق الفسطاط يعنى الخيمه والسرادق كلما احاط بشئ من حائط او مضرب او خباء والديباج معرب ديوباف اى نسج الجن قاله فى شفاء الغليل وهو المنسوج من الحرير

اليها ابوا ان يدخلوا فيها وقالوا لا نستحل الحرير فانزل الينا فنزل الى فرش له ممهدة وبلغ ذلك هرقل فقال الم اقل لكم هذا اول الذل اما الشام فكلا شام وويل للروم من المولود المشؤوم ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح فرجع ابو عبيدة واصحابه وابعدوا فكان القتال حتى جاء الفتح وقال يحي بن يحي الغساني حدثني رجلان من غسان ان المسلمين لما كانوا بناحية الاردن قلنا ان دمشق ستحاصر فقال احدنا لصاحبه هل لك ان تدخل المدينة فنشتري من سوقها قبل حصارها فبينما نحن نتسوق اذ اتانا رسول بطريقها يطلبنا فذهب بنا اليه فقال انتما من العرب قلنا نعم قال وعلى النصرانية قلنا نعم فقال ليذهب احدكما الى هؤلاء فيتجسس لنا من خبرهم ومن اين هن وليثبت الآخر على متاع اخيه ففعل ذلك احدنا فلبث لبثا ثم جاء فقال جئتك من عند رجال رقاق يركبون خيولا مشاقا اما بالليل فرهبان واما بالنهار ففرسان يريشون النبل ويبرونها ويقوّمون القنا (١) او حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك لما على من اصواتهم بالقرآن والذكر فالتفت الى اصحابه فقال منهم مالا طاقة لكم به وقال ابن اسحق كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواقا (٢) عند اللقا فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة جيشه اخبروني ويلكم من هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم اليس هم بشر مثلكم قالوا بلى قال فانتم اكثر ام هم قالوا بل نحن اكثر منهم اضعافا في كل موطن قال فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم فقال شيخ من عظمائهم من اجل انهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ومن اجل انا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بما يسخط الله وننهى عما يرضى الله ونفسد في الارض فقال له انت صدقتني

باب ذكر ظفر جيش المسلمين المظفر وظهوره على الروم باجنادين وفحل ومرج الصفراء

قال ابن شهاب الزهري كانت وقعة اجنادين وفحل في سنة ثلاثة عشرة

(١) القنا الرماح (٢) الفواق بضم الفاء وفتحها قدر ما بين الحلبتين من الناقة لاجل الراحة

فاما اجنادين فكانت فى جمادى الاولى واما فحل ففى ذى القعـدة وقال محمد بن اسحق استخلف عمر بن الخطاب على رأس اثنى عشـرة سنة وثلاثة اشهر واثنتين وعشرين يوما من الهجرة وكان امر الناس بالشام الى خالد بن الوليد والامراء على منازلهم فساروا قبـل فحل من الاردن فلما استخلف نزع خالدا وامّر ابا عبيدة على الاجناد وقال الواقدى وفى سنة اربع عشرة كان فتح مرج الصفراء فاقام المسلمون بها خمس عشـرة ليـلة من المحرم ثم زحف المسلمون الى دمشق فى المحرم فحاصـروها ستة اشهر الا يوما ولمـا كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر فكثر القتل فى الروم يومئذ حتى جرى النهر وطحنت طاحونه بدمائهم فانزل الله على المسلمين نصره وقتلت يومئـذ ام حكيم اربعـة من الروم بعمود فسطاطها وقتـل من المسلمين اربعة عشـر رجلا وقال عمرو بن العاص شهدنا اجنـادين ونحن يومئـذ عشـرون الفا فهزم الله الروم وتفرقوا ثم انهم ساروا الى فحل فاتبعناهم حتى اجليناهم عنها وقال محمد بن عمرو اهل الشـام قاطبة وعامة رواتنا يقولون ان اجنادين كانت قبـل فحل وقال الوليد اخبرنى معبد بن عبـد العزيز وابن جابر ان اول وقعة كانت بين المسلمين وبين الروم باجنادين نصـر الله بها المسلمين قال ابن جابر فهى احـدى ملاحم الروم التى اسروا فيها وقال الواقدى واليقين عنـدنا ان اجنادين كانت فى جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وبشر بها ابو بكر رضى الله عنـه وهو بآخر رمق فقال قوم هرقل لا يعرفون ما حدهم قد اسلمتهم هزيمتهم الى الوحل فركبوه ولحق اوائل المسلمين بهم وقد وحلوا فركبوهم ولا يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة فى فحل وكانت مقتلتهم فى الرداع فاصيب الثمـانون الفا ولم يتفلت منهم الا الشريد وانزل الله نصره على المؤمنين واقتسموا ما افاء الله عليهم وانصرف ابو عبيدة وخالد من فحل الى حمص فصرفوا بشير بن كعب من اليرموك معهم ومضوا بذى كلاع ومن معه وخلفوا شرحبيل ومن معـه . وقال القعقاع بن عمرو فى يوم فحل

كم من اب لى قد ورثت فعاله　　جم المـكارم بحره تيـار(١)

ورث المكارم عن ابيه وجده　　فبنى بنـائهم له اسـتنصار

---

(١) الجم الكثير والتيار موج البحر وحِدته

فبنيت مجدهم وما هدمته   وبنيّ بعدى ان بقوا عمار
مازال منا فى الحروب مروس   ملك يغير وخلفه جرار (١)
بطل اللقاء اذا الثغور توكلت   عنـد الثغور مجرب مظفار
وغداة فحل قد رأونى معلما   والخيل تمخط والبلا اطوار (٢)
يفدى بلائى عنـدها متكلف   سلس المياسر عوده حوار (٣)
سلس المياسر ما تسامى ماقطا   عنـد الرهان معبر عيار (٤)
ما زالت الخيل العراب تدوسهم   فى حوم فحل والقنا موار (٥)
حتى رميت سراتهم عن اسرهم   فى ردغة مابعدها استمرار (٦)
يوم الرداع فعند فحل ساعة   وخز الرماح عليهم مدرار (٧)
ولقد ابرنا فى الرداع جموعهم   طرا ونحوى تبسم الابصار (٨)

وقال ايضا

وغداة فحل قد شهدنا مأقطا   ينسى الكمى سلاحه فى الدار (٩)
ما زلت ارميهم بقرحة كامل   كر المبيح ريائة الابسار (١٠)
حتى فضضنا جمعهم بتردس   ينفى العـدو اذا سما جرار (١١)
نحن الاولى جـوا العراق بخيلهم   والشام جسافى ذرى الاسفار (١٢)

---

(١) المروس الرئيس والجرار صفة لمحذوف اى جيش جرار (٢) يقال اعلم الفارس جعـل لنفسه عـلامة الشجعان وتمخط يسيل مخاطها من التعب والاطوار التارات التى تتتابع (٣) المعنى يفـديني بنفسه وقت الحرب واصل البلاء الاختبار وسمى الحرب بلاء لانه تظهر فيه افعال المحارب من خير او شر والتكلف المتولع بامره وشأنه وسلس المياسر اى لين السماحة متساهلا وعوده حوار اى سهل الفتل من قولهم حار اى رجع ومعناه لين العريكة (٤) ماتسامى ماقطا يعنى ما ارتفع متغيظا والرهان المراهنـة على السباق ومعبر سالك وعيار ذاهب ههنا وههنا من مرحه ومراده مدح فرسه (٥) اى والرماح تموج فيهم (٦) الردغ الماء والطين والوحل الشـديد وما لها استقرار مالها بقاء (٧) الوخذ الطعن بالرمح ونحوه ولا يكون نافـذا والمدرار الكثير (٨) ابرنا اهلكنا وهـو من ابرت الكلاب اذا اطعمتـه الابرة وفى الكلام تورية والرداع اسم مكان وتبسم هو فى الاصـل هكذا ولعل المعنى انها تنظر الى فعله فرحة كأنها متبسمة (٩) المأقط اضيق المواضع فى الحرب والكمى البطل (١٠) القرحة بالضم الغرة فى وسط الجبهة وفى وجه الفرس مادون الغرة وكامل صفة لمحذوف تقديره فرس كامل والمعنى ما زال يرميهم بغرة فرسه اى انه لم يزل مقابلا لهم وهو يكركر المبيح اى الاسد والريائه البطؤ والتأخر والابسار مصدر بسراى كلح وجهه والمعنى انى القاهم بوجه غير كالح لانى لا اهابهم (١١) فضضنا اى فرقنا جمعهم فتفرق وقوله بتردس كذا رأيته فى الاصل ويأتى بمعنى الضرب والدفع والتردى وهو كناية عن الجيش وجرار صفته وينفى العدو يبدده اذا سما اى اعتلا ميدان الحرب (١٢) ذرى الاسفار اعاليها والجس المس

باب كيف كان امر دمشق فى الفتح وما امضاه المسلمون لاهلها من الصلح

قال الاموى لما ولى عمر بن الخطاب فتحت على يديه دمشق سنة اربع عشرة قال ابو زرعة كان فتحها فى رجب من السنة المذكورة وقال الوليد بن مسلم سمعت اشياخنا يقولون ان دمشق فتحت فى سنة اربع عشرة وان عمر بن الخطاب توجه نحو الشام سنة ست عشرة فولاه الله فتح بيت المقدس على صلح ثم قفل راجعا وقال سعيد بن عبد العزيز وكانت اليرموك سنة خمس عشرة وعلى المسلمين ابو عبيدة بن الجراح وقال ابراهيم بن سيف بن عمر كانت وقعة دمشق فى شوال هكذا اورد الحافظ الاول باسانيد متعددة ثم روى هذه الرواية واتبعها بروايات اخر فروى بالسند الى محمد بن اسحق انه قال سار المسلمون الى دمشق وعلى الناس خالد بن الوليد وقد كان عمر عزله وامر ابا عبيدة فرابطوها حتى فتح الله عليهم فلما قدم الكتاب على ابى عبيدة بامرته وعزل خالد استحيا ان يقرئ خالدا الكتاب حتى فتحت دمشق وكانت سنة اربع عشرة فى رجب واظهر ابو عبيدة امرته وعزل خالد وقال خليفة بن خياط سار ابو عبيدة ومعه خالد بن الوليد فحاصرا دمشق ثم صالحوا ابا عبيدة وفتحوا له باب الجابية وفتح خالد احد الابواب عنوة واتم لهم ابو عبيدة الصلح وقال ابن الكلبى كان الصلح يوم الاحد النصف من رجب وروى خليفة بن خياط عن بكر بن عطية انه قال حاصرهم ابو عبيدة رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وتم الصلح فى ذى القعدة وقال سعيد ابن كثير بن عفير المصرى فى تاريخ فتح دمشق حاصروها اربعة اشهر ومنهم من قال حاصروها اربعة عشر شهرا وروى الشيخ الاموى عن ابيه ان ابا بكر ولى سنتين واربعة اشهر فعلى يديه كانت وقعة اجنادين و فحل ثم مضى المسلمون الى دمشق فنزلوا عليها فى رجب سنة ثلاث عشرة وتوفى ابو بكر رضى الله عنه بعد ذلك وولى عمر بن الخطاب فعلى يديه فتحت دمشق فى سنة اربع عشرة قال وسمعت اشياخنا يقولون ان عمر بن الخطاب ولى سنة ثلاث عشرة فاقام عمر عمود رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وكان اول ما ابتدأ به اقامة فريضة الجهاد والائتمام برسول

الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر بأثرة اهله بكل ما قدر عليه من تقويتهم بالاموال التى صرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فيها مع اعماله رأيه ونظره وتدبيره اياه ما حضر منه او غاب ففتح الله به وعلى يديه الفتوح العظيمة من دمشق سنة اربع عشرة واليرموك سنة خمس عشرة وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفير ان ابا بكر جهز بعد النبى صلى الله عليه وسلم جيوشا على بعضها شرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابى سفيان وعمرو بن العاص وارسل الى خالد بن الوليد ان يأتى من العراق فينضم اليهم وقد فتح الله عليه القادسية وجلولاء وامره ان يسرع فنزل خالد على شرحبيل ويزيد وعمرو فاجتمع هؤلاء الامراء الاربعة وكان فيما كتب اليه ان انصرف بثلاثة آلاف فارس فامدّ اخوانك بالشام والعجل العجل الى اخوانكم بالشام فوالله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين احب الى من رستاق (١) عظيم من رساتيق العراق ففعل خالد فاشتق الارض بمن معه حتى اجتمع بالمسلمين وهم معسكرون بالجابية فاجتمع الامراء ثم قدم سعد بعد ذلك وقال ابو عثمان الصنعانى لما فتح الله علينا دمشق خرجنا مع ابى الدرداء فى مسلحة (٢) برزة ثم تقدمنا مع ابى عبيدة ففتح الله بنا حمص ثم تقدمنا مع شرحبيل بن السمط فاوطأ الله بنا مادون النهر يعنى الفرات وحاصرنا عانات وقدم علينا سلمان فى مدد لنا وقال ايضا حاصرنا دمشق فنزل يزيد بن ابى سفيان على باب الصغير ونزل ابو عبيدة على باب الجابية ونزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى وكان ابو الدرداء ببرزة فحاصرناها اربعة اشهر وكان راهب دمشق قد طلب من خالد بن الوليد الصلح فشرط عليه خالد اشياء أبى الراهب ان يجيبه اليها قال فدخلها يزيد بن ابى سفيان قسرا من باب الصغير حتى ركبها وذهب الراهب كما هو على الحائط الحائط فاتى خالد بن الوليد ولا يعلم احد ان يزيد قد دخلها قسرا فقال له هل لك فى الصلح فقال وتجيبنى الى ما شرطت عليك قال نعم فاشهد عليه ففتح له باب الشرقى فدخل يزيد فبلغ المقسلاط فالتقى هو وخالد عنده فقال هذا دخلتها عنوة وقال هذا دخلتها صلحا فاجمع رأيهم على

(١) الرستاق السواد يعنى القرية التى تكون خارج المدينة (٢) المسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوى سلاح او لانهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب فيه اقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه اعلموا اصحابهم ليتاهبوا له

ان جعلوها صلحا وقال الاوزاعي كنت عند ابن سراقة عند ما اتاه النصارى
من اهل دمشق بعهدهم فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من خالد
ابن الوليد لاهل دمشق اني امنتهم على دمائهم وكنائسهم ان لا تسكن ولا تهدم شهد
يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وقضاعة بن عامر وكتب في رجب
من سنة اربع عشرة قال الوليد واخبرني من سمع يحيي بن يحيي الغساني يحدث
عن الرجلين من قومه اللذين دخلا دمشق يتسوقان منها قبل حصارها فبعث
اليهما بطريقها فامر احدهما بالذهاب الى معسكر المسلمين ليأتيه بخبرهم ثم رجع
فخبره بما خبره به فنعهما من الخروج كراهية ان يزيع خبرهما قال فبينما نحن فيها
اذ سمعنا التكبير حول المدينة وجعل كل قوم من اهلها على ما يليهم من
حائطها وكنا ممن جعلهم على الباب الشرقي فنزل خالد ومن معه دير خالد ونزل
ابو عبيدة ومن معه ويزيد على باب الجابية فبينما نحن على برج بابها الشرقي اذ
نشب اصحاب خالد بن الوليد القتال ودنا رجل منهم في يده اليمنى السيف وفي
يده اليسرى الدرقة فنادى بالبراز فقال لنا ما يقول قلنا انه يدعوا لي المبارزة
فانزلوا حبشيا كالبعير متسترا بسلاحه فتدانى فضربه المسلم فقتله ثم نادى بالبراز
فانزلوا اليه صاحب بندهم فاجلسوه على باب داره فتدانا فضربه المسلم فقتله ثم
نادى بالبراز فقالوا له قل للشيطان يبارزك وقال يزيد بن مرثد حدثني عصابة
من قومي شهدوا فتح دمشق قالوا دخلها ابو عبيدة من باب الجابية بالامان
ودخلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوة بالسيف وهو يقتل فالتقيا عند
سوق الزيت فلم يدروا ايهما كان اولا هل العنوة ام الامان فاجتمعوا وقالوا والله
ان اخذنا ماليس لنا سفكنا الدماء واخذنا الاموال لنأثمن ولئن تركنا بعض مالنا
لا نأثم قال فاجتمعوا على ان امضوه صلحا وقال عباس بن سهل بن سعد لما
حاصر المسلمون دمشق طال على صاحب دمشق انتظار مدد هرقل ورأى المسلمين
لايزدادون الا كثرة وقوة وانهم لا يفارقونه ارسل الى ابي عبيدة يسئاله الصلح
وكان ابو عبيدة احب الى الروم وسكان الشام من خالد وكان يكون الكتاب
منه احب اليهم فكانت رسل صاحب دمشق انما تأتي ابا عبيدة وخالد يلح على
اهل الباب الذي يليه فارسل صاحب الرحا الى ابي عبيدة فصالحه وفتح له باب
الجابية والح خالد بن الوليد على الباب الشرقي ففتحه عنوة فقال خالد

لابي عبيدة اسهم فاني قد فتحتها عنوة فقال ابو عبيدة انى قد امنتهم فابرم لهم ابوعبيدة الصلح وكتب لهم كتابا وهذا كتابه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لابي عبيدة بن الجراح ممن اقام بدمشق وارضها وارض الشام من الاعاجم انك حين قدمت بلادنا سئالناك الامان على انفسنا واهل ملتنا وانا اشترطنا لك على انفسنا ان لا نحدث فى مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديرا ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا شيئا منها مما كان فى خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ان ينزلوها فى الليل والنهار وان نوسع ابوابها للمارة وابناء السبيل ولا نؤوى فيها ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتم على من غش المسلمين وعلى ان لا نضرب بنوا قيسنا الا ضربا خفيا فى جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ولا نرفع اصواتنا فى صلاتنا وقراءتنا فى كنائسنا ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا ولا نخرج باعوثا ولا سعانين (١) ولا نرفع اصواتنا بموتانا ولا نظهر النيران معهم فى اسواق المسلمين ولا نجاورهم بالخنازير ولا نبيع الخمور ولا نظهر شركا فى نادي المسلمين ولا نرغب مسلما فى ديننا ولا ندعو اليه احدا وعلى ان لا نتخذ شيئا من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ولا نمنع احدا من قرابتنا ان ارادوا الدخول فى الاسلام وان نلزم ديننا حيثما كنا ولا نتشبه بالمسلمين فى لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا فى مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نتسمى باسمائهم وان نجز مقادم رؤوسنا ونفرق نواصينا ونشد الزنانير على اوساطنا وان لا ننقش فى خواتيمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نجعله فى بيوتنا ولا نتقلد السيوف وان نوقر المسلمين فى مجالسهم ونرشدهم الطريق ونقوم لهم من المجالس اذا ارادوها ولا نطلع عليهم فى منازلهم ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نشارك احدا من المسلمين الا ان يكون للمسلم امر التجارة وان نضيف كل مسلم عابر سبيل من اوسط ما نجد ونطعمه فيها ثلاثة ايام وعلينا ان لا نشتم مسلما ومن ضرب مسلما فقد خلع عهده . ضمنا ذلك لك على انفسنا وذرارينا وارواحنا ومساكننا وان نحن غيرنا اوخالفنا عما اشترطنا لك وقبلنا الامان عليه فلا ذمة انا وقد حل لك منا ما حل

(١) الباعوث للنصارى كالاستسقاء للمسلمين وهو اسم سريانى وقيل هو بالغين المعجمة والتاء فوقها نقطتان والسعانين بالسين المهملة اسم عيد للنصارى يكون قبل عيدهم الكبير باسبوع وهو سريانى ايضا قاله فى النهاية

من اهـل المعاندة والشقاق على ذلك اعطينا الامان لانفسنا واهل ملتنا فاقرونا في بلادكم التي ورثكم الله اياها شهد الله على ما شرطنا لكم على انفسنا وكفى به شهيدا وحكى ابو عثمان الصنعاني ان يزيد بن ابي سفيان دخل من الباب الصغير قسرا وان خالدا دخلها من الباب الشرقي صلحا لذلك الصلح الذي كان من خالد في بعضها فغلب الصلح على العنوة وامضيت دمشق كلها صلحا انتهى وعلى هذا فلا فائدة في الخلاف في ان الذي دخل قسرا هل هو يزيد ام خالد وقال اسحق بن بشير ان عمر بن الخطاب على جده وانصافه كان اكثر همه وهم المسلمين معه جيوشهم التي بالشام وكان اعظم همه وهم في حصارهم في دمشق ان لا يفتحوها والامراء على منازلهم وخالد عليهم لم يحركوه لئلا يرى العدو اختلاف امورهم وكتموا عن العدو وفاة ابي بكر جهدهم فلما طـال عليهم الحصار دس بطريقهم عيونا فجسوا عساكرهم وامرائهم ثم عادوا الى عظيمهم فسئالهم ماجسوا ورأوا فقالوا اما الليل فطول القيام واما النهار فالخير الظاهر والحرص على الجهاد وان وجد احدهم نعـلا او كبة من شعر او غزل دفعها الى صاحب المغنم فاذا قال صاحب المقسم ما هذا قالوا هذا لا نستحله الا بحله (١) فلما سمع عظيم دمشق هذه القصـة قال مالنا بهؤلاء طاقة ولا لنا في قتالهم خير فراضوا خالدا عند ذلك على الصلح حتى صالحهم ودخلها من بابها بصلح وعليهم ابو عبـيدة من الناحية الاخرى فدخلها عنوة فالتقيا في مدينة دمشق وفيهم من قال ابو عبيدة هو الذي صالح وخالد هوالذي دخلهاعنوة فقال احدهما قد اعطيت الامان وقال الآخر انه دخلها عنوة فقالوا نمضي الامان فكتب لهم خالد كتاب امان فيـه شهادة ابي عبيدة وغيره من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وكان صالح اهل دمشق على دينارين دينارين وشيء من طعام وبعضهم على الطاقة ان زاد المال زاد عليهم وان نقص ترك ذلك عنهم وكان قد اشترط على اهل الذمة بارض الشـام ان عليهم ارشاد الضالة وان يبنوا قناطر ابناء السبيل من اموالهم

(١) من هنا يعلم ان العـدل والاتحاد ومعرفة الانسان ماله وما عليـه هو قاعدة الترقي والعمران ومنه يكون الظفر والنصر على الاعداء وان الظلم واغتصاب حقوق الغير والتخاذل هو النار الحاميـة التي تفرق الامة وتجعل رقابها بيد اعدائها ومن كان في شك من ذلك فليطالع ما يأتي في هذا الكتاب مطالعة متبصر يهتد الى الصواب ويعلم الاسباب التي تنقل الدولة من امة الى امة وهذا هو المقصود الاعظم من التاريخ

وان يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام وان لايشتموا مسلما ولا يضربوه ولا يرفعوا فى نادى اهل الاسلام صليبا ولا يخرجوا خنزيرا من منازلهم الى افنية المسلمين ولا يمروا فى الخمر فى ناديهم وان توقد النيران للغزاة فى سبيله عزوجل ولا يدلوا للمسلمين على عورة وان لا يحدثوا بناء كنيسة ولا يضربوا بناقوسهم قبل اذان المسلمين وان لايخرجوا الرايات فى عيدهم وان لايلبسوا السلاح فى عيدهم وان لايظهر السلاح فى بيوتهم فان فعلوا شيئا من ذلك عوقبوا واخذ منهم وحسب لهم فى جزيتهم ومنهم من قال وقد كان ابو بكر رضى الله عنه توفى قبل فتح دمشق وكتب عمر رضى الله عنه الى ابى عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالد بن الوليد فكتم ابو عبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب كما تقدم آنفا فكتب خالد الامان لاهل دمشق وابو عبيدة الامير وهم لا يدرون قال فكان كتاب عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة ينعى ابى بكر واستعماله ابا عبيدة بن الجراح وعزله خالدا • بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابى عبيدة بن الجراح سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لااله الا هو اما بعد فان ابا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى فانا لله وانا اليه راجعون ورحمة الله وبركاته على ابى بكر الصديق العامل بالحق والآمر بالقسط والآخذ بالعرف اللين الستير الوادع السهل القريب الحكيم نحتسب مصيبتنا فيه ومصيبته المسلمين عامة عند الله تعالى وارغب الى الله فى العصمة بالتقى فى مرحمته والعمل بطاعته ما احيانا والحول فى جنته اذا توفانا فانه على كل شئ قدير وقد بلغنا حصاركم لاهل دمشق وقد وليتك جماعة المسلمين فبث سراياك فى نواحى اهل حمص ودمشق وما سواها من ارض الشام وانظر فى ذلك برأيك ومن حضرك من المسلمين ولا يحملنك قولى هذا على ان تعرى عسكرك فيطمع فيك عدوك ولكن من استغنيت عنه فسيره ومن احتجت اليه فى حصارك فاحتبسه وليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد فانه لا غنى بك عنه قالوا فدفع ذلك الكتاب الى خالد بن الوليد بعد فتح دمشق لنحو من عشرين ليلة فاقبل حتى دخل على ابى عبيدة فقال يغفر الله لك اتاك كتاب امير المؤمنين فلم تعلمنى وانت تصلى خلفى والسلطان سلطانك فقال ابو عبيدة وانت يغفر الله لك ما كنت لاعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيرى وما كنت لاكثر عليك حزنك حتى

ينقضي ذلك كله ثم قد كنت اعلمك ان شاء الله وما سلطان الدنيا اريد وما للدنيا اعمل وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان وقوام بامر الله عز وجل وما يضر الرجل ان يلي عليه اخوه في دينه ودنياه بل يعلم الوالي انه يكاد ان يكون ادناهما الى الفتنة واوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة الا من عصم الله عز وجل وقليل ما هم ودفع ابو عبيدة عند ذلك الى خالد بن الوليد الكتاب قال ابو حذيفة وولي ابو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال على الباب الشرقي وولاه الخيل اذا كان يوم يجتمع المسلمون فيه للقتال فحاصروا دمشق بعد هلاك ابي بكر حولا كاملا واياما وانه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد قيصر ورأى المسلمين لا يزدادون الا كثرة وقوة وانهم لا يفارقونه اقبل يبعث الى ابي عبيدة يسأله الصلح وكان ابو عبيدة احب الى الروم وسكان الشام من خالد بن الوليد فكاد ان يكون الكتاب منه احب اليهم وكان اكتبهما واقربهما منهم قربا وكان قد بلغهم انه اقدمهما هجرة واصلاحا فكانت رسل صاحب دمشق انما تأتي ابا عبيدة وخالد يلح على اهل الباب فارسل صاحب دمشق الى ابي عبيدة فصالحه وفتح باب الجابية والح خالد على الباب الشرقي فافتتحه عنوة فقال خالد لابي عبيدة اسهمهم فاني قد افتتحتها عنوة فقال ابو عبيدة لا اني قد امنتهم ودخل المسلمون دمشق قالوا وكان فتح دمشق سنة اربع عشرة في رجب لخمس عشرة ليلة مضت منه يوم الاحد ولثلاثة عشر شهرا من خلافة عمر الا سبعة ايام وكان اهل دمشق قد بعثوا الى قيصر وهو بانطاكية رسلا يقولون له ان العرب قد حاصرونا وليست لنا بهم طاقة وقد قاتلناهم مرارا فعجزنا عنهم فان كان لك فينا وفي السلطان علينا حاجة فامددنا واعنا والا فانا في ضيق وجهد فاعذرنا وقد اعطانا القوم الامان ورضوا منا بالجزية اليسيرة فسرح اليهم ان تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم على دينكم فانكم ان صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم واجبروكم على دينهم واقتسموكم بينهم وانا مسرح اليكم الجيش في اثر رسولي هذا فانتظروا جيشه فابطأ عليهم وكتب عمر الى ابي عبيدة يأمره بالمناهضة وقال سيف بن عمرو لما هزم الله عز وجل جند اليرموك وتهافت اهل الواقوصة وفرغ من المقاسم والاثقال وبعث بالاخماس وسرحت الوفود واستخلف ابو عبيدة على اليرموك بشيرا بن كعب بن ابي

الحميري كيلا تغتال برده ويقطع العدو على مواده وخرج ابو عبيدة حتى تنزّل بالصفرين وهو يريد اتباع الفالة ولا يدرى هل يجتمعون ام يفترقون فاتاه الخبر بانهم ارزوأ الى فحل فاتاه الخبر بان المدد اتى اهل الشام فهو لا يدرى ابدمشق يبدأ ام بفحل من بلاد الاردن فكتب بذلك الى عمر وانتظر الجواب واقام بالصفرين ولما جاء عمر الخبر بفتح اليرموك اقر الامراء على ما كان استعملهم عليه الا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فانه ضم خالدا الى ابى عبيدة وامر عمرا بمعونة الناس حتى يصير الحرب الى فلسطين واهل حمص فان فتحها الله قبل دمشق تولى حربها ولما جاء عمر رضى الله عنه الكتاب من ابى عبيدة بالذى ينبغى ان يبدأ به كتب اليه اما بعد فابدؤا بدمشق وانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم اهل فحل بخيل تكون فى ازائهم وفى نحورهم واهل فلسطين واهل حمص فان فتحها الله عز وجل فذلك الذى نحب وان تأخر فتحها فاصبروا حتى يفتح الله عز وجل دمشق فلتترك دمشق لمن تمسك بها ودعوها وانطلق انت وسائر الامراء حتى تعبروا على فحل فان فتحها الله عز وجل عليهم فانصرف انت وخالد الى حمص ودع شرحبيل وعمرا وحلهما بالاردن وفلسطين انت وامير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من امارته فسرح ابو عبيدة الى اهل فحل عشرة قواد كالاعور السلمى وعبد عمرو بن يزيد بن عامر الجرشى وعامر بن حثمة وعمرو بن كلب بن يحصب وعمارة بن الصعق بن كلب وصيفى بن علبة بن سنامل وعمرو بن الجنيب ووليدة بن عامر بن خثعمة وبشر بن عصمة وعمارة بن محسن قائد الناس ومع كل رجل خمسة قواد قريبا من فحل وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم فساروا من الصفرين حتى نزلوا قريبا من فحل فلما رأت الروم ان الجنود تريدهم تبقوا الى المساء حول فحل فاقاموا بارضهم ثم ساروا فى الارض ليلا واغتنم المسلمون ذلك فحبسوا عن المسلمين ثمانين الف فارس فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وفلسطين والامير يريد يفصل وفصل بابى عبيدة من المرج وبعث ابو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص ردأ وبعث علقمة ابن حكيم ومسروقا فكان بين دمشق وفلسطين والامير يريد ان يفصل بابى

عبيدة من المرج وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبته عمرو وابو عبيدة وعلى الخيل عياض وعلى الرجال شرحبيل فقدموا على دمشق وعليهم بسطاس بن بسطورس فحصروا اهل دمشق ونزلوا حوالبها فكان ابو عبيدة يومئذ بحمص ومدينة حمص بينه وبينهم فحاصروا اهل دمشق نحوا من سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم قتالا شديدا بالزحوف والترامى والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث وهرقل منهم قريب وقد استمدوه وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص فى جبل على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حمص وجاءت خيول هرقل معينة لاهل دمشق فاثخنتها الخيول التى مع ذى الكلاع بالجراح وشغلتها عن الناس ففروا ونزلوا بازائه واهل دمشق على حالهم فلما ايقن اهل دمشق ان الامداد لا يصل اليهم فشلوا وذهلوا وابلسوا وازداد المسلمون طمعا فيهم وقد كانوا يرون انها كالغارات قبل ذلك اذا هجم البرد قفل الناس فغاب نجم الثريا والقوم مقيمون فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق وولد للبطريق الذى على اهل دمشق مواود فصنع لاجله طعاما فاكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك احد من المسلمين الا ما كان من خالد بن الوليد فانه كان لا ينام ولا يسأم ولا يخفى عليه من امورهم شئ عيونه زاكية وهو معنى بما يليه قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم واوهافا فلما امسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى وامثاله من اصحابه فى اول نومة الناس وقال اذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا الينا وانهدوا الى الباب فلما انتهى الى الباب الذى يليه هو واصحابه المتقدمون رموا بالحبال وعلى ظهورهم القرب التى قطعوا بها خندقهم فلما ثبت لهم وهقان تسلق فيها القعقاع ومذعور ثم لم يدعا احبولة الا اثباها والاوهاف بالشرف وكان المكان الذى اقحموا منه احصن مكان يحيط دمشق واحصنه ماء واشده مدخلا وتوافوا لذلك فلم يبق ممن قدم معه احد الا رقى او دنا من الباب حتى اذا استووا على السور انحدر عامة اصحابه وانحدر معهم وخلف من يحمى ذلك المكان لمن يرتقى وامرهم بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فنهد المسلمون الى الباب ومال الى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد

الى اول من يليه فأقامهم وانحدر الى الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة وفزع سائر الناس فاخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم فقطع خالد بن الوليد ومن معه اغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين فاقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقى مما يلي باب خالد مقاتل الا تقدم ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم الذى اراد عنوة وارز من افلت الى اهل الابواب التى تلى غيره وقد كان المسلمون دعوهم الى المناظرة فابوا وابعدوا فلم يفاجئهم الاوهم يتوقعون لهم بالصلح فاجابوهم وقبلوا منهم وفتحوا لهم الابواب وقالوا ادخلوا وتمنعوا فامن اهل ذلك الباب فدخل اهل كل باب بصلح ما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة فالتقى خالد والقواد فى وسطها استعراضا وانتهاما وهؤلاء صلحا وتسكينا فاخروا ناحية مجراهم وقالوا قد قروا الينا ودخلوا معنا فاجاز لهم ذلك رضى الله عنه فاجرى النصف الذى اجرى عنوة مجرى الصلح فصار صلحا وكان صلح دمشق على مقاسمة الديار والعقار ودينار على كل رأس واقتسموا الاسلاب فكان اصحاب خالد فيها كاصحاب سائر القواد وجرى على الديار ومن بقى فى الصلح جريب من كل جريب ارض ووقفوا ما كان للملوك ومن صوب معهم فيأ وقسموا لذى الكلاع ومن معه ولابى الاعور ومن معه ولبشير ومن معه وبعثوا بالبشارة الى عمر وقدم على ابى عبيدة كتاب عمر بان اصرف جند العراق الى العراق فامر على جند العراق هاشماً بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبته عمرو بن مالك الزهرى وربعى بن عامر وانصرفوا بعد دمشق نحو سعد فخرج هاشم نحو العراق فى جند اهل العراق وخرج القواد نحو فحل وكان اصحاب هاشم عشرة آلاف الا من اصيب منهم فعوضوهم بناس ممن لم يكن منهم وخرج علقمة ومسروق الى ايلياء فنزلا على طريقها وبقى بدمشق مع يزيد بن ابى سفيان من قواد اهل اليمن عدد منهم عمرو بن شمر بن عزنة وسهم بن المسافر بن هزنة ومسافع ابن عبد الله بن شافع وبعث يزيد بن ابى سفيان دحية بن خليفة الكلبى فى خيل بعد فتح دمشق الى تدمر وابا الزهراء القشيرى الى البنسينة وحوران فصالحوهم على صلح دمشق وولى القيام على فتح ما بعث الله اليهم من الخير وكان اخو ابى الزهراء قد اصيبت رجله بدمشق يوم فتحها فلما هاجا بنوا قنزبى

جمدة فخروا بذلك وعددوه وعيروه فاجابهم النابغة بن جمدة بقوله

فان تكن قدم بالشام نادرة (١) فان بالشام اقداما واوصالا
وان يكن حاجب ممن فخرت به فلم يكن حاجب عما ولا خالا

ثم فخر عليهم فقال

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فصارا بعد ابوالا (٢)

وقال القعقاع بن عمرو فى يوم دمشق

اقمنا على دارى سليمان اشهرا نجالد روما وما قد حملنا بصارم(٣)
قصصنا الى الباب العراقى عنوة فدان لنا مستسلما كل قائم (٤)
اقول وقد دارت رحانا بدارهم اقيموا لهم حر الدرى بالغلاصم (٥)
فلما زأدنا فى دمشق نحورهم وتدمر عضوا منهما بالا باهم (٦)

وقال ابو بجيد نافع بن الاسود

فلا تحسبنى وابن امى صلصلا كقاسمة الباكين مزكية الحرب(٧)
تركنا دمشقا منهلا بطريقنا نحنّ اليها ما نحنّ من الكرب (٨)
كأنك لم تشهد دمشقا وحايلا ويوما ببصرى حين فلط بنى لهب(٩)
فانا واياهم سحاب بقفرة تلحقها الارواح بالصيب السكب(١٠)

(١) نادرة ساقطة (٢) القعب قدح بمقدارما يروى الرجل وشيب خلط والمعنى ان فعالنا هى المكارم الحقيقية وليست المكارم الكرم بقدح صغير فيه لبن بمقدار مايشربه الرجل قد خلط بماء حتى صار لونه يشبه لون البول (٣) دارى سليمان اسم مكان والمراد هنا تدمر ودمشق لانهما كانا دارين لسليمان عليه السلام والجلاد الضرب بالسيف فى القتال يقال جلدته بالسيف والسوط ونحوه اذا ضربته به والصارم السيف القاطع (٤) المعنى تتبعنا وتوجهنا الى الباب الذى يسار منه الى العراق وهو الباب الشرقى علوة وقهرا فدان لنا اى اطاعنا كل قائم (٥) دوران الرحى كناية عن قيام الحرب على ساقها لان الحرب تهلك النفوس كما ان الرحى تهلك الحب فتطحنه والدرى شئ كالمسلة يكون مع المرأة تصلح به شعرها والغلاصم جمع غلصمة وهو اللحم الذى بين الرأس والعنق او هو رأس الحلقوم والمعنى يقول لنسائهم اجعلوا لرجالكم المدارى برأس حلقومهم لجبنهم وخوفهم من الحرب (٦) يقول لما افزعنا فى دمشق وتدمر نحورهم وولوا الادبار صاروا يعضون ابهامهم اسفا وحزنا (٧) اى لا تظن اننى وابن امى صلصلا من الذين يقاسمون الجبناء البكاء عند ما تذكوا لحرب اى تشتعل نارها (٨) المنهل من المياه كلما يطؤه الطريق وما كان على غير الطريق لايدعى منهلا ولكن يضاف الى موضعه او الى من هو مختص به فيقال منهل بنى فلان اى مشربهم والمعنى تركنا دمشق فى طريقنا نحن اليها مثل ما نحنّ من الكرب (٩) حايل اسم مكان والفلط المفاجأة فى لغة هذيل اى حين فاجأها بنو لهب (١٠) المعنى انا وبنى لهب كسحاب فوق ارض مقفرة تلحقها الارواح جمع ريح فتجود بالمطر الكثير المنسكب وهو مثال للسرعة وكثرة الخير

منعنـا كموا منهم وقد زعزع القفـا … وكنا قديما نمنع الجار ذا الذنب (١)
هنالك اذ لا يمـنع النـاس وسمـة … واذ انت محروب بمدرجة الترب (٢)
وقد علمت ابنـا تميم باننـا … لنا العز قد ما عند ذائدة النهب (٣)
واما موالينـا تعز بعزنا … ومولاكم الماكول ان كان ذا سهب (٤)

وقال ايضا

من ذا على الاجداث عز كعزنا … اذا الحرب قامت بالجوع على قفر (٥)
فسـائل بنا سيطاس والروم حوله … غداة دمشق والحروب بها تجرى (٦)
ينبـوك انا فى الحروب مصـالب … نسيل اذا جاش الاعاجم بالثغر (٧)
بقـوم تراهم فى الدهور اعزة … لهم عرض ما بين الفرائص والوتر (٨)
ابى الله الا ان عمـرا بنـا هموا … قوائم حرب لا تلين ولا تجرى (٩)

قال ابو عبيد القاسم بن سـلام ان مدينـة دمشق افتتحها خالد بن الوليد صلحـا وزد على هذا ان مدن الشـام كانت كلها صلحـا دون ارضها على يدى يزيد ابن ابى سـفيان وشـرحبيل بن حسنة وابى عبيدة بن الجراح قال الوليـد اخبرنى غير واحد من شيوخ دمشق قالوا بينما المسلمون على حصـار دمشق اذ اقبلت خيل عظيمة مزينـة بالحرير هابطـة من ثنية السلمية فرآهم المسلمون وهم منحـدرون منها فخرج اليهم جماعة من المسلمين فيمـا بين بيت لهيا والثنيـة التى هبطوا منها فهزمهم الله تعالى وطلبهم المسلمون يترجل هـؤلاء وينزل هؤلاء حتى

---

(١) المعنى منعناكم عن التقـدم يوم الوغا والحرب والحـال ان اقفيتكم قد تزعزعت اى تحركت تحركا شـديدا فوليتم الادبار من الخوف وكنا قديمـا نمنع جارنا من كل ما يسوءه وان كان مذنبـا وانتم جيراننا ولكن سـنة الحرب تقتضـى ان نعاملكم تلك المعاملة (٢) لا يمنع النـاس وسمة اى لا يمكنهم المدافعـة عن راياتهم وعلاماتهم والمحروب مأخوذ من الحرب بفتح الحـاء والراء وهو نهب مال الانسـان وتركه لا شئ معه ومدرجة الترب التراب الذى تفشيه الرياح اذا عفصـت (٣) ذائدة النهب الحـاماة والمدافعـة عن النهب والمعنى اننـا نرغب فى العز ولا نريد النهب (٤) السهب كثرة العطاء والمستهب الجواد قاله الليث (٥) الجدث القبر والقفر المفازة التى لا نبات فيها ولا ماء والمعنى ان الحروب اذا قامت بها الجوع فى القفار تجسـم العز على قبورنا لاننا لم نقتل الا كراما (٦) سـيطاس اسـم قائد عسكر الروم يومئذ (٧) المصالب جمع مصلب بتشـديد اللام وهو اليـابس الشديد اى يخبروك بانا اشداء فى الحروب نسيل اى نندفع مثل السيل اذا جاش اى ارتاع وخاف (٨) الفرائص جمع فريصـة وهى عصب الرقبـة وعروقها والوتر جمع وترة وهى عصبة تحت اللسان والمعنى ان لهم اعنـاق الاعداء يتصـرفون بها كيف شاؤا (٩) قوائم حرب اى حرب قائمة

وقفوا على باب حمص فظن اهلها انهم لما يأتوا حمص الا وقد صالحوا اهلها فقالوا نحن على ما صالحتم عليه اهل دمشق ففعلوا وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفير ان المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا ابا عبيدة بن الجراح وافدا الى ابى بكر وبشيرا بالفتح فلما قدم المدينة وجد ابا بكر توفى رحمة الله عليه ورضوانه واستخلف عمر بن الخطاب فاعظم عمر ان يأتمر على ابى عبيدة احد من اصحابه قولا فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا مرحبا بمن بعثناه بريدا فقدم علينا اميرا وقال مكحول ان الذى ابرد بفتح دمشق رجل من الصحابة ليس بابى عبيدة وانه اخبر عمر انه لم يخلع خفيه من يوم الجمعة الى يوم الجمعة وقال ابو عبدالله ابن عائذ الواقدى هذا اصح وعليه الناس وفى حديث عبد الرحمن بن جبير خطأ فى مواضع ثلاثة احدها قوله ان دمشق فتحت فى خلافة ابى بكر وانما حوصرت فى خلافته ولم تفتح الا بعد وفاته والثانى قوله ان عمر ولى ابا عبيدة بالمدينة وانما ولاه وهو مقيم بالشام فبعث اليه بكتاب توليته وهم محاصروا دمشق فكتمه ابو عبيدة خالدا حتى تم الفتح والثالث قوله ان ابا عبيدة كان البريد ويدل عليه ايضا اجماع اهل التواريخ على ان فتح دمشق كان سنة اربع عشرة وبلا خلاف ان ابا بكر توفى سنة ثلاث عشرة فى جمادى الآخرة ويدل على ان البريد كان بفتح دمشق عقبة بن عامر ولم يكن ابو عبيدة بريدا وروى باسناده الى عقبة بن عامر انه قال قدمت على عمر رضى الله عنه بفتح دمشق وعلى خفان فقال كنت تمسح عليهما قلت نعم قال منذ كم قلت منذ جمعة قال اصبت السنة (١) وروى من وجه آخر عن عقبة انه قال ابردت بفتح دمشق وعلى خفان جرمقيان (٢) فقال عمر متى عهدك قال يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة

(١) ذهب الى هذا المذهب الليث بن سعد فقال يمسح على الخفين ما بدا له وكذلك قال الامام مالك فى المسافر وله فى المقيم روايتان احداهما يمسح ما شاء والثانية يمسح يوما وليلة وروى ابو داود عن ابن ابى عمارة انه قال يارسول الله امسح على الخفين قال نعم قال يوما قال يوما قال ويومين قال ويومين قال وثلاثة قال نعم وما شئت واستدل القائلون بهذا بالقياس فقالوا ان المسح على الخفين كمسح الرأس والجبيرة فلم يتوقت بوقت واخرج ابو داود عن خزيمة بن ثابت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المسح على الخفين ثلاثة ايام وللمقيم يوم وليلة وفى رواية ولو استزدناه لزادنا وروى عن مالك فى العتبية المنع من المسح على الخفين وقال ابن اصبغ المسح عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن اكابر اصحابه اثبت عندنا من ان نتبع مالكا على خلافه اهـ (٢) جرمقيان واحدها جرموق كعصفور قال فى الصحاح هو الذى يلبس فوق الخف اهـ وفى التاج قيل هو خف صغير يلبس فوق الخف

وما زلت امسح منذ خرجت قال اصبت رواه عبد الله ابن وهب ورواه البيهقي بمضاه وروى من طرق متعددة وفي بعضها ان عقبة بن عامر قدم على عمر من مصر فقال له كم لك منذ لم تنزع خفيك قال من الجمعة الى الجمعة قال اصبت وفي رواية ان عقبة قدم على عمر إماً قال من مصر وإماً قال من الشام فقال له منذ كم لم تنزع خفيك قال من جمعة قال اصبت • وقال المغيرة افتتح شرحبيل بن حسنة الازدي جهات طبرية كلها عنوة (١) ما عدا طبرية فان اهلها صالحوه وذلك بامر ابي عبيدة وقال ابن الكلبي بعث ابو عبيدة خالدا بن الوليد فغلب على ارض البقاع وصالحه اهل بعلبك وكتب لهم كتابا وقال ابن المغيرة عن ابيه صالحهم على انصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج وقال ابن اسحق وغيره يعنون سنة اربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحا على يدي ابي عبيدة في ذي القعدة ويقال في سنة خمس عشرة

باب تاريخ وقعة اليرموك ومن قتل بها من سوق الروم والملوك

قال يزيد بن عبيدة كانت واقعة اليرموك سنة خمس عشرة قاله ابوزرعة وقالوا كانت في رجب وقاله الليث بن سعد وزاد والخليفة يومئذ عمر بن الخطاب وهي من ارض الاردن وهو نهر وهذه الاقوال هي المحفوظة في تاريخ اليرموك وقد ذكر سيف بن عمر انها كانت سنة ثلاث عشرة قبل فتح دمشق ولم يتابعه احد على ما قاله وكان قد شهد اليرموك الف رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم نحو من مائة من اهل بدر وقال سعيد ابن عبد العزيز ان المسلمين كانو اربعة وعشرين الفا وعليهم ابو عبيدة بن الجراح والروم عشرين الفا ومائتا الف عليهم ماهان وسقلان وعن زيد ابن اسلم عن ابيه قال سمعت عمر يقول ما استطيع ان اصلي قال فلما حضر ابو عبيدة وتالب (٢) عليه العدو كتب اليه عمر اما بعد فانه مهما ينزل بعبده شدة

---

(١) العنوة القهر والغلبة وهو من عنا يعنو اذا ذل وخضع (٢) التالب اجتماع القوم على عداوة انسان

الا جعل الله له بعدها فرجا ولم يغلب عسر يسرين فان الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال كعب الاحبار ان لله فى اليمن كنزين جاء باحدهما يوم اليرموك وقال ابن اسحق مات المثنى بن حارثة فتزوج سعد امرأته سلما ابنة حفص وذلك فى سنة اربع عشرة واقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب ودخل ابو عبيدة فى تلك السنة دمشق لحاصرها فلما تضايقت الروم سار هرقل بهم حتى نزل انطاكية ومعه لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسان ومعه جمع كبير من ارمينية فلما نزلها اقام بها وبعث الصقلان ليكون كالحصن له فسار فى مأتى الف مقاتل ومعه من اهل ارمينية اثنا عشر الفا عليهم رجل يقال له جرجة ومعهم من المستعربة من غسان وتلك القبائل اثنا عشر الفا عليهم جبلة بن الايهم الغسانى وكان على جملة الناس الصقلان فلما علم المسلمون بتلك الجموع ساروا اليهم وهم اربعة وعشرون الفا عليهم ابو عبيدة بن الجراح فالتقوا باليرموك فى رجب سنة خمس عشرة فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى دخل عسكر المسلمين وقاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخل العسكر منهن ام حكيم بنت الحارث بن هشام حتى سابقن الرجال وحكى صفوان بن عبد الله بن جبير انه لما جرى صلح دمشق وحمص كان قيصر هو وجنوده بانطاكية يريد ان يدخل بهم بلاده فاتاه بطارقته من الروم واهل قنسرين واهل الجزيرة والحوا عليه بان يسيرهم فيقاتلوا المسلمين فابى عليهم فقالوا له اجعل علينا رجلا اميرا وسيرنا معه ففعل وجعل عليهم ماهان الرومى الارمنى وسير معه من الروم مأتى الف ولحقهم كثير من روم قنسرين واهل الجزيرة وغيرهم فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا على حمص فاجمعوا امرهم على المسير الى اخوانهم الذين بدمشق ليكون امرهم واحدا فقال لهم اهل مدينة حمص نحن على صلحنا ان ظفرتم ونحن الآن لا نكثر الاعداء عليكم ولا نمدهم قالوا نعم فسار المسلمون الى دمشق وسارت الروم الى حمص ثم الى بعلبك ثم الى البقاع ثم على حولة دمشق فخاف المسلمون ان يحال بينهم وبين اخوانهم المرابطين فى سواد الادرن

وما والاه وساروا حتى نزلوا الجابية وانضم اليهم اخوانهم فكانوا جميعا ثم اجتمع الامراء فى خباء يزيد بن ابى سفيان ينتظرون خبر عين (١) لهم من قضاعة كانوا ارسلوه ليخبرهم بكثرة القوم وكان منزلهم على نهر الرواد ومرج الجولان فبينما هم على ذلك اذ طاف بهم ابو سفيان فقال ما كنت اظن ان ابقى حتى ارى اغلمة من قريش يذكرون امر حربهم ويتذاكرون ربهم يكيدون به عدوهم فى منزلى ولا يحضرونى فقال بعضهم لبعض هل لكم الى رأى شيخكم ثم قالوا ادخل يا ابا سفيان فدخل فقال ماعندكم فاخبروه بخبر القضاعى فقال ان معسكركم هذا ليس بمعسكر انى اخاف ان يأتيكم اهل فلسطين والاردن فيحولوا بينكم وبين مددكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم فارتحلوا حتى تجعلوا اذرعات خلف اظهركم فيأتيكم المدد والخبر فقبلوا ذلك من رأيه ثم قال اذ قبلتم هذا من رأيى فاجعلوا خالدا بن الوليد اميرا على الخيل ومروه بالوقوف فيما بين العسكرين وبين الخيل فانه سيكون لرحيل العسكر وقت السحر اصوات عالية تحدث لعدوكم فيكم طمعا فان اقبلوا يريدون ذلك لقيتهم الخيول فكفتها وان كانت للخيول جولة دافعت عنها الرماة فقبلوا ذلك منه ونادوا بالرحيل وقت السحر فنادت الروم ان العرب قد هربت فاقبلت فلقيتها الخيول فكفتها حتى سار العسكر وتبعتها الرماة وساقتها الخيول حتى نزلوا خلف اليرموك وجعلوا اذرعات خلف ظهورهم ونزلت الروم فيما بين دير ايوب الى ما يليه من نهر اليرموك بينهم النهر فعسكروا هنالك اياما فبعث ماهان الى خالد بن الوليد ان رأيت ان تخرج الى فى فوارس واخرج اليك بمثلهم اذكرك امرا لنا ولكم فيه صلاح وخير ففعل خالد بن الوليد موافقة له فلما اجتمعا كان فيما عرض عليه ان قال له قد علمت ان الذى اخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الامر بكم وانى قد رأيت ان اعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة (٢) تحمل حملها من الطعام والكسوة والادم (٣) فترجعون بها الى بلادكم وتعيشون بها اهاليكم ونحن نعين لكم هذا فى هذه المرة فاذا كان من قابل بعثتم الينا فبعثنا اليكم بمثله فانا قد جئنا كم ومعنا من الجيوش والعدد مالا قبل

---

(١) العين الجاسوس (٢) الراحلة الناقة التى تصلح ان يوضع عليها الرحل وقيل الراحلة المركب من الابل ذكرا كان او انثى (٣) الادم جمع اديم وهو الجلد

لكم به فقال له خالد ما اخرجنا من بلادنا جوع ولا ضيق امر ولكنا معشر العرب نشرب الدماء فقيل لنا ان لا دم احلى من دم الروم فاقبلنا نهريق دمائكم ونشربها قال فنظر اصحابه بعضهم الى بعض وقالوا هذا ما كنا نحدّث به عن العرب من شربها الدماء ثم انصرفا وقال سعيد بن عبد العزيز اخبرنى قدماء اهل الشام وغيرهم ان ماهان لما سمع من خالد ما سمع زحف على المسلمين فتقدم ابو عبيدة وقد جعل على ميمنته معاذ ابن جبل وعلى ميسرته قثامة بن اسامة الكنانى وعلى الرجالة هاشم ابن عتبة بن ابى وقاص وعلى الخيل خالد ابن الوليد وكان الامراء عمرا بن العاص على ربع ويزيد بن ابى سفيان على ربع وشرحبيل بن حسنة على ربع وكان ابو عبيدة على ربع وخرج الناس على راياتهم فيها اشراف رجال من العرب وفيها الازد وهم ثلث الناس وفيها حمير وهمدان ومذحج وخولان وخثعم وفيها كنانة وقضاعة وجذام وكندة وحضرموت وليس فيها اسد ولا تميم ولا ربيعة لان تلك الاماكن لم تكن دارهم وانما كانت دارهم عراقية فقاتلوا اهل فارس بالعراق لما بدروا لهم (١) ثم سار ابو عبيدة بالمسلمين وهو يقول عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم يا عباد الله اصبروا فان الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار (٢) ولا تتركوا مصافكم ولا تخطوا اليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال واشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر الله عز وجل فى انفسكم حتى يتم امركم ان شاء الله قالوا وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكّرهم ويقول يا اهل القرآن يا مستحفظى الكتاب وانصار الحق والهدى والرحمة ان رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالامانى ولا يولى الله المغفرة والرحمة الواسعة الا الصادق المصدق الم تسمعوا قول الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الى آخر الاية واستحيوا رحمكم الله من ربكم ان يراكم فارين من عدوكم وانتم فى قبضته وليس لكم ملتحد من دونه (٣) ولا عزّ بغيره ثم ان معاذا جعل يمشى فى الصفوف ويذكرهم حتى اذا بلغ من ذلك ما احب ورأى من الناس الذى سره حرّضهم وانصرف الى موقفه قالوا وسار عمرو بن العاص فى الناس وهو احد الامراء كسير اخيه

---

(١) بدروا اسرعوا (٢) الدحض الابطال (٣) الملتحد الميل والعدول

معاذ بن جبل فجعل يحرضهم ويقول يا ايها المسلمون غضوا الابصار واجثوا على الركب (١) واشرعوا الرماح فاذا حملوا عليكم فامهلوهم حتى اذا ركبوا اطراف الاسنة فثبوا فى وجوههم وثبة الاسد فوالذى يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزى بالاحسان احسانا لقد سمعت ان المسلمين سيفتحونها كفرا كفرا وقصرا قصرا فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فانكم لو صدقتموهم الحملة تطايروا تطاير اولاد الحجول فلما انقضى كلامه رجع فوقف فى موقفه معهم ثم قام ابو سفيان بن حرب وكان قد استأذن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يكون متطوعا ومددا للمسلمين فجعل الله فى مخرجه البركة فسار فى صف المسلمين وهو يقول يا معشر المسلمين انتم العرب وقد اصبحتم فى دار العجم منقطعين عن الاصل نائيا من امير المؤمنين وامدادا لله وقد والله اصبحتم بازاء عدو كثير عدده شديد عليكم حنقه (٢) وقد وترتموهم فى انفسهم (٣) وبلادهم ونسائهم والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم اليوم ولا تبلغوا رضوان الله غدا الا بصدق اللقاء والصبر فى المواطن المكروهة الا انها سنة لازمة وان الارض وراءكم بينكم وبين امير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبرارى ليس لاحد فيها معقل ولا معقول الا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معقول فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا بها ولتكن هى الحصون قالوا ثم رجع ابو سفيان الى النساء اللاتى مع المسلمين وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع ازواجهن وابنائهن واجلسهن خلف صفوف المسلمين وامر بالحجارة فالقيت بين ايديهن ثم قال لا يرجع اليكن احد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة وقلن له من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله وعن النساء وهم امام العدو الله الله ثم رجع ابو سفيان فنادى المسلمين فقال يا معشر اهل الاسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة امامكم والنار والشيطان خلفكم ثم وقف موقفه قالوا وزحفت الروم من مكانها الى المسلمين يدفون دفيفا (٤) معهم الصلبان واقبلوا بالاساقفة والقسيسين والرهبان والبطارقة ولهم زجل كزجل الرعد (٥) وقد تتابع عظمائهم على الموت ودخل منهم ثلاثون

(١) اجثوا ابركوا (٢) هلاكه (٣) وترتموهم انقصتموهم (٤) يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد (٥) الزجل صوت رفيع عال

الفا كل عشرة فى سلسلة لئلا يفروا فلما نظر اليهم خالد وهم مقبلون اقبل يركض حتى قطع صف المسلمين الى نساء المسلمين وهن على تل مرتفع من العسكر ومعهن ابو سفيان فقال يانساء المسلمين ايما رجل اقبل اليكن منهزما فاقتلنه ثم انصرف فاتى اباعبيدة فقال ان هؤلاء قد اقبلوا بعدة ولهم زجل وفرح وان لهم حدة لا يردها شئ وليست خيلى بالكثيرة ولا والله لا قامت خيلى لشدة خيلهم ورجالهم ابدا وكانت خيله يومئذ امام صفوف المسلمين ثلاثة فقال خالد قد رأيت ان افرق خيلى فاكون فى احدى الخيلين وقيس بن هبيرة فى الخيل الاخرى ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة فاذا حمل الناس ثبت الله اقدامهم وان تكن الاخرى حملت خيولنا عليهم وهى جامه وتكون الاعداء قد انتهت شدتهم وتفرقت جماعتهم فاطلق الاعنة عند ذلك الى ان يظفرنا الله بهم ويجعل الدائرة عليهم وقد رأيت ان يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا ويقف من ورائه وبحذائه مائتان او ثلاثمائة يكونون للناس ردأ (١) فقبل ابو عبيدة مشورة خالد وقال له افعل ما اراك الله وانا فاعل ما اردت واجلس ابو عبيدة سعيدا بن زيد مكانه وفعل ما امره به خالد فركب فرسه واقبل يسير فى الناس ويحرضهم ويوصيهم بتقوى الله والصبر ثم انصرف فوقف من خلف الناس ردأ لهم قال سعيد بن عبد العزيز حدثنى بعض قدمائهم ان رجلا من المسلمين اقبل يومئذ عند وصاة ابى عبيدة هذه فقال له انى قد اردت ان اقضى شئانى فهل لك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فقال ابو عبيدة نعم تقرأه منى السلام وتخبره انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم تقدم الرجل فكان اول من استشهد رحمة الله عليه قال واقبلت الروم عليهم كانها سحابة منقضة على المسلمين حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فبرز معاذ بن جبل فنادى يا معشر المسلمين ان اعدائكم قد تهيوا للشدة ولا والله لا يردهم الا الصدق عند اللقاء والصبر عند القراع ثم نزل عن فرسه وقال من يريد فرسا يركبه ويقاتل عليه فوثب ابنه عبد الرحمن وهو غلام حين احتلم فاخذه وقال يا ابه انى لا ارجوا ان لا يكون فارس اعظم غناء عن المسلمين منى فارسا وانت يا ابه راجلا اعظم غناء منك فارسا الرجالة هم عظم المسلمين فاذا رأوك حافظا مترجلا صبروا ان

(١) الردأ العون والناصر

شاءالله وحافظوا فقال له ابوه وفقنى الله واياك يابنى ثم ان الرومتداعوا وتحاضوا وذكرتهم الاساقفةوالرهبان وكان معاذ اذا سمع ذلك منهم يقول اللهمزلزلاقدامهم وانزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وحبب الينا اللقاء ورضنا بالقضاء وخرج ماهان صاحب الروم فجال فيهم حتى وقف وامرهم بالصبر والقتال دون ذراريهم واموالهم وسلطانهم ثم بعث الى صاحب الميسرة ان احمل وهو الذربجان وكان متنسكا فقال للبطارقة والرؤس الذين معه قد امركم اميركم ان تحملوا قالوا فتهيأت البطارقة فشدت على ميمنة المسلمين وفيها الازد ومذحج وحضرموت وحمير وخولان فثبتوا حتى صدموا اعدائهم فقاتلوهم قتالا شديدا طويلا ثم انه ركبهم من الروم امثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة الى ناحية القلب وانكشف طائفة من الناس الى العسكر وثبت صدر عظيم من المسلمين يقاتلون تحت راياتهم وانكشفت زبيد يومئذ وهى فى الميمنة وفيهم الحجاج بن عبد يغوث فتنادوا فترادوا وجتمعوا جميعا وهم خمسمائة رجل فشدوا شدة نهنهوا (١) بها من قبلهم من الروم واشغلوهم عن اتباع ما انكشف من الميمنة وتراد ايضا جماعة من الميمنة المتحيزة فشدت حمير وحضرموت وخولان بعد ما زالوا حتى وقفوا مواقفهم فى الصف واستقبل النساء سرعان من انهزم من المسلمين معهن عمد البيوت واخذن يضربن وجوههم ويرمين بالحجارة قال العباس بن سهل بن سعد الساعدى وكانت تحتد خولة بنت ثعلبة الانصارية فى هؤلاء النساء فر بهن عمرو بن بحر وهو يقول

يا هاربا عن نسوة ثقات تعن قليل ماترى سبات

ولا خطيئات ولا رضيات

ثم زاد الناس وثبت النساء على مواقفهن واستحر (٢) القتال فى الازد فاصيبوا بما لم يقتل مثله من القبائل وقتل يومئذ عمرو بن الطفيل الدوسى وحقق الله رؤيا والده رحمة الله عليه الطفيل فانه رأى يوم مسيلمة امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخله وطلبه ابنه هذا فحبس عنه فقال اولت رؤياى ان اقتل وان المرأة التى ادخلتنى فى فرجها انما هى الارض وان ابنى ستصيبه جراحة ويوشك ان يلحقنى فقتل هذا يوم اليرموك وهو يقول يا معشر الازد لا يوتين المسلمون من قبلكم واخذ

(١) نهنهوا كفوا وزجروا (٢) كثر

يضرب بسيفه وهو يقول

قد علمت دوس ويشكر تعلم انى اخو البيض ليوم مظلم (١)

واعزل الشكيم شد الابهم كنت عزيزا فى الوغاء ضيغم (٢)

فقاتل حتى قتل وثبت جندب بن عمرو بن جهمة ورافع وهو يقول يامعشر الازد انه لا ينجو من القتل والعدو والاثم الا من قاتل الا وان المقتول الشهيد والخائب من تولى ثم اخذ يقول يا معشر الازد انه لا يمنع الراية الا الابطال فقاتل حتى قتل وبرز ابو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الازد يعاونها وهو احد الرؤس من الازد فجعل يقول سارعوا الى الحور العين وجوار ربكم عز وجل فى جنات النعيم ما انتم الى ربكم فى موطن احب اليه منكم فى مثل هذا الموطن الا وان للصابرين فضلهم فطاطافت به ازد ثم اضطربوا حتى صارت الروم تجول فى مجال واحد كما تدور الرحا قالوا ولقلما رئى يوم اكثر قحفا ساقطا (٣) ومعصما نادرا وكفا طائرة من ذلك الموطن والناس يضطربون تحت القسطل (٤) قالوا وحل المتبلهن فى الميمنة حتى القلب والقلب فى نحو مافيه الميمنة ثم انقض خالد بن الوليد فحمل على الميسرة التى دخلت العسكر واضطربت ميمنة المسلمين الى القلب فصارت الميمنة والقلب شيئا واحدا فقتل خالد هو وخيله نحوا من ستة آلاف ودخل سائرهم بيوت المسلمين فى العسكر مجروحين وخرج خالد بن الوليد بخيله يطرد من كان من الروم قريبا من العسكر حتى اذا ارادوا ان يمكروا به نادى عند ذلك يا اهل الاسلام لم يتوسد القوم من الجلد والشدة الا ما رايتم الشدة الشدة فو الذى نفسى بيده انى لارجوا ان يمنحكم الله اكتافهم فاعترض صفوان الروم وان فى جانبه الذى يستقبل لمائة الف من الروم فحمل عليهم وما هو الا فى نحو الف فارس قالوا فوالله ما بلغتهم الحملة حتى فض الله جمعهم وشد المسلمون على من يليهم من رجالتهم فانكشفوا واتبعهم المسلمون من قبل ميمنتهم ثم ان خالدا انتهى فى تلك الحملة الى الدربيجان وقد قال

---

(١) البيض السيوف وجعل نفسه اخا لها لملازمته لها (٢) الشكيم الحديدة التى تعترض فى فم الفرس من اللجام والمعنى انشد ابهاميه على الرجال يعزل الشكيم عن مكانه والوغا الحرب والضيغم الاسد (٣) القحف العظم الذى فوق الدماغ والمعصم موضع السوار من الساعد والنادر الساقط (٤) القسطل الغبار .

لاصحابه لفونى فى الثياب فلفوه بها وقال وددت ان الله كان عافانى من حرب هؤلاء القوم فلم ارهم ولم يرونى ولم انصر عليهم ولم ينتصروا على وهذا يوم شر ولم يقاتل حتى غشيه القوم فقتلوه ثم ان قناطر كان فى ميمنة الروم قال لجرجين صاحب ارمينية احمل فقال له انت تأمرنى ان احمل وانا امير مثلك فقال له قناطر انت امير وانا امير وانا قومك وقد امرت بطاعتى فاختلفا ثم ان قناطر حمل حملة شديدة على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم فيما بين ميسرة المسلمين الى القلب فكشفوا المسلمين وزالت الميسرة عن مصافها وثبت اهل الرايات واهل الحفائظ فقاتلوا وركبت الروم اكتاف من انهزم حتى دخلوا معهم العسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربون بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقولون اين اين عز الاسلام والامهات والازواج فيعطف هؤلاء الذين انهزموا الى المسلمين وينادى الناس بالحفائظ (١) والصبر ثم ان قبابة بن اسامة شد فقاتل قتالا شديدا وجعل يرتجز ويقول

ان تفقدونى تفقدوا خير فارس لدى الغمرات والرئيس المحاميا (٢)
وذا نخوة لا يملأ الهول قلبه ضروبا بنصل السيف اروع ماضيا (٣)

فكسر فى القوم ثلاثة رماح يومئذ وقطع سيفين واخذ يقول كلما قطع سيفا او كسر رمحا من يعر سيفا او رمحا فى سبيل الله رجلا حبس نفسه مع اولياء الله قد عاهد الله ان لايفر ولا يبرح حتى يقاتل المشركين حتى يظهر المسلمون او يموت فكان من احسن الناس بلاء فى ذلك اليوم ونزل ايضا ابو الاعور السلمى فقال يا معشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر فى الدنيا عز ومكرمة وفى الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ثم ان الناس حيزوا الى القلب وفيه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل حيث وضعه ابوعبيدة بن الجراح فلما نظر سعيد الى الروم وخافها اقتحم الى الارض وجثى على ركبتيه حتى اذا دنا منهم طعن برايته اول رجل من القوم ثم ثار فى وجوههم كأنه الليث واخذ يقاتل

---

(١) الحفائظ جمع حفيظة وهى والحفاظ المدافعة عن المحارم والمنع عند الحرب ويقال الحفاظ المحافظة على العهد والوفاء بالعقد والتمسك بالود (٢) الغمرات الشدة من شدائد الحرب (٣) الاروع هنا من يعجبك بشجاعته

ويعطف الناس اليه وكان يزيد بن ابى سفيان يومئذ من اعظم الناس ثباتا وقد كان ابوه مرّبه فقال له يا بنى عليك بتقوى الله والصبر فانه ليس رجل بهذا الوادى من المسلمين الا محفوظا بالقتال فكيف بك وباشباهك الذين ولوا امور المسلمين اولئك احق الناس بالجهاد والفضيحة فاتق الله يا بنى والزم فى امرك ولا يكونن احد من اخوانك بارغب فى الاجر والصبر فى الحرب ولا اجرا على عدو الاسلام منك فقال افعل فقاتل يومئذ فى الجانب الذى كان فيه واقفا قتالا شديدا وكان مما يلى القلب وشد طرف من الروم على عمرو ابن العاص فانكشف هو واصحابه حتى دخلوا اول العسكر وهم فى ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة ولوا فيها الظهر فنزل النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال ونادت الناس ابنة ابن العاص قبح الله رجلا يفر عن حليلته وقبح الله رجلا يفر عن كريمته وسمع نسوة من نساء المسلمين يقلن استم بعولتنا ان لم تمنعونا فتراجع المسلمون وزحف عمرو واصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم وقاتل ايضا شرحبيل بن حسنة فى ربعه الذى كان فيه فكان وسطا من الناس الى جنب سعيد بن زيد وانكشف عنه اصحابه فثبت وهو يقول ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الى آخر الاية اين الذين يبيعون انفسهم لله ابتغاء مرضاة الله واين المشتاقون الى جوار الله فى داره فرجع اليه ناس كثير وبقى القلب لم ينكشف اهله للمكان الذى كان فيه سعيد بن زيد وكان ابو عبيدة من وراء ظهره ردأ له وللمسلمين فلما رأى قيس بن هبيرة خيل المسلمين وراء صفهم مما يلى الميسرة وان المسلمين قد دخلت ميسرتهم العسكر وان الروم قد صمدت لهم اعترض الروم بخيله تلك يتطر خيل خالد بن الوليد فعطف بهم الى بعض ورجع المسلمون فى آثارهم فقاتلوهم وحمل على من يليه من الروم وهو فى ميمنة المسلمين حتى اضطروهم الى صفوفهم فلما رأى خالد بن الوليد ان قيسا قد كشف من يليه وان المسلمين قد رجعت راجعتهم حمل على من يليه من الروم يعطف بعضهم الى بعض وزحف المسلمون اليهم رويدا حتى اذا دنوا منهم ينقضون عليهم فلما رأى ابو عبيدة ذلك بعث الى سعيد بن زيد ان شد عليهم فشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة واظهروا التكبير ثم صكوهم صكة واحدة فطعنوا بالرماح وضربوا بالسيوف وانزل الله عليهم

نصره وما وعد به نبيه صلى الله عليه وسلم فضرب الله وجوه اعدائه ومنح اكتافهم وزلزل اقدامهم وانزل الله جنده يضربون وجوههم حتى تولت المسلمون اكتافهم وروى سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما جلنا هذه الجولة سمعنا صوتا قد كاد يملأ العسكر يقول يا نصر الله اقترب الثبات الثبات يا لمعشر المسلمين فتعطفنا عليه فاذا هو ابو سفيان بن حرب تحت راية ابنه وشد خالد فى سرعان الناس وشد المسلمون معه يقتلون كل قتلة وركن بعضهم بعضا حتى انتهوا الى مكان مشرف على اهوية فاخذ الروم يتساقطون فيها وما يبصرون وكان يوما ذا ضباب ومنهم من قال كان ذلك فى الليل فاخذ آخرهم لا يعلم ما لقى اولهم يتساقطون فيها وهم لا يبصرون حتى سقط فيها ما يبلغ ثمانين الفا فما احصوا الا بالقصب وبعث ابو عبيدة شدادا بن اوس ابن اخى حسان بن ثابت يعدهم بعد ذلك اليوم بيوم فوجد من سقط فى تلك الاهوية بعد ما عدهم بالقصب ثمانين الفا يزيدون قليلا او ينقصون قليلا وسميت تلك الاهوية بالواقوصة من يومئذ حتى اليوم لانهم وقصوا فيها فاخذوا وجها آخر وقتل المسلمون فى المعركة بعد ما ادبروا مالا يحصى وجن عليهم الليل فبات المسلمون فلما اصبحوا نظروا فاذا هم لا يرون شيئا فقالوا كن اعداء الله لنا فلما بعثوا الخيول فى الوادى لينظروا هل لهم من كمين لو نزلوا بوطا من المسلمين فاذا الدعاة يخبرونهم بانهم قد سقطوا فى الواقوصة فسئالوا عظيم الروم فقال لهم قد ترحل منهم البارحة نحو من اربعين الفا ثم اتبعهم خالد بن الوليد على الخيل فقتلهم حتى مر بدمشق فخرج اليه رجال من اهل دمشق فاستقبلوه وقالوا لهنحن على عهدنا الذى كان بيننا وبينكم فقال لهم نعم انتم على عهدكم ثم اتبعهم يقتلهم فى القرى وفى كل وجه حتى قدم دمشق مرة ثانية فخرج اليه اهلها فسئالوه القيام على ما كان بينهم ففعل ثم مضى خالد يطلب عظيم الناس حتى ادرك طلبته بثنية العقاب التى يهبط الهابط منها الى الغوطة فتبعهم حتى ادركهم بغوطة دمشق فلما انتهى الى تلك الجماعة من الروم اقبلوا يرمون المسلمين بالحجارة من فوقهم فتقدم اليهم الاشتر وهو فى رجال المسلمين فاذا امامهم رجل من الروم جسيم عظيم فمضى اليه حتى وثب عليه فاستوى هو والرومى على صخرة مستوية فتضاربا بسيفيهما فاطن الاشتر كف الرومى وضرب الرومى الاشتر

بسيفه فلم يضره واستمسك كل واحد منهما بصاحبه فوقعا على الصخرة ثم انحدرا
واخذ الاشتر يقول وهو فى ذلك ملازم للعلج لا يتركه قل ان صلاتى ونسكى
ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين
فلم يزل يقول ذلك حتى انتهيا الى مستوى الجبل وقراره فلما استقرا وثب على
الرومى فقتله وصاح فى الناس ان جوزوا فلما رأى الروم ان صاحبهم قد قتل
خلوا الثنية وانهزموا وكان الاشتر ذا بلاء حسن فى اليرموك قالوا لقد قتل ثلاثة
عشر رجلا فركب خالد والمسلمون الثنية ثم انحطوا مسرعين وطافوا البلاد يطلبون
اعدائهم فى القرى والجبال حتى وصلوا الى حمص فخرج اليهم اهل حمص يسئالونهم
الدوام على عهدهم وعقدهم وجزيتهم ففعل بهم خالد مثل ما فعل باهل دمشق
واقام بها ينتظر رأى ابى عبيدة قالوا ولما سار خالد من اليرموك فى اثر من انهزم وقع
ابو عبيدة فى دفن المسلمين حتى عينهم وكفاه دفن الكفار بالواقوصة التى وقعوا
فيها وكتب ابو عبيدة كتابا الى عمر بن الخطاب يصف له امرهم وقال ابو
الجعد انه اشار يوم اليرموك على المسلمين بثبات الروم فقبلوا ذلك منه فبعثوا
خيلا عظيمة وامروا اهل العسكر بايقاد النيران فانطلق بهم على مدقة الطريق
وتوجهوا نحو عسكر الروم فقاتلوهم مليا فلما نشب القتال انحاز بهم فى ظلمة
الليل عن الطريق التى اقبل منها فتنادت الروم ان العرب قد انهزمت فخرجت
تتراكض نحو النيران فتوقص منهم فى وادى اليرموك اكثر من ثمانين الفا لا يعلم
الآخر منهم ما لقى الاول وقال عبد الرحمن بن جبير ان المسلمين ادركوا ماهان
بناحية الجولان فقتلوه قال سيف بن عمرو التميمى ان ابا بكر رضى الله عنه
كان قد سمى لكل امير من امراء الشام كورة فسمى لابى عبيدة حمص وليزيد
ابن ابى سفيان دمشق ولشرحبيل بن حسنة الاردن ولعمروا بن العاص
ولعلقمة بن محرز فلسطين فاذا فرغ منها ترك علقمة بها وسار الى مصر فلما
شارفوا الشام دهم كل قوم منهم قوم كثيرون فاجمعوا رأيهم على ان يجتمعوا
بمكان واحد وان يلقوا بجمع المسلمين جمع المشركين وكان مع الامراء الاربعة
سبعة وعشرون الفا وثلاثة آلاف من قبل خالد بن سعيد امر عليهم ابو
بكر معاوية وشرحبيل وعشرة آلاف من امداد اهل العراق مع خالد بن
الوليد سوى ستة آلاف ثبتوا مع عكره ردأ بعد خالد بن سعيد وكانوا

جميعا ستة واربعين الفا وكان عكرمة من آخر بني مخزوم اسلاما وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه حديث وذلك انه بارز رجلا في بعض حروب النبي صلى الله عليه وسلم فقتله فاستضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل من الانصار ما يضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال اضحكني انهما في درجة واحدة في الجنة وكان قتالهم على الانفراد كل امير مع جنده لا يجمعهم امر واحد حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق وكان ابو عبيدة مع عسكره باليرموك مجاورا لعسكر عمرو بن العاص وعسكر شرحبيل مجاورا لعسكر يزيد بن ابي سفيان وكان ربما صلى مع عمرو وشرحبيل مع يزيد فاما عمرو ويزيد فانهما كانا لا يصليان مع ابي عبيدة وشرحبيل وقدم خالد بن الوليد وهم على حالهم هذه فعسكر على حده فصلى باهل العراق ووافق خالد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم عليهم ووافق القوم وهم في انتظار لمددهم فالتقوا فهزمهم الله تعالى حتى الجاؤهم هم وامدادهم الى الخنادق والواقوصة احد حدوده وهي لهث لاج في الارض (١) ورويت القصة ايضا عن عمرو ابن سيف انه قال حملت الروم باليرموك على المسلمين حملة ازالوهم عن مواقفهم فالتقوا فهزمهم الله تعالى حتى الجاهم وامدادهم الى الخنادق والواقوصة فركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وباتوا وتراجعت الروم الى مواقفها فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم هو وجرجة من لدن ارتفاع النهار الى جنوح الشمس الى الغروب فاصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها الا الركعتين اللتين اسلم عليهما فصلى الناس الاولى والعصر ايماء وتضعضع الروم وغاص خالد في القلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم وكان محل قتالهم واسع المطرد ضيق المهرب فلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت وتركتهم وكانت رجالتهم في مصافهم وخرجت خيلهم تشتد بفرسانهم في الصحراء واخرا ناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب فرحوا بها ولم يتبعوها فتفرقت في البلاد واقبل خالد والمسلمون على الرجالة ففروا منهم كأنما قد هدم عليهم حائط فعمدوا الى الواقوصة حتى

(١) اللهث التعب والعطش والاعياء ولاج داخل والمراد ان الواقوصة واد عميق مهلك لمن وقع به وقال في تاج العروس الواقوصة واد في ارض حوران بالشام

ترددوا بها فكان الواحد اذا هوى بها لا يرده بقية العشرة المرتبطين به بل يهوون معه وكلما هوى اثنان كانت البقية اضعف منهما وكان المقترنون اعشارا فتهافت فى الواقوصة عشرون الفا ومائة الف منهم ثلاثون الف مقترن والباقى من المطاقين سوى من قتل فى المعركة من الخيل والرجال ثم ان كثيرا من اشراف الروم تجللوا ببرانسهم وجلسوا وقالوا لا نحب ان نرى يوم السواد ولن نستطيع ان نمنع عن النصرانية فاصيبوا فى تزملهم ورويت القصة ايضا من وجه آخر ولا يخلوا ذكرها من فائدة زائدة عما تقدم وسياقها ما قاله خالد وعبادة وابو حارثة ان قواد المسلمين توجهوا نحوا الشام وكان عكرمة ردأ للناس فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل فخرج حتى نزل بحمص واعدّ لهم الجيوش وعبا لهم واراد تفريقهم وشغل بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله فارسل الى عمرو اخاه بدراف فخرج فى تسعين الفا وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة بثنية جلق يعنى دمشق باعلا فلسطين وبعث جرجة بن نودرا نحو يزيد بن ابى سفيان فعسكر بازائه وبعث الدارقص فاستقبل شرحبيل وبعث القيقان ونطورس فى ستين الفا نحو ابى عبيدة فخاف منهم المسلمون وكانوا يومئذ واحدا وعشرون الفا سوى عكرمة فانه كان فى ستة آلاف فتراسلوا فيما بينهم واشار عليهم عمرو بالاجتماع وقال ان مثلنا اذا اجتمع لن يغلب عن قلة ثم تواعدوا ان يكونوا باليرموك وبلغ هرقل امر اجتماعهم فكتب الى بطارقته ان اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلا واسع الطعن واسع المطرد ضيق المهرب فنزلوا الواقوصة على ضفة اليرموك وصار الوادى خندقا لهم وهو لهث لا يدرك وانما اراد ماهان واصحابه ان يستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين وترجع اليهم افئدتهم عن طيرانها وانتقل المسلمون من معسكرهم الذى اجتمعوا به فنزلوا عليهم بحذائهم على طريقهم وليس للروم طريق الا عليهم فقال عمرو ايها الناس الا ابشروا حضرت والله الروم وقل ما جاء محصور بخير واقاموا بازائهم وعلى طريقهم وكان خروجهم فى صفر سنة ثلاث عشرة فاقاموا شهرى ربيع لا يقدرون من الروم على شئ ولا يخلصون اليهم لان اللهث وهو الواقوصة من ورائهم والخندق من ورائهم ايضا فلما انسلخ شهر ربيع الاول اعلم المسلمون ابا بكر بشأن الروم وطلبوا منه ارسال مدد لهم فكتب الى خالد ليلحق بهم

من العراق فلما قدم عليهم خالد فرحوا به وقال سيف ان مجموع جيش الروم يومئذ مائتا الف واربعون الفا منهم ثمانون الف مقيد واربعون الفا منهم مسلسل للموت واربعون الفا مربوطون بالعمائم وثمانون الف فارس وثمانون الف راجل والباقون تبع لهم ثم لما كان القتال وفتح الله على المسلمين من آخر الليل وقتلوا الاعداء حتى الصباح فلما اصبحوا اقتسموا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين فبلغوا ثلاثة آلاف وصلى كل امير قوم على قتلاهم ودفع خالد بن الوليد العهد الى ابي عبيدة بعد ما فرغ من القسم ودفن الشهداء وتراجع الطلب فولى ابو عبيدة النفل من الاخماس فنفل واكثروا الكتب بالفتح والارسال بالاخماس وبعث ابا جندل بشيرا وقال ميمون لما جاء خالد بن الوليد معينا لاهل اليرموك لقيه فى طريقه رجل من روم العرب فقال له يا خالد ان الروم فى جمع كثير مأتى الف او يزيدون فان رأيت ان ترجع على حاميتك فافعل فقال له خالدا بالروم تهددنى وتخوفنى فوالله لوددت ان الاشقر يلقاهم بوجهه وانهم اضعفوا ضعف ما ذكرت فكانت هزيمتهم على يدى خالد بن الوليد وروى رجال من اهل الشام عن اشياخهم انه لما كان اليوم الذى تأمر فيه خالد هزم الله عز وجل الروم مع الليل وصعد المسلمون العقبة واصابوا ما فى العسكر وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم وقتل الله اخا هرقل واخذ التدارك وانتهت الهزيمة الى هرقل وهو دون مدينة حمص فارتحل وجعل حمص بينه وبينهم وامر عليها اميرا وخلف فيها كما كان امر على دمشق وخلف فيها وارتحل واتبع المسلمون الروم حتى هزموهم والخيل تتبعهم ولما صار الامر الى ابي عبيدة بعد الهزيمة نادى بالرحيل فارتحل المسلمون حتى وضعوا عسكرهم بمرج الصفرين قال ابو امامة فبعث طليعة من مرج الصفرين مع فارسين فسرت حتى دخلت فخبستها بين ابياتها وشجراتها فقال احد صاحبيّ قد بلغت حيث امرت فانصرف لا تهلكنا فقلت قف مكانك حتى نصبح اولئك فسرت حتى دفعت الى باب المدينة وليس فى الارض احد ظاهر فنزعت لجام فرسى وعلقت عليه مخلاته وركزت رمحى ثم وضعت رأسى فلم اشعر الا بالمفتاح يتحرك عند الباب ليفتح فقمت فصليت الغداة ثم ركبت فرسى فحملت عليهم فطعنت البواب فقتلته فتصايحوا فى المدينة ودخلت فلقيت رجلا فقتلته ثم لقيت آخر فطعنته فقتلته ثم

انكفأت راجعا وخرجوا يطلبونني فجعلوا يلقون عنى مخافة ان يكون لنا كمين فدفعت الى صاحبي الادنى الذى امرته ان يقف فلما رأوه قالوا هذا كمين انتهى الى كمينه فانصرفوا وسرت انا وصاحبي حتى دفعنا الى صاحبي الثانى فسرنا حتى انتهينا الى المسلمين وقد عزم ابو عبيدة ان لا يبرح حتى يأتيه رأى عمر وامره فاتاه فرحلوا حتى نزلوا دمشق وخلف باليرموك بشرا بن كعب بن ابى الحميرى فى خيل قال وقال القعقاع بن عمرو يوم اليرموك

الم ترنا على اليرموك فزنا   كما فزنا بايام العراق
فتحنا قبلها بصرى وكانت   محرمة الجناب لدى التلاقى
وعذراء المدائن قد فتحنا   ومرج الصفرين على العتاق
قتلنا من اقام لنا وفينا   بها بهم باسياف رقاق
قتلنا الروم حتى ما تساوى   على اليرموك تفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا   على الواقوصة البر الرقاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا   الى امر يفصل بالزواق

وقال عمرو بن العاص واعيد على لخم وجذام بالفرار عند الحملة فى اول النهار على اثر جرجة وهم الذين تكشفوا للناس فى الحرب

القوم لخم وجذام فى الحرب   ونحن والروم غوج نضطرب
فان تعودوا بعدها لا نصطحب   بل نعصب الفرّار بالضرب الكلب

وقال الاسود ابو مقر التميمى

وكم قد اغرنا غارة بعد غارة   ويوما ويوما قد كشفنا اهاوله
ولولا رجال كان حسب غنيمة   كذا ماقط رجت عليهم اوائله
لقيناهم اليرموك لما تضايقت   بمن حل باليرموك منه حمائله

باب ذكر تاريخ قدوم عمر رضى الله عنه الجابية وما سن فيها من السنن الماضية

قال يزيد بن عبيدة كان فتح بيت المقدس سنة ست عشرة وفى تلك السنة قدم عمر بن الخطاب الى الجابية ثم عاد سنة ثمانى عشرة بعد عوده من

سرع سنة سبع عشرة فاجتمع عليه المسلمون فدفع اليه امراء الاجناد ما اجتمع عندهم من الاموال فجند ومصر الامصار ثم فرض الاعطية والارزاق وقفل راجعا الى المدينة وكان فتح الجابية وايلياء سنة ست عشرة وبها كانت عمواس قاله ابو معشر وليس بصواب والصحيح ما قاله الامام احمد بن حنبل ان طاعون عمواس كان سنة ثمانى عشرة قال سعيد بن كثير وفيه يقول الشاعر

رب خرق مثل الهلال وبيضا لعوب بالجزع من عمواس
قد لقوا الله غير باغ عليهم فاحلوا بغير دار اساس
وصبرنا حقا كما وعد الله وكنا فى الصبر قوما تآسى

وكذا قال الليث بن سعد ان طاعون عمواس والرمادة كانتا سنة ثمانى عشرة ولعل عمواس التى ذكرها ابومعشر كانت وقعة عندها واما الطاعون فقد وافق ابو معشر فى تاريخه الجمهور والذى يعلم من تاريخ البخارى ان عمر رضى الله عنه قدم الجابية مرتين كما مر آنفا وقال سفيان بن وهب لما اجتمع الفيئ ارسل امراء الاجناد الى عمر بن الخطاب ان يقدم بنفسه فلما قدم حمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان هذا المال نقسمه على من افاء الله بالعدل الا هذين الحيين لخم وجذام فلا حق لهم فيه فقام اليه ابو حديدة الاجذمى فقال ننشدك الله يا عمر فى العدل فقال عمر العدل اريد انا اجعل اقواما انفقوا فى الظهر وشدوا العرض وساحوا فى البلاد مثل قوم مقيمين فى بلادهم ولو ان الهجرة كانت بصنعا او بعدن ما هاجر اليها من لخم وجذام احد فقام ابو حديدة فقال ان الله وضعنا من بلاده حيث شاء وساق اليها الهجرة من بلادنا فقبلناها ونصرناه افبذلك يقطع حقنا يا عمر ثم قال لكم حقكم مع المسلمين ثم قسم فكان للرجل نصف دينار فاذا كانت معه امرأته اعطاه دينارا ثم دعا ابن فاطورا صاحب الارض فقال له اخبرنى ما يكفى الرجل من القوت فى الشهر واليوم فاتى بالمدى والقسط فقال يكفيه هذا المديان فى الشهر وقسط زيت وقسط خل فامر عمر بمديين من قمح فطحنا ثم عجنا ثم ادمهما بقسطين زيت ثم اجلس عليهما ثلاثين رجلا فكان كفاف شبعهم ثم اخذ عمر المديين بيمينه والقسط بيساره ثم قال اللهم لا احل لاحد ان ينقصهما بعدى اللهم فمن نقصهما فانقص من عمره وروى الهيثم بن عمر عن

جده ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما ولى زار اهل الشام فنزل بالجابيه وكانت دمشق تشتعل طاعونا فهمّ ان يدخلها فقال له اصحابه اما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا حل بكم الطاعون فلا تهربوا منه ولا تأتوه حيث هو وقد علمت ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فرحانين حيث لم يصبهم طاعون قط فارسل عند ذلك رجلا من جديلة ولم يدخلها هو وسار الى بيت المقدس فافتتحها ثم دخلها عمر ومعه كعب فقال يا ابا اسحق اتعرف موضع الصخرة فقال له اذرع من الحائط الذى يلى وادى جهنم كذا وكذا ذراعا وهى مزبلة ثم احفر فانك ستجدها فحفر فظهرت لهم فقال عمر لكعب اين ترى ان نجعل المسجد فقال له اجعله خلف الصخرة فتجمع بين القبلتين قبلة موسى وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم فقال عمر ضاهيت اليهودية والله يا ابا اسحق خير المساجد مقدمها فبناه فى مقدم المسجد فبلغ اهل العراق انه زار أهل الشام فكتبوا اليه يسئالونه ان يزورهم كما زار اهل الشام فهم ان يفعل فقال كعب اعيذك بالله يا امير المؤمنين ان تدخلها قال ولم قال فيها عصاة الجن وهاروت وماروت يعلمان الناس وفيها تسعة اعشار الشر وكل داء معضل فقال عمر رضى الله عنه فهمت كلما ذكرته غير الداء المعضل فما هو قال كثرة الاموال هو الذى ليس له شفاء فلم يأتها عمر وقال مدرك بن ابى سعد نزل المسلمون من البادية وهم اربعة وعشرون الفا فوقع فيهم الطاعون فاذهب منهم عشرين الفا وبقى اربعة آلاف فقالوا هذا طوفان وهذا رجز فبلغ ذلك معاذا فارسل فوارس يجمعون الناس وقال اشهدوا المدارس اليوم عند معاذ فلما اجتمعوا قام فيهم خطيبا فقال يا ايها الناس والله لو اعلم انى اقوم فيكم بعد مقامى هذا ما تكلفت اليوم القيام فيكم وقد بلغنى انكم تقولون هذا الذى وقع فيكم طوفان ورجز والله ما هو طوفان ولا رجز وانما الطوفان والرجز كان الله عذب به الامم ولكنها شهادة اهداها الله لكم واستجاب الله فيكم دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) الا فمن ادرك خمسا فاستطاع ان يموت فليمت ان يكفر الرجل بعد ايمانه وان يسفك

(١) تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر اسامة على الجيش واراد ارساله نحو الشام قال لهم سيروا افناكم الله بالطعن والطاعون فهذا معنى قوله ودعوة نبيكم وهذا من جملة المعجزات

الدم بغير حقه وان يعطى بالكذب مال الله بان يكذب او يفجر وان يظهر التلاعن بينكم او يقول الرجل حين يصبح والله لئن حييت او مت ما ادرى ما انا عليه . واعلم ان وقوع هذا الطاعون والوباء انما هو مصداق ما روى عن معاذ رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون منزلا يقال له الجابية والجويبية يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل يستشهد الله به انفسكم وخياركم ويزكى ابدانكم رواه الطبرانى (١) وفى رواية ينزل المسلمون ايضا يقال الجابية او الجويبية فتكثر به اموالهم ودوابهم فيبعث الله عليهم جرب كالدمل تزكوا فيه اموالهم وتستشهد فيه ابدانهم

(١) ورواه الامام احمد فى مسنده بمعناه عن معاذ ولفظه ستهاجرون الى الشام فيفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمل وكالحزة يأخذ بمراق الرجل يستشهد الله به انفسهم ويزكى به اعمالهم ولم يروه بغير هذا اللفظ ورواية الطبرانى فيها شئ والجابية بكسر الباء قرية كانت من اعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر بتشديد الفاء فى شمالى حوران اذا وقف الانسان فى الصنمين واستقبل الشمال كانت تظهر له وكانت تظهر من نوى ايضا وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع ويقال لها جابية الجولان وقول العامة منسوب الى الست جابية لا اصل له والطاعون المرض العام والوباء الذى يفسد له الهواء فتفسد به الامزجة والابدان قاله فى النهاية وبه يفسر الحديث وقال المتقدمون من الاطباء الطاعون ورم ردئ يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا يتجاوز المقدار فى ذلك ويصير ما حوله فى الاكثر اسود واخضر واكمد ويؤول امره الى التقرح واكثر ما يكون حدوثه فى الابط وخلف الاذن والارنبة وفى اللحوم الرخوة وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الدخول الى الارض التى وقع بها الطاعون وعن الخروج منها بعد وقوعه مع كمال التحرز منه فان فى الدخول الى الارض التى هو بها تعرض للبلاء وموافاة له فى محل سلطانه واعانة للانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنبه الدخول الى ارضه من باب الحمية التى ارشدنا الله اليها وهى حمية عن الامكنة والاهوية المؤذية واما نهيه عن الخروج من بلده فله معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله والتوكل عليه والصبر على اقضيته والرضا بها والثانى ما قاله الاطباء انه يجب على كل محترز عن الوباء ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه الا الرياضة والحمام فانهما مما يجب ان يحذر منه لان البدن لا يخلو غالبا من فضل ردئ كامن فيه فيثيره بالرياضة والحمام ويخلطانه بالكيموس الجيد وذلك يجلب علة عظيمة بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة وتسكين هيجان الاخلاط ولا يمكن الخروج من ارض الوباء والسفر منها الا بحركة شديدة وهى مضرة جدا والكلام على هذا النوع طويل قد افرد بالتأليف فليراجعه من احب الزيادة على هذا

ذكر ما اشترط صدر هذه الامة عند افتتاح الشام على اهل الذمة

عن عبد الرحمن بن غنم ان عمر بن الخطاب كتب على النصارى كتابا حين صالحوا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى اهل الشام انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا واهالينا واموالنا واهل ملتنا على ان نؤدى الجزية عن يد ونحن صاغرون وعلى ان لا نمنع احدا من المسلمين ان ينزل كنائسنا فى الليل والنهار ونضيفهم فيها ثلاثا ونطعمهم فيها الطعام ونوسع لهم ابوابها ولا نضرب فيها بالنواقيس الا ضربا خفيا ولا نرفع فيها اصواتنا بالقراءة ولا نؤوى فيها ولا فى شئ من منازلنا جاسوسا لعدوكم ولا نحدث كنيسة ولا ديرا ولا صومعة ولا جلاية ولا نجدد ما خرب منها ولا نقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين وبين ظهرانيهم ولا نظهر شركا ولا ندعوا اليه ولا نظهر صليبا على كنائسنا ولا فى شئ من طرق المسلمين واسواقهم ولا نتعلم القرآن ولا نعلمه اولادنا ولا نمنع احدا من ذى قراباتنا الدخول فى الاسلام ان اراد ذلك وان نجز مقادم رؤسنا ونشد الزنانير فى اوساطنا ونلزم ديننا ولا نتشبه بالمسلمين فى لباسهم ولا فى هيئتهم ولا فى سروجهم ولا نقش خواتيمهم فننقشها عربيا ولا نكتنى بكناهم وعلينا ان نعظمهم ونوقرهم ونقوم لهم من مجالسنا ونرشدهم فى سبلهم وطرقاتهم ولا نطلع فى منازلهم ولا نتخذ سلاحا ولا سيفا ولا نحمله فى حضر ولا سفر فى ارض المسلمين ولا نبيع خمرا ولا نظهرها ولا نظهر نارا مع موتانا فى طريق المسلمين ولا نرفع اصواتنا مع جنائزهم ولا نجاور المسلمين بهم ولا نضرب احدا من المسلمين ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهامهم شرطنا ذلك كله على انفسنا واهل ملتنا فان خالفناه فلا ذمة لنا ولا عهد وقد حل لكم منا ما يحل لكم من اهل الشقاق والمعاندة وروى ايضا من طريق محمد ابن اسحق وهو مروى من اربعة طرق وربما تغلب عليه الصحة وروى خليفة ابن خياط عن المغيرة قال صالح ابو عبيدة اهل الشام على انصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤسهم وان لا يمنعوا من اعيادهم ولا يهدموا شيئا من كنائسهم صالح على ذلك اهل المدينة واخذ سائر الارض عنوة وفى رواية انهم صالحوهم

على من فيها من جماعة اهلها على جزية دنانير مسماة لا تزيد عليهم ان كثروا ولا تنقص عنهم ان قلوا وان للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم واسواقها وفى رواية انهم اشترطوا على انفسهم فى عهد عمر ان لا يظهروا صليبا خارجا من كنيسة الا كسر فوق رأس صاحبه وروى البيهقى بسنده الى اسلم مولى عمر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى امراء اهل الجزية ان لا يضعوا الجزية الا على من جرت او مرت عليه الموسى وجزيتهم اربعون درهما على اهل الورق منهم (١) واربعة دنانير على اهل الذهب وعليهم ارزاق المسلمين من الحنطة مدان وثلاثة اقساط (٢) زيت لكل انسان فى كل شهر ومن الودك (٣) والعسل شئ لم نحفظه وعليهم من البزالق وهى شئ من الثياب كان يلبسها امير المؤمنين وشئ لم نحفظه ويضيفون من نزل بهم من اهل الاسلام ثلاثة ايام وعلى اهل العراق خمسة عشر صاعا لكل انسان وكان عمر رضى الله عنه لا يضرب الجزية على النساء وكان يختم فى اعناق رجال اهل الجزية وقال عكرمة سئل ابن عباس هل للعجم ان يحدثوا فى امصار العرب بنيانا او شيئا فقال انما مصر مصرته العرب فليس للعجم ان يبنوا فيه كنيسة او بال بيعة ولا يضربوا فيه ناقوسا ولا يشربوا فيه خمرا ولا يدخلوه خنزيرا وانما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فللعجم ما فى عهدهم وعلى العرب ان يفوا لهم بعهدهم وقال الاوزاعى ان عمر كتب فى اهل الذمة ان من لم يطق الجزية خففوا عنه ومن عجز فاعينوه فانا لا نريدهم لعام او لعامين وقال عمر فى اهل الذمة سموهم ولا تكنوهم واذلوهم ولا تظلموهم واذا جمعتكم واياهم طريق فالجؤهم الى اضيقها وفى رواية انه وضع على اهل العراق خمسة عشر صاعا على كل واحد منهم وعلى كل مستطيع من اهل مصر اردبا من بر وقال اسلم لما قدم عمر الشام شكى اليه اهل الذمة فقالوا يا امير المؤمنين ان ضيوفنا من المسلمين يكلفونا ما لا نطيق يكلفوننا الدجاج والشاء فقال لاتطعموهم الا مما تأكلون ولا مما لا يحل لهم من طعامكم واشترط على انباط الشام ان يصيب المسلمون من ثمارهم وتبنهم ولا يحملوا وانه اذا قتل رجل من المسلمين فى ارض اهل

(١) الورق بكسر الراء الفضة ومن هنا يعلم ان الدينار ما تساوى قيمته قيمة عشرة دراهم من الفضة (٢) القسط نصف صاع (٣) الودك دسم اللحم

الذمة فعليهم دينه وقال ابن ابي نجيح سألت مجاهدا فقلت له لم وضع عمر الجزية على اهل الشام اكثر مما وضع على اهل اليمن فقال لليسار وكتب عمر بن عبد العزيز الى امصار الشام لا يمشين نصرانى الا مفروق الناصية ولا يلبس قباء ولا يمشى الا بزنار من جلد ولا يلبس طيلسانا ولا يلبس سراويلا ذات خذمة ولا يلبس نعلا ذات عذبة ولا يركبن على سرج ولا يقتنى فى بيته سلاحا الا انتهب والله اعلم

باب حكم الارضين وما جاء فيه عن السلف الماضين (١)

لا خلاف بين الائمة من سلف هذه الامة ان كل بلد صولح اهله على الخراج المعلوم انه لا يجوز تغيير ما استقر عليهم من الرسوم وقد صح ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه امضى لاهل مدينة دمشق الصلح كما تقدم فى هذا الكتاب لانه رضى الله عنه لما اشكل عليه الحال فى الفتح وهل كان السابق من دخلها عنوة او من دخلها بالصلح امضاها كلها صلحا لاهلها وقبل منهم شروطا رضوا ببذلها فاما ما ظهر عليه المسلمون عنوة من اعمالها ونواحيها وحووه بالقهر والغلبة من اهلها فقد اختلف العلماء الماضون فى حكمه ولم تتفق آراؤهم فى اتفاقه او قسمه فذهب عمر وعلى ومعاذ بن جبل الى انها وقف بين المسلمين لا تقسم بين من غلب عليها من الغانمين ويجرى عليها عليهم وعلى من بعدهم من الخالفين الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وذهب الزبير بن العوام وبلال بن رباح الى انها ملك الغانمين فتقسم بينهم على ما يراه امام المسلمين وذهب ابو حنيفة وسفيان الثورى وهما من العلماء الكبار الى ان الامام فى ذلك بالخيار ان شاء وقفها وان شاء قسمها وزرعها يقسم على ما يراه بين من غنمها وذهب مالك الى انها تصير وقفا بنفس الاغتنام ولا يكون فيها اختيار للامام وذهب الشافعى الى انه ليس للامام ان يقفها بل يلزمه ان يقسمها الا ان يتفق المسلمون على وقفها ويرضى بذلك من غنمها وروى

---

(١) يعلم من هذا الباب والذى بعده حكم الاراضى الاميرية وكيف ينبغى لولى الامر ان يتصرف بها

البخاري عن عمر انه قال لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا وكتب عمر الى سعد حين افتتح العراق اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر ان الناس قد سألوك ان تقسم بينهم مغانمهم وما افاء الله عز وجل عليهم فاذا اتاك كتابي هذا فانظر ما اجلب الناس به عليك الى العسكر من كراع او مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين واترك الارضين والانهار لعمالها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شئ واشترى طلحة ارضا من النشاستك فاتى عمر فذكر ذلك له فقال اني اشتريت ارضا معجبة فقال له عمر ممن اشتريتها فقال من اهل الكوفة من اهل القادسية فقال لطلحة كيف اشتريتها هل اشتريتها من اهل القادسية كلهم قال لا فقال له انك لم تصنع شيئا انما هي فيئ وروى ان عمر ابن الخطاب اراد ان يقسم سواد العراق فاستشار عليا بن ابي طالب فقال له دع القسمة ليكون اهل السواد مادة للمسلمين فتركهم وبعث عليهم عثمان بن حنيف فوضع عليهم ثمانية واربعين واربعة وعشرين واثنى عشر

— حكم الدور التي هي داخل السور —

سئل رجل واثلة بن الاسقع فقال له ارأيت هذه المساكن التي اقتطعوها يوم فتحوا دمشق اماضية هي لاهلها قال نعم قال فان ناسا يقولون هي لهم سكن وليس لهم بيعها ولا اتلافها بوجه من الوجوه في صدقة او مهر او غير ذلك فقال واثلة ومن يقول ذلك بل هي ملك ثابت يسكنون ويمهرون ويتصدقون وقال ابو عبيد جاءتنا الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء من بعده تخبرنا ان في افتتاح الارضين ثلاثة احكام ارض اسلم عليها اهلها فهي ملك ايمانهم وهي ارض عشر لا شئ فيها غيره وارض افتتحت صلحا على خراج معلوم وهي على ما صولحوا عليه لا يلزمهم اكثر منه وارض اخذت عنوة وهي التي اختلف فيها المسلمون فقال بعضهم سبيلها سبيل الغنيمة تخمس وتقسم فتكون اربعة اخماسها خططا بين الذين افتتحوها خاصة ويكون الخمس الباقي لمن سمى الله وقال بعضهم بل حكمها والنظر فيها الى الامام ان رأى ان

يجعلها غنيمة فيخمسها ويقسمها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فذلك له وان رأى ان يجعلها فيأً فلا يخمسها ولا يقسمها ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ما بقوا كما صنع عمر في سواد العراق

— ﴿ احكام القطائع ﴾ —

اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيهم على اقرار ما كان بايدى اهل الذمة من ارضهم يعمرونها ويؤدون منها خراجها الى المسلمين فمن اسلم منهم رفع عن رأسه الخراج وصار ما كان بيده من الارض وداره بين اصحابه من اهل قريته يؤدون عنها ما كان يؤدى من خراجها ويسلمون له رقيقه وحيوانه وفرضوا له في ديوان المسلمين وصار من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ولا يرون انه وان اسلم اولى بما كان من ارضه بين اصحابه من اهل بيته وقرابته ولا يجعلونها ضيافة للمسلمين وسموا من ثبت منهم على دينه وقريته ذمة للمسلمين ويرون انه لا يصلح لاحد من المسلمين شرى ما في ايديهم من الارضين كرها لما احتجوا به على المسلمين من ان اضيافهم كان عن قتالهم وتركهم مظاهرة عدوهم من الروم عليهم فهاب ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر قسمهم واخذ ما في ايديهم من تلك الارضين وكرهوا للمسلمين ايضا شراؤها صونا لما كان من ظهور المسلمين على البلاد وعلى من كان يقاتلهم عليها والتركهم وكانت البعثة الى المسلمين وولاة الامر في طلب الامان قبل ظهورهم عليهم قالوا وكرهوا شرائها منهم طوعا بما كان من ايقاف عمر واصحابه الارضين محبوسة على آخر هذه الامة من المسلمين المجاهدين لا يباع ولا يورث قوة على جهاد من لم يظهروا عليه من المشركين ولما الزموه انفسهم من اقامة الجهاد المأمور به في قوله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى تمام الاية فقلت لغير واحد من مشيختنا ممن كان يقول هذه المقالة فمن اين جاءت هذه القطائع التى بين ظهرانى القرى الراجية والمزارع التى شهدها غير واحد من المسلمين ومن الناس فقال ان بدء هذه القطائع كانت من الارضين التى كانت تحت يد انباط القرى فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عما كان في ايديها من تلك المزارع فلحقت

بارض الروم ومن قتل منها فى تلك المعارك التى كانت بين المسلمين والروم فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين موقوفة يقبلها والى المسلمين كما يقبل الرجل مزرعته قالوا فنها اندركيسان يعنى بدمشق وقبيس بالبلقاء وما على باب حمص من جيعانا وغيرها قالوا فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبلة تدخل قبالتها بيت المال فيخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج حتى كتب معاوية فى امرته على الشام الى عثمان ان الذى اجراه عليه من الرزق فى عمله ليس يقوم بمؤن من يقوم عليه من وفود الاجناد ورسل امرائها ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ووصف فى كتابه هذه المزارع الصافية وسماها له وسأله ان يقطعه اياها ليقوى بها على ما وصف لهم وقال انها ليست من قرى اهل الذمة ولا من الخراج فكتب اليه عثمان بذلك كتابا قالوا فلم تزل بيد معاوية حتى قتل عثمان وافضى الى معاوية الامر فاقرها على حالها ثم جعلها من بعده حبسا على فقراء اهل بيته والمسلمين قالوا ثم ان ناسا من قريش واشراف العرب سألوا معاوية ان يقطعهم من بقايا تلك المزارع التى لم يكن عثمان اقطعه اياها ففعل فمضت لهم اموالا يبيعون ويمهرون ويورثون فلما افضى الامر الى عبد الملك ابن مروان وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية اقطع منها احدا شيئا سأله اشراف الناس القطائع منها ففعل قالوا ثم ان عبد الملك سئل القطائع وقد مضت تلك المزارع لاهلها فلم يبق منها شئ فنظر عبد الملك الى ارض خراج قد باد اهلها ولم يتركوا عقبا فاقطعهم منها ورفع ما كان عليها من خراجها عن اهل الخراج ولم يحمله احدا من اهل القرى وجعلها عشرا ورآه جائزا له مثل اخراجه من بيت المال الجوائز للخاصة قالوا فلم يزل يفعل ذلك حتى لم يجد من تلك الارض شيئا فسئل الناس عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من ارض القرى التى بايدى اهل الذمة فابوا ذلك عليهم ثم سألوهم ان يأذنوا لهم فى شرى الارض من اهل الذمة فاذنوا لهم على ادخال اثمانها بيت المال وتقوية اهل الخراج به على خراج سنتهم مع ما ضعفوا عن ادائه واوقفوا ذلك فى الدواوين ووضعوا خراج تلك الارض عمن باعها منهم وعن اهل قراهم وصيروها لمن اشتراها تؤدى العشر يبيعون ويمهرون ويورثون قالوا فلما ولى عمر بن عبد العزيز رأى تلك القطائع التى اقطعها عثمان لمعاوية رضى الله

عنهما ومعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان فلم يردها على ما كانت عليه صافية ولم يجلعها خراجا وامضاها لاهلها تؤدى العشر قالوا واعرض عمر عن تلك الاشرية فاذن لاهلها فيها لاختلاط الامور فيها لما وقع بها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون فلم يقدر على تخليصه ولا على معرفة ذلك قالوا واعرض عن تلك الاشرية التى اشتراها المسلمون فلم يغير منها شيئا وامضاها لاهلها ولمن كانت فى يده كالقطائع وجعل عليها عشرا ولم يجعل عليها ولا على من صارت اليه بميراث او شراء جزية قالوا وكتب بذلك كتابا قرئ على الناس فى سنة مائة واعلمهم انه لا جزية عليها وانها ارض عشر وكتب ان من اشترى شيئا بعد سنة مائة فان بيعه مردود وسمى سنة مائة سنة المدة فسماها المسلمون بعده بذلك فامضى ذلك فى بقية ولايته ثم امضاه يزيد وهشام ابنا عبد الملك قالوا فتناهى الناس عن شرائها بعد سنة مائة ثم اشتروها اشرية كثيرة كانت بيد اهلها يؤدون العشر ولا جزية عليها حتى افضى الامر الى ابى جعفر عبدالله بن محمد امير المؤمنين فرفعت اليه تلك الاشرية وانها تؤدى العشر ولا جزية عليها وان ذلك اضر بالخراج وكسره فاراد ردها الى اهلها فقيل له قد وقعت فى المواريث والمهور واختلط امرها فبعث بالمعدلين الى كور الشام سنة اربعين او احدى واربعين يعنى بعد المائة منهم عبد الله بن يزيد الى حمص واسماعيل بن عياش الى بعلبك فى اشباه لهم فعدلوا تلك الاشرية على من اتصلت اليه بشراء او ميراث او مهر فعدلوا ما بقى بيد الانباط من بقية الارض على تعديل مسمى ولم تعدل الغوطة فى تلك السنة وكان من كان بيده شئ من اهل الغوطة يؤدى العشر حتى بعث امير المؤمنين عبد الله ابن محمد هضابا بن طوق ومحرز بن زريق فعدلوا الاشرية وامرهم ان لا يضعوا على شئ من القطائع القديمة ولا على الاشرية خراجا وان يضعوها لاهلها شرية ويضعوا الخراج على ما بقى منها بايدى الانباط . قال سليمان بن عتبة سألنى امير المؤمنين عبدالله بن محمد لما قدم الشام سنة ثلاث او اربع وخمسين ومائة عن سبب الارضين التى بايدى ابناء الصحابة ويذكرون انها قطائع لابائهم قديمة فقلت يا امير المؤمنين ان الله لما اظهر المسلمين على بلاد الشام وصالحوا اهل دمشق واهل حمص كرهوا ان يدخلوها دون ان يتم

ظهورهم واثخانهم فى اعدائهم فعسكروا فى مرج بردا ما بين المزة وبين مرج شعبان وكان هناك مروج مباحة فيما بين اهل دمشق وقراها ليست لاحد منهم فاقاموا بها حتى اوطأ الله المشركين ذلا وقهرا فاحيا كل قوم محلتهم ورفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فامضاه لهم فبنوا الدور ونصبوا الشجر ثم امضاه عثمان ومن بعده الى ولاية امير المؤمنين فقال قد امضيناه لاهله • واما الصوافى التى استصفيت عن بنى امية فقال همام بن مسلم سئل مالك بن انس عن دار من دور الصوافى أأسكنها فقال ما ادرى وسئلت ابن ابى ذئب فقال ما ادرى وسئل عباد بن كثير فقال فى هذا ما فيه وسئل سفيان الثورى فقال لا تنزلها فقال له السائل فانّ ابى فى صافية ويأبى ان يخرج منها فقال سفيان فارق اباك قيل فان كان فيها مسجد قال فلا تصل فيه قال فان كان فيها مريض قال فلا تعده قال فان كنت اعرف اهلها اشتريها منهم قال نعم وقال ايضا ان كانت الصوافى لبنى امية حلالا فهى على بنى هاشم حرام وان كانت على بنى امية حراما فهى على بنى هاشم احرم واحرم

باب بعض ما ورد من الملاحم والفتن مما له تعلق بدمشق فى غابر الزمن

عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر اردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم قالها ثلاثا قال ابو عبيد الهروى فى هذا الحديث قد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو فى علم الله كائن فخرج لفظه على لفظ الماضى لانه ماض فى علم الله عزوجل وفى اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضائه من عمر بما وظفه على الكفرة من الجزية فى الامصار وفى تفسير المنع وجهان احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم باسلامهم فصاروا ما نعين باسلامهم ما وظف عليهم والدليل على ذلك قوله فى الحديث وعدتم من حيث بدأتم لان بدأهم فى علم الله وفيما قدر وقضى انهم سيسلمون فعادوا من حيث بدأوا وقيل

فى قوله منعت العراق درهمها انهم يرجعون عن الطاعة وهذا هو الوجه الثانى والاول احسن وعن ابى هريرة ايضا مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يغلب اهل القفيز على قفيزهم واهل المد على مدهم واهل الاردب على اردبهم واهل الدينار على دينارهم واهل الدرهم على درهمهم ويرجع الناس الى بلادهم (١) قال ابو عبيد معناه والله اعلم ان هذا كائن وانه سيمنع بعد فى آخر الزمان فاسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدرهم والقفيز كما فعل عمر باهل السواد فهو عندى اثبت وفى تاويل قول عمر ايضا حين وضع الخراج ووظفه على اهله ومن المعلوم انه جعله عاما على كل من ازمته المساحة وصارت الارض فى يده من رجل او امرأة او صبي او مكاتب او عبد فصاروا متساو بين فيها لم يستثن احد دون احد ومما يبين ذلك قول عمر فى دهقانة شهرا الملك حين اسلمت فقال دعوها فى ارضها تؤدى عنها الخراج فاوجب عليها ما اوجب على الرجال وفى تاويل حديث عمر من العلم ايضا انه انما جعل الخراج على الارضين التى تغل من ذوات الحب والثمار والتى تصلح للغلة من العام والعامين وعطل منها المساكن والدور التى هى منازلهم فلم يجعل عليهم فيها شيأ وعن ابى نضرة انه قال كنا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك اهل العراق ان لايجبى اليهم دينار ولا مد قلنا من اين ذاك قال من قبل الروم رواه احمد وفى رواية ثم سكت هنيهة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا لا يعده عدا قال الجريرى فقلت لابى نضرة انه عمر بن عبد العزيز قال لا اخرجه مسلم وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفس محمد بيده ما خرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه او مثله ثم ساق الحديث نحوا مما تقدم وقال خالد لا يذهب الليل والنهار حتى تطرد الروم اهل الشام فيموت منهم ناس كثير من العيال بالفلاة جوعا وعطشا قال الامام احمد وخالد هذا اظنه ابن ابى الصلت وقال ابو الدرداء ليخرجنكم الروم من الشام كفرا كفرا حتى يردونكم البلقاء كذلكم الدنيا تميد وتفنى والآخرة تدوم وتبقى

---

(١) لم اجد من حزجه فى كتب الحديث المعتبرة الا ابن عساكر وقد كشفت عنه فى الجامع الكبير للسيوطى فرأيته لم يخرجه الا عن ابن عساكر وهو حديث ضعيف الاسناد

وقال ابو هريرة يا اهل الشام ليخرجنكم الروم منها كفرا كفرا حتى تلحقوا بشنبك من الارض قيل وما ذاك الشنبك قال طسم وجذام وليسيرن الروم على كوادنها متعلق جعابها بين بارق ولعلع وعن الضحاك بن مزاحم انه قال هلاك دمشق نزول السفياني بين اظهركم ثم الروم وقال خالد بن معدان يهزم السفياني الجماعة مرتين ثم يهلك وسمعته يقول لا يخرج المهدى حتى يخسف بقرية يقال لها حرستا

باب ذكر بعض اخبار الدجال وما يكون عند خروجه من الاهوال

قال النواس ابن سمعان الكلابى(١) ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع (٢) حتى ظنناه فى طائفة النخل (٣) فلما رحنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قال قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى عليكم (٤) ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم (٥) وان يخرج ولست فيكم فامرء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط (٦)عينه طافئة كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن (٧) فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة اصحاب الكهف وفى رواية فليقرأ فاتحة الكتاب وفواتح سورة اصحاب

(١) بفتح السين وتشديد الواو وسمعان بكسر السين وفتحها غير منصرف (٢) المشهور فى الرواية تخفيف الفاء فى خفض ورفع وروى تشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير والمعنى انه بالغ فى تقريبه واستعمل فيه كل فن من خفض ورفع (٣) حتى لغاية المبالغة فى تقريبه حتى ظن السامعون انه فى طائفة اى فى قطعة من نخل المدينة وهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم لان الامر العظيم المهم اذا خطب فيه الخطيب ينبغى له ان يهول امره ويعظمه ليعظم احتراس السامعين منه (٤) اخوف اسم تفضيل المبنى للمفعول واصله اخوف مخوفاتى عليكم ثم حذف المضاف الى الياء فاتصل بها اخوف لكن جيئ بالنون بينها تشبيها بالفعل (٥) كلمة ان شرطية تفيد عدم الجزم بمعنى ما بعدها وفائدتها هنا ارادة اعلام الناس بقرب خروجه والحجيج الغالب بحجته وبرهانه على خصمه وقوله فامرء من باب عموم النكرة فى الاثبات فلهذا صح وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة (٦) قطط بفتحتين معناه شديد جعودة الشعر وقوله عينه طافئة قال ثعلب الطافية من العنب الحبة التى قد خرجت عن حد نبتة اخواتها من الحب فظهرت من نبتها وارتفعت وقيل اراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها ويروى قائمة ومعناه باقية فى موضعها صحيحة وانما ذهب نظرها وابصارها والله اعلم اى المعنيين اصح الا انه باعتبار الرواية الاولى اصح (٧) بفتحتين وهو رجل كانت صورته على هذا النعت

الكهف (١) ثم قال انه يخرج من خلة (٢) بين الشام والعراق فعاث (٣) يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا (٤) قال قلنا يا رسول الله وما لبثه (٥) فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله ذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم قال فاقدروا له قدره (٦) قال قلنا يا رسول الله ما سرعته فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح قال فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وامده خواصر (٧) قال ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله (٨) فينصرف عنهم. وفى رواية فتتبعه اموالهم فيصبحون محلين (٩) ليس بايديهم شئ ثم يمر بالخربة (١٠) فيقول لها اخرجى كنوزك فينطلق فتتبعه كنوزها كانها يعاسيب النحل (١١) ثم يدعو رجلا ممتلأ شبابا فيضربه بالسيف

---

(١) فواتح سورة الكهف اوائلها وفى بعض الاحاديث فليقرأ اواخر سورة الكهف فالاولى الجمع بين قراءة اولها واخرها وقراءتها كلها افضل واخرج الترمذى عن ابى الدرداء مرفوعا من قرأ ثلاث ايات من اول الكهف عصم من فتنة الدجال قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ورواه مسلم ولفظه من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال ورواه ابو داود والنسائى وعندهما عصم من فتنة الدجال وهو كذا فى بعض نسخ مسلم وفى رواية لمسلم وابى داود من آخر سورة الكهف وفى رواية للنسائى من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف (٢) خلة بفتح الخاء المعجمة وهى الطريق قال القرطبى قد جاء انه يخرج من خراسان ومن اصبهان ووجه الجمع ان مبدأ خروجه من خراسان من ناحية اصبهان ثم يخرج الى الحجاز فيما بين العراق والشام (٣) عاث من العيث وهو اشد الفساد (٤) معناه اثبتوا على الاسلام واحذروا فتنته فلا يهولنكم امره وعليكم بالثبات شأن الرجال الذين يدافعون عن الحق (٥) بفتح اللام وتضم اى مقدار مكثه (٦) اى اقدروا لليوم لاداء ما فيه من الصلوات الخمس قدر يوم واحد وحدوا ذلك القدر فصلوا فى ذلك المقدار خمس صلوات والى هذا ذهب كثير من العلماء فاوجب صلاة العشاء على اهل البلاد التى يطلع فيها الفجر قبل مغيب الشفق كبلاد بلغار وما والاها وذهب بعضهم الى ان اهل تلك لا تجب عليهم صلاة لان الوقت هو سبب الوجود ويلزم من فقد السبب فقد المسبب والمسألة لها مباحث طويلة افردت بالتأليف (٧) تروح اى ترجع آخر النهار سارحتهم اى ماشيتهم اطول ما كانت ذرى بضم الذال المعجمة جمع ذروه بضم اوله او كسره وهو اعلى سنام البعير واسبغه اى املأه ضروعا وامده من الامتداد وهو كناية عن الشبع (٨) يردون من الرد ومعناه يكذبونه (٩) من المحل وهو الجدب (١٠) الخربة بفتح فكسر الارض الخراب (١١) اليعسوب كبير النحل ومن عادتها انها تتبعه فتسير معه حيثما سار

ضربة فيقطعه جزلتين رمية الغرض (١) ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (٢) واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ (٣) ولا يحل لكافر ان يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فينطلق حتى يدركه عند باب لد فيقتله ثم يأتي نبي الله عيسى قوما قدعصمهم الله منه فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة قال فبينما هم كذلك اذ اوحى الله اليه يا عيسى انى قد اخرجت عبادا لى لا يدان لاحد بقتالهم (٤) فحرز عبادى الى الطور فيبعث الله ياجوج وماجوج وهم من كل حدب (٥) ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم فيقولون لقدكان بهذا ماء مرة ويحاصر نبي الله واصحابه حتى يكون رأس الثور فيهم خيرا لاحدهم من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله النغف (٦) في رقابهم فيصبحون فرسى (٧) كموت نفس واحدة فيهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون موضع شبر الا وقد ملأه زهمهم (٨) ونتنهم ودماؤهم فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عليهم مطرا لا يكن (٩) منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلقة (١٠) وقيل كالزلفة ثم يقال للارض انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها (١١) ويبارك في

(١) جزلتين بكسر الجيم اى قطعتين وقوله رمية الغرض اراد به انما بين القطعتين يكون بقدر رمى السهم الى الغرض وهو الهدف وقيل معناه وصف الضربة اى تصيبه اصابة رمية الغرض (٢) اى بين حلتين مصبوغتين بالورد وهو نبات يشبه الورس والزعفران وقد تقدم تفسيرهما في اول الكتاب (٣) الجمان العرق كما ورد في بعض الروايات واذا لم نفسره بهذا لا يصح تشبيهه باللؤلؤ (٤) اى لا قوة لاحد ولا طاقة له بقتالهم وقوله فحرز معناه اجمع وضم (٥) الحدب المرتفع من الارض ومعنى ينسلون يسرعون

(٦) النغف بفتح النون والغين المعجمة دود يكون في انف الابل والغنم (٧) فرسى كقتلى لفظا ومعنى مأخوذ من فرس الذئب الشاة قتلها (٨) زهمهم بفتح اوله وثانيه ومعناه ريحهم المنتنة (٩) لا يكن اى لا يستر ولا يقى (١٠) الزلفة بفتحتين مصانع الماء وكذا الزلقة بالقاف (١١) العصابة الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين وقوله يقحفها بكسر القاف معناه بقشرها

الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفيام (١) من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ (٢) فبيناهم كذلك اذ بعث الله عز وجل عليهم ريحا طيبة فتأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون (٣) كما تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة وفى رواية عن ابى امامة الباهلى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اكثرخطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله يا ايها الناس انها لم تكن فتنة على وجه الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم اعظم من فتنة الدجال وان الله لم يبعث نبيا الا حذر أمته الدجال وانا آخر الانبياء وانتم آخر الامم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج فيكم وانا فيكم فانا حجيج عن كل مسلم وان يخرج بعدى فكل مؤمن حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم وانه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينا ويعيث شمالا يا عباد الله فاثبتوا فانى سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبى قبلى انه يبدأ فيقول انا نبى ولا نبى بعدى ثم يثنى فيقول انا ربكم وان تروا ربكم حتى تموتوا وانه اعور وان ربكم ليس باعور وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب او غير كاتب فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه وان من فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليقرأ فواتح سورة الكهف وليستغث بالله تكن عليه بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان من فتنته ان معه شياطين تمثل على صورة الناس فيأتى الاعرابى فيقول له ارأيت ان بعثت لك اباك وامك اتشهد انى ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطانان على صورة ابيه وامه فيقولان له يا بنى اتبعه فانه ربك وان من فتنته (٤) ان يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها وان تعود بعد ذلك ولن يصنع ذلك بنفس غيرها فيقول انظروا الى عبدى هذا فانى ابعثه الآن فيزعم ان له ربا غيرى

---

(١) الرسل بكسر الراء وسكون السين اللبن والفئام بالهمز كالكتاب الجماعة الكثيرة (٢) الفخذ دون القبيلة وفوق البطن (٣) يتهارجون اى يتشاجرون فلا شرع يردعهم ولا علم يحجزهم ولا عقل يرديهم (٤) كذا هى الرواية فى اصل ابن عساكر ولعل بها بعض تحريف ورواية ابن ماجه وان من فتنته ان يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين ثم يقول انظروا الى عبدى هذا اه وهكذا رويناه فى صحيح الحاكم

فيبعثه الله فيقول له من ربك فيقول ربي الله عز وجل وانت عدو الله انت الدجال والله ما كنت بعد اشد بصيرة بك مني اليوم وان من فتنته ان يقول للاعرابي ارأيت ان بعثت لك امك اتشهد اني ربك فيقول نعم فيتمثل له الشيطان على صورة امه وان من فتنته ان يأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبوه فلا يبقى لهم سائمة الا هلكت ويمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء ان تمطر فتمطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت فتروح عليهم مواشيهم من يومهم هذا اعظم ما كانت واسمنه واعظمه وامده خواصروا دره ضروعا وان (١) ايامه اربعون يوما فيوم كالسنة ويوم دون ذلك ويوم كالشهر ويوم دون ذلك ويوم كالجمعة ويوم دون ذلك ويوم كالايام ويوم دون ذلك وآخر ايامه كالشرارة في الجريدة يضحى الرجل بباب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى تغرب الشمس قالوا يا رسول الله فكيف نصلي في تلك الايام القصار قال تقدرون في الايام القصار كما تقدرون في الايام الطوال ثم تصلوا وانه لا يبقى شيء من الارض الا وطئه وغلب عليه الا مكة والمدينة فانه لا يأتيهما من نقب من انقابهما الا لقيه ملك مصلت (٢) بالسيف فينزل عند الظريب الاحمر (٣) عند منقطع السبخة عند مجتمع السيول ثم ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة الا خرج فتنفي المدينة يومئذ خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد فيدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت ام شريك بنت ابي العكر يا رسول الله فاين المسلمون قال ببيت المقدس وفي رواية قيل فاين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وامام المسلمين يومئذ رجل صالح فيقال له صل الصبح فاذا كبر ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم فاذا رآه ذلك الرجل عرفه فيرجع يمشي القهقرى يستقدم عيسى عليه السلام ورائه فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك اقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتحوه وورائه الدجال ومعه يومئذ سبعون الف يهودي كلهم ذو سلاح وسيف محلى فاذا

---

(١) من هنا الى قوله كما تقدرون في الايام الطوال من زيادة ابن عساكر على رواية ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم والضياء المقدسي (٢) مصلت مجرد (٣) الظريب بالتصغير والمكبر ظرب ككتف الجبل الصغير والسبخة الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر

نظر الى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص فى النار وكما يذوب الملح فى الماء ثم يخرج هاربا فيقول عيسى ان لى فيك ضربة لن تفوتنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شئ مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودى الا انطق الله عز وجل ذلك الشئ فلا شجرة ولا حجر ولا دابة الا قال يا عبدالله المسلم هذا يهودى فاقتله الاالعرقدة (١) فانها من شجرهم لا تنطق قال الشيخ هو شوك يكون بناحية بيت المقدس قال ويكون عيسى فى امتى حكما عدلا واما ما مقسطا فيقتل الخنزير ويدق الصليب ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير فترفع الشحناء والبغضاء والتباغض وتنزع حمة (٢) كل ذى دابة حتى تلقى الوليدة الاسد فلا يضرها ويكون الذئب فى الغنم فلا يأكلها ويملأ الارض من السلم (٣) ويسلب الكفار ملكهم فلا يكون ملك الا للاسلام وتكون الارض كفاثور الفضة (٤) تنبت نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ويجتمع النفر على القطف فيشبعهم و يجتمع النفر على الرمانة ويكون الثور بكذا كذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات (٥) واخرج ابو يعلى الموصلى بسنده الى ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يكن نبى الا انذر الدجال قومه وانى انذركموه انه اعور ذو حدقة جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة فى جنب جدار وعينه اليسرى كأنها كوكب درى ومعه مثل الجنة والنار فجنته غبراء ذات دخان وناره روضة خضراء وبين يديه رجلان ينذر ان اهل القرى كلما خرج من قرية دخل اوائلهم فيسلط على رجل لا يتسلط على غيره فيذبحه ثم يضربه بعصاه ثم يقول قم فيقوم فيقول لاصحابه كيف ترون الست بربكم فيشهدون له بالشرك فيقول الرجل المذبوح يا ايها الناس ان هذا المسيح الدجال الذى انذرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما زادنى هذا فيك الا بصيرة فيعود ايضا فيذبحه ثم يضربه

---

(١) هى نوع من شجر العضاه (٢) الحمة بضم ففتح مخفف السم (٣) السلم بكسر السين وسكون اللام الصلح (٤) الفاثور بالفاء والثاء المثلثه طست اوجام من فضة (٥) روا ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم والضياء المقدسى وفى الفاظ ابن عساكر بعض تغيير عن الفاظ هؤلاء وفى اخر اختصار وقال ابن ماجه فى اخره سمعت ابا الحسن الطنافسى يقول سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول ينبغى ان يدفع هذا الحديث الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب

بعصاه فيقول له قم فيقوم فيقول لاصحابه كيف ترون الست بربكم فيشهدون له بالشرك فيقول المذبوح يا ايها الناس ها ان هذا المسيح الدجال الذى انذرناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زادنى هذا فيك الا بصيرة فيعود فيذبحه الثالثة ويضربه بعصاه فيقول قم فيقوم ويقول مثل مقالته الاولى والثانية ثم يعود فيذبحه الرابعة فيضرب الله على حلقه بصفيحة من نحاس فلا يستطيع ذبحه قال ابوسعيد فلا والله ما دريت ما النحاس اوما رأيت النحاس الا يومئذ قال فيغرس الناس بعد ذلك ويزرعون (١) واخرج ايضا بسنده الى عثمان ابن ابى العاص انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون للمسلمين ثلاثة امصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالجزيرة ومصر بالشام فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال فى اعراض الناس فيهزمون من قبل المشرق فاول مصر يرده المصر الذى بملتقى البحرين فيصير اهله ثلاث فرق فرقة تنزل الشام وتنظر ما هو وفرقة تلحق بالاعراب وفرقة تلحق بالمصر الذى يليهم ومعه سبعون الفا عليهم التيجان واكثر تبعه اليهود والنساء حتى يأتى مصر الذى يليهم ثم يأتى الشام فيحاز المسلمون الى عقبة افيق فيبعث المسلمون بسرح لهم فيصاب سرحهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد حتى ان احدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك اذ نادى مناد من الشجر يا ايها الناس اتاكم الغوث فيقول بعضهم لبعض ان هذا لصوت رجل شبعان فينزل عيسى عليه السلام الفجر فيقول له امير الناس تقدم يا روح الله فصل بنا فيقول انكم معشر هذه الامة امراء بعضكم على بعض فتقدم انت فصل بنا فيتقدم امير الناس فيصلى بهم فاذا انصرف اخذ حربته ثم ذهب نحو الدجال فاذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص ويضع حربته بين ترقوته فيقتله فيهزم اصحابه فليس شئ يومئذ يجن (٢) منهم حتى الشجرة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يا مؤمن هذا كافر وهذا الحديث اخرجه احمد بن حنبل فى مسنده واخرج عبد الرزاق فى مسنده عن بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال يأتى سباخ المدينة وهو محرم عليه ان يدخل نقابها فتنتفض المدينة باهلها نفضة او نفضتين وهى الزلزلة فيخرج اليه منها كل منافق ومنافقة

(١) رواه الحاكم ايضا بمعناه (٢) يجن يستر

ثم يتولى الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم الدجال نازلا باصله حتى اذا طال عليهم البلاء قال رجل من المسلمين حتى متى انتم هكذا وعدو الله نازل باصل جبالكم هذا هل انتم الا بين احدى الحسنيين بين ان يستشهدكم الله او يظهركم فيتبايعون على الموت بيعة يعلم الله انها الصدق من انفسهم ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر امرء فيها كفه فينزل ابن مريم فتحسر عن ابصارهم وبين ارجلهم وعليه لامة فيقولون من انت يا عبد الله فيقول انا عبدالله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم اختاروا بين احد من ثلاث بين ان يبعث الله على الدجال وعلى جنوده عذابا من السماء او يخسف بهم الارض او يسلط عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم فيقولون هذه يا رسول الله اشفى لصدورنا ولأنفسنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الاكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة فينزلون اليهم فيسلطون عليهم ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص حتى يأتيه او يدركه عيسى فيقتله وروى عن اسماء بنت يزيد بن السكن قالت اتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه فذكر الدجال فقال، ان قبل خروجه ثلاث سنين تمسك السماء يعنى السنة الاولى ثلث قطرها وثلث نباتها والسنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها والارض ما فيها حتى يهلك كل ذى ضرس وظلف ثم ساق نحوا مما تقدم من قوله للرجل ارأيت من احييت اباك وامك تؤمن بى وعن سفينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبى قبلى الا وحذر أمته الدجال انه اعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة عليها مكتوب بين عينيه كافر معه واديان احدهما جنة والآخر نار معه ملكان يشبهان نبيين من الانبياء لو شئت سميتهما باسمائهما واسماء ابائهما احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال الست بربكم احيي واميت فيقول احد الملكين كذبت فلا يسمعه احد من الناس الا صاحبه فيقول له صاحبه صدقت فيسمعه الناس فيظنون انه صدق ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة افيق وروى ابن منده عن عبد الله بن معتمر مرفوعا ان الدجال ليس به خفا يجيء من قبل المشرق فيدعو انفسه فيتبع ويقاتل ناسا فيظهر عليهم

لا يزال على ذلك حتى يقدم الكوفة فيظهر عليهم ورواه ابو بكر الخطيب وزاد حتى يقدم الكوفة فيظهر دين الله ويعمل به ويحث الناس عليه ويقول بعد انى نبي فيفزع لذلك كل ذى لب فيفارقه ويمكث بعد ذلك ثم يقول انا الله فتطمس عينه اليمنى وتصطم اذنه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم ويفارقه كل احد فى قلبه مثقال ذرة من خردل من ايمان فيفارقه ويكون اصحابه وجنوده هذه اليهود والنصارى والمجوس واعاجم المشركين ثم يدعو برجل فيما يرون فيؤمر به فيقتل ثم يقطع عظامه كل عظمة على حدة ويفرق بينها حتى اذا رأى الناس ذلك جمعها ثم يضربه بعصا فاذا هو قائم ويقول انا احيي واميت وذلك سحر يسحر به الناس وليس يصنع من ذلك شيئا وروى الامام احمد عن سمرة بن جندب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الدجال خارج وهو اعور العين الشمال عليها ظفرة غليظة وانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويقول للناس انا ربكم فمن قال انت ربى فقد فتن ومن قال ربى الله حتى يموت فقد عصم من فتنته ولا فتنة عليه ولا عذاب فيلبث فى الارض ما شاء الله ثم يجيء عيسى بن مريم من قبل المغرب مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال ثم انما هى قيام الساعة وعن مجمع بن حارثة مرفوعا يقتل الدجال بين باب لد السبعة عشر ذراعا واللد بالرملة بارض الشام قال الحافظ وهذا باب كبير ويأتى فيه حديث كثير اقتصرت منه على اليسير طلبا للتخفيف والتيسير

باب مختصر فى ذكر يأجوج ومأجوج

يروى فى بعض الآثار ان ياجوج وماجوج اربعمائة امة كل امة اربعمائة الف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر بين يديه من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم ثلاثة اصناف صنف منهم مثل الارز وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بشيء من البهائم الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويروى انهم يحفرون السد كل يوم حتى يكادوا يرون شعاع الشمس فيقولون نرجع اليه

غدا فيرجعون وهو اشد ما كان فاذا انهت مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس قالوا نرجع اليه غدا ان شاء الله فيرجعون اليه فيجدونه كهيئة ما تركوه فيحفرونه ويخرجون فيفر الناس منهم الى حصونهم ويقال انهم يرمون فى السماء سهما فيرجع اليهم كأن فيه دما فيقولون ظهرنا على الارض وقهرنا اهل السماء فيبعث الله عليهم النغف فى اقفائهم فيقتلهم وترسل السماء الماء فتحمل اجسادهم فتقذفها فى البحر وقد ذكر الله تعالى ياجوج وماجوج فى القرآن فقال حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون واما صفتهم وعددهم فليس فى كتاب الله فيه شئ والله اعلم بامرهم وباحوالهم وبما هو المراد منهم وانما ذكرنا هذه النبذة تبعا للحافظ فى الاصل ونحن نكل حقيقتها وحقيقة ما قبلها الى السميع العليم علام الغيوب

باب ذكر شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله وقول من قال انه لا يوجد فى الاقطار مثله

قال يزيد بن ميسرة اربعة اجبل مقدسة طور زيتا وطور سينا وطور تينا وطور تينانا فالاول بيت المقدس والثانى طور موسى والثالث مسجد دمشق والرابع مكة وقال قتادة اقسم الله بمساجد اربعة فقال والتين وهو مسجد دمشق والزيتون وهو مسجد بيت المقدس وطور سينين وهو حيث كلم الله تعالى موسى والبلد الامين وهو مكة ويقال ان قوما ادركوا فى جامع دمشق شجرا من التين قبل ان يبنيه الوليد وقال عبد الرحمن بن ابى المهاجر كان خارج باب الساعات من الجامع الاموى صخرة يوضع عليها القربان فما تقبل منه جاءت نار فاخذته وما لم يتقبل بقى على حاله وقال القاسم بن عبد الرحمن اوحى الله الى جبل قاسيون ان هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس ففعل فاوحى الله اليه اما اذ فعلت فانى سأبنى لى فى حضنك بيتا اعبد فيه بعد خراب الدنيا اربعين عاما ولا تذهب الايام والليالى حتى ارد عليك بركتك قال فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع ويقال ان حيطان مسجد دمشق الاربعة من بناء هود عليه السلام وما كان الفسيفساء فيه الى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك

ولما امر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا فى حائطه القبلى لوحا من حجر فيه كتاب نقش فأتوا به الى الوليد فبعث الى الروم فلم يستخرجوه ثم بعث الى العبرانيين فلم يستخرجوه ثم بعث الى من كان بدمشق من بقية الاشنان فلم يستخرجوه فدل على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم عليه اخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه فى ذلك الحائط ويقال ان ذلك الحائط بناه هود عليه السلام فلما نظر اليه وهب حرك رأسه وقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من اجلك لزهدت فى طويل ما ترجو من املك وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعى فلا تجيب فلا انت الى اهلك عائد ولا فى عملك زائد فاعمل لنفسك قبل يوم القيمة وقبل الحسرة والندامة وقبل ان يحل بك اجلك وتنزع منك روحك فلا ينفعك مال جمعته ولا ولد ولدته ولا اخ تركته ثم تصير الى برزخ الثرى ومجاورة الموتى فاغتنم الحياة قبل الموت والقوة قبل الضعف والصحة قبل السقم قبل ان يؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل وكتب فى زمان سليمان بن داود عليهما السلام وقال زيد بن واقد وكلنى الوليد على العمال فى بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافا وبين يديه الشمع فنزل فاذا هى كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع بثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا فيه سفط وفى السفط رأس يحي بن زكريا عليهما السلام مكتوب عليه هذا رأس يحي فامر به الوليد فرد الى مكانه وقال اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من الاعمدة فجعل عليه عمود مشبك سبط الرأس وقال ايضا رأيت رأس يحي بن زكريا حين ارادوا بناء مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبة وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغيرا وقال الوليد بن مسلم ان الرأس الشريف تحت العمود المسفط الرابع من الركن الشرقى وقال محمد بن شعيب دخلت مع شداد بن عبد الله الى المسجد فقال لى اترى ما هنا من الكتابة الرومية قلت نعم قال فصل ركعتين فان ههنا رأس يحي بن زكريا وقال الاوزاعى بلغنا انه فى العمود الرابع المسفط واخرج حميد بن زنجويه بسنده الى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل فى بيته بصلاة وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته فى المسجد الذى يجمع به بخمسمائة صلاة

وصلاته فى المسجد الاقصى بخمسين الف صلاة وصلاته فى المسجد الحرام بمائة الف كذا قال واسقط الراوى ذكر مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ورواه ابن عدى وزاد وصلاته فى مسجدى بخمسين الفا (١) وقال سفيان الثورى صلاة فى مسجد دمشق بثلاثين الف صلاة وقد ورد فى هذا المعنى آثار كثيرة الله اعلم بصحتها وقال ابن ثوبان ينبغى ان لا يكون احد اشوق الى الجنة من اهل دمشق لما يرون من حسن مسجدهم وقال ابراهيم بن هشام بن ملامس لما قدم المهدى يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه ابو عبيد الله الاشعرى كاتبه فقال يا ابا عبيد الله سبقنا بنو امية بثلاث قال وما هن يا امير المؤمنين قال بهذا البيت يعنى المسجد لا اعلم على ظهر الارض مثله ابدا ثم اتى بيت المقدس فدخل الصخرة فقال يا ابا عبيد الله وهذه رابعة ولما دخل المأمون مسجد دمشق ومعه ابو اسحق المعتصم ويحي بن اكثم قال ما اعجب ما فى هذا المسجد فقال له ابو اسحق ذهبه وبقاؤه فانا نموه به فى قصورنا فلا يمضى به العشرون سنة حتى يتغير فقال ما ذاك اعجبنى منه فقال يحي بن اكثم تأليف رخامه فانى رأيت فيه عقدا ما رأيت مثلها قال ما ذاك اعجبنى فقالا له ما الذى اعجبك فقال بنيانه على غير مثال متقدم وقال الحسن الخوارزمى قال المأمون لقاسم التمار اختر لى اسما حسنا اسمى به جاريتى هذه قال سمها مسجد دمشق فانه احسن شئ وكان الشافعى يقول عجائب الدنيا خمسة اشياء احدها منارة ذى القرنين والثانى اصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا والثالث مرآة ببلاد الاندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة فاذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ فى مائة فرسخ وجاء اهله الى تلك المرآة فقعدوا تحتها ونظروا اليها رأوا صاحبهم بمسافة مائة فرسخ والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه والخامس الرخام والفسيفساء فانه لا يدرى لهما

(١) ورواه ابن ماجه مع الزيادة التى زادها ابن عدى وقال فى الزوائد اسناده ضعيف لان فيه ابا الخطاب الدمشقى وهو لا يعرف حاله وفيه رزيق وقد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل وقال ابو زرعة لا بأس به وذكره ابن حبان فى الثقات وفى الضعفاء وقال ينفرد باشياء حديثه لا يشبه حديث الاثبات لا يجوز الاحتجاج به الا عند الوفاق اه وابو الخطاب هذا لم يرو عنه احد من اصحاب الكتب الستة الا ابن ماجه وبالجملة فالحديث ضعيف وقوله يجمع بتشديد الميم معناه يصلى به جماعة

موضع ويقال ان الرخام كله معجون والدليـل عليه ان الرخامة لو وضعت على النـار ذابت وقال ابراهيم بن ابى الليث الكاتب وكان قدم دمشق سـنة اثنتين وثلاثين واربعمائة فى رسـالة له ٠ ثم امرنا بالانتقال الى البلد فانتقلت منه الى بلد تمت محاسـنه ووافق ظاهره باطنه ازقته ارجه وشوارعه فرجه بحيث انمـا مشيت شممت طيبا واين سـعيت رأيت منظرا عجيبا وافضيت الى جامعه فشاهدت منه ما ليس فى استطاعة الواصف ان يصفه ولا الرائى ان يعرفه وجملته انه بكر الدهر ونادرة الوقت واعجوبة الزمان وغريبـة الاوقات ولقد ابقى بنو اميـة به ذكرا لا يدرس وخلفت اثرا لا يخفى

باب ما ذكر من الامر الشـائع الذائع من هدم الوليد بقية الكنيسة وادخاله اياها الى الجامع

يروى عن كعب فى قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم انه قال اذا هدمت كنيسة فبنيت مسجدا فظهر ابس القصب فحينئذ تأويل هذه الآية (١) انتهى وقصة البنـاء على ما اتصل بنـا ان موضع مسجد دمشق كان كنيسة من كنائس العجم فلمـا كان فتح دمشق كان المسلمون يصلون فى ناحية منها والنصارى فى ناحية عنها فلم يزالوا كذلك حتى ولى الوليـد بن عبد الملك فلما ولى بعث الى النصارى وقال لهم اعطونا نصف الكنيسة الذى بايديكم ونحن نبنى لكم كنيسة حيث شـئتم من دمشق فابوا عليه فقال لهم ائتونا بالعهد فاتوه به فقال لهم قد رضيتم به فانا اعجل البعض عليكم فنظروا فاذا كنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا وكنيسة كذا فرضوا بان اعطوا الكنيسة وكف عن كنائسهم وقال هشـام بن عمار ان الوليد قال لهم لمـا اتوه بالعـهد انا اخذنا كنيسة توما عنوة والكنيسة الداخلة صلحـا فانا اهدم كنيسة توما وكانت اكبر من هذه الداخلة فرضوا بهدم الكنيسة الداخلة يعنى نصف الكنيسة الذى كان بايديهم فهدمها وادخلها فى المسجد وكان بابها قبلة المسجد موضع المحراب الذى يصلى

(١) اقول تأويل هذه الآية على هذا الوجه مما لا يحتمله لفظها ولا يدل شيء على تقييدها بهذا الذى قيده بها كعب وفى الاحاديث الواردة فى تأويلها ما ينفى هذا من اصله

فيه اليوم وقال محمد بن هارون بن نصر سمعت مشايخنا يقولون ان معاوية بن ابى سفيان كان يخرج الى الصلاة من الموضع الذى يصلى فيه الغرباء عند باب جيرون من عند الزجاجة الخضراء فجعلت الزجاجة علامة لما سد الباب من شرقى المسجد وكان هدم الكنيسة فى اول خلافة الوليد سنة ست وثمانين وكان الشروع فى البناء سنة سبع وثمانين فاقاموا فى بنائه سبع سنين فمات الوليد ولم يتم فاتمه هشام من بعده كذا قيل والصواب ان الذى اتمه سليمان وروى الغسانى عن جده انه قال لما اهتم الوليد بن عبد الملك بكنيسة ماريوحنا ليهدمها ويزيدها فى المسجد دخل الكنيسة ثم صعد المنارة ذات الاضالع المعروفة بالساعات وكان بها راهب يأوى الى صومعة له بها فاحدره من الصومعة فاكثر الراهب كلامه فلم تزل يد الوليد فى قفاه حتى احدره من المنارة ثم هم بهدم الكنيسة فقال له جماعة من النصارى البنائين نحن لا نجسر على ان نبدأ بهدمها يا امير المؤمنين نخشى ان نجن او يصيبنا شئ فقال الوليد تحذرون وتخافون ياغلام هات المعول ثم اتى بسلم فنصبه على محراب المذبح وصعد فضرب المذبح حتى اثر فيه اثرا كبيرا ثم صعد المسلمون فهدموه واعطاهم الوليد مكان الكنيسة التى فى المسجد الكنيسة التى تعرف بحمام القاسم بحذاء دار أم البنين فى الفراديس فهى تسمى ماريوحنا مكان هذه التى فى المسجد وقال على بن ابى جملة ان الوليد لما اراد هدم الكنيسة واضافتها للمسجد قال له النصارى كنيستنا لا تهدمها فقال لهم نعطيكم موضع الكنيسة حيث شئتم وان شئتم اعطيناكم ثمنها واضعف لكم فى الثمن وارفع ذلك فابوا وقالوا لا نبيع ولا نأذن فى هدمها ولنا ذمة وعهد الله قال فانى اتركها واهدم كنيسة توما وابنى المسجد فيها لانها لم تكن فى العهد فلما رأوا ذلك قالوا انا نتركها لكم وتدعوا لنا كنيستنا ثم كان الوليد اول من ضرب فاسا فى هدمها ثم اراد ان يبنى المسجد اسطوانات الى الكوى يعنى الطاقات فدخل بعض البنائين فقال لا ينبغى ان يبنى هكذا ولكن ينبغى ان يبنى فيه قناطر ويعقد بعضها الى بعض ثم تجعل اساطين ويجعل لها عمد ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف ويخف عن العمد البناء ويجعل بين كل عمودين ركن فبنى كذلك وزاد من ناحية شرق المسجد المقصورة كلها من كنيستهم وقال عبد الرحمن بن عامر اليحصبى فى حديثه عن الوليد حين هدم الكنيسه لما عزم الوليد على الهدم قال له النصارى لا يهدمها

احد الا جن فقام يزيد بن تميم فجمع وجوه اهل البلد وامر ان يتخذ له فاس صغيرة فاتخذوها فخرج الوليد ومعه وجوه اهل البلد حتى ملأوا الكنيسة ثم التفت الى يزيد فقال له ابن الفاس فاتاه به فقال له ان هؤلاء يزعمون ان اول من يهدمها يجن وانا اول من يجن فى الله تعالى فاخذ برقة قبائه ووضعها فى منطقته ثم اخذ الفاس فضرب به ضربات ثم ناوله يزيد بن تميم فضرب به بعده ثم ناوله ابا نائل رياحا الغسانى فضرب به وكان على الشرطة وتناوله كل من حضر ولم يجدوا من ذلك بدا اذ فعله امير المؤمنين وصاح النصارى وعلى النوح وواولوا فالتفت الى زيد بن تميم وكان على الخراج وقال ابعث الى اليهود حتى يأتوا على هدمها ففعل فجاء اليهود فهدموها وقال المغيرة بن عبد الملك دخلت يوما على الوليد فوجدته مغموما فقلت له يا امير المؤمنين ماشأنك فاعرض عنى ثم عاودنى فاعدت سوآلى فقال يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها فى المسجد فابوا علينا وقد اقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالا فامتنعوا فقال له المغيرة يا امير المؤمنين لا تغتم قد دخل خالد من الباب الشرقى عنوة بالسيف وباب الجابية دخل منه ابو عبيدة بالامان فنماسحهم لنعلم الى اى موضع بلغ السيف فان يكن لنا فيه حق اخذناه وان لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقى الكنيسة فندخله فى المسجد فقال له فرجت عنى فتول انت هذا فتولاه فلما انتهى من امر المساحة وجد ان باقى الكنيسة قد دخل فى المسجد فبعث اليهم فقال لهم هذا حق قد جعله الله لنا لنصلى فيه فقالوا له يا امير المؤمنين لقد اقطعتنا اربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا فان رأيت ان تتفضل به علينا فافعل فامتنع عليهم حتى سئالوه وطلبوا اليه فاعطاهم كنيسة حميد بن دُرة وكنيسة اخرى بجنب سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة الصليبية ثم ان الوليد بعث الى المسلمين فاجتمعوا فى مقدم الكنيسة واجتمع النصارى فقال بعض القسوس للوليد انى اخاف عليك من الشاهد يا امير المؤمنين فقال له ويلك سأضع فاسى فى رأس الشاهد ثم ساق القصة على نحو ما تقدم

باب ما ذكر فى بناء المسجد الجامع واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع

قال ابو الحسن احمد بن عبد الله الرازى قرأت فى هذا الكتاب الذى

فيه اخبار الاوائل ان هذه الدار المعروفة بالخضراء مع الدار المعروفة بالكبق مع الدار المعروفة بدار الخيل مع المسجد الجامع اقاموا وقت بنائها يأخذون لها الطالع ثماني عشرة سنة وقد حفروا اساس الحيطان حتى وافاهم الوقت الذى طلع فيه الكوكبان اللذان ارادوا ان المسجد اذا بنى فيهما لا يخرب ابدا ولا يخلو من العبادة وان هذه الدار اذا بنيت لا تخلو من ان تكون دار الملك والسلطنة والضرب والحبس وعذاب الناس والقتل ومأوى الجند والعساكر والبلاء والفتنة فبنوا على هذا والله اعلم (١) وكانت فى ذلك الزمان كلها دارا واحدة وقال مروان بن عبد الملك لما اراد الوليد بناء مسجد دمشق احتاج الى صناع كثيرة فكتب الى الطاغية ان وجه الى بمائة صانع من صناع الروم فانى أريد ان ابنى مسجدا لم يبن من مضى قبلى ولا يكون بعدى مثله فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش وخربت الكنائس التى فى بلدى وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فاراد الطاغية ان يغضه عن بنائه ويضعف عزمه فكتب اليه والله لئن كان ابوك فهمها فاغفل عنها فانها لوصمة عليه ولئن كنت فهمتها وغابت عن ابيك فانها اوصمة عليك وانا موجه لك بما سئالت فاراد ان يعمل له جوابا فجلس له عقلاء الرجال فى حظيرة المسجد يفكرون فى ذلك فدخل عليهم الفرزدق فقال ما بال الناس اراهم مجتمعين حلقا حلقا فقيل له السبب كيت وكيت فقال انا اجيبه من كتاب الله قال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فسرى عنهم وقال سعيد بن العاص لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التى رأى ابوك تركها فان كان حقا فقد خالفت اباك وان كان باطلا فقد اخطأ ابوك فلم يدر ما يجيبه به فكتب الى الكوفة والبصرة وسائر البلدان ان يجيبوه فلم يجبه احد فوثب الفرزدق فقال انا ابو فراس اصلح الله الامير قد رأيت رأيا فان يك حقا فخذه

---

(١) هذه الحكاية ما اشبهها بقصص الخرافات لان المسجد قد خرب مرارا وعمر ودار الخضراء قد خربت من ازمان متقادمة وخلا منها الملك والسلطنة ودار الكبق درست اطلالها ومحيت معالمها ودار الخيل هى الخان الممتد من امام مدرسة عبد الله باشا من الجانب الشمالى الى آخر سوق السلاح ومن عهد قديم لم يدخلها خيل ولا سلاح فاين ما زعمه ذلك المؤرخ واما فن احكام النجوم الذى استند عليه فقد اقمنا الادلة القاطعة على ابطاله فى شرحنا على رسالة الفارابى وادرجناه فى جريدة الشام تباعا فتنبه

وان يك خطأ فنى قال الله عز وجل وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان فاستحسنه الوليد وكتب به الى ملك الروم فلم يجبه فانشأ الفرزدق يقول

فرقت بين النصارى فى كنائسهم والعابدين من الاسحار والعتم
وهم جميعا اذا صلوا واوجههم شتى اذا سجدوا لله والصنم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه اهل الصليب له القراء لم تنم
فهمك الله تحويلا لبيعتهم عن مسجد فيه يتلى طيب الكلم
فهمت تحويلها عنه كفاهمها اذ يحكمان له فى الحرث والغنم
دواد والملك المهدى اذ جزآ ولادها واجتزاز الصوف بالجلم
والله ما من اب فى الناس نعلمه خير بنين ولا خير من الحكم

وقال عبد الرحمن بن ابراهيم ان الوليد بنى كل ما كان داخل حيطان المسجد وزاد فى سمك الحيطان وبنى قبة المسجد فلما استقلت وتمت وقعت فشق ذلك عليه فاتاه رجل من البنائين فقال له انا اتولى بناءها على ان تعطينى عهد الله ان لا يدخل معى احد فى بنائها ففعل ذلك فحفر موضع الاركان حتى بلغ الماء ثم بناها فلما استقلت على وجه الارض غطاها بالحصر وهرب عن الوليد فاقام يطلبه فلا يقدر عليه فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد الا وهو على بابه فقال ما دعاك الى ما صنعت قال تخرج معى حتى اريك فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الارض ثم قال من هذا كنت تؤتى ثم بناها ببنائها الذى بنيت عليه حتى قامت وقال الغسانى رأيت قبة مسجد دمشق وقد حفر لاركانها حتى بلغ الحفر الى الماء والقى على الماء جفان الكرم وبنى الاساس عليه وقال ابو مسهر ان جده شرب من اركان القبة ماء وقال ابراهيم بن ابى حوشب ان الوليد بعث يوما الى جدى عند الفراغ من القبة الكبيرة ولم يبق منها الا عقد رأسها فقال له انى عزمت على ان اعقدها بالذهب فقال له يا امير المؤمنين هل اختلطت أهذا شىء تقدر عليه فقال له يا ناصر تقول لى هذا فامر به فشق عنه وضربه خمسين سوطا ثم قال اذهب فافعل ما امرت به قال فذكر لى انه عمل لبنة من ذهب فحملها اليه فلما نظر اليه وعرف مافيها وما تحتاج القبة الى مثلها قال هذا

شيء لا يوجد في الدنيا ورضي عنه وامر له بجائزة ثم انهم طلبوا الرصاص في السوادي من العادية فانتهوا الى قبر من الحجارة في داخله قبر من رصاص فاخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الارض فوقع رأسه في هوية من الارض فانقطع عنقه فسال من فيه دم فهالهم ذلك فسألوا عنه فكان فيمن سألوا عنه عبادة بن نسي الكندي فقال لهم هذا القبر قبر طالوت الملك وقيل داود ابن سليمان وقالوا لما فرغ الوليد من بناء المسجد قال له بعض ولده اتتعب الناس في حليه كل سنة ويخرب سريعا فامر ان يسقف بالرصاص فطلب الرصاص في كل بلد فوصل اليه فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصا فكتب الى عماله يحرضهم في طلبه فكتب اليه بعض عماله انا قد وجدنا عند امرأة منه شيئا وقد ابت ان تبيعه الا بوزنه ذهبا فامر الوليد بشرائه بما قالت فلما رأت المرأة ذلك قالت هو هدية مني للجامع وكنت ظننت اولا ان صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ اموالهم فلما رأيت الوفاء منكم علمت انه لم يظلم فيه احدا فكتب الى الوليد بذلك فامر ان يعمل في صفائحه لله ولم يدخل في جملة ما عمله فهو الى اليوم مكتوب عليه لله طبع بطابع على السقف ويذكر ان المرأة المذكورة كانت يهودية وانه كتب على الرصاص الذي اعطتهم الاسرائيلية وقالوا لما اراد الوليد البناء كان سليمان بن عبد الملك هو المقيم مع الصناع وقال بن المعلى وجدت في كتاب لبعض اهل دمشق ان قبة الرخام التي فيها فوارة الماء اقيمت في سنة تسع وستين وثلاثمائة وقال الحنائي انشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون سنة ست عشرة واربعمائة وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة واربعمائة وامر بجر القصعة من ظاهر قصر حجاج الى جيرون واجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدولة ابو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني جزاه الله على ذلك خيرا (١)

(١) قال النعيمي في تحفة الطالب وارشاد الدارس وسقطت هذه الفوارة من جال تجاكت بها في صفر ٤٥٧ ثم اعيدت كرة ثانية ثم سقطت في حريق اللبادين ثم عمرت وما عليها اه وهذا الحريق كان سنة ٥٦٢ فاحترق مع اللبادين باب الساعات قاله الذهبي في مختصر تاريخه وفي سنة ٦٨١ جددت ابواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الاصفر وفي سنة ٦١١ كانت ارض الجامع حفرا وجورا فشرع في تبليطه وفي سنة ٦١٧ نصب محراب للحنابلة بالرواق الثالث ثم اخذ منهم سنة ٧٣٠ وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة

باب كيفية ما رخم وروق ومعرفة كمية المال الذي عليه انفق

قال ابراهيم بن هشام مافي مسجد دمشق شيء من الرخام الا رخامتنا المقام فانه يقال انهما من عرش سبا واما الباقي فكله مرمر وقال جناح كان في مسجد دمشق اثنا عشر الف مرخم وقال الوليد بن مسلم لما اخذ الوليد ابن عبد الملك في بناء مسجد دمشق وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤنته ما ظهر تكلم الناس فقالوا اينفق فيئنا ويتلف ما في بيوت اموالنا في نقش الخشب وتزويق الحيطان ثم كأنه قد حرمنا اعطياتنا واعتل علينا بذهاب المال وقلته فبلغ الوليد كلامهم والذي قالوه من ذلك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه

وجدد للحنفية محراب ايضا عند ذلك الباب ورخم الحائط الشمالي سنة ٧٢٩ وفي سنة ٧٢٨ اختل الحائط القبلي مما يلي باب الزيادة فعمر وجد الناس في اعماره وفي سنة ٧٣٠ رخم الجانب الشرقي وجمعت فصوص الفسيفساء التي بقيت وجعلت في الجدار وقد كانت جدران الجامع كلها من الفسيفساء وفي سنة ٧٤٠ وقع حريق عظيم بدمشق احترقت فيه المأذنة الشرقية من الجامع وقد تقلبت على هذا الجامع احوال فانه احترق مرارا وجاءت زلزلة فهدمت جدرانه فلم يبق منها الا الجدار القبلي وفي سنة ثمان وستين وستمائة كان الجامع كأنه خان ينام فيه الناس وكان لكل مقيم به موضع قد افرده واقتطعه وعمل فيه صندوقا واحاطه بمقصورة حتى كان فيه ما يقرب من ثلاثمائة خزانة ومقصورة فلما ولي الملك الظاهر ركن الدين ازال جميع ذلك ونظف الجامع وفرشه بالحصر والبسط وغسل رخامه وحسنه وكان بصحن الجامع ايضا حواصل للمنجنيقات وحواصل للامراء وغيرهم من خيم وشبهها فازالها ايضا ورتب اوقافه للمستحقين وفتش على كتب الوقف التي كانت فيه فجمعها من المختلسين ورتبها وجلدها واتقنها كذا ذكره النعيمي في تحفة الطالب ورأيت في احدى المجاميع مقالة معزوة لتاريخ ابن اسباط يقول بها وفي سنة ٩٢٢ حدثت الملك سيباى نفسه ان في القبة الغربية التي في صحن الجامع الاموي مال ففتحها فلم يجد بها الا اوراقا مكتوبة بالقلم الكوفي من القرآن العظيم وهي لسخ جزيلة فاخذ الناس بعض ذلك واعادوا الباقي قلت وقد صعدت اليها سنة ١٣٠٦ فوجدت بها قطعا من المصاحف الشريفة بالقلم الكوفي موضوع بعضها فوق بعض ثم اخذت الى الاستانة كلها ولم يبق منها شيء ثم في ايامنا سنة ١٣١١ احترق الجامع ولم يبق فيه شيء من الاثار القديمة واعيد بنائه على الحالة الحاضرة اليوم جعله الله عامرا مدى الايام وقد بسطنا الكلام عليه باكثر من هذا في كتابنا الذي سميناه منادمة الاطلال ومسامرة الخيال فليراجعه من احب بسط الكلام

ثم قال يا ايها النـاس قد بلغتنى مقالتكم وانتهى الى خوفكم على اعطياتكم ودفعكم عن حقوقكم وليس الامر على ما ظننتم الا وانى امرت باحصاء ما فى بيوتكم من المـال فاصبت فيها عطائكم ست عشرة سـنة مستقبلة من يومى هذا ثم نزل وقال عمرو بن مفاخر الانصارى حسـبوا ما انفق على الكرمة التى فى قبـلة مسجد دمشق فوجدوه سبعين الف دينـار قال ابو قصـى انفق على المسجد اربعمائة صندوق فى كل صندوق اربعة عشـر الف دينار كذا قال والله اعلم وقال ابو قصى ايضا فى كل صندوق ثمـانية وعشرون الف دينار والله اعلم بذلك الا ان الرواية الاولى اقل مبالغة وزعم ان حرسـى امير المؤمنين اتى الولـيـد فقال له ان اهل دمشق يتحدثون ان الوليد انفق الاموال فى غير حقها فنادى بالصلاة جامعة وخطب النـاس فقال الا انه بلغنى حرسـى انكم تقولون ان الوليد انفق الاموال فى غير حقها الا يا عمرو بن مهاجر قم فاحضـر ما تملك من الاموال فى بيت المـال قال فاتت البغال تدخل بالمـال فصب تحت القبة على الانطاع حتى حتى لم يبصر من فى الشمال من فى القبلة ولا من فى القبلة من فى الشمال واتى القبانيون فوزنوا الاموال وقالت لصاحب الديوان احضـر من قبلك ممن يأخذ رزقنا يعنى اسمائهم فكانت ثلاثمـائة الف الف فى جميع الامصار وحسبوا مايصيبهم فوجدوا عنده رزق ثلاث سنين ففرح النـاس وكبروا وحمدوا الله تعالى وقالوا لا تذهب هذه الثلاث الا ويخلفها اكثر منها وقال الوليد يوما انى رأيتكم يا اهل دمشق تفخرون على الناس باربع خصال فاحببت ان يكون مسجدكم الخامس فاحمدوا الله فانصـرفوا شـاكرين داعين وقال خالد بن بثول حدثنى شيخ من اهل العلم ان عبد الملك اشترى العمودين الاخضـرين الكبيرين اللذين تحت قبة النسـر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بالف وخمسمائة دينـار وقال ابو يوسـف يعقوب بن سـفيان قرأت فى قبلة مسجد دمشق صفائح مذهبة بلازورد بسـم الله الرحمن الرحيم الله لااله الا هو الحى القـيوم الى آخر الآية لااله الا الله وحده لا شـريك له ولا نعبد الا اياه ربنـا الله وحده وديننا الاسـلام ونبينا محمـد صلى الله عليه وسـلم امر ببنـاء هذا المسجد وهذه الكنيسة الذى كانت فيه عبد الله الوليد امير المؤمنين فى ذى القعدة من سـنة ست وثمـانين وهذه الكتابة فى ثلاث صفائح منها وفى الرابعة سورة الفاتحة الى آخرها ثم النـازعات ثم

عيسى ثم التكوير الكل بتمامها قال ابو يوسف وقدمت بعد ذلك فرأيت هذا قد محى وكان ذلك قبل المأمون وقال ابو مسهر عملت المقصورة لسليمان بن عبد الملك حين استخلف انتهى قال الحافظ انشدني بعض اهل الادب في جامع دمشق عمره الله تعالى

دمشق قد شاع حسن جامعها وما حوته ربى ربائعها (١)
بديعة المدن في الكمال لما يدركه الطرف من بدائعها
طيبة ارضها مباركة باليمن والسعد اخذ طالعها
جامعها جامع المحاسن قد فاقت به المدن في جوامعها
وبنية بالاتقان قد وضعت لا ضيع الله سعى واضعها
تذكر في فضله ورفعته اخبار صدق راقت لسامعها
قد كان قبل الحريق مدهشة فغيرته نار بلاقعها
فاذهبت بالحريق بهجته فليس يرجى اياب راجعها
اذا تفكرت في الفصوص وما فيها تيقنت حذق راصعها
اشجارها لا تزال مثمرة لا تذهب الريح في مدافعها
كأنها من زمرد غرست في ارض تبر تغشى بنافعها
فيها ثمار تخالها اينعت وليس يخشى فساد يانعها
تقطف باللحظ لا بجارحة الـ ـأيدى ولا تجتنى لبائعها
وتحتها من رخامة قطع لا قطع الله كف قاطعها
احكم ترخيمها المرخم قد بان عليها احكام صانعها
وان تفكرت في قناطره وسقفه بان حذق رافعها
وان تبينت حسن قبته تحير اللب في اضالعها
تخرق الريح في مخارمها عصفا فتقوى على زعازعها
وارضه بالرخام قد فرشت بنفسج الطرف في مواضعها
مجالس العلم فيه متقنة ينشرح الصدر في مجامعها
وكل باب عليه مطهرة فذا من الناس رفع مانعها

(١) من بحر المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مرتين والعروض والضرب مطويان وقد دخل الخبن في حشوه والقافية من المتدارك والهاء وصل والالف خروج

يرتفق الخلق من مرافقها ولا يصدون عن منافعها
ولا تزال المياه جارية فيها لما شق من مشارعها
وسوقها لا تزال اهلة يزدحم الناس فى شوارعها
لما تشاؤون من فواكهها وما تريدون من بضائعها
كأنها جنة معجلة فى الارض لو لا سرى لجائعها
دامت برغم العدى مسلمة وحاطها الله من قوارعها (١)

(١) رأيت لبعض المتأخرين ابياتا فى وصف جامع دمشق فاحببت الحاقها هنا لما بها من الصناعة الادبية

﴿ لبدر الدين حسن بن حبيب الحلبي ﴾

معبد الشام يجمع الناس طرا واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت فيه تجلى على الدوام العروس

وقال ايضا

يا راغبا فى غير جامع جلق هل يستوى الممنوع والممنوح
اقصر عنانك وفى غلوك لا تزد ان الزيادة بابها مفتوح

﴿ وقد اخذ هذا المعنى من قول ابن نباتة ﴾

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى فى الجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة مفتوح

﴿ وقال الصلاح الصفدى ﴾

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها بمعبدها الزاهى البديع المشيد
جرى لبيا هى حسنه كل معبد وما قصبات السبق الا لمعبد

﴿ والاصل فى ذلك قول برهان الدين القيراطى ﴾

سقى بدمشق الغيث جامع نسكها بروضاته غنى الحمام المغرد
اذا ما زهى فى العين من ذاك معبد لذكر حلى فى السمع من ذاك معبد

ومن مغانيه قوله

دمشق له فى الحسن منصب عال وذكر فى الورى شائع
نقل من قاس بها غيرها وقل له ذا الجامع الجامع

باب ما كان عمر بن عبد العزيز هم برقم رده على النصارى حين قاموا بطلبه

لما ولى عمر بن عبد العزيز قال له النصارى يا امير المؤمنين قد علمت حال كنيستنا فقال انها صارت الى ما ترون فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق لم تكن فى صلحهم يقال لها كنيسة توما وقال ابن المعلى وبلغنى عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره ان النصارى رفعوا الى عمر بن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد فى كنائسهم من انها لا تهدم ولا تسكر وجاؤا بكتابهم اليه فكلمهم عمر ودفع لهم ثمنا بلغ مائة الف دينار فابوا فكتب عمر الى محمد بن سويد الفهرى ان يدفع اليهم كنيستهم الا ان يرضوا برضائهم فاعظمه ذلك واعظم الناس، وفيهم يومئذ بقية من اهل الفقه فشاورهم محمد بن سويد وقال هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد اذينا فيه الصلاة وجمعنا فيه ثم يهدم ويعاد كنيسة فقال رجل منهم ان ههنا خصلة وهى ان لهم كنائس عظاما حول مدينتهم دير مران وباب توما والراهب وغيرها فان احبوا ان نعطيهم كنيستهم ولا يبقى حول دمشق كنيسة ولا بالغوطة الا هدمت وان شأوا تركنا لهم كل كنيسة بالغوطة وسجلنا لهم بها سجلا وتركوا ما يطلبون فعرض ذلك عليهم فقالوا انظرونا ننظر فى امرنا فتركهم ثلاثا فقالوا نحن نأخذ الذى عرضت علينا ونكتب الى الخليفة نخبره بأنا قد رضينا بذلك ويسجل الخليفة من قبله سجلا منشورا بامان على جميع كنائسنا من ان تهدم او تسكر قالوا نعم فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسره وسجل لهم سجلا فى كنائسهم التى هى خارج مسجد دمشق والغوطة انهم آمنون من ان تهدم او تسكر واشهد لهم شهودا وقال عمر بن مهاجر سمعت عمر بن عبد العزيز وذكر مسجد دمشق فقال رأيت اموالا انفقت فى غير حقها فانا مستدرك ما استدركت وروى عنه الميدانى انه قال ما اراه فى هذا المسجد نقراره فى بيت المال وقد هممت ان اعمد الى تلك الفسيفساء وذلك الرخام فاقلعه واجعل مكانه طوبا وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا وانزع تلك البطائن فابيع جميع ذلك وادخله بيت المال فبلغ ذلك

اهل دمشق فاشتد ذلك عليهم فخرج اليه اشرافهم وفيهم رجل يقال له خالد فقال لهم ائذنوا لى حتى اكون انا المتكلم فاذنوا له فلما اتوا دير سمعان استأذنوا على عمر فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليه فقال له خالد يا امير المؤمنين بلغنا انك هممت ان تفعل كذا وكذا فى مسجدنا فقال لهم رأيت اموالا انفقت فى غير حقها وانا مستدرك ما ادركت فاجعل قرارها فى بيت المال فقال له خالد والله ما ذلك لك يا امير المؤمنين فقال عمر لمن هو ألامك الكافرة وغضب عمر وكانت ام خالد نصرانية فقال له خالد ان تكن كافرة فقد ولدت مؤمنا فاستحيا عمر وقال صدقت ثم قال له ما معنى قولك ما ذلك لى فقال لانا كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر واخواننا من اهل العراق نغزوا فيفرض على الرجل منا ان يحمل من ارض الروم قسما من الفسيفساء وذراعا فى ذراع من رخام فيحمله اهل العراق واهل حلب الى حلب ويستأجر من يحمله الى دمشق ويحمله اهل حمص الى حمص ويستأجروا من يحمله الى دمشق ويحمل اهل دمشق ومن وراءهم حصتهم الى دمشق فذلك قولى ما ذلك لك فسكت عمر/ثم جاءه كتاب من يزيد بن معمر يخبره ان قاربا ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم عليهم رجل منهم يريدون الوفود على امير المؤمنين فكتب اليه ان وجههم الى ووجه معهم عشرة من المسلمين واجعل عليهم رجلا منهم وليكن كلهم يحسن التكلم بالرومية ولكن لا يعلموهم بانهم يعرفون لغتهم وذلك لاجل ان يحملوا الى كلامهم ففعل ما امره به وساروا حتى اتوا دمشق فنزلوا خارج باب البريد فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم الوالى فى دخول المسجد فاذن لهم فمروا فى الصحن حتى دخلوا من الباب الذى يواجه القبة فكان اول ما استقبلوه المقام ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيا عليه فحمل الى منزله فاقام ما شاء الله ان يقيم ثم افاق فقالوا له بالرومية ما قصتك عمدنا بك من رمية وما انكرنا منك شيئا وصحبتنا فى طريقنا فما انكرناك فما الذى عرض لك حين دخلت هذا المسجد فقال انا معشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيلقونها فلذلك اصابنى ما اصابنى فلما قدموا على عمر اخبروه بما سمعوا منه فقال لا ارى مسجد دمشق الا غيظا على الكفار فنزل عما كان همّ به من امره ورويت

القصة من وجه آخر وبها ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف اراد ان يجرد مافي قبلة مسجد دمشق من الذهب وقال انه يشغل الناس عن الصلاة فقيل له يا امير المؤمنين ان المسلمين انفقوا عليه من اعطياتهم وليس يجتمع منه شيء ينتفع به فاراد ان يبيضه بالجص فقيل له تضاهي الكعبة فبينما هو في ذلك اذ ورد عليه وفد من الروم فحكي القصة وفيها ان رئيسهم لما نظر الى القبة قال كم مضى للاسلام قالوا مائة قال كيف تصغرون امرهم ما بنا هذا البنيان الا ملك عظيم فاتى الرسول عمر فاخبره فقال اما انه غائظ للعدو فدعه

باب ما كان في الجامع من القناديل والآلات ومعرفة ما عمل فيه وفي البلد باسره من الطلسمات

قال مكحول كانت القناديل اذا اطفئت في مسجد دمشق يبد الواحد منا انفه لما يفوح من رائحة المسك وقال عبد الرحيم الانصاري سمعت الاعراب وهم يزورون المسجد يقولون لا صلاة بعد القليلة فقيل له هل رأيتها قال نعم كانت تضيء مثل السراج وسمعت ان منصورا سرقها وذلك ان الامير منصور كان يحب البلور فكتب الى صاحب شرطة والى دمشق ان ينفذ اليها القليلة فسرقها ليلا ووجهها اليه فلما قتل المأمون الامين ردها الى دمشق ليشنع بذلك على الامين وكانت في محراب الصحابة فلما سرقت جعل موضعها برنية من زجاج قال مكحول وقد رأيتها ثم انكسرت بعد فلم يجعل شيء مكانها وقال ابن المعلى كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود خشنة فدخلته الريح في عهد الوليد فهزته فثار الناس فخرقوا اللبود وقال عبد الرحيم المازني لما كان في ايام الوليد وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعا فوجدوا بابا من حجارة مغلقا فلم يفتحوه واعلموا به الوليد فخرج من داره حتى وقف امامه ففتحه فاذا داخله مغارة فيها تمثال انسان من حجارة على فرس من حجارة وفي يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب ويده الثانية مقبوضة فكسرت فاذا فيها حبتان حبة قمح وحبة شعير فسئال عن ذلك فقيل له لو تركت الكف فلم تكسره لم يسوس في هذه البلدة قمح ولا شعير وقال احمد الحافظ الوراق وكان قد عاش مائة سنة سمعت

بعض الشيوخ يقولون لما دخل المسلمون دمشق وقت فتحها وجدوا على العمود الذى فى المقسلاط على التاج الحديدى الذى فى اعلاه صنما مادا يده بكف منطبقة فكسروا يده فاذا فيها حبة قمح فسئالوا عن ذلك فقيل لهم هذه الحبة من القمح جعلها حكماء اليونان فى كف هذا الصنم حتى لا يسوس قمح فى البلد ولو اقام سنينا كثيرة قال الحافظ فى الاصل وقد رأيت هذا السفود على عمود قائم بالمقسلاط وطرح فى سنة اربع وستين وخمسمائة وعمل منه اسكفة لباشورة الباب الصغير وقال عبد الله بن احمد بن زيد القاضى انما سمى باب الساعات (١) لانه كان عمل هناك ساعات يعلم بها كل ساعة تمضى من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب من نحاس فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة فى الطست وقال يحيى بن على القاضى انه ادرك فى الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات

من لطائف البرهان القيراطى فى باب الساعات

فى الجامع الاموى الحسن مجتمع	وبابه فيه للاحداق لذات
دقائق الحسن يحويها له درج	لحبذا منه بالساعات ساعات
وحبذا معبدكم اطربت اذنا	فيه من الذكر نغمات واصوات
جلى العروس على الرائى منصتها	تزفها من بدور التم طارات

وقال ايضا

يقول لنا نسر بجامع جلق	انا الطائر المحكى والآخر الصدى
وقد اطرب الاسماع مطرب حنكها	وغنى به من لا يغنّى مغردا

وقال قمر الدولة جعفر الكنانى

رأيت بالجامع المعمور معجزة	فى جلق كنت احدى من بها سمعا
فوارة كلما فارت فرت كبدى	وماؤها فض بالانفاس فاندفعا
كأنها الكعبة العظمى فكل فتى	من حيث قابل انبوبا لها ركعا

(١) معلقة بالسقف فوق البطاين مما يلي السبع وانه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان حريق الجامع ليلة النصف من شهر شعبان بعد العصر سنة احدى وستين واربعمائة وقال عبد الوهاب المزني سمعت جماعة من شيوخ اهل دمشق يقولون ان العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق ام حكيم الذي بحضرة مسجد الطباخين كان عليه صنم مكسور وفائدته تعسير الحاجات فاذا دخله انسان لحاجة لم تقض قال وكان ابي ينهاني عن الدخول فيه اذا كنت في حاجة وفي سقف المسجد طلاسم صنعها الحكماء فيما يلي الحائط القبلي فيها طلسم للصنونيات فلا تدخله ولا تعشش فيه لما تحدثه من الاوساخ التي تكون منها ولا يدخله غراب وطلسم للحيات والفار والعقارب وما ابصر الناس فيه من هذا شيئا الا الفار ويوشك ان يكون طلسمها قد تغير وطلسم للعنكبوت فلا ينسج في زواياه ولا يركبه الغبار والوسخ

باب ما ورد في امر السبع وكيف كان ابتداء الحضور فيه والجمع

قال حسان بن عطية قراءة المدارسة محدثة احدثها هشام بن اسماعيل

---

(١) ان للعقل وقفة في هذا المقام والكلام عليه طويل بسطناه في تفسير سورة البقرة من تفسيرنا وملخص القول هنا ان الاقدمين جعلوا الطلسمات نوعا ثانيا من السحر وقالوا انها استعدادات في النفوس البشرية تقتدر بها على التأثيرات في عالم العناصر بامر معين من الامور السماوية وهي من مخترعات النبط والكلدانيين الذين كانوا قبل موسى عليه السلام وكان ممن ادخلها البلاد الاسلامية جابر بن حيان من اهل المشرق ومسلمة المجريطي من اهل الاندلس وزعم اهل هذا الفن انهم يظهرون هذه التأثيرات بواسطة امور معينة من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد وحقيقة الطلسمات عندهم اتحاد روح بجسم اي ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية وكل من له اطلاع على خواص ما في هذا الكون اطلاع بصير ورأى ما اكتشف منها في هذه الايام واخترع منها ورأى الآلة الناقلة للصوت وفن التصوير وانواع الكهرباء واقفا عليها لا ينكر ان وراءما يشاهده علوما خفيت عليه واطلع غيره عليها فذو العقل القاصر يكذب كل ما يراه وذو البصر والعلم يدخل مثل هذه الاشياء في درجة الامكان والتلغراف اللاسلكي من اقوى الادلة على ذلك

المخزومى لما قدم على عبد الملك فحبه بعد الصبح فى المسجد وكان عبد الملك بالخضراء فاخبر ان عبد الملك يقرأ بقراءة هشام فقرأ بقرائته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرأ بقرائته واول من احدث الدراسة فى فلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشى وكان يحضرها كثير ممن يوصف بالعلم والرياسة وقد انكر بعضهم هذا الاجتماع وكان الضحاك بن عزرب ينكر الدراسة ويقول ما رأيتها ولا سمعتها من قبل وقد ادركت اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان الضحاك اميرا على دمشق فى خلافة عمر بن عبدالعزيز

(باب معرفة مساجد البلد وحصرها)
بذكر التعريف لها والعدد

عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون دمشق فى آخر الزمان اكثر المدائن اهلا واكثرها ابدالا واكثرها مساجد واكثرها زهادا واكثرها مالا ورجالا واقلها كفارا وهى معقل لاهلها وعن عبيد الله الخولانى انه سمع عثمان بن عفان رضى الله عنه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم قد اكثرتم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة خرجه مسلم وعن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة (١) وعن ابى هريرة مرفوعا من بنى بيتا يعبد الله فيه من مال حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت (٢) وعن عائشة مرفوعا من بنى مسجدا ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة قالت قلت يا رسول الله وتلك المساجد التى فى طريق مكة قال وتلك . وهذا الحض على المساجد وبنيانها يدل على خطر

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الصغير وابن حبان فى صحيحه ورواه البزار ولفظه وقدر مفحص قطاة والقطاة طائر معروف ومفحصها بفتح الميم والحاء موضعها الذى تجثم فيه وتبيض كأنها تفحص عنه التراب اى تكشفه وليس المراد انه بهذا المقدار ولكنه كناية عن الصغر

(٢) رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط ورواه البزار دون قوله من در وياقوت

علاها وعظيم شأنها فاولها (٣) من قبلة الشرق وانت داخل من باب الجابية . مسجد معلق يعرف بمسجد السقطيين له سلم حجارة وقد جعل له سلم خشب وآخر من شآمه له امام ومؤذن ووقف . ومسجد كبير بمسجد فى درب المدنيين سفل فيه شجرة زيتون له امام ومؤذن وله خزانة وقف لطيفة . مسجد سفل عند رأس درب عرقل وسوق الجامين يعرف بمسجد الضمرجى وكان قديما يعرف بمسجد الشجرة له امام ومؤذن ووقف وعلى بابه سقاية . مسجد ابن طغان بالفسقار حذاء درب القصاعين يصعد اليه بدرجة له امام ومؤذن ووقف وعند قبلته قناة . مسجد فى درب القصاعين سفل عن يسار الداخل . مسجد بناه ابو سعيد العجمى المنجى له امام ومؤذن وعنده قناية . مسجد آخر بناه ابن البيطار فى غربى الشارع . مسجد بناه المثنى بن الاثر يوسف سفل له وقف فى القطاعين

---

(٣) سرد الحافظ مساجد البلد التى كانت فى زمنه وعرفها بهذه التعاريف وقد تغيرت اسمائها ولم يذكر من بناها ولا شيئا من تاريخها وقد ذكرناها هنا بالحرف ثم جاء بعده القاضى بهاء الدين ابن شداد فالف كتابه الاعلاق الخطيرة فذكر مساجد البلد على نمط ماهنا ولم يذكر من التراجم الا شيئا قليلا وزاد ما كان فى زمنه ثم الف الشيخ عبد القادر النعيمى المتوفى سنة سبع وعشرين وتسعمائة كتابه الذى سماه تنبيه الطالب وارشاد الدارس لاحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس فسرد فى آخره المساجد على نمط ابن عساكر وابن شداد ثم الف يوسف بن عبد الهادى المعروف بابن المبرد كتابا سماه ثمار المقاصد فى الجوامع والمساجد وسلك مسلك من سبقه وقد كنت طالعت هذه الكتب وطالعت معها ما يزيد عن خمسة وعشرين مؤلفا فى فن التاريخ حتى الفت كتابى الذى سميته منادمة الاطلال ومسامرة الخيال وضمنته ذكر المدارس والزوايا والترب وجميع احوال دمشق العمرانية لكننى لم اذكر من المساجد الا ما كان مشهورا ثم سردتها كلها فى كتابى منتخب النفائس تهذيب الدارس وابن عبد الهادى فرغ من تأليف ثمار المقاصد سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وقد قال فيه فناهيك ببلدة تحتوى على الف وخمسمائة مسجد لله درها وانما ذكرنا ما هو بواديها فقط واما ماهو محيط بعاملتها مما وراء جبالها فذلك شئ كثير اه فتأمل اعتناء القوم بامر دينهم وبلدهم وعلمائهم وتأمل ما هم عليه اليوم اصلحنا الله واياهم والهمنا واياهم الرشد والتعاون والتعاضد وتأليف القلوب واما سوق الفسقار فاسمه اليوم سوق مدحت باشا وفيه مسجد تدعى العامة انه مسجد هشام القارئ وهو غلط بدليل ما هنا وما ذكره الاسدى فى تاريخه فانه قال فى سنة احدى وثلاثين وثمانمائة فرغ من بناء مسجد ابن هشام بالفسقار بناه القاضى بدر الدين ابن مزهر من ماله اه فانظر كم بين بناء المسجد ووفاة هشام القارئ وتأمل

ايضا مسجد سفل عند دار محمد بن النقار الكاتب . مسجد قديم سفل فيها ايضا عند زقاق عطاف وهو . مسجد ايمن بن خزيم بن فاتك الاسدى الصحابى . مسجد آخر سفل لطيف فيها ايضا . مسجد عند دار ابن الخياط الكاتب معلق له امام ومؤذن ووقف وفيها ايضا . ثلاثة مساجد عند دار سندقر وواحد سفل ومسجدان معلقان لاحدهما امام ومؤذن . مسجد فى سوق الفسقار كبير يعرف بابن حميد له امام ومؤذن . مسجد ابن هشام بالفسقار ايضا كبير له امام ومؤذن وفيه منارة وعلى بابه سقاية الشيخ وقناية الشيخ . مسجد عند طاحونة السجن لطيف . مسجد فى سوق الفسقار يعرف بابن حفاظ له امام ووقف . مسجد الفرجة عند القطانين ورأس القلانسين بقرب سقاية الشيخ . مسجد مقابل دار الوكالة كبير يعرف بمسجد الديوان له امام ووقف ومؤذن . مسجد فى سوق المعلق على باب الخواصين له امام ومؤذن ووقف . ومسجد القلانسيين فى طريق سوق السراجين الذى جعل سوقا للبز . له امام ووقف . مسجد الطريقيين فى سوق السراجين له امام ومؤذن . مسجد ملاصقه بابه الى سوق على . مسجد كان زيادة يعلم فيها الصبيان فجعلت مسجدا . مسجد فى درب السوسى له امام ووقف . مسجد فى دار ابن محذور قديم وهو مسجد مروان بن الحكم بن ابى العاص له امام ووقف . مسجد لطيف عند قناية الزلاقة له امام ووقف . مسجد عند دار ابن ريش قبلة الزلاقة له امام ووقف ويقال انه مسجد واثلة بن الاسقع . مسجد الجلادين وهو الذى يعرف اليوم بمسجد الرماحين كبير له امام ومؤذن ووقف . مسجد بالمقسلاط كان يعرف بمسجد الطريقين له منارة محدثة وله امام ومؤذن وعنده سقاية وقناة . مسجد عند مسبك الحديد يعرف بابن القضيعة النامى له امام . مسجد واثلة على رأس درب الزلاقة يجلس عنده الجنائزين كبير له امام ووقف ومؤذن وعلى بابه قناية وله منارة محدثة . مسجد فى سويقة باب الصغير لطيف يعرف بابن ابى العود له امام ومؤذن ووقف . مسجد فى درب العبسى عن يسار الخارج الى الباب الصغير لطيف . مسجد القطانين فى طرفة المقسلاط خلف سوق الصرف له امام ومؤذن ووقف . مسجد يعرف بحمام ابن ابى نصر فى الحريق . مسجد بناه معالى المزين له امام ومؤذن ووقف مسجد فضالة فى طريق الحبالين عند رأس درب الريحان من السوق الكبير يعرف بمسجد الريحان

وهو مسجد فضالة بن عبيد الانصارى الصحابى قاضى دمشق عند بابه قناة . مسجد معلق يعرف الآن بمسجد الجلادين فيه منارة وله امام ومؤذن ووقف . مسجد لطيف عند رأس درب البزوريين وسوق الاكافين له وقف وعنده قناية . مسجد فى درب البزوريين القبلى لطيف بشباك . مسجد فى درب دينار عند رأس درب القرشيين . مسجد بناه ابو بكر بن العميد . فى مسجد درب القرشين قبلى القناة لطيف بشباك بناه الامير سليمان الجندى . مسجد آخر بقربه لطيف له امام ووقف وهو قديم . مسجد فى درب القرشيين الذى ينفذ الى درب النخلة معلق بناه ابو غالب ابن الكوفى البزار . مسجد فى السوق الكبير عند رأس درب الريحان لطيف بشباك . مسجد فى قبة اللحم يعرف بمسجد الكف له بابان وله مؤذن وامام ووقف . مسجد فى درب فندق البيع له امام ووقف وعنده طاقات . مسجد فى زقاق الشعر قبل ان تصل الى درب الناقديين . مسجد عنده عمود مخلق فى زقاق البزوريين . مسجد القرشيين . مسجد فى درب الناقديين له امام ووقف . مسجد فى درب الناقديين قديم مسجد آخر فى هذا الدرب عنده قناة يعرف بابن النافعية . مسجد فى السوق الكبير يعرف بمسجد الزينبى ويعرف قديما بمسجد ابن قاسم كبير له امام ومؤذن . مسجد فى رأس درب البقل يعرف بابن عنقود له امام ووقف . مسجد لطيف بشباك يعرف بابن النشاش له امام ووقف . مسجد فى رأس درب البقل سفل لطيف بشباك يعرف بابن المتناش له وقف . مسجد لطيف عند قناة فى درب البقل يعرف بابن عنقود له امام ووقف . مسجد لطيف مستجد بشباك فى اول حارة الخاطب عند دار ابن ابى الخوف . مسجد فى رحبة الخاطب (١) بناه بركات الزراد سفل لطيف له منارة من خشب وله امام ومؤذن ووقف . مسجد الطباخين عند قنطرة ام حكيم فى رأس سوق العلبيين كبير له امام ومؤذن ووقف . مسجد عند رأس درب الجبن ملاصق للحمام وعلى بابه قناة قديم كبير جدده الرئيس ابو الزراد المفرج ابن الصوفى . مسجد عند دار الشريف

---

(١) هو محمد بن على الهاشمى كان خطيبا بدمشق ايام الدولة الاخشيدية وكان شابا وستأتى ترجمته واظنه انه الذى تنسب اليه رحبة الخاطب التى هى بنواحى الباب الصغير

الجعفرى ويعرف اليوم بدار خطلخ البالسى سفل لطيف بناه اكشوك بن خطلخ البالسى . مسجد داخل درب الجبن عند درب الديلم له امام ومؤذن ووقف . مسجد الحدادين له امام ومؤذن ووقف وقبلته مسجد عند رأس درب المدس بينهما الطريق كبير له امام ومؤذن ووقف . مسجد معلق يعرف بمسجد سوق اللولو كبير له امام ومؤذن ووقف وعنده سقاية وهو من المساجد القديمة المشهورة . مسجد داخل درب المدس سفل لطيف فى رأس سوق الطير سفل بشباك . مسجد قبليه عند رأس درب الحبالين يعرف بمسجد سوق الطير له امام ووقف ومؤذن . مسجد فى درب الحبالين معلق له امام ومؤذن ووقف . مسجد داخل درب الحبالين يعرف بمسجد سوق الطير له امام ووقف . مسجد فى آخر داخل درب الحبالين قبلى النهر عند دار ابن مقلد الشوا سفل لطيف . مسجد فى درب الفراش عند بستان القط سفل قديم جدده ابو الفهم عبد الرحمن بن ابى العجائز . مسجد عند رأس درب بنى نصر لطيف بشباك مسجد الايرمين ملق كبير له وقف ومؤذن وامام مسجد عند رأس التيمى فى سوق دار البطيخ ليطف بشباك له وقف وامام . مسجد دار البطيخ المعلق كبير له وقف وامام ومنارة ومؤذن وله بابان عند احدهما قناة . مسجد يعرف بمسجد الاجابة فى سوق دار البطيخ ينزل اليه بدرج قديم له امام ومؤذن ووقف . مسجد فى درب الفراش مسجد عند القناة بناه ابو يعلى النصرانى عامل القسمة مسجد داخل منه كبير سفل له منارة خشب يعرف بنى علان له امام ووقف . مسجد الخشابين بين فنادق الخشب بحضرة سوق النبل ومسبك الزجاج كبير له امام ومؤذن . مسجد الدقاقين يعرف بمسجد السكاكين كبير قديم له وقف وامام ومؤذن . مسجد معلق عند حمام اللولو المعروف قديما بالبريديين يعرف بمسجد الرأس كبير له وقف وامام ومؤذن . مسجد الكشك الذى فوق الاعمدة كان دارا فبناه الملك العادل نور الدين مسجدا وبنى له منارة له امام ومؤذن ووقف . مسجد فى درب شداد قبلة الكشك كان قديما لطيفا فزاد فيه ابو غالب من الشيرجى ووسعه . مسجد السلالين عند رأس درب التبان سفل قديم كبير له امام ووقف وله بئر . مسجد فى درب التبان سفل لطيف كان خرابا فجدده خالد ابو المكارم ثم

غيربعده وبنى بحائط . مسجد داخل منه لطيف معلق يعرف بيوسف بلغنى انه تغلب عليه وخرب . مسجد ملاصق لكنيسة اليهود على النهر سفل لطيف معلق فوقه فيه منارة بناه نور الدين عند باب المدينة سفل لطيف بناه الشريف ابو الحسن الجعفرى له امام ومؤذن ووقف . مسجد صدقة الملاصق لكنيسة مريم معلق له منارة وفيه امام ومؤذن ووقف يقال ان صدقة كان شوا نصرانيا فاسلم وحسن اسلامه وبنى هذا المسجد و آخر تحته سفل معطل لا يفتح و فى آخر درب كنيسة مريم عند معصرة الشيرج قديم . مسجد الثلاج فى سوق كنيسة مريم كبير و فى درب الفراتى ويعرف اليوم بدرب الشيخ سفل لطيف بشباك وبقربه من الجانب الشرقى قديم وعنددار محمد بن القلانسى فى درب سحنون سفل لطيف . فى السوق الذى بين سوق كنيسة مريم وسوق درب الحجر يعرف بمسجد عقيل كبير و فى قبليه عند موقف الشيخ قديم يقال ان النذر له فيه فضيلة وفى درب البياعة لطيف سفل قديم جدده ابن القسيتقة وآخر كبير فى هذا الدرب كان قديما كنيسة لليهود ثم جعل مسجدا ويعرف اليوم بمسجد ابن الشهر زورى لانه كان يعقد فيه مجلس الوعظ و فى درب كليلة فى حارة اليهود قبلى درب البياعة والدرب يعرف قديما بكليلة القاضى فقيل درب كليلة وقول العامة ان التى بنته امرأة يهودية اسمها كليلة لا يصح وفى درب الحجر كبير سفل قديم له منارة وله بابان وعلى احدهما سقاية وعلى الآخر قناة و العميد ابن الجسطار كبير وعلى بابه سقاية وقناة وفى درب كيسان المعروف اليوم بدرب الفواخير مقابل درب العرب لطيف وآخر قبيلته لطيف وآخر معلق كبير وآخر ملاصق لباب كيسان له منارة يعرف بابن الاعمى الفاخورى بقرب درب نمير لطيف فى سويقة الباب الشرقى يعرف بمسجد موسى الكردى قديم جدده موسى المذكور وعنده قناة آخر شرقيه يعرف بالوزير فى السويقة وبقربه سقاية مجددة وفى اول درب الاندر سفل صغير بناه ناصر السابق . مسجد داخل منه يعرف بابن باقى سفل لطيف داخل الباب الشرقى كبير يعرف بمسجد الفتوح . هذه المساجد التى هى قبلى السوق الاوسط فاما مساجد الناحية الشآمية (١) عن يمنة الداخل من الباب الشرقى فمن ذلك مسجد فى درب خلاد

(١) اصطلح المتقدمون على تسمية الجهة الشمالية بالشآمية هربا من ان يطلقوا على اهلها انهم من اهل الشمال ومن ذلك حصل تسمية سورية بالشام ويقال ان تسمية الشام بسورية وثنية وكانت الهنود يسمون آله الشمس سورية وكان هيكل الشمس ببعلبك ومعناها عند اليونان الاقدمين مدينة الشمس . تأمل .

• آخر يعرف بمسجد الحراقلة بقرب الكنيسة المصلبة قديم فى درب كشكشة سفل لطيف آخرفيه لطيف سفل • مسجد النبطيين سفل كبير له منارة على بابه سقاية وقناة وكان عنده مسجد صيق يصعد اليه بدرجة فعطل فى درب الدارانى له فى درب ابن صامت خراب عند معصرة الزيت بقرب دار ابن المهار النصرانى يعرف بابن الصرّف فى خربة السواب سفل لطيف آخر فيها يعرف بابن عطاف سفل وآخر لطيف بشباك عند رأس درب الجر فى وسط درب الجر وآخركان فرنا فجعله ابو المواهب ابن الشرابى مسجدا له امام ومؤذن وفيه منارة خشب • عند رأس المربعة بطرف درب الجر له فى اول قنطرة سنان (١) كبير آخر معلق فى طرف قنطرة سنان من الشرق عند رأس الدرب يعرف بمسجد الظلم لانه ظلم من رحبة خالد سفل لطيف له وقف وعند قنطرة ابن مدلج ويعرف بمسجد القطيط وعلى بابه قناة تعرف بالمنحدرة • مسجد الزينبى فى سويقة باب توما وعلى بابه قناة قديمة وسقاية وعند باب توما يعرف بصعلوك النجار عند بابه قناة • معلق عن يسار الداخل من باب توما عند باب المعصرة يعرف بمسجد النورى ملاصق للسور معطل وعند دار عضب الدولة ابن لطيف فى درب حمام العاوى وفى مربعة القز كبير بناه الشريف الزيدى بحذاء دار الامير نوح التى تعرف بدار ابن عفصد النصرانى كانمتبنا فجعله نوح مسجدا فى زقاق الجيش طبقة عاو له منارة يعرف بمسجد عبدة الفران فى رحبة خالد قديم سفل على بابه قناة قبلة كنيسة اليعقوبيين سفل لطيف له منارة آخر شامى الكنيسة كبير وعنده قناة وسقاية عند رأس درب طلحة من سويقة باب توما يعرف بمسجد ابن عمير سفل كبير شرقيه لطيف فى سويقة باب توما فى سقيفة ابن عمير سفل لطيف بشباك يعرف بالفراش عند دار الشريف النصيبى المعروف بابن بورى حسان على بابه قناة • مسجد • عند الشلاحة فى درب السوسى له منارة مستجدة آخر فى سوق الغزل فيه شجرة توت وعنده سقاية جدده نور الدين رحمه الله تعالى يعرف باصحاب الشافعى فتغلب عليه وجرت

---

(١) ابن سنان هو ابراهيم بن محمد بن صالح بن سنان المخزومى الدمشقى مولى خالد ابن الوليد والى جده تنسب قنطرة سنان التى بباب توما سمع ابراهيم هذا الحديث وقد اخذ عنه ابن منده وغيره توفى سنة ٣٤٩

فيه منازعة فى مربعة القطن ويعرف بمسجد الشريف قديم جدده الشريف خير الهاشمى المحتسب بن ولاابى الحديد المعلق فوق القناة كبير قديم عند رحبته مسجد سفل مهجور . مسجد ابن عوف فى سوق القناديل عند حمام حديد سفل لطيف له آخر بشباك وفوقه معلق له منارة يعرف بمسجد فيروز . عند قناة ابن المثالى كبير سفل لطيف كان كنيسة للنصارى فجعل مسجدا عند قناة صالح بقرب درب كرازين الفورنق معلق وتحته قناة صالح فى درب حميد ابن درة عند الزقاقين لطيف قديم له وقف ومسجد بناه ابن الصقيل وخرب عند رأس درب النقاشة كان كنيسة للنصارى خربت فجعل بعد ذلك مسجدا . بالفوريق الذى يعرف اليوم بالجينيق كبير كان كنيسة للنصارى فجعل مسجدا وجدده يوسف الخادم على يدى ابى اليمن المغربى متولى شرطة الشام فعرف به وعلى بابه سقاية مستجدة بناها الامير نور الدين رحمة الله عليه . داخل الجينيق بقرب الشلاحة فى درب شابوركان قديما فخرب فجدده ابو طالب بن محسن النامى . فى الجينيق ايضا يعرف بمسجد الجينيق . فى شآمى سوق الطير بناه القاضى بن نجاح عنده قناة . فى الديماس عند العمود المخلق لطيف . فى زقاق صفوان لطيف عند حمام الطيب بناه ابن فيروز مسجد الاوزاعى مقابل دار ابن البرى قديم جددته ابنة الرئيس ابى الدرداء المفرج ابن الصوفى وبنت فيه منارة . مسجد ابن حماز فى درب عجلان خلف قيسارية الفرش قديم له . سوق الاحد يعرف بمسجد العباسى قبلة المطرزين قديم له بابان على احدهما سقاية وقناية وعلى الآخر قناة اخرى عندها مسجد لطيف بشباك . فى الجينيق يعرف بنواجة يعقوب . عند دار ابن الشحادة جدده على الشنباشى . فى سوق اللولو فى درب ابن سفوق بشباك فى سوق ام حكيم لطيف بشباك . له قناة فى رحبة البصل كبير له بابان وعنده سقاية وقناة . فى دار الوزير المرزدقانى معلق انشأه الوزير ابو على المرزدقانى . فى رأس عقبة الصوف معلق له منارة مستجدة انشأها الوزير المرزدقانى له بابان . فى عقبة الصوف فى دار ابن الاعيرج سفل لطيف وفى السراجين معلق عند رأس الاساكفة العتيق الملاصق لحصن جيرون . فى سوق الصفارين له بابان فى الصفارين والى الاساكفة . عند حمام منكلى سفل . فى درب الماء خلف حصن سفل مستجد . وآخر مقابل باب السلامة سفل . وفى باب القلى سفل لطيف بشباك قديم يقال له مسجد

اوس بن اوس الثقفي الصحابي • في جيرون بين البابين مشهور بين الناس سفل لطيف بشباك يقال ان فيه ذبح يحيي بن زكريا عليهما السلام ويقال ان الدعاء فيه مستجاب آخر فوقه معلق • في سقيفة القطعي داخل جيرون بشباك عنده قناة بقرب المدرسة • بالمدرسة المعروفة بدار طرخان وهي كانت قديما للشريف ابي عبد الله بن ابي الحسن فوقفها سنقر الموصلي وجعلها مدرسة لاصحاب ابي حنيفة • في طرف درب خفيف سفل بناه الفقيه ابو البركات بن عبد • آخر في درب خفيف سفل لطيف آخر في درب خفيف لطيف بشباك مقابل دار ابي القهم بن الشيرجي • عند باب المسجد الجامع يعرف بمشهد الرأس فيه قناة يقال ان رأس علي بن الحسين بن علي عليهما السلام وضع فيه حين اتى به الى دمشق له امام ووقف • على الدرج يعرف بمسجد عمر رضي الله عنه بناه رجل من العجم لرؤيا رؤيت له له امام • في درب الكشك عند الاطبا قيين وكان الدرب قديما يعرف بقرأ القرون الجرى سفل صغير بشباك • آخر داخل هذا الدرب وكانت الايدي تنقلت عليه وجعل متبنا فرده بعض اهل الغيرة مسجدا وهو قديم • في مدرسة الحنابلة عند قناة جيرون في باب الفراديس داخل الباب ملاصق للسور له منارة وفيه قناة • في درب قليد عند السوق الكبير بناه القائد دلال سفل لطيف • مسجد ابن عبدان في درب الريحان سفل • آخر في درب الريحان سفل لطيف بشباك • آخر في درب الريحان لطيف سفل بشباك يقال ان احدهما مسجد يزيد بن مبشر القرشي الصحابي • آخر لطيف سفل بشباك عندباب درب ابن متروذ بن حماد • في سوق القمح (البزورية) مقابل قيسارية الوزير سفل كبير له امام • آخر في سوق القمح عند باب الحمام النوري (حمام البزورية) لطيف سفل له امام وعلى بابه قناة وكان فيه كاس يجرى فيه الماء فعطل • عند زقاق الدر في الطريق النافذ الى قيسارية السلطان سفل • آخر بناه ابن العكبري • في دار ابن بشر الذي يعرف اليوم بدرب العميان • في المدرسة الامينية التي مقابل دار الخيل بناه كمشتكين بن عبد الله المعروف بابن الدولة • في المدرسة النورية التي في القبانين بقرب الخواصين • في درب معن صغير بشباك • في مدرسة بزان ابن يامين الكردي المعروف بمجاهد الدين التي كانت دارا للشريف القاضي ابن ابي الجن • عند القباب التي عند القنطرة

يعرف بمسجد عائشة سفل لطيف له امام ولم تدخل عائشة رضى الله عنها وعن ابيها الشام قط . فى المدرسة الصادرية التى على باب الجامع مما يلى باب البريد بنى الامير صادر الجامع والمدرسة . بحضرة حمام العقيق كبير سفل على بابه سقاية وقناة له امام . بالاقريس سفل لطيف له امام . فى درب الكتان سفل صغير بشباك . آخر فى درب الكتان يعرف بابن القابى سفل صغير . فى المدرسة التى اوقفها الامير اكتر فى محلة الكنيسة . آخر معلق قبل هذه المدرسة انشأه الشريف ابو القاسم ابن ابى الجن . آخر صغير جدا بشباك فى رأس حارة البلاطة . آخر معلق مسجد بناء مشرف العرضى فى حارة البلاطة له امام ومؤذن آخر فى حجر الذهب سفل عند دار ابن يغمور على بابه قناة له امام وعنده شجرة توت . آخر فى رأس درب الانصار على طريق باب البريد سفل لطيف عنده قناة . عند قصر الثقفيين عند المدرسة سفل . فى المدرسة المعينية فى قصر الثقفيين . عند حمام القصر لطيف كان سفلا فصار علوا له امام وعلى بابه قناة . فى المدرسة النورية (بالعصرونية التى هى داخل باب الفرج الآن (فى المناخلية) ملاصقة لزقاق العسل والسور عند حمام القصير . آخر صغير داخل باب الفرج لم يحوط عليه بحائط . آخر فى درب الهاشمى من حجر الذهب عند دار الامير لجك . فوق عين التفليسى من حجر الذهب الذهبى . فى المدرسة النورية التى اوقفها على المالكية فى حجر الذهب . سفل لطيف عند دار الشريف السيد من حجر الذهب بناء الامير ككز . آخر شام هذه الدار سفل لهامام بناه سنقر الموصلى . فى درب الشعارين سفل لطيف . بباب الجابية يعرف بمسجد ابن عطية (١) عند رأس درب الاسديين سفل كبير له منارة آخر لطيف فى حارة الغرباء . عند باب اصطبل العمارة سفل لطيف خلف باب الحمار المسدد . فى دار محلة عند النهر سفل لطيف انشأه محمد النائب وعنده المسجد الكبير الذى انشأه الملك العادل نور الدين فيه منارة وبركة وعلى بابه سقاية . مسجد عند

---

(١) هو عبد الله بن عطية بن حبيب المقرى المفسر العدل الدمشقى حدث عن جماعة وروى عنه جماعة وكان امام مسجد باب الجابية قاله الاسدى فى تاريخه وقال عبد العزيز الكتانى كان يحفظ فيما يقال خمسين الف بيت من الشعر يستشهد بها على معانى القرآن وكان ثقة توفى سنة ٣٨٣

الدركاه لطيف سفل • آخر في الدركاه ايضا لطيف سفل انشأه نور الدين (١) • آخر قبلى فيه عريش وله امام واحد • آخر داخل باب القلعة معلق تحته سقاية فهذه مساجد البلد المحصاة بالتعريف والعدد ومبلغها مائتان واربعون مسجدا (٢) فاما ماعداها من المساجد التى فى ارباضها فظاهرة مما ليس فى قرية مسكونة او معمورة من ظواهره فالتى منها من ناحية القبلة مسجد على الباب الصغير ملاصق للسور كبير يعرف بابن شجاع له منارة خربت وفيه بئر وعلى بابه مطهرة • آخر يعرف بعبد الملك لطيف بالشاغور عند بابه سقاية • مسجد بالشاغور عند دار ابن ابى الفداء كبير • مسجد الجوزة فى حارة بين النهرين • آخر فى زقاق الموقف المعروف بمسعود آخر عند زقاق ابن باقى يعرف بنصر الله آخر كبير معلق على المزاز عند زقاق الجوز • مسجد القبة عند دار عبد الرحمن القطنى • عند باب القشر له امام • آخر يعرف بقبيبة النور خارج باب الشاغور • آخر بين جيرا وراوية على قبر مدرك بن زياد الذى يقال ان له صحبة ولم يذكر اهل العلم فى كتبهم انه من الصحابة (٣) • مسجد رواية • مسجد على قبر ام كلثوم وهى ليست بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت عند عثمان لان تلك ماتت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ودفنت بالمدينة ولا هى ام كلثوم بنت على من فاطمة التى تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانها ماتت هى وابنها زيد بن عمر بالمدينة فى يوم واحد ودفنا بالبقيع وانما هى امرأة من اهل البيت سميت بهذا الاسم ولا يحفظ نسبها ومسجدها هذا بناه رجل قرقوبى من اهل حلب • مسجد الجنائز بباب الصغير بسوق الغنم كبير قديم خرب فجدده جراح المنبجى • آخر خارج سوق الغنم فى طرف المقبرة بناه رجل اسمه مظلوم آخر فى فندق ابن ابى طاهر بن عفيف الفارقى شآم المقبرة آخر يعرف بمسجد سكينة فى وسط المقبرة بقرب قبر بلال رضى الله عنه آخر فى شرقى المقبرة محاذى قبة العقيقى بناه نصير الحفار • آخر فى بستان ابن

---

(١) قال ابن شداد فى الاعلاق الخطيرة يقال انه مسجد الضحاك بن قيس

(٢) هذا ما ذكره هنا وربما سقط من قلم نساخ الاصل منها شئ وقد قابلت ما هنا على ما فى الاعلاق الخطيرة وكتاب الدارس وثمار المقاصد وكذا قابلت عليها جميع ما يأتى حسب الامكان (٣) اقول حكى الحافظ الذهبى انه من الصحابة والله اعلم

الشيرجى فى طرف المقبرة من الشرق بناه ابو غالب ابن الشيرجى يعرف بمسجد الخضر وبمسجد سكينة فيه بئر وعلى بابه سقاية وله منارة لطيفة . مسجد الصفصافة قبلى مسجد الخضر فيه بئر . مسجد السماقة شرقى الشاغور بقرب الخندق بناه رجل العجمى وفيه بئر . مسجد فدايا وهى قرية كانت قبلى مقابر اليهود ثم خربت وخرب مسجدها (١) . مسجد كناز قبلى فدايا وهى ايضا قرية كانت ثم خربت . والتى منها من ناحية الشرق فمسجد على الباب شرقى يعرف بمسجد الجنائز على بابه بئر . على صفة نهر المجدول بناه عطاء الحاجب فيه بئر . آخر شرقية يعرف بلاشو الكردى عند المائدة والجر فى طريق الفياض بناه الملك العادل نور الدين . مسجد ابى صالح وهو مسجد قديم كان يلزمه ابو بكر بن سيد حمدية الزاهد وخلفه فيه ابو صالح صاحبه فنسب اليه سكنه جماعة من الصالحين فيه بئر . آخر شرقيه بقرب الرحى الاحدى عشرية آخر بناه ابو القاسم ابن الفسيتقة . مسجد قبلى اندر فى الباب الشرقى بقرب الخندق فى مقبرة ابى المغيرة المعروف بعضب الدولة . فى مقبرة باب توما عند نهر المجدول وبقرب الصوفانية يعرف بخالد بن الوليد لانه صلى فيه وقت الحصار وهو اول مسجد صلى فيه بدمشق . واما المساجد التى من الناحية الشآمية فمسجد على باب توما ملاصق للسور على يمين الخارج له منارة وامام وعلى بابه سقاية وقناة . آخر على النهر يعرف بمسجد الكنيسة كان كنيسة للنصارى فجعل مسجدا . آخر فى عقب الجسر عن يمين الخارج يعرف بمسجد التكبير على بابه قناة . مسجد السبعة انابيب وعنده سقاية . آخر فى الجزيرة مقابل حمام عصفور . على صفة نهر داعية قبل عين كيل . غربى رحى الاشنان بالخشبتين . آخر شرقى رحى الاشنان . آخر شرقيه بنته امرأة . عند رحى السميرية . عند رحى ابن ابى الحديد بقرب دير السرورى آخر يعرف بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ارض المصيصة (٢) له منارة . مسجد المصيصة وكانت قرية عامرة شرقى بيت لهيا فخربت . آخر لطيف فى طريق بيت لهيا عند قسطل قناة الزينبى آخر عند جسر ثورة قبل ان تصل الى مسجد العباسى استجده ابراهيم بن محمد السنى . مسجد العباسى على طريق حرستا . آخر

(١) قال النعيمى وكان محراب هذا المسجد باقيا سنة تسعمائة (٢) هى من ارض جوبر

عند قبة ومصنع فى طريق حرستا • عند الناعمة على طريق برزة • مسجد سطرا قرية كانت بين البساتين بقرب بيت لهيا فخربت • عند جسر فرزا على نهر ثورا • عند رأس زقاق سطرا يعرف بمسجد القصب على بابه قناة وهو قديم • عند حرتملة عند النهر انشأه ابو طاهر ابن البيضاوى • فى الدباغة خارج باب توما • على باب طاحونة الدباغة صغير • عند عقب جسر باب السلامة على النهر • عند عين كشملين والوراقة القديمة • فى زقاق الرمان بقرب العقيبة له منارة • آخر كبير خارج باب الفراديس • فى عقب الجسر على يمين الخارج فيه بركة وسقاية له طاقات الى النهر انشأه الامير نزار بن يامين الكردى آخر على الجسر ايضا عن يسار الخارج لطيف له شباك على نهر بردا • فى العقيبة عند الفرن لطيف • مسجد الجوزة بالعقيبة فيه بركة وله امام ووقف وعلى بابه سقاية • آخر صغير على النهر جوا زقاق المغربل بناه رجل كلاس • مسجد الزيتونة هو قديم ينسب اليه اراضى حوله • آخر بالعقيبة على طريق المقبرة يعرف بجعفر الضرير فيه بئر • فى رأس العقيبة عند مفرق الطرق • مسجد فيروز فى المقابر كان مسجدا قديما يصلى فيه على الجنائز فخرب وجددته امرأة الحاجب فيروز فيه بركة ومنارة وعلى بابه قناة • غربى المقبرة على النهر لطيف انشأه ابو محمد بن طاوس المقرى • آخر لطيف فى شرقى المقبرة عند بستان ابن صدقة • عند عقب الجسر عند الرحى الزبيرية يعرف بمسجد سواقة • عند قصر اللباد وهو دير مسكون • عند بيت ابيات يعرف بمسجد آدم عليه السلام قديم جدده الحاجب عطا • مسجد الميطور بناه السلار اسماعيل ابن عمر بن بختيار • عند الميطور بناه العمانى القصاب آخر غربى العقيبة عند رحى المبشر يعرف بمسجد الخادم له شبابيك على نهر بردا آخر عند طريق اندر بن ابى عقيل ودار ام البنين بناه ابو عامر الاجرمى له منارة آخر فى مقبرة الامير قرواش عند رحى ابن الحكاك • مسجد الصرف غربى مقبرة باب الفراديس على النهر له منارة آخر عند عقب جسر نهر يزيد عند طريق المغارة له وقف آخر لطيف شرقيه بناه الفقيه ابراهيم بن منجا عند قبره • مسجد دير شعبان له منارة وآخر شآمه بنته امرأة تعرف بالحاجة وآخر

فى اليسار بنى لاجل عبد الرحمن الحلحولى الزاهد ودفن فيه وهو مشهور (١) . آخر فى سفح الجبل على طريق المغارة بنته عائشة الزاهدة . آخر فى طريق المغارة انشأة ابو المجد مطرز . آخر فى مغارة الدم وقد كان للرهبان النصارى فجعل مسجدا . آخر غربى بابه لطيف بقبة . آخر فوق الدير الذى كان لرهبان النصارى فجعل مسجدا . آخر فوق المغارة على ضفة نهر الجدول بقرب باب الفراديس يعرف بجناح الدولة حسين ثم عرف بابن البغدادى . آخر غربيه يعرف بمسجد الدهان يتطرق الى كل منهما بجسر عند عقب جسر باب الحديد انشأه نور الدين . مسجد خاتون المغنية تحت القلعة المحروسة بطرف جسر باب الحديد . فى عقب جسر الحمام والبيمارستان النورى الجديد . عند مقبرة المعين اثر لطيف . فى عقب جسر الوزير صغير بناه رجل اعجمى . عند عين القصارين والعين غربيه . آخر عند المقبرة لطيف . آخر شرقى عين القصارين قبل ان يصعد الى مسجد عونية الحمى كبير له منارة . آخر بجنبه من الغرب لطيف . مسجد الوزير المردغانى عند رأس زقاق الارزة كبير فيه سقاية وبركة وعلى بابه سقاية . مسجد تروس من غربيه لطيف . آخر من شامه بينهم الطريق . فى مقبرة الاكراد بناه رجل اسمه على كان جمالا ثم تزهد . آخر فى طريق مقبرة الاكراد صغير بابه من البستان . مسجد الارزة وهى قرية كانت عامرة فخربت كبير له وقف وفيه منارة . عند الجسر الابيض على نهر ثورا من قبلته له منارة خشب . آخر من شامه فى عقب الجسر بناه زيد المعالى . عند دير ابى العباس عند عقب جسر يزيد على طريق الكهف . آخر بقربه من الشرق . آخر بقربهما . آخر بقربهم . مسجد

---

(١) ان هذا المسجد لم يبق له اثر واما قبر الحلحولى فهو موجود الآن بالقرب من جسر النحاس فى جانب بستان على شمال الذاهب الى حارة الاكراد بالصالحية وله من جهة الطريق جدار وشباك وقد كتب على اسكفته هذا مدفن الشيخ الفقيه الزاهد الشهيد عبد الرحمن الحلحولى استشهد فى باب النيرب فى حرب الصليبيين يوم السبت سادس ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ودفن فى بستان الشعبانى المعروف الآن ببستان القبار المحاذى لمسجد شعبان المعروف بمسجد الملك طالوت قال النعيمى فى تنبيه الطالب لما هجم الافرنج على دمشق وقف امامهم الحلحولى قريب الربوة عند النيرب وكان معه يوسف بن درباس المغربى الفندلاوى العالم ووطنا انفسهما على الجهاد فقتلا فى ساعة واحدة اهـ

الكهف فى الجبل يعرف بمغاير شداد . مسجد مغاير الجوع فى لحف الجبل . فى دار الخولانى آخر بناه ابو الحرم بن صعلوك العسقلانى لاحمد الجماعينى . آخر بناه لرجل العجمى كان قد ضمن دار الوكالة وبقربه مسجد شعبان وهو لطيف وقد كان قديما فخرب وجدده ابو البقاء ابن البيطار . آخر غربى مسجد شعبان . واما المساجد التى كانت فى الجهة الغربية فمسجد مرج باب الحديد المعروف بمرج الاشعريين ويعرف بمسجد الاجابة وآخر من شآمه على الطريق يعرف بعزيز الدولة وآخر فى شآم المرج يعرف بمسجد الخفانى وآخر كبير فى قبة قبر الملك دقاق المعروفة بقبة الطواويس فى الرباط بنته خاتون ام دقاق وآخر من غربيه يشرف على عين الديباج التى عند باب الميدان بناه سالم الفراش وآخر فى الميدان (١) من شآمه . عند قصر شمس الملوك بقرب السمانين بناه نصر الفراش . فى النيرب سفل . فى السهم عند بستان ابن الشحاذه مقابل جسر ثورا ومسجد البيرات من مساجد القرى مسجد الديلمى . آخر عند نهر القنوات مقابل الربوة . مسجدباب الحمان المسدود تحت القلعة كان قديما فشعث فجددته امرأة الحاجب اسرائيل . آخر بقبة عند بستان ابن خواجة على نهر بانياس بنته امرأة من نساء الجبل وفيه مقبرة آخر غربيه قبل نهر بانياس على الطريق بناه المحاضرى . آخر من شآم النهر قبلة الميدان الاخضر صغير بناه الملك العادل نور الدين آخر غربيه كبير بناه الامير الاسفهلار شيركوه . فى موضع القبة المعروفة بقبة مودود بناه نور الدين . فى علو الرحى الرباط الذى وقفه نور الدين . على نهر بانياس يعرف بمسجد الفراش بناه محمد فراش . مسجد خاتون زمرد الكبير الذى بنى فى موضع تل الثعالب محاذى صنعا له منارة وفيه سقاية . عند زيتون المساكين على نهر القنوات بناه عمر النجار . آخر معلق على باب الجابية ملاصق للسور لطيف بشباك . آخر معلق عند الحمام والسقاية خارج

---

(١) كان فى دمشق اربع مواضع تسمى بالميدان الاول ميدان الحصا والثانى ميدان ابن ابى اتابك وقد اضحى موضعه مجهولا والثالث ميدان القصير وكانت به محلة عامرة بالسكان والمساجد فخربت والرابع ميدان الشرف الاعلى خرب ايضا قاله ابن ناصر فى كتاب توضيح المشتبه

على خمسة احجار حجر من حرا وحجر من طور سينا وحجر من طور تينا وحجر من لبنان وعن قتادة بني من حرا ولبنان والجودى وطور سينا وطور زيتا والاقرب قول من قال انه بني من حرا وذلك لبعد هذه الجبال عنه بعدا عظيما وقال قتادة فى قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت هذا حرم الله قد طاف به آدم ومن بعده فلما جاء ابراهيم اراه الله مكان البيت فاتبع منه اثرا قديما فبناه من طور سينا وطور زيتا ومن جبل لبنان ومن احد وحرا وجعل قواعده من حرا ثم قال له واذن فى الناس بالحج وقال كعب الاحبار اربعة اجبل جبل الخليل ولبنان والطور والجودى يكون كل واحد منهم يوم القيمة لؤلؤة بيضاء تضيء ما بين السماء والارض يرجعن الى بيت المقدس فيجعلن فى زواياه ويضع عليها كرسيه حتى يقضى بين اهل الجنة والنار والملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا جبل لبنان كان عصمة الانبياء عليهم السلام وقال ايضا جبل لبنان احد الاجبل الثمانية التى تحمل العرش يوم القيمة وهذه الاقوال ساقها باسانيده الى كعب وهذا الرجل الله اعلم بما يقوله وهو تعالى اعلم باخباره من اين يأخذها فعلى المتبع لهدى خير الخلق ان لا يغتر بمثل هذه النقول ونحن اثبتناها تبعا للاصل وعن الوضين بن عطاء مرفوعا جبل الخليل جبل مقدس وان الفتنة لما ظهرت فى بنى اسرائيل اوحى الله تعالى الى انبيائهم ان يفروا بدينهم الى جبل الخليل وحكى بعض اهل العلم قال سمعت مشايخ اهل الشام يزعمون ان جبل الخليل انما سمى بذلك لان الله لما اوحى الى الجبال اريد ان اتجلى الى موسى على بعضك تطاولت وشمخت غير جبل الخليل فانه استخذى وتطامن فسمى بذلك جبل الخليل وجدته فى بعض الكتب القديمة ويروى ان جبريل عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم سواحل الشام فعرض عليه سلسلة فوجدها مكتوب فى اسفلها ان غدرة فى جنة المأوى قال عبد الله بن مسعود اقمت فيها ثلاثا اقصر الصلاة والقصر فيها لكن اتم الصلاة سبعين سنة قال ابو الدرداء فصليت فيها اربع ركعات قرأت فى الاولى الحمد وقل هو الله احد وفى الثانية الحمد واذا جاء نصر الله والفتح وفى الثالثة الحمد وقل يا ايها الكافرون وفى الرابعة الحمد واذا زلزلت الارض زلزالها وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى امراء اجناد الشام ان لا يتبدروا الى القرى ويتركوا المدائن وان يتخذوا فى كل مدينة مسجدا واحدا وان لا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ اهل الكوفة والبصرة ومصر وكان الناس متمسكين بامر عمر وعهده وقال ايضا لما قدم عمر الشام امر ان لا يتخذ فى المدينة مسجدان وانما اراد عمر رضى الله عنه بذلك المسجد الاعظم الذى تقام فيه الجمعة وانما فرق بين مدائن الشام وبين الكوفة والبصرة فى الحكم لان مدائن الشام ممصرة قبل الاسلام فلا تقام فى مصر واحد اكثر من جمعة فاما الكوفة والبصرة فكل منزل نزلته قبيلة واختطه فهو بمنزلة مصر مفرد ولم يرد عمر بذلك النهى عن اتخاذ المساجد التى لا تقام فيها الجمعة فاما مصر فانها وان كانت مصرا قبل الاسلام فان المسلمين لما افتتحوها تفرقت القبائل فيها واختطت بها خططا نسبت اليها فاشتبه حكمها بحكم البصرة والكوفة

باب ذكر فضل المساجد المقصودة بالزيارة كالربوة ومقام ابراهيم وكهف جبريل والمغاره

قال عبد الله بن عمر ما من مسلم يأتى زيارة من الارض او مسجدا بنى باحجار فصلى فيه الا قالت الارض صل لله فى ارضه وانا اشهد لك يوم تلقاه وقد تقدم فى باب ذكر الافصاح والبيان عما ورد فى فضل دمشق من القرآن ما نقل عن العلماء من اهل القدوة من ان ربوة دمشق هى التى سماها الله فى كتابه بالربوه وقال حسان بن عطية ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل حضره الموت فاوصى الملك لرجل حتى يدرك ابنه فكانوا يؤملون ان يدرك ابنه فيملكوه ويكون مكان ابيه فاتى عليه فقبض قال فحزنوا عليه فلما اخرجوا بجنازته وفيهم عيسى ابن مريم عليه السلام فدنا من امه فقال ارأيت ان انا احييت لك ابنك اتؤمنين بى وتتبعينى قالت نعم فدعى الله فجعلت اكفانه تحلل عنه حتى استوى جالسا فقالوا هذا عمله ابن الساحرة فطلبوه حتى انتهى الى شعب البرت فاعتصم منهم بقلته على صخرة متعالية فاتاه ابليس لعنه الله فقال جئتك وما اعتذر اليك

من شيء هذا انت لم تنافسهم في دنياهم ولا في شبر من الارض وقد صنعوا بك ما صنعوا فلو القيت نفسك من هذا المكان فيتلقاك روح القدس فيذهب بك الى ربك فتستريح منهم فقال عيسى عليه السلام يا غوي الطويل الغواية اني اجد فيما علمني ربي تعالى اني لا اجرب ربي حتى اعلم اراض عني ام ساخط علي وزجره الله تعالى عنه فاقبلت عليهم ام الغلام فقالت يا معشر بني اسرائيل كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعا على ابني فلما احياه الله تعالى لكم اردتم قتل من كان السبب قالوا فما تأمرينا به قالت ائتوه فاتوه فقالوا خصلة فيما بيننا وبينك فان انت فعلتها آمنا بك واتبعناك قالوا فما هي قالوا تحيي لنا عزيرا قال دلوني على قبره فنزل عيسى معه حتى انتهوا الى قبره قال فتوضأ وصلى ركعتين ودعا قال فجعل قبره يفرج عنه التراب فخرج وقد ابيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول هذا فعلك يا ابن مريم قال لم اصنع بك شيئا هذا فعل قومك زعموا انهم لا يؤمنون بي ولا يتبعوني حتى احييك لهم وهذا في هدى قومك يسير قال فاقبل عليهم يعظهم ويأمرهم بالايمان به وباتباعه قال فقال له قومه عهدناك وانت اسود الرأس واللحية فما بال نصف لحيتك قد ابيض فقال اني سمعت الصيحة فظننت انها دعوة الداعية حتى ادركني ملك فقال انما هي دعوة ابن مريم فانتهى الشيب الى ما ترى ويقال ان البرت مصلى الخضر عليه السلام وقال ابن عباس ولد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون وقال حسان بن عطية اغار نبط ملك هذا الجبل على اوط فسباه واهله فبلغ ذلك ابراهيم عليه السلام فاقبل في طلبه ومعه جماعة عدتهم كعدة اهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور فعبى ابراهيم ميمنة وميسرة وقلبا وكان اول من عبى الحرب هكذا فاقتتلوا فهزمه ابراهيم واستنقذ اوط واهله فاتى هذا الموضع الذي ينسب الى مسجد ابراهيم ببرزة فصلى فيه وقال الزهري مسجد ابراهيم عليه السلام في قرية يقال لها برزة من صلى فيه اربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وليسأل الله ما شاء فانه لا يرده خائبا وقال احمد بن سليمان البيهقي سمعت شيوخنا من الدمشقيين يقولون قديما ان الآثار التي في دمشق في برزة عند مسجد ابراهيم عليه السلام التي في الجبل عند الشق انه مكان ابراهيم وان الآثار التي فوق الجبل هي الموضع

الذى رأى ابراهيم فيـه الكواكب كما ذكر الله فى كتابه العزيز فلما رأى كوكبا قال هذا ربى وانه كان فى الجبل فى ذلك الموضع وهومعروف فمن قصده وصلى فيه ركعتين ودعى اجابه الله فى دعائه وان ذلك الجبل كان فيـه لوط النبى عليه السـلام وجماعة من الانبيـاء عليهم السـلام وآثارهم فى مواضع من الجبـل بالقرب من مسجد ابراهيم قال وادركت الشيوخ يقصدونه ويقيمون فيه ويصلون ويدعون الله تعالى وهو نافع لقسوة القلب من كثرة الذنوب وان بعض الشـيوخ جاء من مكة فصلى بالموضع الذى فوق الشق الذى يقال انه رأى ابراهيم عليه السـلام فيه الكواكب وذكر انه رأى فى نومه من يأمره بالمسير الى هذا الموضع فاقصده دمشق واقصده موضعا يقال له برزة عند مسجد ابراهيم فوق الجبل وامره ان يصلى فيه ركعتين ثم يدعوا بما شاء فانه يستجاب له فقصد ذلك الموضع وقال احمد بن صالح ادركت الشـيوخ بدمشق قديما وهم يفضلون مسجد ابراهيم عليه السلام ويقصدونه ويصلون فيه ويقرأون ويدعون ويذكرون ان الدعاء فيه مجاب وهو موضع شريف قديم عظيم ويذكرون عن شيوخهم ان من ادركوه من اهل العلم كانوا يصححون هذا ويفضلونه ويقولون انه مسجد ابراهيم عليه السـلام وان الشق الذى فى الجبـل خارج باب المسجد هو موضع اختبى فيه ابراهيم من النمروذ الذى كان ملك دمشق فى وقت ابراهيم والدعاء فيه مجاب فمن توجه الى الله تعالى فى ذلك الموضع ودعا فيه بنيـه خالصة رأى الاجابة وقال ابو الحسين الرازى مسجد ابراهيم عليه السلام اثنان احدهما فى الاشعريين والآخر فى برزة وروى باسانيد ثلاثة كلها تدور على ابن جريج عن عروة بن رويم عن ابيه انه قال سمعت عليا بن ابى طالب رضى الله عنه يقول (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله رجل عن دمشق وفى افظ عن الآثارات التى بدمشق فقال بها وفى افظ لها جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم اخاه وفى اسفله فى الضرب (٢) ولد ابراهيم وفيه آوى الله تعالى عيسى بن مريم وامه من اليهود وما من عبد اتى معقل روح الله فاغتسل فصلى ودعا لم يرده خائبا فقال رجل يا رسول الله صفه لنا فقال هو بالغوطة

---

(١) وفى بعض رواياته سمعت عليا بن ابى طالب ومعاوية يقولان سمعنا رسول الله الخ

(٢) الضـرب السـهل

فى مدينة يقال لها دمشق وهو جبل كلمه الله وفيه ولد ابى ابراهيم فمن أتى هذا الموضع فلا يعجز فى الدعاء فقام رجل فقال يا رسول الله اكان ليحيى معقلا قال نعم احترس فيه يحيى من رجل من قوم عاد فى الغار الذى تحت دم ابن آدم المقتول وفيه احترس الياس من ملك قومه وفيه صلى ابراهيم ولوط وموسى وعيسى وايوب فلا تعجزوا عن الدعاء فيه فان الله تعالى انزل علىّ ادعونى استجب لكم وربنا يسمع الدعاء قالوا وكيف ذلك فانزل الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى وفى لفظ فقال رجل يا رسول الله وهل ربنا يسمع الدعاء ام كيف ذلك فانزل الله تعالى الآية (١) اجازة وقال كعب الاحبار ان جبل قاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله تعالى ولا يرد الله فيه سائلا وقال مكحول الشامى قال لى كعب اتبعنى فاتبعته حتى وصلنا الى غار فى جبل يقال له قاسيون فصلى فيه فصليت معه فسمعته يجتهد فى الدعاء ثم اشار الى مسجدا سفل الجبل فنزل وصلى وصليت معه فسمعته يقول ويجتهد فى الدعاء ثم سار حتى دخلنا المدينة من باب الفراديس فسمعته يقول يا ايها الناس انا كعب الاحبار وجدت فى الواح شيت ابن آدم مرتين يقول الله الفراديس جنتى واليها يجتمع اهل محبتى واهل عنايتى فقلت له سمعتك تدعو مجتهدا فم ذاك قال سألت الله ان يصلح بين هذين الرجلين على ومعاوية وسألته ان يرزقنى كفافا وولدا ذكرا ثم لقيته بعد ذلك فسألته فقال قد والله استجاب لى ورزقنى ولدا ذكرا وبعث الىّ معاوية بالف درهم وكسوة وكتب معاوية الى على فسأله الصلح والكف عن الحرب فاصطلحا وتكاتبا على ذلك وهذا حديث منكر مكحول لم يدرك كعبا لان كعبا مات فى آخر خلافة عثمان وكعب لم يبق الى فتنة على ومعاوية وفى اسناده رجل مجهول والفاظ هذه الحكاية تدل على انها مصنعة وقال عمرو بن خير الشعبانى كنت مع كعب الاحبار على جبل دير المران فرأى لمعة سائلة فى الجبل فقال ههنا قتل ابن آدم اخاه وهذا اثر دمه جعله الله عبرة للعالمين وويل لاربع قريات من قريات الغوطة داريا وبيت الآثار

(١) رواه تمام بن محمد بن يعقوب الاوزاعى وفى اسناده علتان احدهما ان فيه رجلا مبهما لا يعرف والثانية فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس قال السيوطى وانا اخشى ان يكون هذا الحديث موضوعا اه واخرجه على بن محمد بن شجاع الربعى فى فضائل الشام باسناد غير قويم وايا ما كان فهذا الحديث لا يعول عليه

والمزة وبيت لهيا ولتعيش اربع قبائل فلا يبقى لها داعية عك وسلامان وحسين وشعبان والرواية عن كعب وقد علمت ما تقدم فيه سابقا وقال مكحول صعدت مع عمر بن عبد العزيز الى موضع الدم فجعل يسئال الله ان يسقينا فسقانا وقال مكحول خرج معاوية والمسلمون الى موضع الدم يستسقون فلم يبرحوا من مكانهم حتى سالت الاودية وقال مكحول سمعت كعبا يقول ان قاسيون موضع الحاجات والمواهب من الله وانه لا يزال سائل فى هذا الموضع وقال سعيد بن عبد العزيز صعدنا فى خلافة هشام الى موضع قتل ابن آدم اخاه فسئال الله ان يسقينا فسقانا فاتى مطرفا قمنا بالغار الذى تحت الدم ثلاثة ايام وقال هشام بن عمار صعدت مع ابى وجماعة من اهل دمشق الى الموضع الذى قتل فيه ابن آدم اخاه نسئل الله ان يسقينا فارسل الله علينا مطرا غزيرا حتى اقمنا فى الغار تحت الدم فدعونا الله فارتفع عنا وقد رويت الارض ولم يذكر فى هذه الرواية انهم اقاموا ثلاثة ايام وهى اصح والا كيف يقيمون فى غار بينه وبين دمشق اقل من ميل فيحبسهم المطر ثلاثة ايام واعجب من هذا رواية انهم اقاموا ستة ايام وقال ابو مسهر مغارة الدم موضع الحمرة وهى موضع الدعاء بقضاء الحوائج وقال ابن عياش كان اهل دمشق اذا احتبس عنهم المطر او غلا سعرهم او جار عليهم سلطان او كانت لاحدهم حاجة يصعدون الى موضع دم ابن آدم المقتول فيسئالون الله تعالى فيعطيهم ما سئالوا وقال احمد بن كثير صعدت الى موضع دم ابن آدم عليه السلام فى جبل قاسيون بدمشق فسئالت الله الحج فحججت وسئالته الجهاد فجاهدت وسئالته الزيارة والصلاة فى بيت المقدس وعسقلان وعكا والرباط فى جميع السواحل فرزقت ذلك كله وسئالته ان يغنينى عن الاسواق والبيع فرزقت ذلك ولقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وهابيل ابن آدم فى المنام فقلت له اسئالك بحق الواحد الصمد وبحق ابيك آدم النبى عليه السلام ان تخبرنى ان هذا دمك فقال اى والواحد الصمد هذا دمى جعله الله تعالى آية للناس وانى دعوت الله تعالى فقلت رب ان ابى آدم وامى حوا وهذا النبى المصطفى الامى اجعل دمى مستغاثا لكل نبى وصديق ومن دعا فيه فاجبه ومن سئالك فاعطه فاستجاب الله دعائى وجعله طاهرا آمنا وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السماء يحفظون من اتاه لا يريد الا الصلاة فيه فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد فعل وزاد كرما واحسانا وانى
اتيه كل خميس وصاحباى وهابيل نصلى فيه فقلت يا رسول الله ادع الله لى ان
اكون مستجاب الدعوة وعلمنى دعاء لكل ملمة وحاجة فقال لى افتح فاك ففتحته
فتفل فيه وقال لى رزقت فالزم رزقت فالزم وقال كعب ان الياس اختبئ من
ملك قومه فى الغار الذى تحت الدم عشر سنين حتى اهلك الله الملك وولهم
غيره فاتاه الياس فعرض عليه الاسلام فاسلم واسلم من قومه خلق عظيم غير
عشرة آلاف منهم فامر بهم فقتلهم عن آخرهم قال هشام بن عمار وسمعت
من يرجع الحديث الى وهب بن منبه انه قال سمعت ابن عباس يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجتمع الكفار يتشاورون فى امرى فقلت
يا ليتنى بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتى آتى موضع مستغاث الانبياء حيث
قتل ابن آدم اخاه فاسئل الله يهلك قومى انهم ظالمون فاتاه جبريل فقال
يا محمد أئت بعض جبال مكه فاوى الى بعض غاراتها فانهامعقلك من قومك
قال فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر حتى اتيا الجبل فوجدا غارا
كثير الدواب فذكره وعن مكحول عن ابن عباس انه قال موضع الدم فى جبل
قاسيون موضع شريف اقام فيه يحيي بن زكريا وامه فيه اربعين عاما وصلى فيه
عيسى بن مريم والحواريون فلو كنت سئالت الله ان يغفر لعبده ابن عباس
يوم الحشر والنشر فمن اتى ذلك الموضع فلايقصر عن الصلاة والدعاء فيه فانه
موضع الحوائج ومن اراد ان يرى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين فليأت
السرب الاعلى بين النهرين وليصعد الى الغار فى جبل قاسيون فيصلى فيه
فانه بيت عيسى وهو كان معقلهم من اليهود فمن اراد ان ينظر الى ارم فليأت
نهرا فى حفر دمشق يقال له بردا ومن اراد ان ينظر الى المقبرة التى فيها مريم
ابنت عمران والحواريون فليأت مقبرة الفراديس وروى عن الزهرى انه قال لو
يعلم الناس ما فى مغارة الدم من الفضل لما هنا هم طعام ولا شراب الا فيها
وذكر ابو الفرج محمد بن عبدالله بن المعلم قال سمعت ابى انبأنا محمد بن الحسن بن هبة
الله بن الحسين انه قال اعتصم بالله من الكذب واسئاله ان ينطق لسانى بالصدق
رأيت جبريل عليه السلام فى المنام فقال لى ان الله تعالى امرك ان تبنى مسجدا
يصلى فيه له ويذكر اسمه فيه وهو هذا فقلت واين هذا الموضع فسار الى هذا

الموضع الذى سميته كهف جبريل عليه السلام ومسجد محمد صلى الله عليه وسلم لانى رأيتهما فى المنام فيه موضع يرى فيه جبريل ومحمد صلى الله عليهما وسلم لمن اجلّ بقاع الارض وجبل دمشق هكذا ما نبت فيه شجرة قط ولا ظهرت فيه ثمرة فلما رأيت جبريل ومحمدا عليهما السلام انبت الله ببركتهما الشجر وظهر فيه الثمر واكل الناس ما لم يؤكل فيه قط وصار مسجدا من مساجد الله يذكر فيه واو تمكنت ما كنت اقيم الا فيه ولا ادفن الا فيه ولا احشر الا منه وقال فمن كانت له حاجة فليغسل جسده بالماء ويلبس ثوبا طاهرا ثم يقصد الكهف فيصلى فيه ركعتين يقرأ فى كل ركعة بالحمد وسبع مرات قل هو الله احد فاذا فرغ من صلاته يقول اللهم صل على جبريل الروح الامين وعلى محمد خاتم النبيين سبع مرات ويسجد ويقول اللهم انى اتوسل اليك بجبريل الروح الامين وبمحمد خاتم النبيين الا قضيت حاجتى ويذكرها فان الله سبحانه وتعالى يقضيها له ان شاء الله ولبعض المتأخرين فى جبل قاسيون

يا صاح كم فى قاسيون وسفحه ... من مشهد يستوجب التعظيما
فالربوة العليا بفضلها الذى ... اضحى بتفسير الكتاب عليما
والنيرب المشهور يعرف فضله ... من زاره اوذاق فيه نعيما
ومغارة الدم فضلها متواتر ... ما زلت اسمعه هديت عظيما
والكهف جبريل الامين بفضله ... مذكورة وقمت الىّ قديما
ومغارة الجوع الشريفة تحته ... كم عابد فيها يبيت مقيما
ومقام برزة ليس ينكر فضله ... اعنى مقام ابيك ابراهيما
ولكم مكان فيه ليس بمسجد ... اضحى على المتعبدين كريما
رئى النبى مصليا فى سفحه ... صلوا عليه وسلموا تسليما
وبه قبور الانبياء فمن مضى ... ليزورهم فقد ابتغى التكريما
فادم زيارته وواظب قصده ... لتنال اجرا فى الجنان جسيما

وقال ابو الحسين الرّازى ان من الآثار التى فى مدينة دمشق وغوطتها مما يرجى فيه اجابة الدعاء مسجد القدم عند القطيعة يقال ان هناك قبر موسى ابن عمران ومسجد الباب الشرقى وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فيه

ينزل عيسى عليه السلام وقال قاسم مولى يزيد بلغنى ان يحيي بن زكريا عليه السلام قتل وهو قائم يصلى عند كنيسة جيرون وهو المسجد الذى عند باب جيرون وقيل ان رجلا من اهل مصر بنى فى قبة اللحم مسجدا وبنى له ماذنة صغيرة فلما كان ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان من سنة اربع واربعمائة ذكر انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا المسجد ومعه على رضى الله عنه وانه قال له اريد علامة يصدقنى الناس انكما جئتما الى ههنا فكبس امير المؤمنين على رضى الله عنه على عمود حجر كان فى هذا المسجد فاثرت كفه فى العمود واصبح الناس يوم الجمعة يهرعون الى هذا المسجد ويبصرون الكف فى الحجر قد غاصت وبلغنى انه قيل لهذا الرائى اى يده وضع فى الحجر فقال اليمنى فنظروا فاذا اثر كفه اليسرى وذكروا ان الرائى كان قد نقر فى الحجر ذلك الاثر فالله تعالى اعلم وقال ابو محمد بن الاكفانى ارانى عبد العزيز الصوفى مسجد واثلة بن الاسقع داخل الزلاقة على النهر وهو مسجد صغير ومسجد فضالة بن عبيد فى السوق الكبير بجانب مسجد الريحان بين الدكاكين وهو مسجد سفل صغير وداره بذلك الموضع ومسجد اوس بن اوس فى درب القلى وهو مسجد صغير وذكر ابو الحسن محمد بن عبد الله الرازى عن شيوخه الدمشقيين ان المسجد الذى على باب زقاق عطاف كان مسجد ايمن بن خزيم ومسجد سوق الريحان هو مسجد يزيد ابن نبيشة صحابى قرشى من بنى عامر بن لوى وذكر غير ابى الحسين ان دار ابى عبيدة بن الجراح كانت فى حجر الذهب ومسجده بالسقيفة ودار خالد بن الوليد ومسجده عند باب توما وحكى ابو بكر بن الغرنانى ان ابا بكر ابن السيد حمدويه لما اراد بناء مسجده المعروف بمسجد ابى صالح وجد فى المحراب لوحا من فخار مكتوب فيه هذا مسجد الاولياء فاصبحنا ولم نره وغيبه الشيخ وقال هذا سهو

(باب فى فضل مواضع بظاهر دمشق واضاحيها وفضل جبال تضاف اليها ونواحيها)

عن الوضين بن عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من تكفل لى ببيت فى الغوطة اتكفل له ببيت فى الجنة هذا منقطع وفيه من جهل حاله ويروى

عن عائشة مرفوعا ان الله خلق جمجمة جبريل على قدر الغوطة وقال الوليد بلغنى ان غنم يعقوب كانت ترعى فى مرج بالغوطة وقال يونس بن ميسرة اشرف عيسى بن مريم على الغوطة فقال يا غوطة ان عجز الغنى ان يجمع منك كنزا لم يعجز المسكين ان يشبع منك خبزا وقال اسحاق بن ابى فروة ان راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء صارت الى خالد بن الوليد فقاتل بها بنى حنيفة ومسيلمة ثم مضى الى الجزيرة ثم اتى الشام فقاتل بها فى وقائع الشام وقيل كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم التى يسير فيها تسمى العقاب وهى راية الانصار فقيل انها كانت خضراء ويقال انها سميت بعقاب من الطير كانت ساقطة عليها وقيل انما سميت ثنية العقاب لانه كان بها مثال عقاب من حجارة والخبر الاول اصح وعن عبد الله بن عمر انه قال ارواح المؤمنين تجمع بالجابيين وارواح الكفار تجمع ببرهوت وفى سفحة لحضرموت قال ابو حاتم الجابيين باليمن وبرهوت من ناحية اليمن ولا ارى تفسير ابى حاتم للجابيين محفوظا وقال سعيد بن المسيب ارواح المؤمنين بارض الجابية وارواح الكفار بسبخة بحضرموت وعن ابى هريرة مرفوعا خلق الله آدم من طين الجابية وعجنه بماء الجنة وفى رواية وعجنه بماء من ماء الجنة وفى رواية من ماء زمزم وهو مروى من طريقين لا يخلوان من مقال وقال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ان جند حمص الجند المقدم وانها كانت يومئذ ثغرا وان الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء واقامة البعوث من ارض دمشق فى زمن عمر وعثمان حتى نقلهم معاوية بن ابى سفيان الى معسكر دابق لقربه من الثغور قال وكان والى الصافية وامام العامة فى اهل دمشق لان من تقدمهم من اهل حمص واهل قنسرين واهل الثغور مقدمة لهم والى اهلها يولون ان كانت لهم جولة من عدوهم وروى من طريق احمد بن عدى عن كثير المزنى عن ابيه عن جده مرفوعا اربعة اجبل من جبال الجنة واربعة انهار من انهار الجنة واربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل فما الاجبل يا رسول الله قال احد جبل يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة والانهار النيل والفرات وسيحان وجيحان والملاحم بدر واحد وخيبر والخندق وروى من طريق ابن ابى شيبة ان ابن عباس كتب الى ابى الخلد يسأله عن اشياء من البيت فكتب اليه ان البيت اسس

على خمسة احجار حجر من حرا وحجر من طور سينا وحجر من طور تينا وحجر من لبنان وعن قتادة بنى من حرا ولبنان والجودى وطور سينا وطور زيتا والاقرب قول من قال انه بنى من حرا وذلك لبعد هذه الجبال عنه بعدا عظيما وقال قتادة فى قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت هذا حرم الله قد طاف به آدم ومن بعده فلما جاء ابراهيم اراه الله مكان البيت فاتبع منه اثرا قديما فبناه من طور سينا وطور زيتا ومن جبل لبنان ومن احد وحرا وجعل قواعده من حرا ثم قال له واذن فى الناس بالحج وقال كعب الاحبار اربعة اجبل جبل الخليل ولبنان والطور والجودى يكون كل واحد منهم يوم القيمة لؤلؤة بيضاء تضيء ما بين السماء والارض يرجعن الى بيت المقدس فيجعلن فى زواياه ويضع عليها كرسيه حتى يقضى بين اهل الجنة والنار والملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا جبل لبنان كان عصمة الانبياء عليهم السلام وقال ايضا جبل لبنان احد الاجبل الثمانية التى تحمل العرش يوم القيمة وهذه الاقوال ساقها باسانيده الى كعب وهذا الرجل الله اعلم بما يقوله وهو تعالى اعلم باخباره من اين يأخذها فعلى المتبع لهدى خير الخلق ان لا يغتر بمثل هذه النقول ونحن اثبتناها تبعا للاصل وعن الوضين بن عطاء مرفوعا جبل الخليل جبل مقدس وان الفتنة لما ظهرت فى بنى اسرائيل اوحى الله تعالى الى انبيائهم ان يفروا بدينهم الى جبل الخليل وحكى بعض اهل العلم قال سمعت مشايخ اهل الشام يزعمون ان جبل الخليل انما سمى بذلك لان الله لما اوحى الى الجبال اريد ان اتجلى الى موسى على بعضك تطاولت وشمخت غير جبل الخليل فانه استخذى وتطامن فسمى بذلك جبل الخليل وجدته فى بعض الكتب القديمة ويروى ان جبريل عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم سواحل الشام فعرض عليه سلسلة فوجدها مكتوب فى اسفلها ان عدرة فى جنة المأوى قال عبد الله بن مسعود اقمت فيها ثلاثا اقصر الصلاة والقصر فيها كمن اتم الصلاة سبعين سنة قال ابو الدرداء فصليت فيها اربع ركعات قرأت فى الاولى الحمد وقل هو الله احد وفى الثانية الحمد واذا جاء نصر الله والفتح وفى الثالثة الحمد وقل يا ايها الكافرون وفى الرابعة الحمد واذا زلزلت الارض زلزالها وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكره وحدث به وقال ابراهيم التمامى قدمت من اليمن فاتيت سيفان الثورى فقلت يا ابا عبد الله انى جعلت فى نفسى ان انزل جدة فارابط بها كل سنة واعتمر فى كل شهر عمرة واحج فى كل سنة حجة واقرب من اهلى احب اليك ام اتى الشام فقال لى يا اخا اليمن عليك بسواحل الشام قالها مرتين فان هذا البيت يحجه كل عام مائة الف وما ئتا الف وثلاثمائة الف وما شاء من التضعيف ولك مثل حجهم وعمرتهم ومناسكهم وقال كعب يا اهل الشام من اراد منكم الرفق بالمعيشة مع العبادة فعليه ببيسان ومن اراد منكم السعة فى الرزق والسلامة فى الدين فعليه بعرفة ومن اراد منكم ان يجمع له دينه ودنياه فعليه بصور

باب عدد كنائس اهل الذمة التى صالحوا عليها من سلف من هذه الامة

قال رجاء بن ابى سلمة ان عمر بن عبد العزيز قال انه كان فى عهد دمشق خمس عشرة كنيسة وقال ابو مسهر اقام بدمشق بعد فتحها اثنا عشر بطريقا من بطارقة الروم فاقروا فى منازلهم وكان لكل بطريق منهم فى منزله كنيسة فاقاموا بها حينا ثم بدا لهم فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فصارت اقطاعا لقوم من اشراف دمشق فلما ولى عمر بن عبد العزيز اخرج اولادهم منها وردها على الاعاجم فلما مات عمر ردت الى اولاد الذين اقطعوها وقال رجاء ابن سلمة خاصم النصارى حسانا بن مالك الكلبى الى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة بدمشق فقال له عمر ان كانت من الخمس عشرة كنيسة التى فى عهدهم فلا سبيل لك اليها وقال على بن ابى جملة خاصمت العرب فى كنيسة بدمشق يقال لها كنيسة ابن نضر كان معاوية اقطعهم اياها فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها الى النصارى فلما ولى يزيد ردها الى بنى نضر وفى كتاب سجل يحيى بن حمزة ان النصارى ذكروا لعمر بن عبد العزيز ان عتقاء العرب قد سخروا بهم وبرئيسهم وبدينهم وجماعتهم من اهل القرى وان اولئك العتقاء

اخلاف وفرقوا انهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء لهم بما فى عهدهم وبما فى الكتاب الذى كتبه لهم خالد بن الوليد عند فتح مدينتهم فامرهم ان يأتوا بحجتهم فاتوا بكتاب خالد بن الوليد فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها اعطاهم امانا لانفسهم ولاموالهم وكنائسهم لا نهد منه ولا نسكنه لهم على ذلك ذمة الله وذمة الرسول عليه الصلاة والسلام وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين لا يعرض لهم احد الا بخير اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية شهد بهذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن ابى سفيان وابو عبيدة بن الجراح ومعمر بن غياث وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشه وعبد الله بن الحارث وقضاعى بن عامر وكتب فى شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وقرأت كتابهم فوجدته خاصة بهم وحققت عن امرهم فوجدت فتحها بعد الحصار ووجدت ماوراء حيطانها لرفعة الجبل مخرقامن كثرة الرماح ونظرت فى خرقتهم وظيفة عليهم خاصة دون غيرهم فقضيت لهم بكنائسهم حين وجدتهم اهل هذا العهد وابناء البلد ووجدت من نازعهم لفيفا طرق عليهم وذلك انهم لو اسلموا بعد فتحها كان لهم صرفها مساجد ومساكن فلهم فى آخر الدهر ما فى اولهم وقضيت لمن نازعهم بما كان لهم فيها من خلية او ابنية او كنيسة او بناء او عرصة اضافوا ذلك اليها بدفع ذلك اليهم باعيانه انقدر عليه او قيمة عدل يوم ينظر فيه شهده عدد كنائس النصارى التى دخلت فى صلحهم فى دمشق خمس عشرة كنيسة فى قبلة المدينة كنيسة اليعقوص وكنيسة ثانية وكنيسة المقسلاط وكنيسة بحضرة زكريا بن ابى حكيم وكنيسة بحضرة سوق الفاكهة وكنيسة بحضرة بنى جلاج وكنيسة مريم وكنيسة اليهود وفى شام المدينة كنيسة القلانس وكنيسة موحا التى بنيت مسجدا وكنيسة حميد بن درة وكنيسة بحضرة دار بن زرناق وكنيسة المصلبة ومما وجدت كنيسة بناها ابو جعفر المنصور لبنى قطيطا فى الفوريق ومما وجدت ايضا كنيسة العباد اما كنيسة اليعقوص فهى التى كانت خلف الحبس الجديد ويدخل اليها من الاكافين التى هى اليوم فى السوق على الدرب الذى فيه اقين حمام الاكافين ومن درب السوسى وقد بقى من بنائها بعضه وقد خربت منذ دهر واما كنيسة المقسلاط

فقد خربت ايضا وقد كان بقي من قناطرها وعمدها بعضها فنقلت صخورها فادخلت في العمارات واما التي عند زين بن حكيم فهي التي في رأس درب القرشيين وهي صغيرة بعضها باقي الى اليوم وتشعث واما التي في سوق الفاكهة فكانت في دار سطح فخربت واما التي بحضرة دار بني الجلاج فهي التي كانت في درب بني قضرس ودرب الحبالين ودرب التيمي وادركت من بنائها بقايا وقد خرب اكثرها واما كنيسة مريم فمعروفة باقية واكبر ما بقي من الكنائس وكنيسة اليهود باقية وقد كانت لهم كنيسة اخرى في درب البلاغة لا ذكر لها في كتاب الصلح جعلت مسجدا واما كنيسة مربص فكانت غربي القيسارية النحرية وقد خربت وادركت من بنائها بعض الاساسات وقد كانت كنيسة في موضع دار الوكالة فخربت واما كنيسة يوحنا فهي الجامع المعمور اليوم وبقي لهم بصفته كنيسة الى ان اخذها منهم الوليد بن عبد الملك كما تقدم واما كنيسة حميد بن درة فقد خربت وكانت في درب حميد وهو ابن عمرو بن مساحق القرشي العامري وامه درة بنت ابي هاشم خال معاوية بن ابي سفيان وهو ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة وكان الدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه وهو مسلم واما الكنيسة التي عند دار ابن زرناق فهي المعروفة اليوم بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين رحبة خالد بن اسيد بن ابي العاص وبين درب طلحة ابن عمرو بن مرة الجهني واما كنيسة المصلبة فهي باقية لهم الى اليوم بين الباب الشرقي وباب توما بقرب الفسطس عند السور وقد خرب اكثرها وبعد ذلك هدمت وكان هدمها بعد الثمانين واما التي كانت احدثت بالجينيق فهي التي جعلت مسجدا عند الدرب ويسمى اليوم مسجد الجينيق واما كنستا العباد منهما اللتان احدهما جعلت مسجدا والثانية التي في رأس درب النقاشين جعلت مسجدا ايضا

(باب ذكر بعض الدور التي كانت داخل السور)

لما استخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد بن معاوية شراء الخضراء وهي دار الامارة بدمشق فاشتراها منه باربعين الف دينار

واشترى منه اربع ضياع باربعة اجناد الشام اختارهن فاختار من فلسطين عمواس ومن الاردن قصر خالد ومن دمشق الاندر ومن حمص دير ركا ويقال ان معاوية لما بنى الخضراء بدمشق وهى دار الامارة وكان بناؤها بالطوب فلما فرغ منها قدم عليه رسول لملك الروم فنظر اليها فقال له معاوية كيف ترى هذا البنيان قال اما اعلاه فللعصافير واما اسفله فللفار فبنى معاوية صفتها بالحجارة وحكى ايضا ان الخضراء التى كانت دار الامارة هى من بناء الجاهلية وقد ذكر فى الاصل فى هذا الموضع دورا كانت موجودة فى زمنه وقد درست الآن معالمها وانمحت اطلالها وتبدلت اسماء مواقعها ولم يكن فى ذكرها ادنى فائدة فاضربنا عن بيانها لما يورثه من الشآمة والملل واما الابنية التى كانت خارج السور فهى كثيرة جدا قال مضر بن العلاء كنت اعرف من زقاق فدايا الى قرية تعرف بواسط فى الغوطة حوانيت ومنازل وحكى عن شيوخه انهم قالوا ان العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح فى قرحتا وقال على بن محمد بن ابى العلاء حدثنى بعض اصحابى انه جلس على جسر نهر يزيد ليلة فعد بضعة عشر من القدور مما حمل الى ساكنى تلك البلد لكثرة من كان يسكن بها قال وبلغنى انه كان على النهر رواشن مشرفة عليه وكان اكثر ظاهر البلد منازل للقبائل وقرى متصلة واسس متقاربة فخرب اكثر ذلك فى الفتن والحروب والحصارات وتمادى عليها الخراب الى الآن وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه اثر العمارة من سائر نواحى البلد من قبليه وشرقيه وشآمه وغربيه والله يحرس ما بقى منها ويحميه بمنه ولطفه ومما سمى لنا من منازلها القبلية فندق بنى عبد المطلب عند سوق الدواب اليوم والراهب قبلة المصلى عن يسار المار قبل المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السقليين عند المسجد الجديد والشماسة عند مسجد القدم وعاليه وعويله قبلة مسجد القوم والقطائع ويقال لها ربع حوران قبلى الشاغور وغير ذلك واما ما كان شمالى البلد فسطرا والفراديس والاوزاع والصدف ومقرى وشعبان ومرج الاشعريين وغير ذلك ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقتيبة وصنعا والحريين ومنازل بنى رعين وغير ذلك سوى ما كان من شرقى البلد من قرى الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والاماكن المذكورة مما عفى رسمه

ويبقى ذكره واسمه (١)

باب ما جاء فى ذكر الانهار المحتفرة للشرب وسقى الزرع والاشجار

قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن يزيد بن زفر الاحمر البعلبكى حدثنى ابى عن جدى قال سئالت مكحولا عن نهر يزيد وكيف كانت قصته فقال سئالت منى خبيرا اخبرنى الثقة انه كان نهر صغير بنباطيا يجرى فيه شئ من الماء يسقى ضيعتين فى الغوطة لقوم يقال لهم بنو فوقا ولم يكن لاحد غيرهم فيه شئ فماتوا فى خلافة معاوية بن ابى سفيان ولم يبق لهم وارث فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية فى رجب سنة ستين وولى ابنه يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس لها ماء وكان مهندسا فنظر الى النهر فاذا هو صغير

---

(١) سنح لنا الآن والشئ بالشئ يذكر ان نكتب ما ذكره حسن ابن المزلق المعروف بالبدرى فى كتابه نزهة الانام فى محاسن الشام مما كان فى دمشق من العمران عدا عما تقدم . قال عند الكلام على القلعة بها جامع وخطبة وحمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع وبها دار الضرب التى تضرب بها النقود وبها الدور والحواصل وكان لها طارمة عالية خربها تيمورلنك (بين النهرين) هو مبتدأ الوادى كان به دور وقصور وبانعوا الاطعمة والفواكه وحمام ومقاصف وزواية للعبادة والوعظ والارشاد ويتوصل منها الى زقاق الفرايين على جانبى النهر الغرف والقصور وكان بالشرفين عدة من المدارس والمساجد وكان بطرف المرجة القبلى على الشرف زواية الاعجام وسوق فيه احدى وعشرون حانوتا وفوقهم الطباق وبآخرهم مسجد مطل على نهر بردا وكان الشرفان عامرين عن يمين المرجة وشمالها (محلة الخلخال) كان بها سويقة وحانوت وفرن وحمام وبها زواية الادهمية والهنود (المنيع) كان به سويقة وحمام وافران وكان به المدرسة الخاتونية وهى من اعاجيب الدهر (البحجة) كانت متنزها جميلا وكان بها بحيرات وحوانيت وبيع وشراء وبها مسجد ومدرستان ومربط للدواب وبها مطاعم فيها الفرش واللحف والتخوت معدة للكرى (الجبهة) كان بها عمران وزاوية الحريرى ونواعير وجداول وبرك وبحيرات ومثلها البهنسيه (الربوة) كان بها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وقاعات وطباق وكان بها سويقتان وكان السمك يصاد ويقلى على جانب النهر وبها حمام وبنى بها نور الدين قاعة على شعب جبل منحوتة بالواح من خشب سقفها نهر يزيد واساسها من تحتها نهر ثورا ويقابلها دف الزعفران والجبل الشرقى فى رأسه مثل الجنك الى غير ذلك مما كان بها من العمران الذى ذهب بذهاب ايامه وبالجملة فقد كانت دمشق اعمر مما هى عليه الآن بكثير

قام بحفره فمنعه من ذلك اهل الغوطة ودافعوه فلطف بهم على ان ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فاجابوه الى ذلك فاحتفر نهرا سعة عرضه ستة اشبار فى عمق ستة اشبار على ان له ملأ جنبتيه وكان على ذلك كما شرط لهم فهذه قصة نهر يزيد ومات فى رجب سنة اربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان ابن عبد الملك سنة ست وتسعين فاقام عنده رجل من اهل الذمة يقال له جرجة ابن قعرا شاهدين يشهدان ان له فى النهر قناة تجرى الى حمام له تديره وزعم انها كانت عجمية تجرى فى سيلوب الى ديره وهو رطل من الماء فسجل له سليمان بذلك سجلا واشهد شهودا ونسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين لجرجة بن قعرا بثبات قناة فى نهر يزيد الى ديره لما قامت له البينة وفيه من الشهود عبد العزيز بن عبد الرحمن وعبد الله بن الحصين المبارك الهمذانى ويزيد بن اسلم بن بن عبد الله القرشى وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك من اهل الغوطة ومحمد بن عبد الرحيم بن الفضل بن العباس الهاشمى وكتب شهادته سليمان بن عبد الملك بامره فى هذا الكتاب يوم الخميس من شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين وكتب سليمان بن عبد الملك بخطه واشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيدا وقل الماء فى خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق فى بردا الا شئ يسير فشكوا ذلك الى سليمان فوجه مولاه عبيدة بن اسلم الى اصل ماء العين ليكريها فدخلوا ليكروها فبينماهم كذلك اذا هم بباب من حديد مشبك يخرج الماء من كوى فيه يسمعون داخلها صوت ماء كثير ويسمعون صوت اضطراب السمك فيها فكتبوا بذلك الى سليمان بذلك فامرهم ان لا يحركوا شيئا وان يكروا ما بين يديها فاكروا فلم يزل كذلك فى خلافة سليمان حتى ولى هشام بن عبد الملك فسئاله اهل قرية حرستا ماء لشرب شفاههم وماء لمسجدهم فكلم فاطمة بنت عبد الملك يعنى ابنة عاتكة وعاتكة ابنة يزيد فى فى ذلك فاجابته على ان يحفر لهم نهرا صغيرا يجرى الى مسجدهم للشرب لا لغيره ففتح الحجر الذى امر به فترا فى فتر مستدير يجرى لهم من الارض على قدر شبر من ارتفاع بطن النهر وسئاله مولاه عبد العزيزان يجرى له شيئا يسقى به ارضه فاجابه بعد ان سئاله فى امره يوم الاربعاء فصير له ماصية فتحها

شبرا فى اقل من شبر ثم سئاله خالد ان يسقى ضيعته فاجابه الى يوم الخميس وفتحت له ماصية لحكاية هذه الماصية ثم شكى اهل بردا قلة الماء الى هشام فامر القاسم بن زياد ان يميز لهم الانهار فمازها فاعطى اهل نهر يزيد ست عشرة مسكبة واعطى الغور الكبير عشر مساكب والغور الصغير خمس مساكب ونهر داريا ست عشرة مسكبة واعطى نهر ثورا اثنتين واربعين مسكبة وفيه يومئذ اربع عشرة ماصية للسقى وليس عليه رحى ونهر قينية احدى عشرة مسكبة ونهربانياس ثلاثين مسكبة ومسكبة زائدة حملت فيه ابزيد بن ابى مريم مولى بنى الحنظلية وثلاث مساكب للفضل بن صالح الهاشمى حملت فيه من بعده ونهر مجدول اثنى عشرة مسكبة ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة ونهر حيوة وهو نهر الزاف اثنى عشرة مسكبة ونهر التومة العليا خمس مساكب ونهر التومة السفلى اربع مساكب ونهر الزواون اربع مساكب ونهر الملك اربع مساكب والقناة لم تكن تماز يومئذ بل تأخذ ملئ جنبتيها وكان الوليد بن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له الوقية فجعله فى القناة الى المسجد والجر شبر ونصف فى شبر ونصف والثقب شبرفى اقل من شبر على انه اذا انقطعت القناة اواعتلت ليس لاحد ان يأخذ من ماء الوقية شيئا ولا لاصحاب القساطل فيها حق واذا جرت يأخذ كل ذى حق حقه وتفتح القساطل على الولاء وقال يزيد انا ادركت القناة يدخل فيها الرجل يسير فيها وهى مسقوفة يمد يده فلا ينال سقفها وليس فيها شئ مثلوم وحضر جماعة من اهل دمشق وغوطتها منهم الذى امر بميز الانهار والذى قسمها وكان ذلك سنة خمس عشرة ومائة وكان ممن حضر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكرى ويزيد بن محمد بن القاسم الهمذانى وعبد الله بن شبيل الفهرى وحكيم بن عبد الله بن المبارك الجمحى والفضل بن عبد الكريم القرشى وعبد الله بن المبارك التميرى من اهل الغوطة من اهل قرية طرميس وذكوان بن عبد الله مولى عبد الملك بن مروان ومحمد بن يزيد بن عبد الله مولى عبد الملك والفضل بن القاسم مولى بنى هاشم ومات هشام بن عبد الملك يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة فهذه الانهار التى ينتفع بها الدانى والقاصى وينقسم منها الماء الى الارضين فى الجداول من المواصى ويدخل من بعدها الى البلد فى

القنى فينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهنى ويتفرق الى البرك والحمامات ويجرى فى الشوارع والسقايات وذلك من المرافق الهنية والمواهب الجزيلة السنية والفضيلة العظيمة المبنية التى عدت من فضائل هذه المدينة اذ الماء فى اكثر البلدان لا ينال الا بالثمن وهو الذى تحصل به حياة النفوس وازالة الدرن وقد جاء عن خاتم الانبياء فى فضل سقى الماء ما رواه البيهقى بسنده الى ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس صدقة اعظم اجرا من ماء (١) وروى الامام احمد عن سعيد بن عبادة ان امه ماتت فقال يا رسول الله ان امى ماتت افأتصدق عنها قال نعم قال فاى الصدقة افضل قال سقى الماء قال فتلك سقاية الى سعد بالمدينة (٢) وروى حميد بن زنجويه عن عائشة انها قالت يا رسول الله ما الشيء الذى لا يحل منعه قال الماء والملح والنار يا عائشة من سقى الماء حيث يوجد فكأنما اعتق نفسا ومن سقى الماء حيث لا يوجد فكأنما احيا نفسا ومن اخذ من منزله ملح فطيب به طعام كان كمن تصدق بذلك الطعام على اهله ومن اخذت من منزله نار لم ينتفع بتلك النار بشيء الا كان له صدقة (٣) واخرج ايضا عن ابن عباس انه قال سئالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الصدقة افضل او سئل اى الصدقة افضل قال اسق الماء ثلاث مرات اسق الماء ثلاث مرات واخرج البيهقى بسنده الى ابن عباس ايضا قال سئالت النبى صلى الله عليه وسلم اى الصدقة افضل فقال لى اسق الماء قال ثم قال الم تر الى اهل النار اذا استغاثوا يغاثوا بماء كالمهل قالوا افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فهذه الاحاديث الحسنة وغيرها

---

(١) ورواه بالمعنى احمد وابو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن سعد بن عبادة ولفظهم افضل الصدقة سقى الماء (٢) ورواه ابو داود ولفظه يا رسول الله ان امى ماتت فاى الصدقة افضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد ورواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه الا انه قال ان صح الخبر ورواه باللفظ المذكور فى الاصل الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم قال الحافظ المنذرى هو منقطع الاسناد عند الكل لانهم يروونه عن سعيد بن المسيب عن سعد فان مولد سعيد ووفاة سعد كانت سنة ١٥ ورواه ابو داود عن الحسن البصرى عن سعد ومولد الحسن سنة ٢١ (٣) رواه ابن ماجه بمعناه ولفظه ابسط مما هنا اورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال فى الزوائد اسناده ضعيف لانه مروى من طريق على بن زيد بن جدعان

من الاخبار تدل على ان التصدق بالماء من القرب الكبار وبدمشق قنى لها اوقاف معينة وهى عند متولى الاوقاف معلومة مبينة واكثرها ليس لها اوقاف ولكن يجرى عليها من المسلمين اسعاف فيحصل بجملتها الانتفاع وتطيب بمجاورتها الاسماع وانا ذاكرها ومثبت عددها ليعرفها من احب ان يعددها فمن ذلك ماهو فى الجانب القبلى • قناة ابن الفاخورى عند مسجد السقطيين وباب الجابية لها وقف • قناة عند باب درب القطاعين تجديد الملك العادل • قناة فى اول القصاعين قناة ثانية وقناة ثالثة • قناة عند سقاية الشيخ • قناة فى القيسارية الفخرية قناة القلانسيين برأس الخواصين لها وقف • قناة فى درب السوسى عند سوق على • قناة عند طرف سوق على وطرف المقسلاط يعرف بالجلادين لها وقف • قناة عند السجن الجديد والفنادق انشأها الملك العادل • قناة عند مسجد واثلة تعرف بحسين الشنباشى وقد كانت خربت فعمرها هو • قناة الزلاقة لها وقف • قناة عند حمام ابى نصر • قناة الطويلة عند حمام ابن ابى نصر • قناة عند طرف سوق الصرف لها وقف • قناة ابن القصيمة فى السوق الكبير عند رأس البزوريين بدرب الريحان • قناة الملح عند رأس طريق الجلادين لها وقف قناة فى سوق البزوريين فى الفندق • قناة عند فندق البيع • قناة فى درب القرشيين • قناة فى درب الناقديين وهناك قناة ثانية • قناة فى درب البقل تعرف بابن عنقود • قناة فى حارة الخاطب تعرف بابن عبد الرزاق المحتسب • قناة اخرى داخل حارة الخاطب • قناة عند حمام الجبن • قناة سوق اللؤلؤ • قناة المناخليين والابارين فى سوق الطير بناها ابن الحاج لها وقف • قناة ابن شفون فى درب فى طرف سوق اللؤلؤ • قناة الشلاع عند دار البطيخ • قناة فى اول درب الفراش قناة ثانية وثالثة فيه • قناة تحت الكوشك • قناة درب العلف • قناة سويقة كنيسة مريم • قناة درب الحجر وفيه قناة ثانية • قناة العميد بن الجسطار عند مسجده • قناة فى السويقة الباب الشرقى عند درب الدارانى • قناة داخل الباب الشرقى • قناة اخرى خارج هذا الباب ملاصقة للباشورة هذا ما كان موجودا فى الجانب القبلى واما ما كان موجودا فى الجانب الشآمى فهى فى درب الشمارين وفى درب الهاشميين عند الحمام وعند ارجكة اثنتان وفى القلعة المحروسة عند

الباب وفى قبلى القلعة فى اول درب اللبان عند القيسارية وفى فندق من غربى الدرب المذكور وواحدة فى طرف درب اللبان ومدرسة اكبر انشأها الملك العادل وعند المدرسة المذكورة تعرف بقناة السباع وبقرب آخر زقاق اللبان بقرب حجر الذهب وفى رأس درب الانصار وعند المدرسة المعينية وعلى باب حمام القصير وعند الطاحون وقناة اخرى بالقرب منها وقناتان فى الاقبريس وقناة اخرى هناك وقناة بزان الكردى عند باب مدرسته وعند باب الخضر عند المدرسة الامينية وفى داخل الخضراء تحت المنارة الشرقية وفى باب البريد وعند باب الجامع الغربى عند سقاية باب البريد وعند الطرايقيين تحت المنارة الغربية وعند البيمارستان وبقربها ايضا وفى سويقة باب البريد وقناة بقربها ايضا وعند رباط النساء وعند حمام العقيق وفى دهليز الشنباشى وعند الفرن وفى مسجد باب الفراديس داخل الباب وهناك قناتان ايضا وقناة النطافين على باب الجامع وبجانبها ايضا بالقرب منها وداخل دار السميساطى وداخل درب بوقة عند باب النطافين قناة خربوز عند مدرسة الحنابلة وفى سوق القمح لها وقف وفى درب الريحان فى درب قليد وفى سوق ام حكيم وهو سوق العليس وفى الرحبة وفى زقاق العجم لها وقف وفى مشهد الرأس على باب الجامع وفى جيرون وتعرف بقناة القنا لها وقف وقناتان فى درب كشك ويليهما ثالثة وفى درب خفيف وفى سقيفة القطى عند المدرسة وقناة اللحامين عند باب جيرون وفى عقبة الصوف وعند باب قيسارية الفرا وقناة على المزدقانى وبالقرب منها ايضا وقناة سمنديار وعند مسجد الاذرعى وفى زقاق صفوان وهناك قناتان ايضا وفى طرف الاساكفة العتق وفى رأس سوق الاحد قناتان وفى داخل باب السلامة كذلك وفى سوق الغزل العتيق لها وقف وقناة ابن ابى الحديد وفى الفورق وعلى باب الجينيق وفيه قناة ثانية وهناك قناتان آخريان وفى درب العلوى النافذ الى المربعة وفى رحبة خالد بن اسيد وقناة المنحدرة والزينبى فى سويقة باب توما وعند مسجد صعلوك وداخل باب توما وقناة النبطيين فهذه فى البلد ومبلغها مائة ونيف وثلاثون وفى ظاهر البلد من القبلة قناة عند جسر سوق الدواب وعلى الباب الصغير وفى الشاغور ومن شماله قناة على باب توما ملاصقة للسور وعند الجسر والسبع انابيب وكان

فيها اربعة عشر انبوبا وعند مسجد القصب وعلى باب الفراديس عند السقاية وفى عقب الجسر مقابل مسجد بزان وفى وسط العقيبة وعلى باب مسجد فيروز وفى وسط مقبرة باب الفراديس وثانية بقرب منها وعند حمام راهب فى العقيبة وعند مسجد الوزير من غربيه وفى مسجد الجنان وعلى بابه وعلى باب الجابية ملاصقة للباب وفى قصر حجاج فهذه القنى التى هى خارج البلد

فاما الحمامات فحمام القلعة وحمام القاضى عند باب الجابية وحمام داخل القصاعين وداخل درب الهاشميين وحمام القصير وحمام جاروخ وحمامات الشريف العقيق والديوان والقلانسيين عند القيسارية الفخرية والاكافين الذى فى سوق على وحمام نور الدين فى سوق القمح وهو البزورية وخلف سويقة الباب الصغير وحمام درب النخلة عند الباب الصغير وقفه نور الدين وحمامات سويد والسلم فى زقاق السلم عند المسلخ ودرب البقل والرحبة وباب النطافين يعرف بالمؤيد وحمام الى جانبه يعرف بالسلارية وحمام خفيف فى درب خفيف يعرف بقرب باب الفراديس وحمام ابن كلى والنحاسين بقرب سقيفة كروس وآخر وبالقرب منه مثله وفى درب الجبن خلف الحدادين وفى درب الحباليين وفى الحريريين خلف سوق المطرزين وفى المطرزين وحمام اللؤلؤة وكان يعرف بحمام البزيديين وعند منارة فيروز وعند كنيسة مريم وعند درب الحجر وعند رأس قنطرة سنان وبقرب كنيسة مريم وبقرب سقيفة جناح وعلى المنجنيق عند الباب الشرقى وعند باب توما وهناك حمام آخر وحمام الاسد على باب الجابية وحمام فى العقيبة وحمام ابن زاكى وتوماس بقرب الرحا البرمكية وعند عونية القصارين وحمام راهب الكلاس وآخر بقرب عونية الحمى وعند رأس بستان بكجور وآخر الى جانبه وحمامان عند عين كشمليين خارج باب السلامة وآخر خارج باب توما وحمام ابن عبادة فى الشاغور ايضا وحمام القصر بالنيرب الاسفل وحمام ابن العفيف بوادى النيرب فبلغها سبعة وخمسون حماما سوى حمامات القرى

باب ما ورد عن الحكماء والعلماء بمدح دمشق بطيب الهواء وعذوبة الماء

قال وهب لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض لم يسأل الا عن

غوطة دمشق وعن جنتي سبا وكان الرشيد يقول الدنيا اربعة منازل قد نزلت ثلاثة منها احداها الرقة والآخر دمشق والآخر الرى فى وسطه نهر على جنبتيه اشجار ملتفة متصلة وما بينها سوق والمنزل الرابع سمرقند وهو الذى بقى علىّ لم انزله وارجوان لا يحول الحول فى هذا الوقت حتى احل به فما كان بين هذا وبين ان توفى الا اربعة اشهر فقط وقال احمد بن الخير الوراق الدمشقى لم تزل ملوك بنى العباس تخف الى دمشق طلبا للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين فى سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبنى القبة التى فى اعلى جبل دير مران وصيرها موقدا يوقد فى اعلاه النار لكى ينظر الى مافى عسكره اذا جن عليه الليل وكان ضوءها وضياءها يبلغ الى ثنية العقاب والى جبل الثلج وقال الفضل بن مروان ان امير المؤمنين المأمون صار الى دمشق وهو رقيق فغلظ واخذ بعض اللحم وكان اكله قبل ذلك ثمانى عشرة لقمة فى كل يوم فلما اقام بدمشق صار اكله اربعا وعشرين لقمة فى كل يوم فزاد الثلث قال محمد بن طيفور ويقال ان المأمون نظر يوما من بناء كان فيه الى اشجار الغوطة وبناتها فحلف بالله انها خير مغنى على وجه الارض فقال فى هذا بعض الشعراء

نظر المأمون يوما	من دمشق من مبانى
فى رياض موفقات	بين اشجار حسان
فشى شوقا اليها	ضاحكا بين غوانى
ثم آلى بيمين	انها خير المغانى (١)
فرشت بالنور فرشا	تحت ظل وسوانى (٢)
اخضر رفا رفيفا	جاره احمر قانى (٣)

ويقال ان المأمون قال يوما عجبت لمن سكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الانيق الذى ليس يخلق مثله فقال فى ذلك بعض مؤلفى الكلام الحسن

---

(١) آلى حلف والمغانى المواضع التى كان بها اهلوها (٢) النور بفتح النون الزهر والسوانى جمع سانية الناضحة وهى الناقة التى يستقى عليها (٣) الرفرف الثياب الخضر والقانى شديد الحمرة

ليس في الدنيا نعيم غير سكنى في دمشق
تنظر العينان منها منظرا ليس لخلق
جنة يفجر منها ماء عين ذات دفق

وقال محمد بن ابي طيفور بلغني ان المأمون كان بدمشق في طارمة له والثلج يسقط عليه فاصحر يده للثلج ساعة التذاذا به وقال القاضي يحيي بن اكثم كنت بدمشق مع المامون وحضرت طعامه فقدم اليه طعام كثير من الفراريج فجعل الميمون يأكل منها ويتمطق ويتلمظ ويتبسم وانا لا ادري ما مقصده بتلمظه فلما استحكم له طعم الفراريج وبلغ نهاية الاستمام الى غايته في ذوقه نظر الى الطباخ فقال باى شئ سمنت هذه الفراريج وبم طيبتها فقال الطباخ هذه راعية دمشق لم تسمن ولم تطيب فقال لى ما طعم من طعام الطير ولا ريح من روائح العذبة الا وقد خيل لى انه في هذه الفراريج هذا والله ارخص لحما واطيب طعما وريحا من مسمن كشكر ثم قال او ما علمت ان فراريج كشكر فيها ثقل كشكر وروائح اجامها كانها من طير الماء وفيها طعمه فاذا لم تعالج بالابازير وتطيب بالطيب وتروى بالزيت المغسول لم يمكن النظر اليها فضلا عن اكلها وهي اذا عوينت بما وصفت وعولجت بقي فيها بقايا سنخها ولئن رجعت الى العراق لا ذقت منها شيئا البتة وقال المعتصم ما شبهت ساكن دمشق الا بالصائم في شدة الكلف الى الطعام فانه جائع ابدا فقيل له يا امير المؤمنين فنعمت النعمة هذه فقال نعم هي خير بقاع الارض الا انها تورث الشدة وقال الاصمعي احسن الدنيا ثلاثة نهر الابلة وغوطة دمشق وسمرقند وقال حشوش الدنيا ثلاثة عمان واردبيل وهيت وقال ايضا جنان الدنيا في ثلاثة مواضع نهر معقل بالبصرة ودمشق بالشام وسمرقند بخراسان وقال ايضا جنات الدنيا ثلاث غوطة دمشق ونهر سمرقند ونهر الابلة وقيل في الدنيا ثلاث جنان مرو من خراسان ودمشق من الشام وصنعا من اليمن وجنة هذه الجنان صنعا وقال بعض علماء المغاربة قال بعض الشرقيين ان الله اسكن آدم بناحية كيكدر من كورة الصين قال وهي التي تعرف في زماننا بمدينة لغبور ويقولون ان الصين اطيب البلاد واما الذي عليه العامة في الشق الغربي ان اطيب البلاد صنعا من اليمن ودمشق من الشام والرى من خراسان ونجران من الحجاز قال الوليد بن

عبيد البحترى

قد رحلنا عن العرا ق وعن قيظها الرمد
حبذا العيش فى دمشـ ـق اذا ليلها برد
حيث يستقبل الزما ن ويستحسن البلد
سفر جددت لنا اللهـ ـو ايامه الجدد
عزم الله للخليـ ـفة فيه على الرشد

وفى دخول المتوكل دمشق يقول البحترى

العيش فى ليل داريا اذا بردا والراح نمزجها بالماء من بردا
قل للامام الذى عمت فواضله شرقا وغربا فما نحصى لها عددا
الله ولاك عن علم خلافته والله اعطاك ما لم يعطه احدا
وما بعثت عتاق العيس فى سفر الا تعرفت فيه اليمن والرشدا
اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسى السحاب على اجبالها فرقا ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا او يانعا خضرا او طائرا غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيئته او الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال ابو بكر احمد بن محمد بن الحسن الحلبي المعروف بالصنوبرى

امر بدير مران فاحيا واجعل بيت لهوى بيت لهيا
وتبرد غلتى بردا فسقيا لا يامى على بردا ورعيا
تفيض جداول البلور منها خلال حدائق ينقن وشيا
فمن تفاحة لم تعد خدا ومن رمانة لم تعد ثديا
ونعم الدار داريا ففيها صفالى العيش حتى صار اريا (١)
ولى فى باب جيرون ظباء اعاطيها الهوى ظبيا فظبيا
صفت دنيا دمشق لمصطفيها فلست اريد غير دمشق دنيا

وفى بعض الروايات بدل صفت . هى الدنيا دمشق لساكنيها وقال عبد المحسن الصورى

---

(١) الارى العسل

كان ذم الشام مذ كنت شانى فنهتنى عنه دمشق الشام
بلد ساكنوها قد جعلوا الجنـ ـة قبل الحساب دار مقام
البستها الايام رونق حسن ليس يفنى ولا مع الايام
ظاهر ظاهر الجمال كما البا طن خلقاهما معا فى تمام
غير ان الربيع يحكم فى الظا هر اذ كان من اوضع الاحكام
برياض اوصافها ابد الدهـ ـر براها رياضة الافهام
نثرت كلها يد الغيث فيها فافانين زهرها فى انتظام
لم تفضل بطيبها جنة الخـ ـلد عليها بل فضلت بالدوام
قسمت بين اهلها قسمة العد ل فعمتهم بذا الاقسام

وقال ابو المطاع ذوى القرنين ابو الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي

انى حننت حنين مكتئب مترادف الاحزان والكرب
متذكر فى دار شقوته دار النعيم ومنزل الطرب
جمعت مآرب كل ذى ارب فيها ونخبة كل منتخب
فهوائها تحيا النفوس به وترابها كالمسك فى الترب
تجرى بها الامواه فوق حصا كرضاب ثغر بارد شنب (١)
من كل عين كالمرآة صفا او جدول كمهند القضب
يشتق اخضر كالسماء له زهر كمثل الانجم الشهب
هذا ومن شجر تعطفه يحكى انعطاف الخرد العرب (٢)
عشنا به زمنا بلذته فى غفلة من حادث النوب
فى فتية فطنوا لدهرهم فتناولوا اللذات من كثب (٣)
ما شئت من جود ومن كرم فيهم ومن ظرف ومن ادب
متواصلين على مناسبة بالفضل تغنيهم عن النسب
كم روحة بدمشق روحت بهم والشمس قد كادت ولم تغب
فكأنما صاغ الاصيل بها لقصورها شرفا من الذهب

---

(١) الثغر ما تقدم من الاسنان والشنب الحدة فى الاسنان وقيل برد وعذوبة (٢) الخرد جمع خريدة وهى البكر التى لم تمس والعرب جمع عروب وهى العروس المحببة الى زوجها (٣) من كثب اى من قرب

وممـا قال ايضا فى دمشق

سقى الله ارض الغوطتين واهلها فلى بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم المـاء الا استخفنى الى برد ماء النيربين حنين
وقد كان شكى فى العراق يروعنى فكيف اكون اليوم وهو يقين
فوالله ما فارقتكم قاليـا لكم ولكن ما يقضى فسوق يكون

وممـا قاله فيها ايضا

دعانى من اطـلال برقة ثهمد ولا تذكرا عيشـا بصحراء اربد
فما لى من وجد بنجد واهلها ولا بى من شوق الى ام معبد
محلة بؤس لا الحياة لذيذة لديها ولا عيش الكريم بارغد
عدتنى عنها من دمشق وارضها مرابع ليس العيش فيها بانكد
اناجى نسيم الغوطتين معطرا بانفاس زهر فى الرياض مبدد
يمر على اذكى من المسك نفحة ويجرى على ماء من الثلج ابرد

وقال ابو المظفر محمـد بن اسـد العراقى الحنفى الفقيه

دع الرسـم لاح على نيرب وعج بالمحصب والاخشب
فثم التى همت من اجلها وضاقت بك الارض عن مذهب
هى الريم ما رمت عن حبهـا ولا رمت غير هوى الملعب
ومن يتنـاسى هوى داره ويرغب عنها وفيهـا ربى
وهل يتـدى بمحـل مجدب ويبدل بالعشب المخصب
وقفت بها ذاكرا لعهـودها اسـائل فى الربع عن زينب
واعتب من هى مشـدوهة (١) عن العتب والعـاتب المغضب
بوجه كصبح بدا مشـرقا وشـعر تجعد كالغيهب
تقول وفى قولها منـة تأن على ولا تعتب
الست ببغـداد عاهدتنى وكنت بها المترف المستبى
فابعـدت عنها على غرة ولم تدر بعـدك ما حل بى
فقلت اجل انها جنـة وما ذمها قط الا غبى
ولكن دعانى الى تركها محاسن تبهر بالنيرب

---

(١) مشدوهة مشـغولة

وبالمزة الجنة المستلذ بها العيش والشرف المجب
وبالسهم ذى الثمر المشتهى لجانبه والمشمش الطيب
ترنم من فوق اشجاره طيور بلحن لها مطرب
فكم بلبل هاج بلبالنا وكم من هذار ومن احظب
وكم معرب فيهم عن شجى وكم من مغن ومن مغرب
بصوت له مستلذ غدا بديع الترنم مستعذب
لازهارها نشر مسك اذا نسيم بها هب او زرنب
وانهار جلق تجرى الى مسا كنها عذبة المشرب
تعين فتى جن من مذهب جنون المهوس والمذهب
وجامعها ماله مشبه بشرق البلاد ولا مغرب
كمثل اهلها ليس مثل لهم لدى القسط فاطرب امهم واعجب
اذا وصفت المرء ما فيهم من الدين والخير لم يكذب
فلا تطمعن فى فراقى لهم فتلك طماعية الاشعب

وقال عبد الله الشهير بابن النقار الحميرى الكاتب

سقى الله ما تحوى دمشق وحياها فما اطيب اللذات فيها واهناها
نزلنا بها فاستوقفتنا محاسن يحن اليها كل قلب ويهواها
لبسنا بها عيشا رقيقا درائه ونلنا بها من صفوة اللهو اغلاها
ولم يبق فيها للمسرات بقعة يفرح فيها القلب الا نزلناها
وكم ليلة نادمت بدر تمامها تقضت وما ابقت لنا غير ذكراها
فآها على ذاك الزمان وطيبه وقل له من بعده قولتى آها
فياصاحبى اِنّما حملت تحية الى دار احباب لنا طاب مغناها
وقل ذلك الوجد المبرح ثابت وحرمة ايام الصبا ما اضعناها
فان كانت الايام انست عهودنا فلسنا على طول المدى نتناساها
سلام على تلك المحاسن انها محط صبابات النفوس ومثواها
رعى الله اياما تقضت بقربها فما كان احلاها لدينا وامراها

وهذا باب لو استقصيته لطال واكسب قارئه الملال وفى ذكر هذا القدر ما يدل منها على جلالة القدر وقد جمع الامير ابو الفضل اسماعيل بن الامير

ابى العساكر سلطان بن على بن منقذ الكنانى فى قصيدة له طواها محاسن دمشق التى ذكرها غيره من الشعراء فاخلها فاتى بها مستقصاة وفصلها فشرفها عما قال فيها وجلها وهى هذه

يا زائرا يزجى القروم البزلا (١) ... دع قصد بغداد وخل الموصلا
لا تزجها اسوى دمشق فانه ... سيطيل حرا من تعدى المفصلا
بلد جلى صدأ الخواطر فانثنت ... كالمرهفات البيض وافت صيقلا
عوضته عن موطنى فوجدته ... احلى واعذب فى الفؤاد واجملا
لم التمس فيه لجسمى منزلا ... حتى وجدت له بقلبى منزلا
ذو ربوة جاء القرآن بذكرها ... ومساجد بركاتها لن تجهلا
ومدارس لم تأتها فى مشكل ... الا وجدت فتى يحل المشكلا
ما امها مرء يكابد حيرة ... وخصاصة الا اهتدى وتمولا (٢)
وبها وقوف لا يزال مغلها ... يستنقذ الاسرى ويغنى العيلا (٣)
وائمة تلقى الدروس وسادة ... تشفى النفوس وداؤها قد اعضلا
ومعاشر تخذوا الصنائع مكسبا ... وافاضل حفظوا العلوم تجملا
وقبور قوم من دعا فى مطلب ... متعسر اضحى بها متسهلا
من صالحين وتابعين وزمرة ... شهداء شاهدت النبى المرسلا
قد حوا بزند هدى تطاير سقطه ... رشدا فاوعر فى البلاد واسهلا (٤)
وجحافل توفى على عدد الحصا ... تذر المحرم بالسيوف محللا (٥)
لم يعل من رهج عليها عارض ... الا اراك القطر نيلا مرسلا (٦)
تخشى جموع الشرك واحدها ولا ... لوم لسرب قطا تخشى اجدلا
كم احرزوا مصرا واردوا باسلا ... وحووا مطهمة وحازوا مطفلا (٧)

(١) يزجى يسوق والقروم جمع قرم وهو البعير المكرم لا يحمل عليه والبزل جمع بازل وهو البعير الذى تم له ثمانى سنين ودخل فى التاسعة وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوته ويقال له بازل عام وبازل عامين (٢) امها قصدها والخصاصة الفقر وتمولا صار صاحب مال (٣) العيل كثير العيال (٤) الزند العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى وسقط النار ما يسقط منها عند القدح واوعر واسهل سلك الوعر والسهل (٥) الجحافل الجيوش وتوفى تزيد (٦) الرهج بفتحتين الغبار والعارض الغيم (٧) المطهمة البارعة الجمال والمطفل كمحسن ذات الطفل من الانس والوحش

ورموا عقيرا بالصعيد مزملا وحووا اسيرا بالحديد مكبلا (١)
ومغل حوران كسيل دافق يأتم من ارجاء جلق موجلا (٢)
وتكاثرت فيها القنيّ فغادرت للواردين بكل درب منهلا
وكان جامعها البديع بناؤه ملك يميز من المساجد جحفلا
ذو قبة رفعت فضاهت قلة ومنابر بنيت فحاكت معقلا
تبدو الاهلة فى اعاليها كما يبدو الهلال تعاليا وتهللا
ويريك سقفا بالرصاص مدثرا يعلو جدارا بالرخام مزملا
قد الف الاقوام بين شكوله فغدا الرخام بذاته متشكلا
لم يرض تجليلا بجص فانبرى بالفص يعلوه النضار مجللا (٣)
يغشى سوام اللحظ فى ارجائه من عسجد ارضا ومن فص خلا
فاذا تذر الشمس فيه تخاله يلقى تألق او حريقا مشكلا (٤)
فكأنما محرابه من سندس او لؤلؤ وزمرد قد فصلا
تلى القرآن به وراع بحسنه فهدى المصيخ وحير المتأملا
وجداره القبلىّ رام بناؤه هود فجاب له الصخور واثلا (٥)
وتخال طاقات الزجاج اذا بدت منه للحظك عبقريا مسدلا
وهوى اليه رأس يحي بعد ما غشاه من هوى الحديدة منصلا
واتاه كهلا جده بقضاء من اتاه حكما قبل ان يتكهلا
وترى صبيحة كل يوم زمرة فى السبع يتلون الكتاب المنزلا
وبخط ذى النورين فيه مصحف يجد الهداية من قراه ومن تلا
وله مصابيح لهن سلاسل تحكى الاسنة والرماح الذبلا
تبدو القباب بصحنه لك مثلما تبدو العرائس بالحلى لتجتلا
وعلت به فوارة من فضة سالت فظنوها معينا سلسلا
وببابه حركات ساعات اذا فتحت لها باب تراجع مقفلا
ويريك باريها وكل قد رمى من فيه يقذفه يصيب سجنجلا

---

(١) العقير الجريح والصعيد التراب والمزمل المغطى والمكبل المقيد (٢) يأتم يقصد والارجاء الناحية والموجل الموضع (٣) النضار الذهب (٤) تذر الشمس تلقى شعاعها عليه (٥) جاب قطع واثل بنى اصله

يحوى اذا متع النهار معاشرا   شتى الخلائق والطرائق والحلا (٢)
فاذا دجى لم يحو الا خاضعا   متوكلا او خاشعا متبتلا
او خاليا متفكرا او قارئا   متبصرا او داعيا متوسلا
كل امرئ منهم تراه بمعزل   ومحله يعلو السماك الاعزلا
وترى السفيه اذا الخصام علا به   مثل الظليم رأى النعيم فارفلا
واذا مررت على المنازل معرضا   عنها قضى لك حسنها ان تقبلا
ان كنت لا تستطيع ان تتمثل الـــفردوس فانظرها تكن متمثلا
واذا عنان اللحظ اطلقه الفتى   لم يلق الا جنة او جدولا
او روضة او غيضة او قبة   او بركة او ربوة او هيكلا
او واديا او ناديا او ملعبا   او مذهبا اومجدلا او موئلا
او شارعا يزهو بربع قد غدا   فيه الرخام مجذعا ومفصلا
وفواكه متخالف اصنافها   مما يشوقك مطعما وتأملا
مصفر تفاح بدا فى احمر   يحكى المحب اتى الحبيب مقبلا
والورد مثل الخد يعلوه من الـ   ريحان صدغ شعره قد رجلا
وبنفسج كنفاضة من اثمد   تبديه اجفان البكاء تذللا
وتخال نور الباقلاء اذا بدا   للواحظ الابصار طرفا احولا
نشرت مطارفه وجاءك نشرها   فحسبتها وشيا تارج مندلا (١)
ويهز من نسيمها اشجارها   فتخال غادات تشكت افكلا (٢)
وعلت غصون خلافه محمرة   وهفت بها ريح فضاهت مشملا (٣)
واذا البلابل اسمعت ترجيعها الـــسالى تراجع وجده فتبلبلا (٤)
ومتى هوى ورق الغصون وجدته   ذهبا وكان زمردا لما علا

---

(١) يقال متع النهار اذا طال وامتد (٢) المطارف جمع مطرف بكسر الميم وفتحها وضمها رداء من خز مربع له اعلام اى علامات بالطرز والنشر الرائحة الطيبة والوشى نقش الثوب ويكون من كل لون والارج توهج ريح الطيب والمندل عطر ينسب الى بلد بالهند يقال لها مندل (٣) الافكل الرعدة التى تعلو الانسان من البرد والخوف (٤) الخلاف شجر الصفصاف وهفت الريح بها حركتها (٥) والبلابل جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت ويسميه اهل الحجاز النغر والتبلبل الهم والوسواس

وكان واديها قراب اخضر ... يستل من بردا حساما منصلا (١)
والمرج والميدان ما هو لان من ... اسد الشرى ائتلفوا بغزلان الفلا
متماثلان وكل مثل منهما ... تلفيه من باقى البسيطة امثلا
وكأنه من قوم كسرى اذ غدا ... بلباسهم متازرا متسربلا
ولطالما عاينت فى قطريهما ... خيلا روائع او خميسا مرفلا
والشمس تبغى بالهلال النجم والضرغام يجتنب الغزالة والطلا (٢)
وعلا عليها قاسيون كأنه ... بنساه تاج بالجواهر كللا
دع ذا وخذ فى وصف مشمشها الذى ... اضحى على رطب العراق مفضلا
ولو ان قارونا شراه بكل ما ... جمعت يداه من الكنوز لما غلا
لفحته نيران الهواجر فاغتدى ... كالجمر الا انه لا يصطلا
خلع النضاج عليه اون مملل ... او مغرم فابى له ان يخلا
وتخالفت افعاله فتحيرت ... الباننا فغدا العيان تخيلا
تجنيه ايدى القوم جمرا مضرما ... فيعود فى الافواه ماء سلسلا
فاذا رآه الناس فى اغصانه ... قالوا نجوم دجنة لن تأفلا (٣)
ضاهت بواطنه الظواهر لذة ... وعهدته عسلا تضمن حنظلا
ولو انها ما جملت بصفاتها ... افدا لها من اهلها ما جملا
ان فاق اول عصرها فاخيره ... يحلو لهم فيها يفوق الا ولا
قد برزوا فى المأثرات واحرزوا ... قصب المفاخر وارتقوا درج العلا
ومحى الاخاء حقودهم فكأنما ... طالعفا بين الدخول وحوملا (٤)
كلفوا بتجديد المودة والندى ... لما رأوا ان الجديد الى بلا
فترا كضوا خيل السماح بدعوة ... اضحى دخان العودفيها القسطلا (٥)
من كل فاد عرضه بنضاره ... يذر المؤمل راحتيه مؤملا (٦)
يبدى ندى يغنى وحلما راجحا ... وتحية ترضى وقولا فيصلا

(١) حساما منصلا اى مخرجا من قرابه (٢) الطلا ولد الظبية ساعة يولد والصغير من كل شىء (٣) الدرجة الظلمة والدياجى الليالى المظلمة (٤) الطلل ما شخص وارتفع من اثار الديار وعفا درس وكان يمحى والدخول وحومل اسما موضعين (٥) القسطل الغبار يريد انهم بدلا من ان يطاردوا خيول الكفاح تطاردوا بالمسابقة الى السماح فاثاروا دخان العود بدلا من الغبار (٦) النضار الذهب ويذر يترك

نعم الجليس فان غدا في خلوة ... فكأنه فيها يجالس محفلا
مقت الروافض والخوارج واثنى ... يحبوا القرابة والصحابة بالولا
متمسكا بالسنة البيضاء قد ... اضحى لها متقبلا متبتلا
ولقد وجدت لها معانى جمة ... لكن وجدت جوى احر المقولا (١)
نزلت على جبال هم اقلقت ... قلبي فلا اوم له ان اجبلا (٢)
ان الزمان ادار لى من ريبه ... كاسا جرعت بها السمام مثملا (٣)
ما زال يطرقنى بيوم ايوم ... حتى رأيت الصبح ليلا اليلا (٤)
واذ غدا فكرى اغم مجلجا ... لم يغد لى الشقرا اعز محجلا (٥)
اهوى لنظمى ان يكون منخلا ... والهم يأبى ان يجيء منخلا (٦)
تالله لست بامن وصفها ... خطلا ولو انى فضلت الاخطلا (٧)
لما اتانى الامر منك بوصفها ... بادرت متمثلا له متقبلا
ووجدت الزامى بذاك من الاسى ... عبأ فرحت به حسيرا مثقلا
فابسط بفضلك عذر خلك ان بدا ... زلل فانك لم تزل متفضلا
وغريب وصفي قد اتاك مفصلا ... وسواه لا يأتيك الا مجملا

باب ذكر تسمية ابوابها ونسبتها الى اصحابها واربابها

(الباب القبلي) المعروف بالباب الصغير سمى بذلك لان كان اصغر ابوابها

(١) يريد انه وجد لدمشق معانى كثيرة غير هذه ثم اعتذر عن عدم نظمها بانه يقاسى جوى وشدة يجعلان القول حارا ثم ركن الى الاعتذار فى الابيات التى بعد هذا (٢) يقال اجبل الشاعر افحم وصعب عليه القول فصار لا يبدى ولا يعيد والمعنى ان جبال الهم التى نزلت به صيرت عليه القول صعبا وافحمته فلا اوم عليه ان قصر (٣) المعنى جرعته كؤوس سم قد نقع فى الاناء فبقى مترو كافى الانقاع اياما حتى اختمر وبذلك فسر الزمخشرى المثمل (٤) يعبر عن الشدة باليوم فيقولون يوم ايوم اى شديد كما يقولون ليلة ليلاء (٥) المعنى اذا كان فكرى كالفرس الاغم وهو الذى سال شعره حتى ضاقت جبهته والاجلح هو الذى انحسر شعره عن جانبى رأسه وهما غير محمودين فى الخيل فان الشقراء ذلك المتوء الجميل لم يرجع فكرى كانه فرس اغر محجل اى لم تجعله سابقا (٦) المعنى اريد نظمى ان يكون خالصا مطربا ويأبى لى الهم خلوصه (٧) الخطل المنطق الفاسد المضطرب والاخطل شاعر مشهور

حين بنيت (١) (الباب الذى يليه) من القبلة بشرق يعرف بباب كيسان ينسب الى كيسان مولى معاوية وحكى هشام بن محمد الكلبى انه منسوب الى كيسان مولى بشر بن عبادة بن حسان بن حبار بن قرط الكلبى (٢) وهو الآن مسدود (الباب الشرقى) سمى بذلك لانه شرقى البلد (٣) وكان ثلاثة ابواب باب كبير فى الوسط وبابان صغيران من جانبيه سد منهما الكبير والصغير الذى من قبلته وبقى الباب الشمالى (باب توما) من شمالى البلد (٤) وينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعد مسجدا (باب الجينيق)من الشمال ايضا منسوب الى محلة الجينيق وهى محلة كبيرة كان بها كنيسة فجعلت بعد مسجدا وهو الآن مسدود (باب السلامة) فى شمال البلد ايضا سمى بذلك تفاءلا لانه لا يتهياء القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الانهار والاشجار (٥) (باب الفراديس) (٦) من شمال البلد ايضا منسوب الى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس وهى الآن خراب وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد والفراديس بلغة الروم البساتين (باب الفرج) من شماله ايضا (٧) وهو محدث احدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاءلا لما وجد من الفرج بفتحه وكان بقربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة ثم سد بعد واثره باق فى السور (باب الحديد) من شماله ايضا هو الآن خاص للقلعة التى احدثت غربى البلد فى دولة الاتراك سمى بذلك لانه كله حديد فقيل الباب الحديد ثم تركت الالف واللام تخفيفا (باب الجنان) من غربى البلد سمى بذلك لما يليه من الجنان وهى البساتين وقد كان مسدودا ثم فتح (٨) (باب الجابية) (٩) من غربى البلد منسوب الى قرية الجابية لان الخارج اليها يخرج منه لكونه مما يليها وكان ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران على مثال ما كان عليه

(١) هو باب الشاغور (٢) والنصارى يسمونه باب بولس ويقولون انه دلى نفسه من نافذته هربا من الاضطهاد (٣) وهو من عهد الرومان وباب كيسان بالقرب منه (٤) رممه الامير تنكز سنة ٧٢٤ (٥) يقال له الآن باب السلام رمم سنة ٦٤١ [٦] هو باب الحديد الموجود فى محلة العمارة [٧] هو الذى بالبوابجية وقد رمم سنة ٦٠٦ كما هو مؤرخ به [٨] كان يقال له باب السرايا وقد هدم سنة ١٢٨١ ه او ١٨٦٣ م عند اصلاح الطرق [٩] رمم سنة ٥١٥

عليه الباب الشرقي وكان من الثلاثة ابواب ثلاثة اسواق معقدة من باب الجابية الى الباب الشرقي فكان السوق الاوسط منها للناس واحد السوقين لمن يشرق بدابة والآخر لمن يغرب بها حتى انه كان لا يلتقي فيها راكبان فسد الباب الكبير والشمالي منها وبقي القبلي الى الان وفي السور ابواب صغار غير ماذكرنا تفتح عند وجود الحاجة اليها منها باب في حارة الحاطب يعرف بباب ابن اسماعيل وباب في المربعة

(باب ذكر فضل مقابر اهل دمشق وذكر من بها من الانبياء واولي السبق

زعم كعب الاحبار ان مقبرة باب الفراديس يبعث منها سبعون الف شهيد يشفع كل انسان منهم في سبعين والله اعلم ولا يخفى ان مثل هذا يحتاج الى خبر صحيح ممن لا ينطق عن الهوى وزعم كعب هذا ايضا ان بطرسوس من قبور الانبياء عشرة وبالمصيصة خمسة وهي التي يغزوها الروم في آخر الزمان فيمرون بها فيقولون اذا رجعنا من بلاد الشام اخذنا هؤلاء اخذا فلا يرجعون الا وقد تخلفت بين السماء والارض والله اعلم بما يقوله وقال ايضا وبالثغور وانطاكية وبحمص ثلاثون قبرا وبدمشق خمسمائة قبر وببلاد الاردن مثل ذلك ويروى عنه ان بالسواحل الف قبر و بالاردن مثلها وكذلك بفلسطين وببيت المقدس وبالعريش عشرة وزعم ايضا ان قبر سيدنا موسى عليه السلام بدمشق ويروى عن عبد الله بن سلام انه كان يقول ان بالشام من قبور الانبياء الفي قبر وسبعمائة قبر وقبر موسى بدمشق وان دمشق معقل الناس في آخر الزمان من الملاحم وقال ابن عباس من اراد ان يرى الموضع الذي قال الله فيه واويناهما الى ربوة ذات قرار معين فليات النيرب الاعلى بدمشق بين النهرين وليصعد الى الغار الذي في جبل قاسيون فيصلي فيه فانه بيت عيسى وامه وقد كان معقلهم من اليهود ومن اراد ان ينظر الى ارم فليات نهرا في دمشق يقال له بردا ومن اراد ان ينظر الى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون فليات مقبرة الفراديس (١)

(١) هي المقبرة المسماة بالدحداح

وهى مقبرة دمشق وفيها قبور جماعة من الصحابة الاخيار ٠ وقد جاء فى فضل المقابر التى بدمشق من الاخبار ماروى عن اوس بن عبد الله بن بريدة عن ابيه مرفوعا من مات من اصحابى بارض فهو قائدهم يوم القيامة وفى رواية ايما رجل من اصحابى مات ببلدة فهو امامهم يوم القيامة واسناد هذه الرواية غريب ورجالها كلهم مراوزة وفى رواية مامن احد من اصحابى يموت بارض الابعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وروى مرسلا وهو اصح وقد روى عاليا من طرق متعددة منها عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وزاد فيه وبعثه الله يوم القيامة سيد اهل ذلك البلد وقال سعيد بن عبد العزيز ان المسلمين انشبوا القتال من جهة الباب الشرقى يوم نزولهم على دمشق فقتل ناس من المسلمين فدفنوا فى مقبرة باب توما فهى اول مقبرة بدمشق للمسلمين وقال ابو زرعة الدمشقى رايت اهل العلم ببلدنا يذكرون ان بمقبرة دمشق من الصحابة الكرام بلالا مولى ابى بكر وسهلا بن الحنظلية وابا الدرداء وقال عبد العزيز بن احمد الكتانى لم يتفق المصران (١) على معرفة عين قبر نبى اوصحابى غير قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبرى صاحبيه ابى بكر وعمر قال ابن الاكفانى ارانى الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتانى قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن ابى سفيان وفضالة بن عبيد وواثلة بن الاسقع وسهل ابن الحنظلية واوس بن اوس وهم داخل الحظيرة مما يلى القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وام الدرداء خلفها وعبد الله بن ام حرام ويعرف بابن امراة عبادة بن الصامت وهو محاذى طريق الجادة وجماعة يقولون انه قبر ابى بن كعب وليس بصحيح وام حبيبة بنت ابى سفيان اخت معاوية وزوجة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى قبرها بلاطة مكتوب عليها اسمها فى جنب الحظيرة واختها على بلاطة ايضا مكتوب عليها اسمها وبلال بن رباح وعلى قبره بلاطة كذلك قال وارانى ايضا قبر الوليد بن عبد الملك واخيه مسلمة خلف الحظيرة التى فيها قبور الصحابة مقابل مقبرة امير الجيوش على الجادة وارانى ايضا قبر بريهة بنت الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم فى قبة وقبر سكينة ابنة الحسين فى قبة وقال يزيد بن احمد السلمى دفن فى مقبرة الباب الصغير كثير من الصحابة

[١] المصران البصرة والكوفة وكانا دار العلم والحديث يومئذ

والمعروف منهم معاوية وفضالة وابو الدرداء وسهل وبلال ووابصة بن معبد وخريم بن فاتك واخواه معبد وسبرة ورجال كثير ونساء كثير وقال ابن الاكفانى ان قبر مدرك بن زياد الفزارى الصحابى الجليل بقرية راوية من غوطة دمشق وهو اول صحابى توفى بظاهر دمشق وقبر سعد بن عبادة الانصارى سيد الخزرج بقرية المنيحة من الغوطة ايضا . واما معاوية فمختلف فى قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة السبع والاصح ان قبره خارج الباب الصغير واما قبر عبد الله بن ابى فلم يرد ذلك من وجه يعتمد وانما ذكر ذلك من طريق الاستفاضة بين العامة وعبد الله هذا كان يسكن بيت المقدس ولم اظفر بعد بدخوله دمشق . واما قبر ام حبيبة فيمكن ان يكون قبرها ههنا لانها قدمت الشام على اخيها معاوية كما ذكره ابو زرعة فى طبقاته والاصح ان قبرها بالمدينة . واما بلال فقد اختلف فى قبره فقيل انه بباب الصغير وهو اصح الاقاويل وقيل بباب كيسان وقيل بداريا وقيل انه بحلب وهو قول ضعيف وسنذكر هذه الاقاويل فى ترجمته . واما قبر بريهة فلا ارى قولا يصح فى نسبها لان اصحاب النسب لم يذكروا فى اولاد الحسن بن على ابنة اسمها بريهة . واما قبر سكينة بنت الحسين فيحتمل انها تزوجت بالاصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذى كان بمصر ورحلت اليه فمات قبل ان تصل اليه فيحتمل انها قدمت دمشق وماتت بها والصحيح انها ماتت بالمدينة واسهم الوالى ان لا يدفنوها حتى يحضرها وركب الى بعض امواله بنواحى المدينة وكان اليوم حارا فتغيرت رائحتها واشترى لها طيب كثير ليغلب الرائحة فلم يغلب ثم بعث اليهم ان ادفنوها فانى مشغول فدفنت ولم يحضر . واما وابصة بن معبد فيحتمل ان يكون صحيحا لانه قدم دمشق وسمع بها سبرة بن فاتك وكان مقام وابصة بالرقة وبها ولده وحديثه . واما خريم بن فاتك وسبرة فهما من الصحابة الذين كانوا بدمشق واما اخوهما معبد فلم ار له ذكرا فى كتب اصحاب الحديث ولا فى معاجم الصحابة . واما مدرك بن زياد فلم اجد له ذكرا الا على اللوح المكتوب على قبره الا من وجه لا يثبت مثله . واما سعد بن عبادة فانه مات فى حوران فيحتمل انه حمل ودفن فى المسجد (١) وهذا آخر ما تيسر ذكره من الابواب التى سهل

(١) يوجد خارج الشاغور قبر يقال له قبر شمعون والعامة تزعم انه قبر شمعون النبى وليس بصحيح فهو ان صح القول قبر شمعون بن خناقة قيل توفى بدمشق سنة ٨٦ ويحتمل انه قبر شمعون بن زيد الازدى حليف الانصار واما صهيب بن سنان بن مالك الرومى فقيل انه مدفون بجهة ميدان الحصا . واما ضرار فقيل استشهد باليمامة وقيل مات بدمشق

الله ذكرها فى صدر هذا الكتاب ولنشرع الآن فى ذكر اسماء الرجال على حروف المعجم على شط السابق والترتيب المتقدم (١)

(١) هنا انتهت مقدمة تاريخ الحافظ الامام ابن عساكر وما بعده دخول فى اول التاريخ مرتبا على حروف الهجاء كما ترى وقد اوضح من الآن فصاعدا لفن السيرة النبوية مشكاة فيها مصباح الهدى وشمس الاهتداء ولفن التاريخ حقائق يعول المحققون عليها ولفن الجرح والتعديل اساليب يقف الخطيب والذهبى دونها وللفنون الادب ما يجلى الناظر ويذهب بصدأ الخواطر وللفنون الحديث احاديث تسير بها الركبان ويألفها النظار ولاساليب البلاغة ما يحمد الجرجانى عقباها ويرتشف السكاكى والزمخشرى حياها يدخل المطالع فيه روضا اينعت دوحاته بالثمار وفاح عطر وروده لمتنشق العلوم فينتقل من ورد الى زهر ومن فاكهة الى منظر انيق ومن منظر الى كوثر نظم وجدول نثر ويحمد المطالع السرى ويقول كل الصيد فى جوف الفرا

حرف الالف

ذكر من اسمه احمد

سيدنا ومولانا احمد ومحمد صلى الله عليه وسلم

احمد ومحمد والحاشر والمقفى والعاقب بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابو القاسم المصطفى والرسول المجتبى وخيرة رب العالمين وخاتم النبيين وامام المتقين وسيد المرسلين هادى الامة ونبي الله صلى الله عليه وسلم وازلفه لديه ٠ قدم بصرى من نواحي دمشق قبل ان يوحي اليه وهو صغير مع عمه ابى طالب وقدمها مرة ثانية في تجارة لخديجة مع غلا مها ميسرة

ذكر قدومه بصرى ومعرفة وصوله اليها مرة وعوده اليها كرة اخرى

عن ابى موسى (١) قال خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا وحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت فبينماهم يحلون رحالهم اذ به قد جعل يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش وما علمك قال انكم حين

(١) هذا الاثر خرجه الترمذى عن ابى موسى عن ابيه وقال فى آخره هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به وكان هو فى رعية الابل قال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فاذا هو بسبعة نفر قد اقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جئنا ان هذا النبي خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بناس وانا قد اخبرنا خبره فبعثنا الى طريقك قال فهل خلفتم خلفكم احدا هو خير منكم قالوا لا انما اخترنا خيرة لطريقك هذا قال افرأيتم ان اراد الله امرا ان يقضيه هل يستطيع احد ان يرده قالوا لا قال فبايعوه واقاموا معه قال فاتاهم فقال انشدكم الله ايكم وليه قال ابو طالب انا فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا (١) وزوده الراهب من الكعك والزيت قال ابو العباس محمد بن يعقوب ليس فى الدنيا مخلوق يحدث بهذا الحديث غير قراد ابي نوح وسمع هذا الحديث احمد بن حنبل ويحيي بن معين من قراد وقالا انما سمعناه من قراد لانه من الغرائب والافراد التى تفرد بروايتها يونس ابى اسحق

وعن ابى مجلز لما مات عبد الله عطف عبد المطلب او ابو طالب على محمد فكان لا يسافر سفرا الا كان معه فيه فتوجه نحو الشام فنزل منزلا فاتاه فيه راهب فقال ان فيكم رجلا صالحا فقال ان فينا من يقري الضيف ويفك الاسير ويفعل المعروف فقال ارجو اعلى من هذا ثم قال اين ابو هذا الغلام

(١) قال ابن القيم فى زاد المعاد وقع فى كتاب الترمذى ان ابا طالب بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابى بكر وذكر بزار فى مسنده هذا الحديث ولم يقل وارسل معه عمه بلالا ولكن قال رجلا اه اقول تسرع ابن القيم رحمه الله بنسبة الخطأ الى الترمذى ثم حال ذلك بالاحتمال على ان الترمذى اشار الى ذلك بكون الحديث غريبا لا يعرف الا من الوجه الذى خرجه منه وهذا كاف فى كون الحديث معلولا ودافع للنسبة عدم الا تقاد الترمذى واما تعليله المذكور فليس مما تقام به الحجة لانه بناه على الترجى ولو سلمنا ان بلالا الصحابى لم يكن موجودا وقتئذ فلم لا يجوز ان يكون المقصود بلالا غيره فان الراوى لم يصرح باى بلال ارسل معه فتدبر

فقيل له هذا وليه فقال له احتفظ به ولا تذهب به الى الشام ان اليهود حساد وانى اخشاهم عليه قال ما انت تقول ذلك ولكن الله يقوله فرده وقال اللهم انى استودعك محمدا ثم ان الراهب مات وروى محمد بن سعد عن داود ابن الحصين انه قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشرة سنة خرج به عمه ابو طالب الى الشام فى العير التى خرج فيها للتجارة ونزلوا بالراهب بحيرا فقال لابى طالب فى السر ما قال وامره ان يحتفظ به فرده ابو طالب معه الى مكة وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابى طالب يكلاٴه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومكايدها لما يريده من كرامته وهو على دين قومه حتى بلغ ان كان رجلاافضل قومه مودة واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة واحسنهم جودا واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثا وابعدهم من الفحش والاذى ما رآه ملاحيا ولا مماريا احد حتى سماه قومه الامينلما جمع الله من الامور الصالحة فيه فلقد كان الغالب عليه بمكة الامين وكان ابو طالب يحفظه ويحوطه ويعضده وينصره الى ان مات قال ابن اسحق وكان ابو طالب هوالذى اليه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه ثم ان ابا طالب خرج فى ركب الى الشام تاجرا فلما تهيأ للرحيل واجمع السير هب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بزمام ناقته وقال يا عم الى من تكلنى لا اب لى ولا ام لى فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا افارقه ابدا قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وتهيأ راهب يقال له بحيرا فى صومعة له وكان اعلم اهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة راهب اليه يصير علمهم من كتاب فيهم كما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون عليه قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يتعرض لهم حتى اذا كان ذلك العام نزلوا به قريبا من صومعته فصنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته فى الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حتى اظلت الشجرة وتهصرت يعنى تدلت اغصانها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد امر بذلك الطعام فصنع ثم ارسل اليهم فقال انى

قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وانا احب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وحركم وعبدكم فقال له رجل منهم يا بحيرا ان لذلك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقولون ولكنكم ضيوف فاحببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما تأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرفها وهى موجودة عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامى هذا فقالوا يا بحيرا ما تخلف عنك احد ينبغى ان يأتيك الا غلام هو حدث القوم سنا تخلف فى رحالهم قال فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال رجل من قريش كان مع القوم واللات والعزى ان لهذا اللوم نبأ ايليق ان يتخلف ابن عبد الله بن المطلب عن الطعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه ثم اقبل به حتى اجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده فى صفته حتى اذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له يا غلام اسألك باللات والعزى الا اخبرتنى عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسألنى باللات والعزى شيئا قط فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن اشياء من نومه وهيئته واموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده حتى فرغ منه اقبل على عمه ابى طالب فقال له ما هذا الغلام منك فقال ابنى فقال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخى قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به فقال صدقت فقال ارجع بابن اخيك الى بلدك واحذر عليه اليهود فوالله ان رأوه عرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شأن فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما يتحدث الناس ان زبيرا وتماما وادريسا وهم نفر من اهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه ابى طالب اشياء فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذلك ذكره وصفته وانهم اذا اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال قال فتركوه وانصرفوا . وقال ابو طالب فى ذلك من الشعر يذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اراد منه اولئك النفر وما قال لهم فيه بحيرا

ان ابن آمنة النبى محمدا	عندى بمثل منازل الاولاد
لما تعلق بالزمام رحمته	والعيس قد قلصن بالازواد (١)
فارفضّ من عينىّ دمع ذارف	مثل الجمان مفرق الافراد (٢)
راعيت منه قرابة موصلة	وحفظت فيه وصية الاجداد
وامرته بالسير بين عمومة	بيض الوجوه مصالت انجاد (٣)
ساروا لابعد طية معلومة	فلقد تباعد طية المرتاد (٤)
حتى اذا ما القوم بصرى عاينوا	لاقوا على شرك من المرصاد (٥)
حبرا فاخبرهم حديثا صادقا	عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا لما رأى	ظل الغمام وعنّ ذى الاكباد
ساروا لقتل محمد فنهاهم	عنه واجهد احسن الاجهاد
فثنى زبيرا من بحيرا فانثنى	فى القوم بعد تجاول وبعاد
ونهى دريسا فانتهى عن قوله	حبر يوافق امره برشاد

وقال ابو طالب ايضا

الم ترنى من بعد همّ هممته	بفرقة حر الوالدين حرام
باحمد لما ان شددت مطيتى	رحلوا وقد ودعته بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا	واخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت اباه حين رقرق عبرة	تجود من العينين ذات سجام

(١) العيس بالكسر الابل البيض التى يخالط بياضها شئ من الشقرة ويقال هى كرائم الابل وقلصن ارتفعن يريد تهيئن للسفر (٢) ارفض تنازل والذارف السائل (٣) مصالت جمع صلت وهو الرجل الماضى فى الحوائج الخفيف اللباس والانجاد الذين يسرعون للنجدة (٤) الطية الحجة قال . وشدت لطيات مطاياوارحل والمرتادالطالب(٥)الشرك بفتحتين حبالة الصائد والمرصاد بالكسر الطريق واصله من الرصد بفتحتين القوم الذين يرصدون كالحارس

فقلت يروح راشدا في عمومة مواسير في البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التي راح اهلها شآم الهوى والاصل غير شآم
فلما هبطنا ارض بصرى تشرفوا لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا اصحابكم لطعامنا فقلنا جمعنا القوم غير غلام
يتيما فقال ادعوه انّ طعامنا كثير عليه اليوم غير حرام
فلما رآه مقبلا نحو داره يوقيه حر الشمس ظل غمام
حنا رأسه شبه السجود وضمه الى نحره والصدراي ضمام
واقبل ركب يطلبون الذي رأى بحيرا من الاعلام وسط خيام
فثار اليهم خشية لعرامهم وكانوا ذوي زهومعا وعرام (١)
دريسا وتماما وقد كان فيهم زبيرا وكل القوم غير نيام
فجاؤا وقد هموا بقتل محمد فردهم عنه بحسن خصام
بتأويله التورية حتى تفرقوا فقال لهم ما انتم بطغام (٢)
فذلك من اعلامه وبيانه وليس نهار واضح كظلام

وقد ذكر ابو الحسن محمد بن احمد الوراق انه قدم مع ابي طالب لعشر ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة من الفيل وقدم الشام مع ميسرة لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل وكان الراهب الذي اخبر به في هذه القدمة اسمه نسطورا الراهب وقالت نفيسة بنت منية اخت يعلى لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له ابو طالب انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له فارسلت اليه في ذلك وقالت انا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك قال ابو طالب هذا رزق ساقه الله اليك فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به اهل العير حتى قدما بصرى من الشام فنزلا في ظل شجرة فقال نسطورا الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة

(١) العرام الشدة والقوة والشراسة والعارم الخبيث الشرير (٢) الطغام اوغاد الناس

قط الا نبي ثم قال لميسرة افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال هو نبي وهو آخر الانبياء ثم باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح فقال له احلف باللات والعزى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط واني لامرّ بهما فاعرض عنهما فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة هذا والله نبي تجده احبارنا مبعوثاً منعوتاً في كتبهم وكان ميسرة اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس فوعى ذلك كله وكان الله قد القى عليه المحبة من ميسرة فكان كأنه عبد له وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران قال ميسرة يا محمد انطلق الى خديجة فاخبرها بما صنع الله لها على وجهك فانها تعرف لك ذلك فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه فارته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله فاخبرها بما ربحوا في وجههم فسرت بذلك فلما دخل ميسرة عليها اخبرته بما رأت فقال ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام واخبرها بما قال الراهب نسطورا وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ربحت تجارتها ضعف ما كانت تربح واضعفت له ضعف ما سمت له

(باب معرفة اسمائه وانه خاتم رسل الله وانبيائه)

عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحوا الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب هذا الحديث رواه مالك وتفرد جويرة برفعه في روايته عنه ورواه اصحاب مالك عنه مرسلا ورفعه صحيح عن الزهري ورواه سفيان ابن عيينة مرفوعا وزاد الزهري في روايته وانا العاقب الذي ليس بعده احد وقد سماه الله رؤفا رحيما ورواه الدارمي وابن مردويه وابن لال وابن منده والحاكم واخرجه مسلم في صحيحه والترمذي في جامعه ورواه البخاري وزاد في روايته وانا الحاشر بعثت مع الساعة بين يدي عذاب شديد والعاقب

عاقب الانبياء والماحي يمحو الله به سيئات من اتبعه ورواه ابو يعلى الموصلي ولفظه كان يسمى لنا تسعة اسماء فقال انا احمد ومحمد والحاشر ونبي الرحمة ونبي الملحمة ورواه الامام احمد عن ابي موسى ولفظه سمى لنا النبي صلى الله عليه وسلم اسماء منها ما حفظناه فقال انا محمد واحمد والمتقي والحاشر ونبي الرحمة والملحمة زاد في رواية ونبي التوبة ورواه الدار قطني بهذا اللفظ وروى ابن عدي عن ابي الطفيل مرفوعا ان لي عند ربي عشرة اسماء قال ابو الطفيل قد حفظت منها ثمانية محمد واحمد وابو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر قال ابو يحيي التيمي وزعم سيف بن وهب ان ابا جعفر قال له ان الاسمين الباقين ياسين وطه ورواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا ولفظه انا احمد ومحمد والحاشر والمتقي والخاتم وروى البيهقي عن محمد بن الحنفية ان معنى ياسين يا محمد وقال ابن عباس في قوله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى معناه يا رجل ما انزل عليك القرآن لتشقى وكان يقوم الليل على رجليه فهي لغة عك فاذا قلت لعكي يا رجل لم يلتفت اليك وان قلت له يا طه التفت اليك وقال الخليل بن احمد الفراهيدي خمسة من الانبياء ذو اسمين محمد واحمد نبينا وعيسى والمسيح واسرائيل ويعقوب ويونس وذو النون والياس وذو الكفل وقال ابو زكريا العنبري لنبينا خمسة اسماء في القرآن احمد ومحمد وعبد الله وطه وياسين قال تعالى محمد رسول الله وقال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وقال وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وذلك ليلة الجن كانوا يقع بعضهم على بعض كما ان اللبد يتخذ من الصوف فيوضع بعضه على بعض فيصير لبدا وقال طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والقرآن انما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل على غيره وقال ياسين يعني يا انسان والانسان هنا العاقل وهو محمد صلى الله عليه وسلم انك لمن المرسلين قال البيهقي وزاد غيره من اهل العلم فقال سماه الله تعالى في القرآن رسولا نبيا اميا وسماه شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماه رؤفا رحيما وسماه نذيرا مبينا وسماه مذكرا وجعله رحمة ونعمة وهاديا وسماه عبدا وروى ابن عدي عن ابن عباس مرفوعا ان سيدا بنى دارا واتخذ مادبة وداعيا فالسيد الله والمادبة القرآن والدار الجنة والداعي

انا وانا اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيدا لاني احيد عن امتي نار جهنم فاحبوا العرب بكل قلوبكم وقال ابن عباس لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق (١) عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان تسميه محمدا ولم تسمه باسم ابائه فقال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض وقال على ابن زيد بن جدعان تذاكرنا الشعر فقال رجل ما سمعنا شعرا احسن من بيت ابي طالب

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

قال ابو الفرج المعافا بن زكريا القاضي قوله من اسمه يروى على وجهين على همزة مقطوعة لاقامة الوزن وقد جاء مثله في الشعر

يتأتى امرء والشام بيني وبينه اتتني بشرى برده رد سائله

وقال آخر

الا لا ارى اثنين اكرم شيمة على حدثان الدهر مني ومن جمل

وقال آخر

اذا جاوز الاثنين سر كأنه يبث وتكثير الوشاة قمين

ويروى . الا كل سر جاوز اثنين إنه . فعلى هذه الرواية لا شاهد فيه والوجه الثاني في رواية البيت وشق له من اسمه على الوصل وترك القطع اقرارا له على اصله في اخراجه على قياسه فاذا روى هكذا فهو على الزحاف وفي زحافه حذف خامس جزئه الثاني الذي هو مفاعيلن فيصير مفاعلن ويسمى هذا الزحاف النقص وقد يقع الزحاف في هذا البحر باسقاط سابعه وهو نون مفاعيلن ويسمى الكف والقبض في هذا البحر احسن الزحافين والكف احسنهما عند الاخفش وهذان الزحافان يتعاقبان

(باب ذكر معرفة كنيته ونهيه ان يجمع بينهما وبين اسمه احد من امته)

عن محمد بن سيرين قال سمعت الهروي يقول قال ابو القاسم تسموا

---

(١) العقيقة في الاصل الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم ثم سميت به الشاة الذي تذبح عن المولود يوم اسبوعه

باسمي ولا تكنوا بكنيتي وروى ابو يعلى عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبقيع فنادى رجل يا ابا القاسم فالتفت فقال الرجل لست اياك اعني فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي رواه البيهقي ورواه الامام احمد عن جابر ابن عبد الله ولفظه ولد لرجل غلام فسماه القاسم فقلنا لا نكنيك به حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ورواه ابو يعلى ولفظه ولد لرجل منا غلام فسماه محمدا فقال له قومه لا ندعك تسميه باسم رسول الله فانطلق بابنه يحمله على ظهره فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ولد لي غلام فسميته محمدا وذكر له القصة فقال سم باسمي ولا تكنى بكنيتي فانما انا قاسم اقسم بينكم ورواه عبد الله بن الامام احمد ورواه ابو يعلى عن ابي هريرة ولفظه لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي الله المعطي وانا اقسم . واما نهيه عن الجمع بينهما فروى ابو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا من تسمى باسمي فلا يكنى بكنيتي ورواه احمد عن عبد الرحمن بن ابي عمرة عن عمه بلفظ لا تجمعوا بين كنيتي واسمي فاختلف في ذلك فقيل انما نهى عنه في حال حياته لما دعى غيره فظن انه هو المدعو كما في الحديث الاول والثاني وقيل انما نهى عن ان يجمع احد بين اسمه وبين كنيته مطلقا واستدل هذا القائل بما رواه احمد والبيهقي عن جابر مرفوعا من تسمى باسمي فلا يكنى بكنيتي ومن كنى بكنيتي فلا يسمى باسمي وقد روى انه رخص في الجمع بينهما لولد علي بن ابي طالب وذلك ان عليا قال يا رسول الله ان ولد لي بعدك ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك فقال نعم وكانت رخصة منه لعلي وفي رواية محمد بن الحنفية فلما ولدت سماني باسمه وكناني بكنيته وروى عنه ما يدل على اباحة الجمع بينهما مطلقا وذلك فيما رواه ابو داود عن عائشة انها قالت جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني قد ولدت غلاما فسميته محمدا وكنيته ابا القاسم فذكر لي انك تكره ذلك فقال ما الذي احلّ اسمي وحرّم كنيتي او ما الذي احل كنيتي وحرم اسمي ورواه احمد وذهب مالك الى الاخذ بهذا قال البيهقي قال حميد بن زنجويه في كتاب الادب سئل من ابي اويس ما كان مالك يقول في الرجل يجمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم وكنيته فاشار الى شيخ جالس معنا فقال هذا محمد ابن مالك اسمه محمد وكنيته ابو القاسم وكان يقول انما نهى عن ذلك في حياة

النبي صلى الله عليه وسلم كراهة ان يدعو احد باسمه او كنيته فيلتفت فاما اليوم فلا بأس بذلك وذهب الشافعي الى ان ذلك لا يجوز فروى البيهق عنه انه قال لا يحل لاحد ان يكنى بكنية ابي القاسم سواء كان اسمه محمدا اولا هذا ومن كنيته صلى الله عليه وسلم ابو ابراهيم وقد روى الدارمي والبيهق عن انس انه لما ولد ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية جاريته كان يقع في نفسه منه حتى اتاه جبريل عليه السلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم وفي رواية عن عبد الله بن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فهبط عليه جبريل فقال يا ابا ابراهيم الله يقرئك السلام فقال له نعم انا ابو ابراهيم وابراهيم خيرنا وبه عرفنا وقد قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين (١) وروى الخرايطي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ام ابراهيم مارية القبطية وهي حامل منه بابراهيم وعندها قريب لها كان قدم معها من مصر فاسلم وحسن اسلامه وكان كثيرا ما يدخل على ام ابراهيم وانه جب نفسه بقطع ما بين رجليه حتى لم يبق قليلا ولا كثيرا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على ام ابراهيم فوجد عندها قريبها فوجد في نفسه من ذلك شيئا كما يقع في انفس الناس فرجع متغير اللون فلقيه عمر بن الخطاب فعرف ذلك في وجهه فقال يا رسول الله مالي اراك متغير اللون فاخبره بما وقع في نفسه من قريب مارية فمضى بسيفه فاقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد عندها قريبها ذلك فاهوى بالسيف ليقتله فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه فلما رآه عمر رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ان جبريل اتاني فاخبرني ان الله قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي وبشرني ان في بطنها مني غلاما وانه اشبه الخلق بي وامرني ان اسميه ابراهيم وكناني به اذا كنا ني بابي ابراهيم ولولا اني اكره ان احول كنيتي التي عرفت بها لا كتنيت بابي ابراهيم كما كناني به جبريل عليه السلام (٢)

باب ذكر نسبه وابراز الخلاف فيه عن العلماء به

عن انس قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان رجالا من كندة يزعمون انه

(١) هذا الحديث رواه ابن عدي والحافظ وقالا في اسناده صخر بن عبد الله الكوفي يعرف بالحاجبي يحدث بالبواطيل (٢) هذا الحديث رواه الحافظ بسند حسن ولم اجد ممن رواه غيره فيما اعلم

منهم فقال انما كان يقول ذلك العباس وابو سفيان اذا قدما المدينة او اليمن ليأمنا بذلك وانا لا ننتفي من ابائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم (١) بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وما افترق الناس فرقتين الا جعلني في خيرهما فاخرجت من بين ابوي لم يصبني شيء من عهد الجاهلية واخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم نسبا وخيركم ابا رواه البيهقي بهذا اللفظ تفرد به ابو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي عن مالك وعنده افراد لم يتابع عليها وعن اسماعيل بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انسبوني ثم قال انا محمد بن عبد الله وساق النسب الى نزار بن معد بن عدنان بن ادد وقال مدركة بن صدق وانما هو الياس واسمه خندف وقال عبد الله بن احمد بن حنبل وجدت في كتاب ابي حدثنا محمد بن ادريس الشافعي فقال اسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبدمناف واسم عبدمناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد واما نسبه من جهة امه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وروى ابن منده عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتهى

---

(١) كان هاشم بعد ابيه على السقاية والوفادة فكان يعمل الطعام للحجاج فيأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد فاصاب الناس سنة غلاء وقحط فخاف من عار العرب وسافر الى الشام فشترى دقيقا وكعكا وقدم به الى مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك يعني فتته ونحر الجزر وجعله ثريدا واطعم الناس حتى اشبعهم فسمى هاشما وكان اسمه عمرو العلا وعبد مناف اسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله واصل مناف مناة اسم صنم كان اعظم اصنامهم وقصي اسمه زيد او يزيد ويسمى مجمعا لانه يجمع نسب قريش وسمي قصيا لانه تقاصى اي تباعد عن عشيرته الى اخواله في قضاعة في جهة الشام وكلاب اسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لحبه الصيد بها ولوي بالهمز اكثر من عدمها وفهر بكسر الفاء وسكون الهاء واسمه قريش سمي بذلك لانه كان يقرش اي يفتش على حاجات الناس فيسدها بماله والنضر بفتح النون وسكون الضاد واسمه قيس وقيل له النضر لنضارة وجهه وكنانة سمي بذلك لانه كان لم يزل في كن اي ستر من قومه ومدركة بضم الميم وكسر الراء واسمه عمرو او عامر قيل انه لحق ارنبا فادركه فقيل له مدركة والياس هو النبي المذكور في القرآن واسمه حبيب ومضر بضم الميم وفتح الضاد ونزار بكسر النون وفتح الزاي

الى معد بن عدنان امسك وقال كذب النسابون قال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس ولو شاء رسول الله ان يعلمه لعلمه وكان عروة يقول ما وجدنا احدا يعرف ما وراء معد بن عدنان وما سمعنا فى علم عالم ولا شعر شاعر ذكر احد وراء معد بن عدنان بحق وقد اختلفوا فيما بعد عدنان اختلافا كثيرا (١) وروى عن ام سلمة مرفوعا ان معدا هو ابن عدنان بن اد بن ادد بن زيد وهو الهميسع بن برا وهو نبت ابن اعراق وهو اسماعيل وقيل هو ابراهيم عليهما السلام ويقال ان ابراهيم هو ابن فارح وهو ازر بن ناحور بن اشوع بن ارعوش ابن فالغ بن غابر ويقال انه هود عليه السلام بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامق بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس بن ازد بن قينان بن مهلاييل ابن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام وههنا خلاف كثير لا يفيد علما فلذا اقتصرنا على ما مضى واما فهر فهو جماع قريش وما كان فوق فهر فلا يقال له قرشى وغاية امر تلك الاسماء التى ما بعد عدنان انها مترجمة من اللغة العبرانية ومأخوذة من كتبها (٢) ويقال ان معدا كان على عهد عيسى بن مريم عليه السلام قال محمد بن سعد وهذا الاختلاف يدل على ان النسب من بعد عدنان لم يحفظ وانما اخذه النسابون من اهل الكتاب وترجموه لهم فاختلفوا فيه ولو صح ذلك لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس به فالامر عندنا على الانتهاء الى معد بن عدنان ثم الامساك على ما وراء ذلك الى اسماعيل بن ابراهيم وروى ابن منده عن محمد بن السائب قال علمني ابى النسب الشريف فقال ان هاشما كان اسمه عمرا فسمى هاشما لانه اول من ثرد الثريد فقال عبد الله بن الزبعرى فى ذلك

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وان قصيا هو جماع قريش سمى بذلك لانه جمعهم وانزلهم مكة واقطعهم

(١) والذين يذكرون ما بعد عدنان يذكرون اسماء محرفة مأخوذة عن التوراة ومعربة عنها

(٢) فى الاصحاح الخامس من التورية التى هى اليوم بايدى القوم ان نوحا بن لامك بن متوشالخ بن اخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم واما سيدنا ابراهيم فهو ابن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد ابن سام بن نوح كذا فى الاصحاح الحادى عشر

شفابها فسمي مجمعا وفى ذلك يقول حدانة بن غانم العدوى

ابوكم قصى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

والقرش التجمع وكان يقال لقريش بنو النضر قبل ان يجمعهم قصى

باب ذكر مولد النبي عليه الصلاة والسلام ومعرفة من كفله وما كان من امره قبل ان يوحى الله اليه ويرسله الى الخلق بتبليغ الرسالة

روى البيهقى بسنده الى ابن عباس انه قال ولد نبيكم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين وفتح مكة يوم الاثنين ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى وتوفى يوم الاثنين (١) وفى رواية ابن اسحق ان ولادته كانت فى ربيع الاول وفيه كانت هجرته ووفاته وروى شعيب عن ابيه عن جده انه قال حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة اصحاب الفيل وقد اختلفت الروايات فى شهر مولده الشريف وفى عام ولادته ايضا كما رأيت بعض ذلك فمن قائل انه ولد يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الاول ومن قائل ولد لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان حين طلع الفجر وفى ليلة مولده حجبت الشياطين عن استراق السمع ورميت بالشهب فقالت قريش هذا قيام الساعة فقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف انظروا الى العيوق فان كان قد رمى به فهو قيام الساعة ومنهم من قال ولد لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ومن قائل انه ولد عام الفيل وبين الفجار (٢) وبين الفيل عشرون سنة رواه الامام احمد عن قيس بن مخرمة وقال سمى الفجار لانهم فجروا واحلوا اشياء كانوا يحرمونها وكان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة وبين بناء

---

(١) زاد فى رواية ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين

(٢) الفجار بكسر الفاء يوم من ايام العرب وكانت فيه واقعة عظمى نسبت الى البراض بن قيس الذى قتل عدوة الرحال وسمى يوم الفجار لان الواقعة كانت فى الاشهر الحرم وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس غيلان فى الجاهلية وكانت الهزيمة على قيس فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا واما واقعة الفيل فهى مشهورة

الكعبة والبعثة خمس سنين فبعث نبينا صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة ومن قائل انه كان بين البعثة وبين اصحاب الفيل سبعون سنة وقال ابو جعفر محمد بن على كان بين الفيل وبين مولده الشريف خمس وخمسون ليلة ومن قائل كان بين الفيل والمولد عشر سنين وقيل ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل بعد الفيل بثلاثين عاما قال خليفة بن خياط والمجمع عليه انه ولد عام الفيل اه اقول وهو الذى يجب ان يعول عليه لان الله تعالى اهلك اصحاب الفيل كرامة لرسوله صلى الله عليه وسلم ولما ارسله ذكره تلك النعمة فقال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل اه والذى عليه معظم علماء الاخبار انه ولد فى ربيع الاول لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وروى ابن سعد والواقدى ان عبد الله بن عبد المطلب خرج الى الشام مع جماعة من قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض فقال لهم انى اريد ان اتخلف عند اخوالى بنى عدى بن النجار فاقام عندهم شهرا مريضا ومضى اصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند اخواله وهو مريض فبعث اليه ولده الحارث وهو اكبر اولاده فوجده قد توفى واخبره اخواله بمرضه وبقيامهم عليه وبما ولوا من امره وانهم دفنوه فرجع الى ابيه فاخبره فحزن عليه عبد المطلب واخوته واخواته ووجدوا عليه وجدا شديدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بطن امه ومات والده وله خمس وعشرون سنة قال الواقدى هذا هو اثبت الاقاويل والروايات عندنا فى وفاة عبد الله بن عبد المطلب وقال الزهرى ان عبد المطلب بعث ولده عبد الله الى المدينة ليمتار له تمرا فمات قال محمد بن عمرو الاول اثبت قال ابن سعد وقد روى لنا فى وفاته وجه آخر وهو ان عبد الله توفى بعد ما اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرا وقيل سبعة اشهر قال ابن سعد والاثبت ان عبد الله توفى والنبى صلى الله عليه وسلم حمل وروى الزبير بن بكار عن ابن جرموذ ان عبد الله توفى بالمدينة بعد حمل آمنة بشهر وماتت ام النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربع سنين ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين واوصى به الى ابى طالب وروى البيهقى عن عثمان بن العاص قال اخبرتنى امى انها شاهدت

ولادة النبي صلى الله عليه وسلم قالت فما شيء انظر اليه في البيت الا نور واني انظر الى النجوم تدنوا حتى اني اقول لتنقضّ علي وروى ابن سعد عن ابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل مني خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق الى المغرب ثم وقع على الارض جاثيا على ركبتيه وخرج معه نور اضاءت له قصور الشام واشرافها حتى رأيت اعناق الابل ببصرى رافعا رأسه الى السماء وروى البيهقي عن العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا فاعجب جده عبد المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن وقال ابو الحكم التنوخي كان المولود اذا ولد في قريش دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبح فيكفيان عليه برمة فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب الى تلك النسوة فكفأن عليه برمة فلما اصبحن اتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنين فوجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره الى السماء فاتاهن عبد المطلب فقلن له ما رأين مولودا مثله واخبرنه بالخبر فقال احفظنه فاني ارجو ان يصيب خيرا فلما كان اليوم السابع من ولادته ذبح عنه ودعا قريشا فلما اكلوا قالوا يا عبد المطلب ارأيت ابنك هذا الذي اكرمتنا على وجهه ما سميته قال سميته محمدا قالوا فلم رغبت به عن اسماء اهل بيته قال اردت ان يحمده الله في السماء وخلقه في الارض وقال ابن اسحاق كان النبي صلى الله عليه وسلم مع جده فماتت امه وهو ابن ست سنين وكان مع جده عبد المطلب وكان يوصي به ابا طالب يعني بعد وفاته ويقال ان آمنة قدمت به المدينة فنزلت على اخواله بني النجار ثم صدرت به راجعة الى مكة فتوفيت بالابواء بين مكة والمدينة وله من العمر ست سنين وروى ابن اسحاق ان جده توفي وهو ابن ست سنين ايضا وروى ايضا ان آمنة لما حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض فقولي

اعيذه بالواحد من شر كل حاسد
في كل بر عائد وكل عبد زائد
فانه عبد الحميد الحامد حتى اراه قد اتى المشاهد

وقال لها انك ترين نورا يخرج معه يملأ قصور بصرى من ارض الشام

فاذا ولد فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة احمد يحمده اهل السماء واهل الارض واسمه فى الفرقان محمد فسميه بذلك فلما وضعته بعثت الى عبد المطلب جاريتها وقد مات ابوه عبد الله وهى حبلى به ويقال ان عبد الله مات والنبى صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم اى ذلك كان فقالت قد ولد الليلة غلام فانظر اليه فلما جاءها اخبرته وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما امرت ان تسميه به فاخذه عبد المطلب فادخله على هبل فى جوف الكعبة فقام عبد المطلب يدعو الله ويشكره الذى اعطاه اياه فقال

الحمد لله الذى اعطانى ... هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان ... اعيذه بالله ذى الاركان
حتى يكون بلغة الفتيان ... حتى اراه بالغ البنيان
اعيذه من كل ذى شنآن ... من حاسد مضطرب العنان
ذى همة ليس له عينان ... حتى اراه رافع البنيان
انت الذى سميت فى القرآن ... فى كتب ثابتة المثانى
احمد مكتوب على اللسان

وقال ابن عباس كان بنوا ابى طالب يصبحون غمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا وقال ايضا كان ابو طالب يقرب الى الصبيان بصفحتهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكف يده لا ينتهب معهم فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة وقال نافع بن جبير كان عبد المطلب يضم النبى صلى الله عليه وسلم ويرق اليه رقة لم يرقها على احد من اولاده وكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه اذا خلا واذا نام كان يجلس على فراشه فيقول عبدالمطلب اذا رأى ذلك دعوا ابنى ليؤنسنى وقال قوم من بنى مذحج لعبدالمطلب احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التى فى المقام منه فقال عبد المطلب لابى طالب اسمع ما يقول هؤلاء فكان ابو طالب يحتفظ به وقال عبد المطلب لام ايمن وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بركة لا تغفلى

عن ابنى فانى وجدته مع غلمان بالقرب من السدرة وان اهل الكتاب يزعمون ان ابنى هذا نبى هذه الامة وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا قال يا بنى فيؤتى به اليه فلما حضرت عبد المطلب الوفاة اوصى ابا طالب بحفظ رسول الله ثم قال لكل واحدة من بناته ابكيننى وانا اسمع فبكته كل واحدة منهن بشعر فلما سمع قول امية وقد امسك لسانه جعل يحرك رأسه يريد بذلك انها صدقت فكان ما قالته

اعينى جودى بدمع درر ... على ماجد الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد ... جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى مكرمات ... وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات ... كثير المفاخر جم النخر
له فضل مجد على قومه ... مبين يلوح كضوء القمر
اتته المنايا فلم تسوءه ... اصرف الليالى وريث القمر

ومات عبد المطلب فدفن بالحجون ولما توفى اخذ ابو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه وكان ابو طالب لا مال له وكان يحبه حبا شديدا لا يحب اولاده مثله وكان لا ينام حتى ينام وكان لا ينام الا الى جنبه ويخرج فيخرج معه وصبا به ابو طالب صبابة لم يصب مثلها شىء قط وكان يخصه بالطعام وكان اذا اكل عيال ابى طالب جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان اذا اراد ان يغديهم قال كما انتم حتى يحضر ابنى فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم واذا لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول ابو طالب انك المبارك وكان الصبيان يصبحون رمصا شعثا ويصبح رسول الله دهينا كحيلا قال ابن سعد قدم مكة عشر نسوة من بنى سعد بن بكر يطلبن الرضاع فاصبن الرضاع كلهن الا حليمة وكان معها زوجها الحارث بن عبد العزى فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت تقول يتيم لا مال له وما عست امه ان تفعل فخرجت النسوة وخلفتها فقالت حليمة لزوجها ما ترى قد خرج صواحبى وليس بمكة غلام يسترضع الا هذا الغلام اليتيم فلو انا اخذناه فانى اكره ان نرجع الى بلادنا ولم نأخذ شيئا فقال لها زوجها

خذيه عسى الله ان يجعل لنا فيه خيرا فجاءت الى امه فاخذته منها فوضعته في حجرها فاقبل عليه ثديها حتى تقاطر اللبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى روى وشرب اخوه يعني ابنها حتى روى ثم ان آمنة اخبرت حليمة عما رأت وما قيل لها فيه حين ولدته ورويت القصة من طريق آخر وهى ان حليمة قالت خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على اتان لي قمراء (١) فرحت في سنة شهباء لم تبق شيئا ومعي زوجي الحارث بن عبد العزى ومعنا شارف (٢) لنا والله ما يبض بقطرة من لبن ومعنا صبي لم ننم ليلنا من بكائه وليس في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه الا انا نرجو فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قيل انه يتيم تركناه وقلنا ماذا عسى ان تصنع الينا امه وانما نرجو المعروف من ابي الوليد فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فكرهت ان ارجع ولم اخذ شيئا وقد اخذ صواحبي فقلت لزوجي والله لارجعن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قالت فاتيته فاخذته فرحت الى رحلي فقال زوجي قد اخذتيه فقلت نعم والله لم يكن ذاك الا اني لم اجد غيره فقال قد اصبت فعسى الله ان يجعل فيه خيرا قالت فوالله ما هو الا ان جعلته في حجري فاقبل عليه ثديي بما شاء الله من اللبن قالت فشرب حتى روى وشرب اخوه يعني ابنها حتى روى وقام زوجي الى شارفنا من الليل فاذا به حافل فحلب لنا ما شئنا فشرب حتى روى وشربت حتى رويت فبتنا ليلتنا تلك بخير شبع وري وقد نام صبياننا فكان زوجها يقول والله يا حليمة ما اراك الا قد اصبت نسمة مباركة قد نام صبينا وروينا الم تر ما يأتينا من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يؤتينا منه خيرا ثم خرجنا راجعين الى بلادنا فوالله لقد قطعت اتاني الركب فكانت امامه حتى ما يتعلق بها حمار فكان صواحباتي يقولون لي ويحك يا حليمة هذه اتانك التي خرجت عليها معنا فتقول بلى والله انها لهي وان لها لشأنا ثم سرنا حتى قدمنا ارض بني سعد وما اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فوالذي نفس حليمة بيده ان غنمي كانت تسرح ثم تروح

(١) الاتان الحمارة والقمراء البيضاء والسنة الشهباء ذات القحط والجدب (٢) الشارف الناقة المسنة وقولها ما يبض بقطرة من اللبن معناه ما تجود بقطرة منه

شباعا ذات لبن فحلب ما شئنا وما حولنا احد تبض له شاة بقطرة لبن وان اغنام قومى لتروح جياعا حتى انهم ليقولون لرعيانهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم حليمة بنت ابى ذويب فاسرحوا معهم فيسرحون غنمهم مع غنمى فتاتيهم جياعا ما بها قطرة من لبن وتروح غنمى شباعا نحلب منها ما شئنا فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرفها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشب فى اليوم شباب الصبى فى الشهر ويشب فى الشهر شباب الصبى فى السنة فبلغ السنتين وهو غلام يحفز فقدمنا به على امه ثم قلت لها ردى علينا ابنى نرجع به فاننا نخشى عليه ادنياء مكة قالت ونحن اضن شئ به لما رأينا من بركته فلم نزل بامه حتى قالت لنا ارجعا به فرجعنا به فمكث عندنا شهرين قالت فبينما هو واخوه يلعبان يوما خلف البيوت يرعيان بهما (١) لنا اذ جاءنا اخوه يشتد فقال لى ولابيه ادركا اخى القرشى قد جاءه رجلان فاضجعاه فشقا بطنه فخرجنا نحوه نشتد فانتهينا اليه وهو قائم منتقع لونه (٢) فاعتنقه ابوه واعتنقته ثم قال مالك اى بنى قال اتانى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى ثم شقا بطنى فوالله ما ادرى ما صنعا وفى رواية فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان قالت فاحتملناه فرجعنا به وكان ابوه يقول والله ياحليمة ما ارى هذا الغلام الا قد اصيب فانطلقى بنا نرده الى اهله قبل ان يظهر ما نتخوف منه عليه قالت فرجعنا به الى امه فقالت لنا ماردكما وقد كنتما حريصين عليه فقلنا لها انا كفلناه وادينا الحق الذى يجب علينا فيه ثم تخوفنا الاحداث عليه فقلنا يكون فى اهله فقالت آمنة والله ما ذاك بكما فاخبرانى خبركما وخبره فوالله ما زالت بنا حتى اخبرناها خبره فقالت افتخافا عليه كلا وفى رواية قالت اخشيتما عليه الشيطان والله ما للشيطان عليه من سبيل ان لابنى هذا شأنا الا اخبركما عنه انى حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف ولا اعظم بركة منه ثم رأيت نورا كأنه شهاب خرج منى حين وضعته اضاءت لى منه اعناق الابل ببصرى وفى رواية واريت فى النوم حين حملت

---

(١) البهم بضم الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى ولد الضان ذكرا كان او انثى والسخال اولاد المعز فاذا اجتمعت البهام والسخال قيل لهما جميعا بهام وبهم ايضا (٢) منتقع لونه اى متغير يقال انتقع لونه وامتقع اذا تغير من خوف او الم او نحو ذلك

به كأنه خرج مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان بل وقع واضعا يده فى الارض رافعا رأسه الى السماء دعاه والحقا باهلكما

باب معرفة امه وجداته وعمومته وعماته

روى من طريق الكلبي عن ابن عباس انه قال فى تأويل قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية ليس فى العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضريها وربيعيها ويمانيها وقال زيد بن ارقم ام النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وامها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وامها ام حبيب برة بنت عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصى وروى ابن ابى الدنيا ان ام عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وروى ابو بكر الطبرى عن الزهرى ما تقدم الا انه قال ان ام برة بنت عبد العزى انما هى برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى وامها قلابة بنت الحارث بن صعصعة من بنى عائذة بن الخيار بن هذيل وامها امية بنت مالك بن غنم وقال الزبير بن بكار هى امية بنت مالك بن عثمان بن حبش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طلحة من بنى لحيان بن هذيل وامها قلابة بنت الحارث وهو ابو قلابة الشاعر وهو اقدم من قال الشعر فى هذيل وهو الذى يقول

ان الرشاد وان الغى فى قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان
لا تأمنن وان اصبحت فى حرم ان المنايا تحي كل انسان

واسم ابى قلابة الحارث بن صعصعة بن كعب بن لحيان بن هذيل وامها دبة بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وامها لبنى بنت الحارث بن اليمن ابن جردة بن اسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار وام رسول الله التى ارضعته حتى شب حليمة بنت الحارث بن شجنة السعدية من بنى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة ابن قيس بن غيلان من مضر وزوج حليمة الحارث بن عبد العزى فى هؤلاء

شب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارضعته ايضا ثويبة مولاة ابى لهب واسمه عبد العزى وجدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابيه عبد الله فاطمة بنت عمرو بن مخزوم وامها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم وامها يحمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة وامها سلمى بنت عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر وامها اخت بنى واثلة بن عدوان بن قيس وروى من طريق ابن سعد ان قلابة هى بنت الحارث بن مالك بن خباشة بن غنم ابن لحيان بن عاد بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة وامها عاتكة بنت غاضرة بن خطيط بن جشم بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان واسمه الياس بن مضر وامها ليلى بنت عوف بن قصى وهو ثقيف وام وهب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لامه قيلة ويقال هند بنت ابى قيلة وهو ذخر بن غالب ابن الحارث بن عمرو بن ملكان بن افصى بن حارثة بن خزاعة وامها سلمى بنت اؤى بن غالب بن فهر وامها ناوية بنت كعب بن القين بن قضاعة وام زجر بن غالب بن الشلاقة بنت وهب بن البكين بن المجدعة بن عمر من بنى عمرو بن عوف من الاوس وامها ابنة قيس بن ربيعة من بنى مازن بن اؤى ابن مالك بن افصى اخى اسلم ابن افصى وامها النخمة بنت عبيد بن الحارث من بنى الحارث بن الخزرج وام عبد مناف بن زهرة جمل بنت مالك بن قصية ابن اسعد بن مليح بن عمرو بن خزاعة وقد ساق ابن سعد نسب اجداده وجداته كل واحد بمفرده مما يحصل الملل باستقصائه وغاية الامر منه ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصل بجميع قبائل العرب كما قال ابن عباس رضى الله عنه وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى بعض غزواته . انا النبي لا كذب . انا ابن عبد المطلب . انا ابن العواتك . وقالوا العواتك ثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهن عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت مرة بن هلال ام هاشم بن عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة ابن هلال ام وهب والد آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم فالاولى من العواتك عمة الوسطى والوسطى عمة الاخرى وبنو سليم تفخر بان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم هذه الولادات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد انا

ابن الفواطم وهن فاطمة بنت عمرو بن عائذ وهى ام عبد الله بن عبد المطلب وفاطمة بنت عبد الله بن الحارث وفاطمة بنت عوف بن عدى وفاطمة بنت سعد ام قصى وفاطمة بنت عامر بن نصر قال احمد بن حنبل والذى ثبت لنا خمس من الفواطم وقال الطالبي العواتك ثلاثة عاتكة بنت مرة بن فالج ام هشام بن عبد مناف وعاتكة بنت جابر وهى ام هلال بن فالج بن زكوان وعاتكة بنت الحارث وهى ام فالج بن زكوان وعاتكة بنت الاوقص بن هلال وهى ام وهب بن عبد مناف وقال ابو عبد الله الطالبى العدوى العواتك اربع عشرة ثلاث قرشيات واربع سلميات وعدوانيتان وهذلية وقحطانية وقضاعية وثقفية واسدية اسد خزيمة فالقرشيات من قبل امه آمنة بنت وهب وامها ربطة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وامها ام حبيب وهى عاتكة بنت اسد بن عبد العزى بن قصى وامها ربطة بنت كعب بن تيم بن مرة بن كعب وكانت ربطة اول امرأة من قريش ضربت قباب الادم بذى المجاز وامها قلابة بنت حذافة بن جمح الخطباء ويقال الحظياء وكان داود بن مسور المخزومى يقول الخطباء من طريق الكلام وغيره يقول الحظياء من طريق الحظوة وامها آمنة بنت عامر الجان بن لمكان بن قصى بن حارثة بن خزاعة ويقال لعامر الجان وهو عامر بن غبشان بن خزاعة وامه عاتكة بنت الهلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وام اهيب مخشية بنت محارب بن فهر وامها عاتكة بنت مخلد بن النضر بن كنانة وهى الثالثة واما السلميات فولدته من قبل هاشم بن عبد مناف بن قصى ومن قبل وهب بن عبد مناف بن زهرة ام هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن زكوان وام مرة عاتكة بنت مرة بن عدى بن اسلم بن قصى من خزاعة ويقال ان ام مرة ابن هلال هى عاتكة بنت جابر بن قنفد بن مالك بن عوف بن امرء القيس من سليم وهى الثالثة وام هلال بن فالج بن ذكوان عاتكة بنت الحارث ابن بهثة بن سليم بن منصور وام وهب بن عبد مناف بن زهرة عاتكة بنت الاوقص بن هلال بن فالج بن ذكوان فهؤلاء العواتك السلميات واما العدوانيتان فولدتاه من قبل ابيه ومن قبل مالك بن النضر فاما التى ولدته من قبل ابيه عبد الله وهى السابعة من امهاته ويقال انها الخامسة فهى عاتكة بنت عبد

الله بن ظرب بن الحارث بن جذيلة العدوانى ومن قال انها السابعة فهى عاتكة بنت عامر بن ظرب بن عمر بن عائذ بن يشكر العدوانى وهى ام هند بنت مالك ابن كنانة الفهمى من قيس بن غيلان وهند بنت مالك هى ام فاطمة بنت عبد الله بن ظرب بن الحارث بن وائلة العدوانى وفاطمة ام سلمى بنت عامر بن عميرة بن قصى وسلما ام تخمر بنت عبد بن قصى وتخمر ام صخرة بنت عبد الله بن عمران وصخرة ام فاطمة بنت بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ام عبد الله بن عبد المطلب ومن قبل مالك بن النضر بن كنانة فام مالك بن النضر عاتكة بنت عمر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان واما الهزلية فولدته من قبل هاشم بن عبد مناف وام هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج وامها مارية بنت حرزة بن عمرو بن صعصعة بن بكر بن هوازن وام معاوية بن بكر بن هوازن عاتكة بنت سعد بن سهل بن هذيل بن فهر الهذلية واما الاسدية فولدته من قبل كلاب بن مرة وهى الثالثة من امهاته وهى عاتكة بنت دوان بن اسيد ابن خزيمة واما الثقفية فهى عاتكة بنت عمرو بن سعد بن اسلم بن عوف الثقفى وهى ام عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وعبد العزى جد آمنة بنت وهب برة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى واما القحطانية فولدته من قبل غالب بن فهر ام غالب بن فهر ليلى بنت سعدان بن هذيل امها سلما بنت طابخة بن الياس بن مضر وام سلمى عاتكة بنت الاسد بن الغوث وعاتكة ايضا هى الثالثه من امهات النضر واما القضاعية فولدته من قبل كعب بنى لؤى وهى الثالثة من امهاته وهى عاتكة بن رشدان بن قيس بن جهينة بن زيد بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة قال احمد اخبرنى بذلك كله بعض الطالبيين ورواه لى عبد الله العدوى (١) وقال ابن سعد ولد لعبد المطلب اثنا عشر رجلا وست نسوة وهم الحارث وهو اكبر اولاده وبه كان يكنى ومات فى حياة ابيه وعبد الله والزبير وكان شاعرا شريفا واليه اوصى ابوه وابو طالب واسمه عبد مناف وعبد الكعبة مات ولم يعقب وحمزة وهو اسد

---

(١) انما روينا هذا بطوله وان كان القارئ لا يجد فيه كبير فائدة لندل على مرتبة عناية العرب بفن الانساب وحرصهم عليها وتدوين خلفهم لها فى كتبهم

الله واسد رسوله والمقوم وحجل اسمه المغيرة والعباس وكان شريفا عاقلا مهيبا وضرار وكان افضل فتيان قريش جمالا وسخاء ومات ايام اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا عقب له وقثم بن عبد المطلب ولا عقب لهم وامهم نتيلة بنت حباب ابن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد بن مناة بن عامر وهو الضحيان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن عمرو بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وابو لهب بن عبد المطلب واسمه عبد العزى ويكنى ابو عتبة كناه عبد المطلب بذلك لحسنه وجماله وكان جوادا وامه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن طاهر بن حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وامها هند بنت بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة وامها السوداء بنت زهرة بن كلاب والغيداق بن عبد المطلب واسمه مصعب وامه بنت عمرو بن مالك بن سويل بن سويد بن اسعد بن عبد بن جبير بن عدى بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة واخوه لامه عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن عبد الرحمن ابن عوف قال الكلبي لم يكن في العرب بنوا اب مثل بني عبد المطلب لا اشرف منهم ولا اجسم شم العرانين تشرف انوفهم قبل شفاههم وقال فيهم قرة بن حجل بن عبد المطلب

اعدد ضرار ان عددت فتى ندى والليث حمزة واعدد العباسا
واعدد زبيرا والمقوم بعده والصخر حجلا والفتى الرآسا
وابا عينية فاعددنه ثامنا والعز عبد مناف الحماسا
والقرم غيداقا غدون جحاجحا سادوا على رغم العدى الباسا
والحارث الفياض ولى ماجدا ايام نازعه الهمام الكاسا
ما في الانام عمومة كعمومتي خيرى ولا كأناسهن اناسا

قال والعقب من عبد المطلب للعباس وابي طالب والحارث وابي لهب وقد كان للحمزة والمقوم والزبير وحجل بناء عبد المطلب اولاد لا صلا بهم فماتوا والباقون لم يعقبوا وكان العدد من بني هاشم في بني الحارث ثم تحول الى بني ابي طالب ثم صار في بني العباس وروى من طريق البخاري عن هشام بن عروة انه كان للنبي صلى الله عليه وسلم ست عمات وهن صفية ام الزبير وعاتكة وبرة واروى واميمة وام حكيم البيضاء لم يسلم منهن غير صفية في

امارة عثمان كذا قال وقد ذكر محمد بن سعد ان عاتكة اسلمت ايضا بمكة وهاجرت الى المدينة وفى بعض الروايات عن ابن سعد ان اميمة اسلمت ايضا ومن طريق عبد الرزاق انبأنا ابو عدى عن عطاء بن دينار انه قال ما علمنا امرأة ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم من ازواجه الا خديجة وقال ابن عامر ولدت خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم وعبد الله وفاطمة وكلثوم ورقية وزينب

(باب ذكر بنيه وبناته وازواجه)

روى بن سعد عن ابن عباس انه قال كان اكبر اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وكانت ولادته قبل النبوة وبه كان يكنى ثم زينب ثم عبد الله ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي ان القاسم وزينب ورقية وفاطمة كانت ولادتهم قبل الاسلام واما عبد الله ويسمى الطيب والطاهر فولد فى الاسلام وام الجميع خديجة فكان اول من مات من ولده القاسم ثم مات عبد الله بمكة فقال العاص بن وائل السهمى قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى انا اعطيناك الكوثر ثم ولدت له مارية بالمدينة ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة فمات ابن ثمانية عشر شهرا قال هشام ابن الكلبي قد تزوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن شمس بن عبد مناف فولدت له عليا وامامة وكان يقال لابى العاص جرو البطحاء يعنى انه كان متلدا بها وخرج الى الشام فانشد

ذكرت زينب لما ادركت ارما   فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الامين جزاها الله صالحة   وكل بعل سيثنى بالذى علما

وتوفيت سنة ثمان من الهجرة واما رقية فقد تزوجها عتبة بن ابى لهب وتزوج ام كلثوم عتيبة بن ابى لهب فلم يبتنيا بهما حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انزل الله تعالى تبت يدا ابى لهب قال لهما ابوهما رأسى من رأسكما حرام ان تطلقا ابنتيه ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية فولدت له عبد الله الذى تكنى به وبلغ ست سنين فنقره ديك على عينه فمات

وتوفيت رقيـة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فقدم زيد بن حارثة المدينة بشيرا بما فتح الله تعالى على نبيه ببدر فجاء حين سوّى التراب على رقيـة وكانت بدر صبيحة يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ثم تزوج عثمان ام كلثوم فماتت عنده فى شعبان سنة تسع من الهجرة ولم تلد له شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عندى ثالثة ازوجتها عثمان وتزوج على بن ابى طالب فاطمة الثلاث بقين من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة فولدت له الحسن والحسين وام كلثوم وزينب وتوفيت بعد النبى صلى الله عليه وسلم بستة اشهر قال محمد بن عروة هذا اثبت الاقاويل عندنا وصلى عليها العباس بن عبد المطلب ونزل فى حفرتها هو وعلى والفضل بن العباس وروى الزبير بن بكار عن ابن عباس فى سبب نزول ان اعطيناك الكوثر انه قال ولدت خديجة عبد الله بن محمد ثم ابطأ عليهما الولد من بعد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم رجلا والعاص بن وائل ينظر اليه اذ قال له رجل من هذا قال هذا الابتر وكانت قريش اذا ولد للرجل ولد ثم ابطأ عليه الولد من بعده قالوا هذا الابتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر اى مبغضك هو الابتر الذى بتر من كل خير ثم ولدت له زينب فرقية فالقاسم فالطاهر فالمطهر فالطيب فالمطيب فام كلثوم ففاطمة وكانت اصغرهم وكانت خديجة اذا ولدت ولدا دفعته لمن يرضعه فلما ولدت فاطمة لم ترضعها احدا غيرها وروى ابن عدى ان من اولاده صلى الله عليه وسلم ابراهيم وقال الزبير بن بكار ان ابراهيم من مارية بنت شمعون وهى القبطية التى اهداها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقوقس صاحب الاسكندرية واهدى معها اختها سيرين وخصيا يقال له مأبور فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له حسان وقد انقرض ولد حسان بن ثابت وجميع اولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة الا ابراهيم ويقال ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله ويقال ان الطيب والمطيب ولدا فى بطن والطاهر والمطهر فى بطن وروى احمد بن حنبل عن مجاهد ان القاسم مكث سبع ليال ثم مات قال المفضل وهذا خطأ والصواب انه عاش سبعة عشر شهرا ثم توفى وقال الزهرى مات وهو ابن سنتين وقال قتادة عاش حتى مشى وعن عبد الرحمن بن زياد انه لما

حال بابراهيم نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم يا محمد ان الله قد وهب لك غلاما من ام ولدك مارية وامرك ان تسميه ابراهيم فبارك لك بابراهيم وجعله قرة عين لك فى الدنيا والآخرة واشبههم به رواه ابو بكر الخطيب وابو يعلى الموصلى وقال الواقدى ولد ابراهيم فى ذى الحجة من سنة ثمان من الهجرة وقال السدى سألت انسا بن مالك فقلت كم بلغ سن ابراهيم فقال ماءلاء مهده ولو بقى لكان نبيا لكن لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء قال الدارقطنى لم يحدث به الا السدى وروى ابن منده عن انس ان ابراهيم توفى وهو ابن ستة عشر شهرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادفنوه بالبقيع فان له مرضعا يتم رضاعه فى الجنة (١) وفى رواية لو بقى لكان صديقا وروى ابو يعلى الموصلى عن انس انه قال ما رأيت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل الى البيت فيأخذه ويقبله ثم يرجع ثم توفى ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم ابنى وانه مات فى الثدى وان له ظئرا وفى رواية لظئرين تكملا معه رضاعه فى الجنة (٢) وعن جابر بن عبد الله مرفوعا لو عاش ابراهيم لكان نبيا وعن انس لما مات ابراهيم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تدرجوه فى اكفانه حتى انظر اليه فجاء وانكب عليه وبكى حتى اضطرب وعن اسماء بنت يزيد انها قالت لما توفى ابراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر انت احق من علم الله حقه فقال تدمع العين ولا يحزن القلب ولا يسخط الرب ولولا انه وعد صادق وموعود جامع لوجدنا عليك يا ابراهيم وجدا اشد مما وجدنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون . واما زينب فتزوجها ابو العاص بن الربيع بن عبد قيس بن عبد مناف فى الجاهلية فولدت له جارية اسمها امامة فتزوجها على بن ابى طالب بعد ما توفت فاطمة وقتل على وهى عنده فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث

---

(١) رواه الرويانى ورواه ابن سعد عن البراء بلفظ ان له مرضعا فى الجنة يستتم بقية رضاعه وانه صديق شهيد وروى حديث الاصل عبد الرزاق فى الجامع وابو نعيم فى المعرفة عن عدى بن ثابت (٢) مات فى الثدى اى وهو فى سن الرضاع والظئر المرضعة غير ولدها ويقع على الذكر والانثى

ابن عبد المطلب فتوفيت عنده واما رقيـة فتزوجها عثمـان بن عفان فى الجاهلية فولدت له عبـد الله وتوفت ايام غزوة بدر فتولى عثمـان دفنها وهو الذى منعه ان يشـهد بدرا وقد كان عثمان هاجر الى ارض الحبشه وهاجرت رقيـة معه وروى البيهقى (١) بسـنده الى ابن عبـاس انه لمـا مات ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسـلم قال ان له مرضعـا فى الجنة تتم رضاعه ولو عاش لكان صديقا نبيـا ولو عاش لا عتقت اخواله من القبط وروى من طريق فيه عيسى بن عبد الله بن محـمد بن عمر بن على بن ابى طالب وهو ليس بالقوى عن على بن ابى طالب انه قال لمـا توفى ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسـلم ارسل النبى صلى الله عليه وسـلم عليـا بن ابى طالب الى امه مارية القبطية وهى بالمشـربة (٢) فحمله على فى سـفط وجعله بين يديه على الفراش ثم جاء به الى النبى صلى الله عليه وسـلم فغسله وكفنه وخرج به وخرج النـاس معه فدفنه فى الزقاق الذى يلى دار محـمد بن زيد فدخل على فى قبره حتى سوى عليه التراب ودفنـه ثم خرج ورش المـاء على قبره وادخل رسول الله صلى الله عليه وسـلم يده فى قبره ثم قال اما والله انه لنبى من نبى وبكى وبكى المسلمون حتى ارتفعت الاصوات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وعن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسـلم لمـا قدم المدينـة خرجت ابنتـه زينب من مكـة معها كنانة او ابن كنانة فلمـا خرجوا فى اثرها ادركها هبار بن الاسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صـرعها والقت مافى بطنها واهريقت دما فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو امية فقالت بنو امية نحن احق بها وكانت تحت ابن عمهم ابى العاص فكانت عنـد هند بنت ربيعة وكـانت تقول لها هند هذا فى سـبب ابيك فقـال النبى صلى الله عليـه وسـلم لزيد بن حارثة الا تجيئنى بزينب وفى لفظ الا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى قال فخـذ خاتمى فاعطها اياه فلم يزل يتلطف حتى اتى راعيـا يرعى غنمـا فقال لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذان الغنم فقـال له لزينب بنت محـمد فسـار معه شـيئا قال له هل لك ان اعطيك شـيئا تعطيها اياه ولا

(١) رواه الباوردى وابن ماجة وابو نعيم (٢) المشـربة بضم الراء وفتحها الغرفة والعلية والسفط كالجوالق او كالقفة وهو عربى معروف

تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق الراعي وادخل غنمه واعطاها الخاتم فعرفته فقالت من اعطاك هذا قال رجل قالت واين تركته قال بمكان كذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته لها قال اركبي يعني بين يديه على بعيره قالت لا ولكن اركب انت بين يدي فركب وركبت وراءه حتى انت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي افضل بناتي اصيبت في ولما بلغ هذا الحديث علي بن الحسين انطلق الى عروة فقال ما هذا الحديث الذي بلغني عنك تنتقص فيه حق فاطمة فقال له عروة بن الزبير والله اني لا احب ان لي ما بين المشرق والمغرب واني انتقص فاطمة حقا لها واما بعد ذلك فلك ان لا احدث به ابدا وروى الطبراني هذه القصة بسنده الى عروة بن الزبير ان رجلا اقبل بزينب بنت رسول الله يريد المدينة فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعها فوقعت على صخرة فاسقطت واهريقت دما فذهبوا بها الى ابي سفيان فجاءته نساء بني هاشم فدفعها اليهم ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع فكانوا يرون انها شهيدة وروى ابن منده عن ابي جريج قال قال لي غير واحد كانت زينب اكبر بنات رسول الله وكانت فاطمة اصغرهن واحبهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن حزم توفيت زينب في اول سنة ثمان من الهجرة وروى ابن منده والطبراني عن اسماء بنت ابي بكر انها قالت كنت احمل الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وهما في الغار فجاء عثمان فقال يا رسول الله اني اسمع من المشركين من الاذى فيك مالا صبر لي عليه فوجهني وجها اتوجهه لاهجرنهم في ذات الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ازممت بذلك يا عثمان قال نعم قال فليكن وجهك الى هذا الرجل بالحبشة يعني النجاشي فانه ذو وفاء واحمل معك رقية فلا تخلفها ومن رأى معك من المسلمين مثل رأيك فليتوجهوا الى هناك وليحملوا معهم نساءهم ولا يخالفوهم فودع حينئذ عثمان النبي صلى الله عليه وسلم وقبل يده ثم بلغ المسلمين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم اني خارج من تحت ليلتي فمتم لكم بجدة ليلة او ليلتين فان ابطأتم فوجهي الى باخع جزيرة في البحر قالت اسما فحملت طعاما الى رسول الله فقال لي ما فعل عثمان ورقية فقلت قد سارا وذهبا فقال لي قد سارا وذهبا

قلت نعم فالتفت الى ابى بكر فقال زعمت اسماء ان عثمان ورقية قد سارا فذهبا والذى نفسى بيده انه لاول من هاجر بعد ابراهيم ولوط وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما عزى بابنته رقية امرأة عثمان قال دفن البنات من المكرمات وقال ابن سعد رقية هذه امها خديجة وكان قد تزوجها عتبة بن ابى لهب قبل النبوة فلما كانت النبوة وانزل تعالى تبت يدا ابى لهب قال له ابوه ابو لهب رأسى من رأسك حرام ان لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن دخل بها واسلمت حين اسلمت امها خديجة وبايعت رسول الله هى واخواتها حين بايعت النساء وتزوجها عثمان وهاجرت معه الى الحبشة الهجرتين جميعا وقال رسول الله انها لاول من هاجر الى الله تعالى بعد لوط وكانت فى الهجرة الاولى قد اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت له بعد ذلك ابنا فسماه عبد الله وكان عثمان يكنى به فى الاسلام وبلغ ست سنين فنقره ديك فى وجهه فطم وجهه فمات ولم تلد له بعد ذلك شيئا وهاجرت الى المدينة بعد زوجها عثمان حين هاجر رسول الله ومرضت ووالدها يتجهز الى بدر فخلف عليها عثمان فتوفيت ووالدها ببدر فى شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة من بدر بشيرا فدخل المدينة حين سوى التراب على رقية وعن ابى هريرة مرفوعا اتانى جبريل فقال ان الله يأمرك ان تزوج عثمان ام كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها رواه ابن منده وروى ايضا عن ابى امامة لما وضعت ام كلثوم زينب بنت رسول الله فى القبر قال النبى صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم قال بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله فطفق يطرح اليهم الجيوب (١) ويقول

---

(١) قوله الجيوب كتبه فى الاصل بالياء ولم اجد له معنى يليق بالموضوع بعد الفحص فى كتب الغريب واللغة والذى اراه ان هذه اللفظة مصحفة واصلها الجنوب بالنون بعد الجيم ومعناها كما فى نهاية الغريب جمع جنب وهو القطعة من الشئ فيكون المعنى يطرح لهم القطع من الحجارة واللبن واشار فى الحديث الى ان الميت لا يضره تشعيث قبره ولا تنفعه زخرفته وانما يكون شئ من الزخرفة لتطييب قلب الحى وتخفيف مصابه ولهذا لما مر عمر رضى الله عنه على قبر عليه مظلة امر برفعها وقال انما يظله عمله وايضا فان الموتى قد صاروا فى برزخ الآخرة وانقطعت امالهم من الدنيا فلا يلتفتون الى شئ منها وهم مشغولون بآخرتهم فلا يهمهم زخرفة قبرهم ولا احوال اهل الدنيا اجمع فالمنعم منهم لا يبيع ذرة من نعيمه بملك الدنيا والمعذب مشغول بما هو فيه ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه فما يفعله الذين اشتروا البدعة بالسنة هو من الغفلة وقلة العقل

سدوا خلال اللبن الا ان هذا ليس بشيء ولكن تطيب به نفس الحي وروى ابن سعد ان عثمان تزوج ام كلثوم وكانت بكرا ولم تلد له شيئا ولما ماتت سنة تسع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كن عشرا لزوجتهن عثمان وعن عائشة انها قالت اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فلم يغادر(١) منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي فاقعدها عن يمينه اوعن شماله فسارّها بشيء فبكت فسارّها بشيء فضحكت فقلت لها خصك رسول الله من بيننا بالسر ثم تبكين فلما قام قلت لها بم سارك فقالت ما كنت لافشي سره فلما توفى قلت لها اسئالك بمالي عليك من حق لما اخبرتيني فقالت اما الآن فنعم فقالت قال لى ان جبريل كان يعارضني بالقرآن فى كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا ارى ذلك الا عند اقتراب الاجل فاتقي الله واصبري فنعم السلف انا لك فبكيت ثم سارني فقال اما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او قال سيدة هذه الامة رواه مسلم واحمد وعن المسور بن مخرمة مرفوعا انما فاطمة بضعة مني(٢) يؤذيني ما اذاها ويغضبني ما اغضبها رواه مسلم وروى ابو يعلى الموصلي عن الحسين بن على عن على مرفوعا يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك وقال المؤمل كانت ولادة فاطمة قبل النبوة باربع سنين وقال ابو جعفر دخل العباس وعلى بن ابي طالب على فاطمة فقال لها انا اسن منك فقال العباس اما انت يا فاطمة فولدت وقريش تبنى الكعبة ورسول الله ابن خمس وثلاثين سنة واما انت يا على فولدت قبل ذلك بسنوات وقال محمد بن عمرو بن على تزوج على فاطمة فى رجب بعد الهجرة بخمسة اشهر وبنى بها لما رجع من بدر وهى بنت ثماني عشرة سنة وقال سليمان الهاشمي ولدت فاطمة سنة احدى واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وماتت وهى ابنة احدى وعشرين سنة (٣) وعن ابي الزبير ان النبي صلى الله

---

(١) يغادر يترك (٢) بضعة بفتح الباء القطعة من اللحم وقد تكسر اى انها جزء مني كما ان القطعة من اللحم جزء من صاحبها وقد روى الترمذي هذا الحديث وقال هو حديث حسن صحيح ولفظه عن المسور قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم عليا بن ابي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد بن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانها بضعة مني الحديث (٣) رواية ابي جعفر المتقدمة اصح من هذه الرواية واقرب الى الصواب

عليه وسلم قال لفاطمة انت اول اهلي تلحق بي فلم تمكث بعده الا شهرين وعن الزهري انها ماتت بعده بثلاثة اشهر وقال ابو جعفر بستة اشهر وقيل بثمانية اشهر وقيل بعده بسبعين يوما وليلة وقيل ماتت وهي بنت تسع وعشرين سنة وقيل ثمان وعشرين سنة وقال محمد بن عمر الاثبت عندنا انها ماتت بعده بستة اشهر وهي بنت تسع وعشرين سنة او نحوها وقال ابن عباس قبض النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة وكان يقسم لثمان وقال انس وابن عباس ايضا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة من النساء فوافق ذلك تخييره نسائه وقصره الله على ازواجه اللائي تخييرهن واتاهن اجورهن (١) وكان اللائي حرم منهن حراما بتيا ودخل بهن دخولا باينا خمس عشرة دخل بثلاث عشرة واجتمع عنده منهن احدى عشرة وتوفي عن تسع . فاما الخمس عشرة فهن عمرة بنت يزيد الغفارية وكان تزوجها فلما خلا بها رأى بها وضحا فردها (٢) وقد اوجب المهر وحرمت على من بعده وصار الحكم فيمن ادخلت عليه امرأة فاغلق بابا او ارخى سترا او جرد ثوبا او خلى للبناء افضى او لم يفض (٣) فقد وجب الصداق عليه . ومنهن الثنيا وكانت لما ادخلت عليه لم تكن بالمسيرة لما ادخلت فانظرها اليسير ومات ابراهيم ابن رسول الله على فتنة ذلك فقالت لو كان نبيا ما مات احب الناس اليه واعزها عليه فطلقها ووجب المهر وحرمت على الازواج فهاتان اثنتان وبقي الثلاث عشرة اللواتي بنا بهن وهن خديجة بنت خويلد بنت اسد بن عبد العزى وكانت قبله عند ابي هالة زرارة بن البناء وقبله عند عتيق بن عائذ وسويدة بنت زمعة وكانت قبله تحت ابن عم لها وعائشة بنت ابي بكر ولم يتزوج بكرا غيرها وحفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله تحت حنيش بن حداية وام سلمة واسمها هند بنت ابي امية بن المغيرة وكانت قبله عند ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسود بن عبد هلال وام حبيبة واسمها ارملة بنت ابي سفيان وكانت

---

(١) يشير بهذه الرواية الى قوله تعالى في سورة الاحزاب ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء والى قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك (٢) الوضح البرص (٣) البناء لغة في الباءة وهي الجماع والافضاء كناية عن الجماع ايضا

قبله تحت عبد الله بن جحش وجويريه بنت الحارث وكانت قبله تحت مالك ابن نصر بن صفوان وزينب بنت جحش بن رباب وكانت قبله تحت زيد بن حارثة وزينب بنت خزيمة بن الحارث وهي ام المساكين وكانت قبله تحت الطفيل بن الحارث وصفية بنت حي بن اخطب وكانت قبله عند سلام بن الحكم وميمونة بنت الحارث وكانت عند عمير بن عمر احد بني عقدة وام شريك بنت جابر بن حكيم وكانت قبله تحت ابي العكبر الازدي وكان ابو العكبر حلفا في الازد ثم انقرضوا فلم يبق منهم احد واشاعة بنت رفاعة وبنو رفاعة هؤلاء من بني كلاب وكانوا حلفاء بني قريظة فاصيبوا يوم اصيبوا فلم يبق منهم احد فاما خديجة بنت خويلد فماتت قبل ان تجتمع باحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم واما الثنيا فان رسول الله لما خير نسائه بين الدنيا والآخرة فانها اختارت ان تتزوج بعده فطلقها . واما المجتمعات عنده فسودة وعائشة وحفصة وام سلمة وام حبيبة وجويرية وصفية وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وميمونة وام شريك واما اللواتي توفي عنهن فعائشة وحفصة وام سلمة وام حبيبة وجويريه وصفية وزينب الصواب سودة وميمونة وكانت له سريتان يقسم لهما مع ازواجه وهما مارية القبطية ام ابراهيم والحارثة بنت شمعون قال ابن ابي مليكة سئالت عائشة عن قسمه لامي ولده فقالت كان يقسم لهما مرة ويدعهما مرة فاذا قسم اضعف قسمنا فلاحداهن يوما ولنا يومان وعلى ذلك يقسم للمرأة المملوكة النصف مما قسم للحرة واجمع عمر والمسلمون على ان ام الولد كالمدبرة وانها مملوكة مدة حياة مواليها ثم هي حرة بعد مولاها حفظا للفروج وقال ابن منده قسم عمر ابن الخطاب في خلافته لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر الف درهم لكل امرأة منهن وقسم لجويرية وصفية ستة آلاف لانهما كانتا سبيا وقد كان رسول الله قسم لهما وحجبهما وحج بهما وقال ابن منده تزوج رسول الله العالية بنت ظبيان فدخل بها وطلقها وقيل طلقها قبل ان يدخل بها وتزوج اخت ابي الجون الكندي فاستعاذت منه فقال لها لقد عذت بعظيم الحق باهلك فطلقها ولم يدخل بها

(خبر تزوجه صلى الله عليه وسلم بخديجة)

كان عمار بن ياسر اذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزوج رسول الله بخديجة وما يكثرون فيه يقول انا اعلم الناس بتزوجه بها انا كنت الخاطب واني خرجت مع رسول الله ذات يوم حتى اذا كنا بالحزورة (١) جزنا على اخت خديجة وهي جالسة على ادم معها فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة قال عمار فرجعت اليه فاخبرته فقال بلى لعمري فذكرت لها قوله فقالت اغد علينا اذا اصبحنا قال فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا ابا خديجة حلة وصفروا لحيته فكلمت اخاها ثم اتوا اباها وكان قد سقي خمرا فذكروا له رسول الله وسألوه ان يزوجه فزوجه خديجة وصنعوا من البقرة طعاما فاكلنا منه ونام ابوها ثم استيقظ صاحيا فقال ما هذه الحلة وهذه المقنعة وهذا الطعام فقالت له ابنته التي كانت كلمت عمارا هذه الحلة كساكها محمد بن عبد الله وبقرة اهداها لك رواه البيهقي وزاد فذكيناها وذلك حين زوجته خديجة فانكر ان يكون زوجه وخرج يصيح حتى جاؤه وقال البيهقي فجاؤه فكلموه فقال اين صاحبكم الذي تزعمون اني زوجته فبرز له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه قال ان كنت زوجته فقد مضى ذلك وان لم اكن فعلت فقد زوجته وروى اللالكائي القصة بهذا اللفظ وقال المؤملي والمجمع عليه ان عمها عمرو بن اسد هو الذي زوجها قال البيهقي وفيما اخبرنا به ابو عبد الله الحافظ ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج على خديجة حتى ماتت انتهى وهي اول امرأة تزوجها وكان عتيق بن عائذ قد تزوجها بكرا فولدت له بنتا ثم مات عنها فتزوجها ابو هالة هند بن النباش ابن زرارة فولدت له رجلا وامرأة ثم تزوجها رسول الله فولدت له بناته الاربع وولدت له بعد البنات القاسم والطاهر والطيب فذهبت الغلمة جميعا (٢) وهم

(١) قال الامام الشافعي الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما مخففتان وقال السهيلي في الروض الانف الحزورة اسم سوق كانت بمكة وادخلت في المسجد لما زيد فيه (٢) الغلمة جمع غلام

يرضعون وفى رواية الواقدى ان خديجة كان عمرها يوم تزوجها رسول الله اربعا واربعين سنة وكان الواقدى يزعم ان عمها هو الذى زوجها وان اباها مات قبل الفجار وقال ابن شهاب الزهرى ان خديجة اول من اسلم وتوفيت بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وروى من طريق الزبير بن بكار ان عمرها كان يوم زواجها ثلاثين سنة وروى محمدبن السائب عن ابى صالح عن ابن عباس ان عمرها كان ثمانية وعشرين سنة وان مهرها كان اثنتى عشرة اوقية وكذلك كانت مهور نسائه وروى موسى بن عقبة عن حكيم ابن خزام ان خديجة ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة وتوفيت فى رمضان سنة عشر من النبوة وهى يومئذ ابنة خمس وستين سنة وكان سنها يوم تزوجها رسول الله اربعين سنة قال ولما ماتت خرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة وكان ذلك قبل الهجرة بسنوات او نحوها وبعد خروج بنى هاشم من الشعب بسنتين قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم فاحتملتنى الغيرة فقلت لقد عوضك الله من كبيرة السن قالت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضبا شديدا حتى اسقطت فى جلدى وقلت فى نفسى اللهم انك ان اذهبت غضب رسولك عنى لم اعد اذكرها بسوء ما بقيت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالقيت قال كيف قلت والله لقد امنت بى اذ كفر بى الناس واوتنى اذ رفضنى الناس وصدقتنى اذ كذبنى الناس ورزقت منها الولد اذ حرمتموه منى قالت فغدا وراح بها على شهرا

﴿ خبر تزويج عائشة ﴾

روى الامام احمد فى مسنده عن يحي بن معين عن عبد الله بن حاطب انه قال لما ماتت خديجة جاءت خولة ابنة حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت يا رسول الله الا تتزوج قال من قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت ابنة احب خلق الله اليك عائشة ابنة ابى بكر قال ومن

الثيب قالت سودة ابنة زمعة قد امنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريها على فدخلت بيت ابي بكر فقالت يا ام رومان ماذا ادخل الله عليكما من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة قالت انتظرى ابا بكر حتى يأتي فجاء ابو بكر فقالت يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكما من الخير والبركة قال وما ذاك قالت ارسلني رسول الله اخطب عائشة قال وهل تصلح له انما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انا اخوك وانت اخي في الاسلام وابنتك تصلح لي فرجعت فذكرت ذلك لابي بكر فقال انتظرى وخرج قالت ام رومان ان مطعماً بن عدى كان قد ذكرها لابنه فوالله ما وعد ابو بكر وعدا قط فاخلفه فدخل ابو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته ام الفتى فقالت يا ابن ابي قحافة لعلك تغرى صاحبنا فدخله في دينك الذى انت عليه ان تزوج اليك فقال ابو بكر للمطعم بن عدى اقول هذه تقول ذلك فخرج من عنده وقد اذهب الله تعالى ما كان في نفسه من عدته التي وعدها فرجع فقال لخولة ادعى لي رسول الله فدعته فزوجها اياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة ابنة زمعة فقالت ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ان ادخل الى ابي فاذكرى ذلك له وكان شيخا كبيرا قد ادركه السن وقد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحيته تحية الجاهلية فقال من هذه فقالت خولة ابنة حكيم قال فما شأنك فقالت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة فقال كفؤ كريم ما تقول صاحبتك قالت تحب ذاك قال ادعيها فدعتها فقال اى بنية ان هذه تزعم ان محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفؤ كريم اتحبين ان ازوجك قالت نعم قال ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فزوجها اياه فجاء اخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثى في رأسه التراب فقال بعد ان اسلم لعمرك اني لسفيه يوم احثى في رأسي التراب ان تزوج رسول الله سودة بنت زمعة قالت عائشة فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح (١) قالت فجاء رسول الله فدخل

(١) السنح بالسين والحاء المهملتين بينهما نون موضع قرب المدينة فيه منازل بني الحارث وكان به مسكن ابي بكر رضى الله عنه لانه كانت له زوجة من بني الحارث فسكن عندهم

بيتنا واجتمع اليه رجال من الانصار ونساء فجاءت الى امى وابى وانا لفى ارجوحة بين عذقين (١) فرحب بى فانزلنى من الارجوحة ولى حشمة ففرقتها ومسحت وجهى بشئ من ماء ثم جعلت تقربنى حتى وقفت بى عند الباب وانا لا نهج (٢) حتى سكنت من نفسى ثم دخلت بى فاذا رسول الله جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فاجلستنى فى حجرة ثم قالت هؤلاء اهلك فبارك الله فيهم وبارك لهم فيك فوثبت النساء والرجال فخرجوا وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا ما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة حتى ارسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسلها لرسول الله اذا دار على نسائه وانا يومئذ ابنة تسع سنين قال ابو داود اخرج بعض هذا الحديث عن عبيدة بن معاذ عن ابيه عن محمد بن عمرو عن يحيي ابن عبد الرحمن وحده عن عائشة وكذلك رواه سعد بن يحيي بن سعيد الاموى عن ابيه عن محمد بن عمرو بطوله وروى انه كان يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة وروى محمد بن سعد عن بكير قال قدم السكران بن عمرو مكة من ارض الحبشة ومعه امرأته سودة فتوفى عنها بمكة فلما حلت ارسل رسول الله اليها فخطبها فقالت امرى اليك يا رسول الله فقال لها مرى رجلا من قومك يزوجك فامرت حاطب بن عمرو فزوجها وكانت اول امرأة تزوجها رسول الله بعد خديجة وقال عبد الله بن اسلم تزوج رسول الله سودة فى رمضان سنة عشرة من النبوة بعد وفاة خديجة وقبل تزوج عائشة ودخل بها بمكة وهاجر بها الى المدينة وتوفت فى شوال سنة اربع وخمسين بالمدينة فى خلافة معاوية قال محمد بن عمرو وهذا اثبت عندنا وروى من طريق البخارى انها توفت فى زمن عمر وروى هذا محمد بن وهب وروى عن عائشة انها قالت تزوجنى رسول الله بعد خديجة بثلاث سنين اقول باعتبار دخوله بها لما تقدم من انه لما خطبها كان عمرها ست سنين ولما بنى بها كان عمرها تسع سنين اه وقال ابو عثمان النهدى كان عمرو بن العاص جالسا يحدث الناس عن جيش السلاسل فقال فى اثناء حديثه يا رسول الله اى الناس

---

(١) العذق بالفتح النخلة وبالكسر العرجون بما فيه من الشماريخ (٢) النهج بالتحريك والنهيج الربو وتواتر النفس من شدة الحركة او من فعل متعب

احب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال ابوها ابو بكر قلت ثم من قال عمر بن الخطاب قلت ثم من قال فعدد لى رجالا رواه البخارى ومسلم وعن جابر انه قال بنى رسول الله بعائشة بعد رجوعه من بدر وقال خليفة بن خياط فى سنة اثنتين ابتنى رسول الله بعائشة وقال الامام احمد بلغنى ان عائشة توفت سنة سبع وخمسين وقال الهيثم بن عدى سنة ست وخمسين

(خبر جويرية)

روى ابو يعلى الموصلى عن عائشة انها قالت جاءت جويرية الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت انى وقعت فى سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسى فجئت استعينك على كتابتى (١) فقال لها هل لك فى خير من ذلك اقض عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم قال قد فعلت وروى الواقدى القصة مطولة فقال كانت غزوة المريسيع سنة خمس فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان وقدم المدينة لهلال رمضان وغاب شهرا الا ليلتين فحدثنى عبد الله بن يزيد بن قسيط عن ابيه عن ابن شربان عن عائشة انها قالت كانت جويرية جارية حلوة لا يكاد يراها احد الا ذهبت بنفسه فبينما النبى صلى الله عليه وسلم عندى ونحن على الماء اذ دخلت عليه تسئاله فى كتابتها فوالله ما هو الا ان رأيتها فكرهت دخولها عليه وعرفت انه سيرى منها مثل الذى رأيت فقالت يا رسول الله انى امرأة مسلمة اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وانى جويرية بنت الحارث ابن ابى ضرار بنت سيد قومه اصابنا من الامر ما قد علمت ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فخلصنى من ابن عمه وصرت معه فى المدينة فكاتبنى ثابت على ما لا طاقة لى به عليه ولا يدان لى به وما اكرهنى على ذلك الا انى رجوتك فاعنى فى مكاتبتى فقال لها او خير من ذلك قالت وما هو قال أأدى عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم

(١) الكتابة ان يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجما يعنى مقسطا اقساطا فاذا اداه صار حرا وسميت كتابة لان العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه العتق

يا رسول الله قد فعلت فارسل الى ثابت فطلبها منه فقال هى لك يا رسول الله بابى وامى فادى ما كان عليها من كتابتها واعتقها وتزوجها وخرج الخبر الى الناس ورجال بمصطلق قد اقتسموا ووطئوا وملكوا ووطئوا نسائهم فقالوا اصهار النبى عليه السلام فاعتقوا ما بايديهم من ذلك السبى قالت عائشة فاعتق يومئذ مائة اهل بيت بتزوج رسول الله اياها فلا اعلم امرأة اعظم بركة على قومها منها وروى ان جويرية قالت افتدانى ابى من ثابت بن قيس بما افتديت به امرأة من السبى ثم خطبنى رسول الله قال الواقدى وحديث عائشة اثبت من هذا عندنا اه وروى ان جويرية هذه سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما افاء الله عليه من المريسيع فى غزوة بنى المصطلق فسارت معه فلما كانت بقرب المدينة امر رجلا من الانصار بحفظها كالوديعة عنده فلما اتى المدينة اقبل ابوها الحارث وكان من اشراف قومه ليفدى ابنته فلما كان بالعقيق نظر الى ابله فاعجبه بعيران منها ثم اقبل الى رسول الله بسائر الابل وقال يا محمد اصبتم ابنتى وهذا فداؤها فقال له اين البعيران اللذان غيبت بالعقيق بشعب كذا وكذا فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله لقد كان ذلك منى فى البعيرين وما اطلع على ذلك الا الله تعالى فاسلم الحارث ثم اتى بالبعيرين ودفع الابل كلها الى رسول الله ودفع اليه ابنته فاسلمت جويرية مع ابيها واخويها وحسن اسلامها وخطبها رسول الله كما بلغنا فنكحها وكانت جويرية من قبل عند ابن عم لها يقال له عبد الله ذو الشقرة وروى ابن سعد عن ابى قلابة ان رسول الله سبى جويرية فجاء ابوها فقال ان ابنتى لا يسبى مثلها فانا اكرم من ذلك فخل سبيلها قال ارأيت ان خيرناها اليس قد احسنا قال نعم فلما خيراها اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى هكذا رويت القصة من وجوه والاثبت حديث عائشة ويحتمل ان اباها جاء بعد الواقعة التى روتها عائشة وتوفيت جويرية فى شهر ربيع الاول سنة ست وخمسين وكان عمرها حينما تزوجها عشرين سنة لست سنين من الهجرة وقيل توفت سنة ستين والاول اصح

(خبر صفية زوج النبى صلى الله عليه وسلم)

روى الواقدى ان صفية كانت تحدث عن قومها فقالت خرجنا من المدينة

فاقمنا بخيبر فتزوجني كنانة بن ابي الحقيق فاعرس بي قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايام وذبح جزرا ودعا يهود وجعلني في حصنه السلالم فرأيت في النوم كأن قمرا قد اقبل من يثرب يسير حتى وقع في حجري فذكرت ذلك لكنانة زوجي فلطم عيني فاخضرت فنظر اليها رسول الله حين دخلت عليه فسألني فاخبرته قال فجعلت يهود ذراريها في الحصون للمقاتلة فلما نازلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتتح حصننا دخل على كنانة فقال قد فرغ محمد من أهل البطأة وليس ههنا احد يقاتل فان يهود قد قتلت وكذبتنا الاعراب فحولني الى حصن البراز بالشق قالت وهو احصن ما عندنا فخرج حتى ادخلني وثبت عمي فسار رسول الله اليها قبل الكتيبة فسبيت في البراز قبل ان ينتهي الى الكتيبة فارسل بي الى رحله ثم جاءني حين امسى فدعاني فجئت متقنعة حبة فجئت فجلست بين يديه فقال ان اقمت على دينك لم اكرهك وان اخترت الاسلام واخترت الله ورسوله فهو خير لك فقالت اختار الله ورسوله والاسلام فاعتقني وتزوجني وجعل عتقي مهرا فلما اراد ان يخرج الى المدينة قال اصحابه اليوم نعلم ازوجة هي ام سرية فان كانت امرأة فسيحجبها والا فسرية فلما خرج امر بستر فسترت به فعرفوا اني زوجته ثم قدم الى البعير فقدم فخذه لاضع رجلي عليها فاعظمت ذلك ووضعت فخذي على فخذه ثم ركبت فكنت القى من ازواجه يفخرن على يقولن يا بنت اليهودي وكنت ارى رسول الله يتلطف بي ويكرمني فدخل علي يوما وانا ابكي فقلت ازواجك يفخرن على ويقلن بنت اليهودي قالت فرأيت رسول الله غضب ثم قال اذا قالوا لك ذلك او فاخروك فقولي ابي هارون وعمي موسى وروى الترمذي ان حفصة عيرت زينب فبكت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها انك لبنت نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي فيم تفخر عليك ثم قال لحفصة اتقي الله يا حفصة قال ابن سعد ماتت صفية بنت حيي سنة خمسين في خلافة معاوية وقيل سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع والاول اثبت قال عطاء كانت صفية آخر من مات بالمدينة من ازواجه عليه السلام وروى النسائي عن كريب مولى ابن عباس مرفوعا الاخوات الاربع ميمونة وام الفضل وسلمى واسمى بنت عميس اختهن لامهن مؤمنات

خبر وفاة ميمونة

قال خليفة بن خياط توفت ميمونة سنة احدى وخمسين وقال ابو عبيد سنة اثنتين وخمسين وقيل سنة ثلاث وستين وقيل سنة احدى وستين وفى هذه الاقوال نظر وفى الحديث الصحيح ما يدل على ان ميمونة توفت قبل عائشة وكانت وفاة عائشة سنة سبع وخمسين . فهذه اسماء ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللاتى دخل بهن وقد تزوج بغيرهن ولم يبن عليهن واليك بيانهن

خبر قتيلة بنت قيس اخت الاشعث
وفاطمة بنت الضحاك

قال ابن عباس تزوج النبي صلى الله عليه وسلم قتيلة فمات قبل ان يدخل بها وقال عكرمة انها تزوجت بعده بعكرمة بن ابى جهل فاراد ابو بكر رضى الله عنه ان يضرب عنقه فقال له عمر ان رسول الله لم يتعرض لها ولم يدخل بها وارتدت مع اخيها فبرئت من الله ورسوله فلم يزل به حتى كف عنه وروى ابن سعد ان الوليد بن عبد الملك كتب الى عروة يسئاله هل تزوج النبي صلى الله عليه وسلم اخت الاشعث بن قيس يعنى قتيلة فقال ما تزوجها قط وما تزوج كندية الا اخت بنى الجون فملكها فلما اتى بها وقدمت المدينة نظر اليها فطلقها ولم يبن بها ويقال انها فاطمة بنت الضحاك وروى الزهرى انه لما دخل على فاطمة استعاذت منه فطلقها فكانت تلقط البعر وتقول انا الشقية وتزوجها رسول الله فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين

خبر اسماء بنت كعب الجونية
وعمرة بنت يزيد الكلابية

قال ابن اسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج اسماء بنت كعب فلم يدخل بها حتى طلقها وتزوج عمرة ابنت يزيد احد نساء بنى كلاب وكانت قبله عند الفضل بن عباس بن عبد المطلب فطلقها قبل ان يدخل بها ويقال انها اسماء بنت النعير وروى ان اسماء الجونية لما دخل بها استعاذت منه ولم تستعذ منه امرأة غيرها وانما خدعت لما رأى من جمالها وهيئتها وقد ذكر لرسول الله من حملها على ذلك يعنى ان السبب كان من نسائه فقال انهن

صواحب يوسف وكيدهن وقال ابن عباس لما استعاذت منه خرج والغضب يعرف فى وجهه فقال له الاشعث بن قيس لا يسوءك الله يا رسول الله الا ازواجك من ليس دونها فى الجمال والحسن فقال من قال اختى قتيلة قال قد تزوجتها قال فانصرف الاشعث الى حضرموت ثم حملها حتى اذا فصل من اليمن بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فردها الى بلاده وارتد وارتدت معه فيمن ارتد فلذلك تزوجت لفساد النكاح

خبر سبا بنت اسماء بنت الصلت

قال قتادة تزوج رسول الله سبا بنت اسماء بنت الصلت وهى عمة عبد الله ابن مخازم بن اسماء واسماء هذه لها صحبة قاله هشام وقد مات صلى الله عليه وسلم قبل ان يدخل بها

خبر عمرة

قال ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا اسيد الساعدى يخطب عليه امرأة من بنى عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب فتزوجها فبلغه ان بها بياضا فطلقها

خبر مليكة بنت كعب الليثى

قال ابن سعد تزوج رسول الله مليكة بنت كعب وكانت تذكر بجمال بارع فدخلت عليها عائشة فقالت اما تستحين ان تنكحى قاتل ابيك فاستعاذت من رسول الله فطلقها فجاء قومها فقالوا يا رسول الله انها صغيرة وانها لا رأى لها وانها خدعت فارتجعها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن لهم ان يزوجوها وكان ابوها قتل يوم فتح مكة قتله خالد بن الوليد وكان زواجها فى شهر رمضان سنة ثمان وقيل انه دخل بها فماتت عنده قال محمد بن عمرو اصحابنا ينكرون ذلك ويقولون لم يتزوج كنانية قط وقال الزهرى مثل ذلك

خبر العالية بنت ظبيان

قال ابن شهاب الزهرى تزوج النبي صلى الله عليه وسلم العالية امرأة من بنى ابى بكر بن كلاب فمكثت عنده دهرا ثم طلقها

خبر خولة بنت الهذيل

وممن تزوجهن النبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت الهذيل الثعلبية فحملت

فماتت فى الطريق فنكح خالتها شمراف بنت فضالة فحملت اليه من الشام فماتت فى الطريق

خبر امرأة من بنى غفار

قال سهل بن زيد الانصارى تزوج رسول الله امرأة من غفار فدخل بها فلما رفع ثوبها رأى بياضا من برص عند ثديها فاشمأز فقال خذى ثوبك فلما اصبح قال لها الحقى باهلك واكمل لها مهرها

(خبر سرارى رسول الله صلى الله عليه وسلم)

مارية القبطية

روى سفيان بن عينية عن بريدة بن الحصيب انه قال اهدى امير القبط الى رسول الله جاريتين قبطية وثعلبية فاخذ القبطية فولدت له ابراهيم ابنه وذهبت الثانية وقال ابن ابى خيثمة قدم حاطب بن ابى بلتعة سنة سبع بمارية ام ابراهيم وبغلة واسمها دلدل وحمارة يعنى هدية الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يعجب بمارية وكانت بيضاء جعدة جميلة فانزلها واختها على ام سليم بنت ملحان فدخل عليهما فعرض عليهما الاسلام فاسلمتا هناك فوطئ مارية بالملك وحولها الى مال له بالعالية من اموال بنى النضير فكانت فيه فى الصيف وفى طرقة النخل فكان يأتيها هناك وكانت حسنة الدين ووهب اختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له عبد الرحمن وولدت مارية لرسول الله غلاما فسماه ابراهيم وعق عنه بشاة يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعر رأسه فضة على المساكين وامر بشعره فدفن فى الارض وسماه ابراهيم وكانت القابلة التى اولدت مارية سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت الى زوجها رافع واخبرته بان مارية ولدت غلاما فجاء ابو رافع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره فوهب له عبدا وغار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهن حين رزق من مارية ولدا وروى محمد بن اسحاق عن على كرم الله وجهه ان قبطيا كان ابن عم لمارية وكان يكثر من ان يزورها ويختلف اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى خذ هذا السيف فانطلق الى مارية فان وجدته عندها فاقتله قال على قلت يا رسول الله اكون فى امرك

كالسكة المحماة لا يثنيني شيء حتى امضي لما امرتني به ام الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاهد يرى مالا يراه الغائب فاقبلت متوشي السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما رآني عرف اني اريده فاتى نخلا فرقي فيها ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شال رجليه فاذا به اجب امسح ما له مما قليل ولا كثير قال فاتيت رسول الله فاخبرته فقال الحمد لله الذي صرف عنا اهل البيت وروى البيهقي عن ابن عباس انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لام ابراهيم حين ولدت اعتقها ولدها وهذا الحديث تفرد به زياد بن ابي ايوب وهو ثقة وتوفت مارية سنة خمس عشرة من الهجرة وقيل سنة ست عشرة وهو الصحيح ولما توفت صلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنها بالبقيع

خبر ريحانة بنت زيد

كانت ريحانة بنت زيد بن ابي النضر متزوجة في بني قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذها لنفسه صفيا (١) وكانت جميلة فعرض عليها رسول الله الاسلام فابت الا اليهودية فعزلها ووجد في نفسه وارسل الى ابي سعية فذكر له ذلك فقال فداك ابي وامي هي تسلم فخرج حتى جاءها فجعل يقول لا تبغي قومك فقد رأيت ما ادخل عليهم حيي بن ابي اخطب فاسلمي يصطفيك رسول الله لنفسه فبينما رسول الله في اصحابه اذ سمع وقع نعلين فقال ان هاتين لنعلا ابن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد اسلمت ريحانة فسر بذلك ثم ارسل بها الى بيت ام المنذر فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضتها فجاءت ام المنذر فاخبرت النبي بذلك فجاءها في منزل ام المنذر فقال لها ان احببت اعتقتك وتزوجتك فعلت وان احببت ان تكوني في ملكي اطؤك بالملك فعلت فقالت يا رسول ان احق ما عليك وعلى ان اكون في ملكك فكانت في ملكه يطؤها حتى ماتت عنده وقال الزهري انه اعتقها وتزوجها فكانت تحتجب من اهلها وتقول لا يراني احد بعد رسول الله قال الواقدي وهذا اثبت الحديثين عندنا وروى ابن سعد عن عمر قال اعتق رسول الله ريحانة بنت زيد ابن عمر بن خناقة وكانت عند زوج لها يقال له الحكم وكان محبا لها مكرما

(١) الصفي ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة ويقال له الصفية والجمع الصفايا

فقالت لا استخلف بعده ابدا وكانت ذات جمال فلما سبيت بنو قريظة عرض السبي على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت ريحانة فيمن عرض عليه قالت ريحانة فامرني فعزلت وكان يقول لي صفيي في كل غنيمة فلما عزلت ارسل بي الى بيت ام المنذر بنت قيس اياما حتى قتل الاسرى وفرق السبي ثم دخل علي فتنحيت منه حياء فدعاني فاجلسني بين يديه فقال ان اخترت الله ورسوله اختارك رسوله لنفسه فقلت اني اختار الله ورسوله فلما اسلمت اعتقني وتزوجني واصدقني اثنى عشرة اوقية ونشا كما كان يصدق نساؤه واعرس بي في بيت ام المنذر وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه وضرب علي الحجاب وكان صلى الله عليه وسلم معجبا بها لا تسئاله شيئا الا اعطاها ذلك وقد قيل لها لو كنت سئالت رسول الله بني قريظة لاعتقهم وكانت تقول لقد بخل بي حتى فرق السبي ولقد كان يخلوا بها ويكثر منها فلم تزل عنده حتى ماتت وجعه في حجة الوداع فدفنها في البقيع وكان تزويجه اياها في المحرم سنة ست من الهجرة قال ابو عبيدة وكان مسكن ريحانة في نخل تحت نخل الصدقة وكان صلى الله عليه وسلم يقيل عندها احيانا وزعم بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتدأ به اول وجعه الذي توفي فيه عندهم. هذا ما علم من سراريه وحكى ابو عبيدة انه كان لرسول الله اربع ولائد مارية القبطية وريحانة من بني قريظة وكانت له جارية اخرى جميلة اصابها في السبي فكادها نساؤه وخفن ان تغلبهن عليه وكانت له جارية يقال لها نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش وقد كان هجرها في شأن صفية بنت حيي ذا الحجة والمحرم وصفرا فلما كان شهر ربيع الاول الذي قبض فيه رضي عن زينب ودخل عليها فقالت ما ادري ما اقدم لك فوهبته جاريتها

النساء اللوائي خطبهن عليه السلام ولم يتزوج بهن

قالت ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما بي رغبة عنك وما احب ان اتزوج وبنيّ صغار فقال خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل صغير وارعاه على بعل في ذات

نده وروى محمد بن سعد عن ابن عباس انه قال خطب رسول الله بنتا لابي طالب في الجاهلية وخطبها هبيرة ابن ابي وهب فزوجها ابو طالب لهبيرة فقال له يا عم زوجت هبيرة وتركتني فقال يا ابن اخي انا قد صاهرنا اليهم والكريم يكافئ الكريم ثم اسلمت ففرق الاسلام بينها وبين هبيرة ثم ذكر نحوا مما تقدم وام هانئ اسمها فاختة

خبر ليلى بنت الحطيم

روى محمد بن السائب الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال جاءت ليلى بنت الحطيم الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو مولى الشمس ظهره فضربت على منكبيه فقال من هذا اكله الاسود وكان كثيرا ما يقولها فقالت انا بنت مطعم الطير ومباري الريح انا ليلى بنت الحطيم جئتك لاعرض عليك نفسي لتتزوجني قال قد فعلت فرجعت الى قومها فقالت لهم قد تزوجني محمد فقالوا بئس ما صنعت انت امرأة غيرى ومحمد صاحب نساء تغارين فيدعو الله عليك فاستقيليه نفسك فرجعت فقالت يارسول الله اقلني فقال قد اقلتك قال فتزوجها مسعود بن اوس بن سواد بن ظفر فولدت له فبينما هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل اذ وثب عليها ذئب فاكل بعضها وادركت فماتت

خبر ضباعة

قال ابن عباس كانت ضباعة بنت عامر بن قرط عند هوزة بن على الحنفي فمات عنها فورثت منه مالا كثيرا فتزوجها عبدالله بن جدعان التيمي وكان لا يولد له فسألته الطلاق فطلقها فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة فكان من خيار المسلمين فتوفى عنها هشام وكانت من اجمل نساء العرب واعظمها خلقا وكانت اذا جلست اخذت من الارض شيئا كثيرا وكانت تغطي جسدها بشعرها فذكر جمالها عند النبي صلى الله عليه وسلم فارسل سلمة بن هشام ابن المغيرة يخطبها الى ابيها فقال له ابوها حتى استأمرها فقالت وفي رسول الله تستأمر ارجع فزوجني فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت عنه

خبر ام شريك

قال ابن عباس خطب النبي صلى الله عليه وسلم صفية بنت بشامة بن نضلة العنبرى وكان اصابها سبيا فخيرها فقال ان شئت انا وان شئت زوجك فقالت بل زوجي فارسلها فلعنتها بنو تميم . وقال محمد بن ابراهيم التيمى كانت ام شريك امرأة من بني عامر بن لؤى معيفة (١) فوهبت نفسها لرسول الله فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وقال عامر في قوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ان نساء وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وارجأ (٢) بعضا فلم ينكحن بعده منهن ام شريك وقال على بن الحسن تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام شريك الدوسية قال ابن سعد واسمها غزية بنت جابر وقال ابو هشام وكانت امرأة صالحة

(باب صفة خلقه ومعرفة خلقه)

عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس عظيم العنق مشرب العينين من حمرة اهدب الاشفار كث اللحية شثن الكفين والقدمين ازهر اللون اذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صعد واذ التفت التفت جميعا (٣) رواه الحاكم ورواه الامام احمد وليس فيه

(١) مأخوذ من العيافة وهى زجر الطير والتفاؤل باسمائها واصواتها ومرها وهو من عادة العرب كثيرا وهو كثير في اشعارهم (٢) الارجاء التأخير (٣) اهدب الاشفار اى طويل شعر الاشفار وهى الاجفان التي تنبت عليها الاهداب وقوله كث اللحية بفتح الكاف الكثاثة في اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة اى ثخن وشثن الكفين بالمثلثة قال الاصمعي هو الغليظ الاصابع من الكفين والقدمين قال ابن بطال كانت كفه ممتلئة لحما غير انها مع غاية ضخامتها كانت لينة والازهر الابيض المستنير وقوله اذا مشى تكفأ اى يميل الى سنن المشي وهو ما بين يديه كالسفينة في جريها وهذه مشية اولى العزم والهمة وهى اعدل المشيات فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة وكثير منهم يمشي كالجمل الاهوج وهو علامة خفة العقل وقوله كأنما يمشي في صعد اى في صعود وارتفاع وسيأتي الكلام عليه وقوله واذا التفت التفت جميعا معناه انه كان يلتفت بجميع اجزائه فلا يلوى عنقه يمنة او يسرة اذا نظر الى الشئ لما في ذلك من الخفة وعدم الصيانة وانما كان يقبل جميعا ويدبر جميعا لان ذلك اليق بجلالته ومهابته

عظيم العنق بل فيه عظيم العينين وروى ابو يعلى عن محمد بن الحنفية قال سئل على رضى الله عنه عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان لا طويلا ولا قصيرا حسن الشعر رَجِله مشربا وجهه حمرة ضخم الكراديس شثن الكفين والقدمين عظيم الرأس طويل المسربة لم ار قبله ولا بعده مثله اذا مشى تكفأ كأنما ينحط وفى لفظ ينزل من صبب (١) واخرج ابن سعد عن على بن ابى طالب قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فانى لاخطب يوما على الناس وحبر من احبار اليهود واقف فى يده سفر (٢) ينظر فيه فنادانى فقال صف لنا ابا القاسم فقال على رضى الله عنه انه ليس بالقصير ولا بالطويل البائن (٣) وليس بالجعد القطط ولا بالسبط هو رجل الشعر اسوده ضخم الرأس مشرب لونه بحمرة عظيم الكراديس شثن الكفين والقدمين طويل المسربة وهو الشعر الذى يكون فى النحر الى السرة اهدب الاشفار مقرون الحاجبين صلت الجبين (٤) بعيد ما بين المنكبين اذا مشى يتكفأ كأنما ينزل من صبب لم ار قبله مثله ولم ار بعده مثله قال على ثم سكت فقال لى الحبر وما ذا فقال له على هذا ما يحضرنى فقال الحبر فى عينيه حمرة حسن اللحية حسن الفم تام الاذنين يقبل جميعا ويدبر جميعا فقال على هذه والله صفته قال الحبر وشئ آخر قال على ما هو قال الحبر وفيه حياء فقال على هو الذى قلت لك كأنما ينحط من صبب قال الحبر فانى اجد هذه الصفة فى سفر ابائى ونجده يبعث من حرم الله وامنه وموضع بيته ثم يهاجر الى حرم يحرمه هو وتكون له حرمة الحرم الذى حرم الله ونجد انصاره الذين هاجر اليهم قوما من ولد عمرو بن عامر اهل نخل واهل الارض قبلهم يهود فقال على هو هو رسول الله فقال الحبر

(١) قوله رجله الضمير للشعر والمعنى ان شعره لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل كان وسطا بينهما وقوله ضخم الكراديس معناه عظيم رؤوس العظام والكراديس جمع كردوس بوزن عصفور هو رأس العظم وقيل مجمع العظام كالركبة والمنكب وعظم ذلك يستلزم كمال القوى الباطنية وقوله طويل المسربة هى بوزن مكرمة وقد تفتح الراء وهى الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب من الصدر الى السرة قاله الاصمعى (٢) السفر بكسر السين الكتاب (٣) البائن الظاهر الطول او المفرط فى الطول الخارج عن حد الاعتدال والجعد بفتح فسكون والقطط بفتحتين على الاشهر وبفتح وكسر والسبط من الشعر المنبسط المسترسل والقطط الشديد الجعودة اى كان شعره وسطا بينهما (٤) صلت الجبين واسعه وقيل الصلت الاملس

فانى اشهد انه نبي وانه رسول الله وانه ارسل الى الناس كافة فعلى ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله ثم كان يأتى عليا فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الاسلام ثم خرج على والحبر هناك حتى مات فى خلافة ابى بكر وهو مؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق به وروى عن على فى نعت رسول الله انه قال هو ابيض مشرب بياضه بحمرة اهدب الاشفار اسود الحدقة (١) لا طويل ولا قصير وهوالى الطول اقرب من رآه احبه لا جعد ولا قطط فى صدره مسربة شثن الكفين والقدمين كان عرقه اللؤلؤ اذا مشى تكفأ كأنه يمشى فى صعد لم ار قبله ولا بعده مثله ورواه ابن منده وزاد فيه ضخم الرأس واللحية ضخم الكراديس وكذا رواه ابو نعيم ورواه الامام احمد بلفظ لا طويل ولا قصير مشرب لونه بحمرة حسن الشعر رجله ضخم الكراديس شثن الكفين ضخم الهامة طويل المسربة اذا مشى تكفأ كأنما ينحط فى صبب لم ار مثله قبله ولا بعده ورواه ابن ابى شيبة وزاد فيه كثير شعر الرأس رجل ورواه الرويانى وزاد فيه حسن الشعر وروى ان رجلا من الانصار سأل عليا بن ابى طالب وهو فى مسجد الكوفة عن صفة النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض اللون مشربا حمرة ادعج العينين (٢) سبط الشعر دقيق المسربة سهل الخدين كث اللحية (٣) ذا وفرة كان عنقه ابريق فضة له شعر يجرى من لبته الى سرته كالقضيب ليس فى بطنه ولا فى صدره شعر غيره شثن الكفين والقدمين اذا مشى كأنما ينحدر من صبب واذا التفت التفت جميعا ليس بالطويل ولا بالقصير ولا الفاجر ولا اللئيم (٤) كان عرقه فى وجهه اللؤلؤ ولريح عرقه اطيب من المسك الازفر لم ار مثله قبله ولا بعده واخرج عبد الله بن الامام احمد عن يوسف بن مازن ان رجلا سأل عليا رضى الله عنه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ليس بالذاهب

---

(١) الحدقة العين كما فى النهاية وقال ابن دريد هى السواد المستدير وسط العين اه وهو الصحيح ويقال لها حندوقة بالضم وحنديقة بالكسر (٢) الادعج الشديد سواد العين قاله الاصمعى (٣) سهل الخدين وفى بعض الروايات اسيل الخدين وعلى كل فالمعنى انه كان غير مرتفع الخدين وذلك اجلى واعلى عند العرب وقوله كث اللحية هو بمعنى كثيف اللحية وفى بعض الروايات عظيم اللحية والمعنى واحد (٤) الفاجر المسترسل فى المعاصى والمحارم واللئيم الدنئ الاصل الشحيح النفس

طولا وفوق الربعة (١) اذا كان مع القوم غمرهم ابيض شديد الوضح ضخم الهامة اغر ابلج (٢) اهدب الاشفار شثن الكفين والقدمين اذا مشى يتقلع كأنما يحدر فى صبب وذكر بقية حديثه وكان اذا وصفه ايضا يقول لم يكن بالطويل القطط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة ولم يكن بالجعد وفى رواية لم يكن بالسبط ولا الجعد ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم (٣) وكان فى وجهه تدوير ابيض مشربا حمرة ادعج العينين اهدب الاشفار جليل المشاش والكتد (٤) اجود الناس كفا زاد فى رواية بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين ارحب الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة من رآه بداهة هابه ومن خالطه معرفة احبه (٥) يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله واسناد هذا الحديث منقطع وورد فى بعض الفاظه رقيق العرنين (٦) كأنما شعره مع شحمة اذنيه اذا طال وقال بشير العبدى اتى ناس الى عمر رضى الله عنه فقالوا يا امير المؤمنين صف لنا رسول الله كأنا نراه فانا اليه مشتاقون فقال كان نبي الله ابيض اللون مشربا بحمرة ادعج العينين كث اللحية ذا وفرة رقيق المسربة كان عنقه ابريق فضة كأنما يجرى له شعر من لبته الى سرته يجرى كالقضيب لم يكن فى بطنه ولا فى جسده شعرة غيره شثن الاصابع والكفين والقدمين اذا التفت التفت جميعا واذا مشى كأنما

---

(١) الواو للحال والمعنى انه لم يكن بالذاهب طولا والحال انه فوق المربوع (٢) غمرهم بالغين المعجمة اى كان فوق كل من معه وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم والوضح البياض والهامة الرأس وقد تقرر فى علم الحيوان ان الانسان كلما كان اكبر مخا كان اكبر ادراكا لكن هذا مشروط بالاعتدال بالنسبة الى البنية ولهذا البحث فروع ليس هنا محلها ولا شك ان اوصافه صلى الله عليه وسلم اكمل الاوصاف والاغر الابيض والشريف والابلج المضيء المشرق (٣) المطهم البادن الكثير اللحم والمكلثم المدور الوجه (٤) جليل المشاش يريد به رؤوس المناكب والمرفقين والركبتين وهو بضم الميم والكتد بفتح التاء وكسرها مجتمع الكتفين (٥) ارحب الناس صدرا اوسعهم صدرا اى قلبا وهو كناية عن عدم الملل من الناس على اختلاق طباعهم وتباين امزجتهم كما ان ضيق الصدر كناية عن الملل واللهجة بسكون الهاء وتفتح هى اللسان والمراد بها الكلام لانه هو الذى يتصف بالصدق والعريكة الطبيعة ومعنى لينها انقيادها للخلق بالحق فكان معهم على غاية من التواضع والمسامحة والحلم ما لم تنتهك حرمات الله وقوله من رآه بديهة الخ معناه من رآه قبل النظر فى اخلاقه العلية خافه لما فيه من صفات الجلال (٦) العرنين من الانف ما كان تحت مجتمع الحاجبين

يتقلع على صخرا وينحط فى صبب اذا جاء مع القوم غمرهم كان ريح عرقه ريح المسك بابى وامى لم ار قبله ولا بعده احدا مثله وروى محمد بن سعد انه سئل سعد بن ابى وقاص هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولا همّ به وقال كان شيبه فى عنفقته وناصيته لو شاء احد عدها لعدها يعنى شعرات شيبه وروى ابو نعيم عن عبد الله بن مسعود انه قال اول شئ علمته من امر رسول الله انى قدمت مكة فى عمومة لى فارشدونا الى العباس بن عبد المطلب فانتهينا اليه وهو جالس فبينما نحن عنده اذ اقبل رجل من باب الصفا ابيض تعلوه حمرة له وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اقنى الانف براق الثنايا ادعج العينين كث اللحية دقيق المسربة شثن الكفين والقدمين عليه ثوبان ابيضان كأنه القمر ليلة البدر يمشى على يمينه غلام ابيض حسن الوجه مراهق اومحتلم تقوده امرأة قد سترت محاسنها حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ثم استلم الغلام ثم استلمت المرأة ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة تطوفان معه قلنا يا ابا الفضل ان هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم او شئ حدث قال هذا ابن اخى محمد بن عبد الله والغلام على بن ابى طالب والمرأة امرأته خديجة ما على وجه الارض احد يعبد الله بهذا الدين الا هؤلاء الثلاثة وكان عبد الله بن مسعود يقول كنت اذا رأيت وجه رسول الله قلت كأنه دينار هرقلى (١) وروى الامام احمد فى مسنده عن عوف بن ابى جميلة عن يزيد الفارسى انه قال رأيت رسول الله فى النوم زمن ابن عباس وكان يزيد يكتب المصاحف قال فاخبرت ابن عباس بذلك فقال ان رسول الله كان يقول ان الشيطان لا يستطيع ان يتشبه بى فمن رآنى فى النوم فقد رآنى فهل تستطيع ان تنعت لنا هذا الرجل الذى رأيت قال قلت نعم رأيت رجلا بين الرجلين جسمه ولحمه اسمر الى البياض حسن المضحك (٢) اكحل العينين جميل دوائر الوجه قد ملأت لحيته من هذه الى هذه حتى كادت تملأ نحره قال عوف لا ادرى ما كان مع هذا النعت قال فقال ابن عباس لو رأيته فى اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا وكان ابو هريرة يقول ما رأيت شيئا احسن من رسول الله كان الشمس تجرى فى

(١) هرقلى منسوب الى هرقل ملك الروم وكان الدينار الهرقلى ذهبا خالصا (٢) المصحل مفعل والصحل بالتحريك كالبحة وان لا يكون حاد الصوت

وجهه وما رأيت احدا اسرع فى مشيته من رسول الله كان الارض تطوى له وانا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث (١) واخرج الامام احمد فى مسنده عن صالح مولى ابى هريرة ان ابا هريرة كان ينعت رسول الله فيقول كان اشعر الذراعين بعيد ما بين المنكبين وفى رواية اهدب اشفار العينين يقبل جميعا ويدبر جميعا بابى وامى لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق وروى الطبرانى عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان ينعت رسول الله فيقول كان رجلا ربعة وهو الى الطول اقرب شديد البياض اسود اللحية حسن الشعر اهدب اشفار العينين بعيد ما بين المنكبين مفاض اللحيين (٢) يطأ بقدميه جميعا ليس لها اخمص (٣) يقبل جميعا ويدبر جميعا لم ار مثله قبل ولا بعد واخرج عبد الرزاق ان ابا هريرة سئل عن صفة رسول الله فقال احسن الوصف واجمله ما كان ربعة والى الطول اقرب بعيد ما بين المنكبين اسيل الخدين شديد سواد الشعر اكحل العينين اهدب الاشفار اذا وطئ وطئ بقدميه كلها ليس لها اخمص واذ وضع رداءه على منكبيه كان كأنه سبيكة فضة واذا ضحك كان يتلألأ فى الجدر لم ار قبله ولا بعده مثله واخرجه ابن سعد عنه بلفظ كان شثن الكفين والقدمين ضخم الساقين عظيم الساعد بعيد ما بين المنكبين رحب الصدر رجل الرأس اهدب العينين حسن الفم حسن اللحية تام الاذنين ربعة من القوم لا طويل ولا قصير احسن الناس لونا يقبل معا ويدبر معا لم ار مثله ولم اسمع بمثله وفى رواية كان ابيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين يطأ بقدميه جميعا اذا اقبل اقبل معا واذا ادبر ادبر معا زاد فى رواية ابن المبارك ابيض الكشحين (٤) وزاد ايضا انه كان ضخم الكفين ضخم القدمين وما مشى مع احد الا طاله وعن ابى هريرة قال قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه متكئا فجاء رجل من اهل البادية فقال ايكم بن عبد المطلب فقالوا هذا الامغر المرتفق (٥)

(١) اى غير مبالى (٢) مفاض اللحيين اى مستوى الشعر فى الجانبين منهما وقيل المفاض ان يكون فيه امتلاء (٣) الاخمص من القدم الذى لا يلصق بالارض منها حين الوطئ والمراد ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافى عن الارض (٤) الكشح الخصر قاله فى النهاية وقال فى القاموس وشرحه الكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو من لدن السرة الى المتن يلى الظهر (٥) اى الاحمر المتكئ على مرفقته مأخوذ من المغرة وهو هذا المدر الاحمر الذى تصبغ به الثياب

فدنا من رسول الله وكان مشربا بحمرة ٠ وعن انس قال كان رسول الله ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وكان ازهر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم (١) وكان رجل الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعث وهو ابن اربعين فاقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا ومات وهو ابن ستين (٢) وليس فى رأسه ولا لحيته عشرون شعرة بيضاء وفى رواية ليس بالاحمر ولا بالابيض الامهق وقد روى هذا الحديث من طريق مالك وروى من اسانيد تفرد به خالد الطحان عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمر اللون ورواه ابو يعلى بلفظ انه كان اسمر انما كانت السمرة لكثرة مقابلته للشمس (٣) والصحيح انه كان ابيض وعن انس قال كان رسول الله احسن الناس وجها واحسن الناس قواما واحسن الناس لونا واطيب الناس ريحا والين الناس كفا ما شممت رائحة قط مسكية ولا عنبرية اطيب رائحة منه ولا مسست خزة ولا حريرة الين من كفه زاد فى رواية وكانت له جمة (٤) الى شحمة اذنيه وكانت لحيته قد ملأت من ههنا الى ههنا وفى لفظ وامر يديه على عارضيه وروى عنه انه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالادم ولا الابيض شديد البياض فوق الربعة ودون الطويل وكان من احسن مارايت من خلق الله واطيبه ريحا والينه كفا ليس بالجعد الشديد الجعودة يرسل شعره الى انصاف اذنيه وفى رواية ما شممت ريحا قط مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انس اخذت امى ام سليم بيدى حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هذا انس غلام

---

(١) الامهق الشديد البياض بحيث يكون خاليا عن الحمرة والنور فلا ينافى انه ابيض مشرب بحمرة والادم الاسمر (٢) وفى رواية توفى وهو ابن خمس وستين سنة وفى رواية وهو ابن ثلاث وستين وهى اصحها واشهرها (٣) الذين وصفوه صلى الله عليه وسلم بالبياض خمسة عشر صحابيا قاله الحافظ العراقى وقال الحافظ ابن الجوزى ما روى عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان اسمر اللون فهو حديث لا يصح وهو يخالف الاحاديث كلها اه وهذه الرواية انفرد بها حميد عن انس وقوله فى الاصل انما كانت السمرة الخ يخالفه بانه روى الترمذى وصف عنقه الشريف بانه ابيض كأنما صيغ من فضة مع انه بارز للشمس وقيل ان العرب كانت تطلق السمرة على البياض المشرب بحمرة وهذا اقرب الى الصواب

(٤) الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين

خذه بخدمك قال فخدمته تسع سنين فما قال لشئ صنعته اسأت ولا بئس ماصنعت ولا مسست شيئا قط خزا ولا حريرا الين من كفى رسول الله ولا شممت رائحة قط مسكا ولا عنبرا اطيب من رائحة رسول الله وقال ايضا آخر نظرة نظرتها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فانه قد كشف الستارة والناس صفوف خلف ابى بكر فاشار اليهم ان امكثوا والقى السجف وتوفى من آخر يومه فرأيت وجهه كانه ورقة مصحف وكان انس يقول فى وصفه ايضا ابيض الوجه كث اللحية ضخم الهامة احمر الاماقى اهدب الاشفار شثن الكفين والقدمين ضخم الساقين لطيف المسربة ليس بالقصير ولا بالطويل وهو الى الطول اقرب منه الى القصر كثير العرق اذا مشى يتقلع كانه يمشى فى صعد وروى الامام احمد ومسلم عن البراء بن عازب انه كان يقول كان رسول الله رجلا مربوعا بعيد ما بين منكبيه عظيم الجمة الى شحمته وفى لفظ الى شحمة اذنيه عليه حلة حمراء ما رأيت قط احسن منه وفى رواية كان رجلا مربوعا عظيم او عريض ما بين المنكبين كث اللحية تعلوه حمرة جمته الى شحمة اذنيه وفى لفظ آخر ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله له شعر يضرب منكبيه وقال ايضا كان رسول الله احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير رواه ابو بكر الجوزقى وقال البراء ايضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد البياض كثير الشعر وقال له رجل اكان وجهه حديدا مثل السيف فقال لا بل كان مثل القمر وقال ما رأيت احسن شعرا ولا احسن بشرا فى ثوبين احمرين من رسول الله . واخرج ابوبكر بن ابى شيبة عن جابر بن سمرة انه قال كان فى ساقى رسول الله حموشة (١) وكان لا يضحك الا متبسما وكان اذا نظرت اليه قلت اكحل العينين وليس باكحل وقال ايضا كان ضليع الفم اشكل العينين منهوس العقب قال الجوهرى قلت لسماك ما ضليع الفم قال عظيم الفم قلت ما اشكل العينين قال طويل شعرها قلت ما منهوس العقب قال قليل لحم العقب وكان جابر بن سمرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته فاذا ادهن لم ير منه شيب واذا لم يدهن رؤى منه شئ وكان كثير شعر الرأس واللحية فقال رجل وجهه مثل السيف قال لا وجهه مثل القمر قال لا وجهه مثل الشمس ورأيت عند عقر كتفيه (٢)

---

(١) الحموشة الدقة (٢) العقر بالضم والفتح الاصل

مثل بيض الحمامة يثبت فى جسده وقال رأيته فى حلة حمراء فى ليلة اضحيان فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو كان فى عينى احسن من القمر رواه البيهقى وفى رواية فى ليلة صحياء فجعلت اماثل بينه وبين القمر فكان فى عينى احسن من القمر وفى رواية ازين من القمر وفى رواية فلهو فى عينى ازهى من القمر. وعن جابر بن عبد الله قال ما رأيت احسن من رسول الله فى حلة حمراء رواه ابن شاهين وقال تفرد به ايوب بن سويد وروى ابن سعد عن جابر انه قال كان رسول الله ابيض مشربا بحمرة شثن الكفين والقدمين ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالسبط ولا بالجعد اذا مشى هرول الناس وراءه لا يرى مثله ابدا وعن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هبط على جبريل فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك حبيبي انى كسوت يوسف من نور الكرسى وكسوت حسن وجهك من نور عرشى تفرد به فى الاصل وفى اسناده محمد بن عبد الله بن ابراهيم وهو مجهول والحديث منكر وعن انس قال كان رسول الله ضخم الكفين والقدمين كثير العرق لم ار بعده مثله وعن ابى امامة ان رجلا من بنى عامر بن صعصعة جاءه فقال له صف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية يا ابا امامة انك رجل عربى اذا وصفت شيئا شفيت منه فصف لى رسول الله فقال كان ابيض تعلوه حمرة ادعج العينين اهدب الاشفار وفى افظ ضخم المناكب اشعر الذراعين والصدر شثن الاطراف ذو مسربة عظيم الهامة كثير الشعر كان شعره اللؤلؤ اعنق الناس اديم وجه لم ار قبله ولا بعده فى الرجال من هو اطول منه وفى الرجال من هو اقصر منه اذا مشى تكفأ كأنما يمشى فى صعد واذا التفت التفت جميعا منفتق الخاصرة (١) لا اخمص له يطأ على قدميه جميعا عليه حلتان سحوليتان ازاره تحت ركبتيه بثلاث او اربع اصابع ورداءه اذا تعطف به لم يحط به فهو واضعه تحت ابطه بين كتفيه خاتم النبوة وهو اقرب الى كتفه الايمن قال فبينا انا استقرى الرجال اذ انا بموكب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ هو قائم وفى يده سوط طويل فاخذت بخطام راحلته فاستيقظ فضربنى بالسوط ضربة ونزل العباس فقلت والذى بعثك بالحق ما جئت ابغيك سوأ قال آلله قلت آلله فقرع راحلته

---

(١) معناه متسع الخاصرة وهو محمود فى الرجال مذموم فى النساء

فبركت ثم نزل فوضع رداءه بين شعبي الرحل ثم اعطاني السوط وقال اقتدقلت منك لا والذي بعثك بالحق ما جئت الا اسئالك اى عمل يدخل الله به العبد الجنة قال تقول العدل وتعطى الفضل قلت لا اطيق ذلك قال فافشي الاسلام واطيب الكلام قلت ولا هذا اطيق فقال هل لك من ذود (١) قلت نعم لى ثلاثة ذود قال فخذ بعيرا منها فاسق عليه اهل بيت لا يشربون الماء الا غبا قال فلعلك لاينضى بعيرك ولا يخرق سقاؤك حتى يدخلك الله الجنة وفي لفظ ان العامرى قال لقد وصفته لى صفة لو كان فى جميع الناس لعرفته فانطلق الرجل يستقري المواكب حتى طلع رسول الله وهو نائم وفى يد بلال جريدة معقود فيها ثوب يستره من الشمس فلما رآه الرجل دخل فى موكبه فسئال رجلا من اصحابه فقال من هذا الرجل فانتهره ونهره فقال هل تعرفه فقال لا والله انما انا رجل بدوى ما قدمت هذه البلاد قط فقال هذا رسول الله فعجل فقال الرجل فاقبل يعدو حتى اخذ بزمام ناقة رسول الله ففزع وضربه بسوطه وساق القصة بنحو ما تقدم وفى آخرها فانطلق الرجل يقول والذي بعثك بالحق لافعلن ثم ان الرجل فعل ذلك ثم قتل شهيدا فى سبيل الله وعن ابي الطفيل قال رسول الله ولم يبق على الارض احد رآه غيري فقيل له كيف رأيته فقال رأيته ابيض مليحا مقصدا اذا مشى كأنه يهوى فى صبب وروى ابن سعد عنه ايضا انه قال رأيت رسول الله يوم فتح مكة فما انسى شدة بياض وجهه وشدة سواد شعره ان من الرجال لاطول منه ومنهم من هو اقصر منه ويمشى ويمشون خلفه فقلت لامى من هذا قالت هذا رسول الله قلت ما كانت ثيابه قال ما احفظ ذلك الآن وعن ابي قرصافة قال لم يكن رسول الله بالفارغ الجسم بل كان حسنه وروى احمد فى مسنده عن شيخ من كنانة قال رأيت رسول الله بسوق ذى المجاز يتخللها ويقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا قال وابو جهل يحثوعليه التراب ويقول يا ايها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد ان تتركوا الهتكم وتتركوا اللات والعزى قال وما يلتفت اليه رسول الله فقلنا له انعته لنا فقال بين بردين احمرين مربوع كثير اللحم حسن الوجه شديد سواد الشعر ابيض شديد

(١) الذود من الابل ما بين الثنتين الى التسع وقيل ما بين الثلاث الى العشر

البياض سابغ الشعر ورواه ابن مندة وروى البخاري عن عائشة قالت دخل على رسول الله يوما فقعد يخصف نعلا وانا قاعدة اغزل فرفعت بصرى اليه فاذا سالفته ذات عرق وهو يتولد فى عينى نورا فبهت فرفع رسول الله رأسه الى فقال الى م تنظرين يا عائشة وقد بهتى فقلت والله ما انظر الى شئ من وجهك الا تولد فى عينى نورا ثم قالت اما والله لو رآك ابو كبير الهذلى لعلم انك احق بشعره من غيرك فقال وما قال ابو كبير فقالت قال

ومبرأ من كل غبرة حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه ... برق كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول ما كان فى يده وقام الى وقبل ما بين عينى وقال جزاك الله خيرا يا عائشة فما اعلم انى سررت بشئ كسرورى بكلامك وقالت عائشة استعرت من حفصة بنت رواحة ابرة كنت اخيط بها ثوب رسول الله فسقطت منى الابرة فطلبتها فلم اقدر عليها فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبينت الابرة من شعاع نور وجهه فضحكت فقال يا حميراء لم ضحكت فقلت كان كيت وكيت فنادى باعلى صوته يا عائشة الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر الى هذا الوجه ما من مؤمن ولا كافر الا ويشتهى ان ينظر الى وجهى وقالت ايضا اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم شملة سوداء فلبسها وقال كيف ترينها على يا عائشة فقلت ما احسنها عليك يشوب سوادها بياضك وبياضك سوادها قال فخرج فيها الى الناس وقالت ام هانئ ما رأيت بطن رسول الله الا ذكرت القراطيس يثنى بعضها على بعض وفى رواية كأنه القراطيس المدرجة وعن عمار ابن ياسر قال قلت للربيع بن مسعود صف لى رسول الله فقال يا بنى لو رأيته لرأيت الشمس طالعة وعن امرأة من همذان قالت حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان احمران يكادا يمسا منكبيه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه للثته فيقبله فقيل لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر

--- o o ---

باب ما جاء فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الطوال مما يشتمل على اكثر مما مضى من الاحاديث القصار وفى بعضها زيادات عليها

قال محمد بن سليمان بن سليط وكان بدريا لما خرج رسول الله فى الهجرة ومعه ابو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وعبد الله بن اريقط الليثى يدلهم على الطريق مروا على ام معبد الخزاعية وهى لا تعرفه فقال لها يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله وان الغنم لعازبة قال فما هذه الشاة التى اراها فى فناء البيت قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتأذنين فى حلابها قالت لا والله ما ضربها فحل قط فشأنك بها فدعى بها فمسح ظهرها وضرعها ثم دعا باناء يربض الرهط حوله فحلب فيه فملاءه فسقى اصحابه عللا بعد نهل (١) ثم حلب فيه آخر فغادره عندها وارتحل فلما جاءها زوجها عند المساء قال يا ام معبد ما هذا اللبن ولا حلوبة فى البيت والغنم عازبة قالت لا والله الا انه مر بنا رجل ظاهر الوضاءة متبلج الوجه فى اشفاره وطف (٢) وفى عينيه دعج وفى صوته صهل غصن بين غصنين لا يشان من طول ولا يقتحم من قصر لم تعله ثجلة ولم تزر به صعله (٣) كان عنقه ابريق فضة اذا صمت فعليه البهاء واذا انطق فعليه الوقار وقال له كلام كخرزات النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا امره واذا نهى انتهوا عند نهايته فقال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لا تبعته ولست بجهولا اذا فعلت قال فلم يعلموا بمكة اين توجه رسول الله وابو بكر حتى سمعوا هاتفا على رأس ابى قبيس وهو يقول

جزا الله خيرا والجزاء بكفه رفيقين حلا خيمتى ام معبد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ابر واوفى ذمة من محمد

---

(١) اى مرة بعد مرة (٢) الوطف الطول (٣) الصعلة صغر الرأس وهى ايضا الدقة والنحول فى البدن

واكسى لبرد الحال قبل ابتذاله   واعطى لرأس السابح المتجرد (١)
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم   ومقعدها للمؤمنين بمرصد (٢)

ورواه ابن منـدة عن ابى معبـد وفيه من الزيادات انهم مروا بخيمتى ام معبـد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة (٣) وتطعم وتسقى فسـئالوها لحما او تمرا ليشـتروا منها فلم يصيبوا عندها شـيئا من ذلك وان القوم مرملون (٤) فقالت لوكان عندنا شئ ما اعوزكم القرى (٥) وفيه انها قالت فى وصفه صلى الله عليه وسـلم رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه (٦) حسن الخلق لم تعبـه تجلة ولم تزريه صقلة (٧) وسيما قسيما فى عينيه دعج وفى اشـفاره وطف وفى صوته صحل او قالت صهل (٨) احور اكـحـل ازج اقرن رجل فى عنقه سطع (٩) وفى لحيته كثافة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلا بالبهاء كان منطقه خرزات نظمن يتحدرن فصل لا نزر ولا هزر (١٠)

---

(١) اى انه اكسى الناس للبرود الجديدة قبل ان تصير مبتذلة والسابح الفرس الحسنة مد اليدين فى الجرى، والمتجرد الذى يسبق الخيل ويتجرد عنها لسرعته (٢) المرصد والمرصاد الطريق (٣) البرزة الكبيرة الكهلة التى لا تحتجب احتجاب الشواب وهى مع ذلك عفيفـة عاقلة تجلس للنـاس وتتحدث معهم والاسـم مأخوذ من البروز وهو الظهور وقوله جلدة معنـاه قوية وفناء الخيمة ما اتسع امامها (٤) مرملون بضم الميم وسـكون الراء معنـاه نفد زادهم واصله من الرمل كأنهم لصقوا به (٥) يقـال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه والقرى بكسر القاف الاحسـان الى الضيف (٦) الوضاءة بفتح الواو الحسن والبهجة ومتبلج الوجه مشـرقة مسـفرة (٧) تريد انه ليس بضخم بحيث يعـاب لتجلته اى ضخامته وقوله لم تزريه صقلة هكذا هو فى الرواية باثبـات الياء على حد • اذا العجوز غضبت فطلق • ولا ترضاها ولا تملق • والصقلة الدقة والنحول يقـال صقلت الناقة اذا اضمرتها وقيل ارادت انه لم يكن منتفخ الخاصـرة ولا ناحلا جدا ويروى بالسـين على الابدال من الصاد ويروى صعلة بالعين وهى صغر الرأس وهى ايضا الدقة والنحول فى البدن (٨) الوسـامة الحسن الوضيء الثابت والقسـامة الحسن ايضا ورجل مقسم الوجه اى جميله كله كان كل موضع منه اخـذ قسما من الجمـال والدعج والدعجة السواد فى العين وغيرها ومعنـاه ان سواد عينيه كان شديد السواد وقيـل الدعج شـدة سواد العين فى شدة بياضها والاشفار جمع شفر بضم اوله وقد يفتح وهو حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر والوطف بفتحتين الطول ويروى غطف بالغين المعجمة والمعنى واحد والصحل كالبحة وقد تقدم (٩) الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها والكحل تقدم والزجج دقة فى الحاجبين وطول والاقرن المقرون الحاجبين وقولها فى عنقه سـطع معناه ارتفاع وطول (١٠) النزر القليل اى ليس بقليل فيدل على عى ولا كثير فاسـد بل بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل

ازهر اللون اجهر الناس واجمل الناس وابهاه من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشنؤه (١) من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال استمعوا لقوله وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا قابح ولا سنح وفى لفظ ولا مفند (٢) فقال هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره ما ذكر ولو كنت وافقا لالتمست ان اصحبه ولا فعلنه ان وجدت الى ذلك سبيلا واصبح صوت بمكة بين السماء والارض يسمعونه ولا يدرون ما يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه … رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزل بالبر وارتحلا به … فافلح من امسى رفيق محمد
فيال قصى ما زوى الله عنكموا (٣) … به من فعال لا تجازى وسودد
سلوا اختكم عن شاتها واناءها … فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم … ومقعدها للمؤمنين بمرصد
دعاها بشاة حائل فتحلبت … له بصريح ضرة الشاة مزبد (٤)
فغادرها رهنا لديها لحالب … يد ربها فى مصدر ثم مورد (٥)

﴿ فاجابه حسان فقال ﴾

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم … وقدس من يسرى اليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فزالت عقولهم … وحل على قوم بنور مجدد
وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا … عمى وهداة يهتدون بمهتد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله … ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وان قال فى يوم مقالة غائب … فتصديقها فى ضحوة اليوم او غد

---

(١) اجهر الناس اى اعظمهم فى المنظر لا تشنؤه اى لا يبغضه الناظر لفرط طوله وقوله ولا تقتحمه الخ معناه لا تتجاوزه عين الى غيره احتقارا له وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته (٢) المحفود الذى يخدمه اصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته والمحشود بمعناه وهو ان اصحابه يخدمونه ويجتمعون عليه والقابح اسم فاعل من القبح ومعناه لا يقبح شيئا والسنح الذى يتكلم بالشئ بمهما سنح له من غير روية والفند الخطأ فى القول والرأى (٣) زوى صرف عنهم وقبض (٤) مزبد بضم الميم اى علاه الزبد (٥) معناه تحلبها مرة ثم اخرى وروى البيهقى ان غنم ام معبد كثرت حتى جلبت منها الى المدينة قال ولا ارى الا انها اسلت واخرج ابو نعيم ان هذه الشاة بقيت الى سنة ثمانى عشرة زمن عمر بن الخطاب وكانت تحلبها صباحا ومساء

ليهن ابا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قال عبد الملك بن وهب المذحجي بلغني ان ام معبد اسلمت وهاجرت وروى من وجه آخر وفيه قال ابو عبيد الله بن بكر البيهقي الاصعل صغير الرأس والاصمع صغير الاذنين وفي آخره فاصبح الناس قد فقدوا نبيهم فاخذوا على خيمة ام معبد حتى لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحسن بن محمد ابن الصباح الزعفراني ان ابا معبد اسلم وهاجر الى المدينة

وفي رواية زيادة على ما مضى من ابيات حسان وهي

ترحل عن قوم فزالت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على آل يثرب ركاب هدى حلت عليهم باسعد

وقال ابن قتيبة في تفسير بعض ما وقع في هذا الحديث من الغريب . المرملون هم الذين قد نفد زادهم . ويربض الرهط يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا ومشرق الوجه مضيئه . لم تعبه ثجلة الرقة والضم والصعل الكشح وهو الخاصرة والدعج السواد في العين . وفي اشفاره عطف بالعين المهملة وقيل بالمعجمة هو ان تطول الاشفار ثم تنعطف وكذلك العطف انعطاف الاشفار . في صوته صحل اي كالبحة وقولها فصل لا نزر ولا هزر معناه وسط ليس بالقصير ولا بالطويل . قولها ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تحتقره ولا تزدريه وقول الهاتف فتحلبت بصريح هو اللبن الخالص الذي لم يمذق والضرة لحم الضرع واخرج ابو بكر الخطيب واللالكائي عن ابن عباس انه قال لهند بن ابي هالة التيمي وكان صادقا وكان وصافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا رسول الله فلعلك ان تكون نسابا ذا معرفة قال كان بابي هو وامي طويل الصمت دائم الفكر متواتر الاحزان اذا تكلم تكلم بجوامع الكلم لا فضل ولا قصير اذا حدث اعاد واذا وعظ جد وماد واذا خولف اعرض فاشاح يتروح الى حديث اصحابه يعظم النعمة وان دقت ولا يذم ذواقا ويبسم عن مثل حب الغمام هذا حديث غريب من حديث ابي عياش عن هند وهو مختصر وقد روي من وجه آخر غريب ايضا عن هند من طريق

ابى محمد الحسن بن محمد بن يحيي بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين
ابن على بن الحسين بن على بن ابن طالب قال قال الحسن بن على سئالت خالى هند
ابن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو
ان يصف لى منها شيئا اتعلق به فقال كان رسول الله فخما مفخما يتلأ لأ وجهه
تلأ لأ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر ان افترقت عقيقته فرقها والا فلا فرق يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هووفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ فى غير فرق بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج
سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر فسيح
الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرّد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين والبدن مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سائل او شائل الاطراف سبط القصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبؤ
عنهما الما اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى
كأنما يحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى
الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من
لقى بالسلام قلت صف لى منطقه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم فى غير حاجة طويل
السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول
فيه ولا تقصير دمث ليس بالجافى ولا بالمهين يعظم النعمة واذا دقت لا يذم منها
شيئا غير انه لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا تغضبه الدنيا وما كان لها
ولا يقوم ولا يقام لغضبه شئ اذا تعرض للحق بشئ حتى ينتصر له ولا
يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا
تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى باطن راحته اليسرى واذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفترعن مثل حب الغمام
قال ثم سئالته عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال

الحسين سألت ابى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له فى ذلك فكان اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لنفسه وجزأ لاهله ثم جزأ جزئه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة لا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والامة من مسئالتهم عنهم واخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد الغائب وابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعنى فقهاء قلت اخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع فيه فقال كان يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن احد بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويسئال الناس عما فى الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يتجاوز الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموآزرة فسئالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان لا يجلس ولا يقوم لا على ذكر ولا يوطئ الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم يجلس حيث ينتهى المجلس ويأمر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سئاله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا له ابناء عنده فى الحق سواء مجلسه مجلس حكم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة يرحمون الغريب فسئالته عن سيرته فى جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤئس

منه راجيه ولا يخيب فيه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير واذا تكلم سكتوا واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم ويقول اذا رأيتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه ولا يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء اوقيام قلت فكيف كان سكوته عليه السلام فقال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقرير والتفكر فاما التقرير ففي تسويه النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يفنى ويبقى وجمع له الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه احد وجعله في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي فيما يصلح امته والقيام لها فيما يجمع لهم امر الدنيا والآخرة

(تفسير غريب هذا الحديث)

فخما مفخما عظيما معظما . المشذب الطويل يريد انه ليس بمفرط الطول . واصل العقيقة شعر الصبي قبل ان يحلق فاذا حلق ونبت ثانيا زال عنه اسم العقيقة يريد انه كان لا يفرق شعره الا ان يتفرق هو وكان هذا في صدر الاسلام ثم فرق بعد ذلك . ازهر يريد به ابيض اللون مشرقه . وازج الحاجب طوله ودقته وسبوغه الى مؤخر العين . والقرن ان يطول الحاجبان حتى تلتقي طرفاهما . والبلج ان ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما فرقا . والعرنين العظمتين والانسا فيه طول ورقة ارنبته وحدب في وسطه والشمم ارتفاع القصبة وحسنها . ضليع الفم اي عظيمه وكانت العرب تحمد ذلك وتذم صغير الفم . وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ذلك لرحب شدقيه . اشنب من الشنب وهو البياض والبريق والتحديد في الاسنان والمسربة الشعر المستدق ما بين اللبة الى السرة . والجيد العنق . والدمية الصورة . والبادن الضخم المتماسك

اللحم اي ليس بمرخيه • سواء البطن والظهر يريد ان بطنه ليس بمستعيض فهو مساو لصدره وان صدره عريض فهو مساو لبطنه • الكراديس الاعضاء • المتجرد ما جرد عنه الثوب من بدنه • وانور من النور يريد شدة بياضه • والزندان من الذراع ما انحسر عنه اللحم رحب الراحة يريد واسع الراحة وكانت العرب تحمد ذلك وتمدحه وتذم صغر الكف وضيق الراحة • شثن الكفين والقدمين يريد انهما الى الغلظ والقصر • سائل الاطراف يريد الاصابع انها طوال ليست بمتعقدة • الاخمص فى القدم من تحتها وهو ما ارتفع عن الارض فبسطها يريد انها ليست بالذى يستوى باطن قدميه حتى يمس جميعه الارض • مسيح القدمين يريد ان ممسوح ظاهر القدمين فالماء اذا صب عليهما مر عليهما مرا سريعا لاستوائهما واملاسهما • اذا زال زال قلعا هو بمنزلة قول على رضى الله عنه اذا مشى تقلع • قوله ويخطى تكفأ ويمشى هونا يريد انه يميد اذا مشى او خطا ويمشى فى رفق غير مختال لا يضرب عطفا والهون بالفتح الرفق فاذا ضمت الهاء فهو من الهوان • زريع المشية يريد انه مع هذا الرفق سريع المشية • الصبب الانحدار • يسوق اصحابه معناه انه اذا مشى مع اصحابه قدمهم بين يديه • والرمث من الرحال السهل اللين • ليس بالجافى ولا بالمهين يريد انه لا يجفو الناس ولا يهينهم • ولا يذم ذواقا ولا يمدحه يريد انه كان لا يصف الطعام بطيب ولا بفساد اذا كان فيه • اشاح اى عدل بوجهه • حب الغمام البرد والغمام السحاب • جزء بينه وبين الناس يريد ان العامة كانت لا تصل اليه فى منزله فى هذا الوقت ولكنه كان يوصل اليها حظها من ذلك الجزء بالخاصة التى تصل اليه فتوصله الى العامة • وقوله يدخلون روادا جمع رائد وهو الذى يبعث به القوم يطلب الكلأ لهم فضرب لهم مثلا لما يلتمسون عنده من العلم والنفع فى دينهم ودنياهم ولا يتفرقون الا عن ذواق اصله الطعم ضربه مثلا لما ينالون منه من الخير • ادلة اى يخرجون من عنده بما قد علموه فيدلون الناس عليه ويبينونه لهم وهو جمع دليل • ولا تثنى فلتاته اى لا يتحدث بهفوة او ذلة ان كانت فى مجلسه تقول ثنوت الحديث اذا اذعته والفلتات جمع فلتة وهى الزلة • على رؤسهم الطير يريد انهم يسكتون فلا يتحركون ويغضون ابصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن • ولا يقبل الثناء

الا من مكافئ يعنى اذا ابتدئ بمدح كره ذلك فاذا اصطنع معروفا فاثنى عليه بشئ وشكره قبل ثنائه

واسناد هذا الحديث على جهالة بعض نقلته هو المحفوظ واخرج الترمذى منه مواضع مقطعة فى كتاب الشمائل . وقالت عائشة رضى الله عنها كانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد المشذب الذاهب والمشذب الطويل نفسه الا انه هنا المخفف ولم يكن بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله الى الربعة ويقول نسيب الخير كله الى الربعة وكان لونه ليس بالابيض الامهق الشديد الذى يضرب بياضه الى الشدة ولم يكن بالادم وكان ازهر وهو الابيض الناصع البياض الذى لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شئ من الالوان وكان ابن عمر كثيرا ما ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابى طالب

وابيض يستسق الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل (١)

ويقول كل من سمعه هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نعته بعض من نعته بانه كان مشربا بحمرة وقد صدق من نعته بذلك ولكن انما كان المشرب منه حمرة ما ضحى اى ظهر للشمس والرياح فلقد كان بياضه من ذلك قد اشرب حمرة واما ما تحت الثياب فهو الابيض الازهر لا يشاب . ولا يخالط فيه احمر فمن وصفه بانه ابيض ازهر يريد ما تحت الثياب فقد اصاب ومن نعت ما ضحى للشمس والرياح بانه ازهر مشرب بحمرة فقد اصاب ولونه الذى لا يشك فيه احد الابيض الازهر وانما الحمرة من قبل الشمس والرياح وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ اطيب من المسك الازفر وكان رجل الشعر حسنا ليس بالسبط ولا بالجعد القطط وكان اذا مشطه بالمشط

---

(١) الثمال بكسر الثاء الملجأ والغياث وقيل هو المطعم فى الشدة وقوله عصمة للارامل معناه مانع لهم من الضياع والحاجة (لطيفة) حكى السيوطى فى المزهر عن محمد بن سلام انه قال زاد الناس فى قصيدة ابى طالب التى فيها . وابيض يستسقى الغمام بوجهه . وطوات بحيث لا يدرى اين منتهاها وقد سألنى الاصمعى عنها فقلت صحيحة فقال اتدرى اين منتهاها فقلت لا اه

كانه حبل الرمل او كأنه المتون التي كانت بالعدوان (١) اذا سفتها الرياح فاذا رجله اخذ بعضه بعضا وتحلق حتى يكون متحلقا كالخواتيم وكان اول امره قد سالت ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل فجاءه جبريل بالفرق ففرق فكان شعره فوق حاجبه ومنهم من قال كان يضرب شعره منكبيه واكثر من ذلك اذا كان الى شحمة اذنيه وكان ربما جعله غدائر اربع (٢) تخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها وتخرج الاذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها وتخرج الاذنان ببياضهما من تحت تلك الغدائر كأنما توقد الكواكب الدرية بين ذلك السواد وكان اكثر شيبه في الرأس في فود رأسه (٣) والفودان حرفا الفرق وكان اكثر شيبه في لحيته فوق الذقن وكان شيبه كانه خيوط الفضة يتلألأ بين ظهري سواد الشعر الذي معه فاذا مس ذلك الشيب الصفرة وكان كثيرا ما يفعل ذلك صار كأنه خيوط الذهب يتلألأ بين ظهري سواد الشعر الذي معه وكان احسن الناس وجها وانورهم لونا لم يصفه واصف قط بصفة بلغتنا صفته الاشبه وجهه بالقمر ليلة البدر فيقول هو احسن في اعيننا من القمر ازهر اللون نيّر الوجه يتلألأ تلألأ القمر ليلة البدر يعرف رضاه وغضبه في اسرّة وجهه فكان اذا رضي او سر كان وجهه كالمرآة كأنما الجدر يلاحك وجهه (٤) واذا غضب يكون وجهه ذا حمرة وتحمر عيناه قالوا وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكان كثيرا ما ينشد قول زهير بن ابي سلمى حيث يقول لهرم بن سنان

او كنت من شيء سوى بشر   كنت المضيء ليلة البدر

فيقول عمر ومن سمع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ولم يكن كذلك غيره وكذلك قالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعد ما سار من مكة مهاجرا فجزعت عليه بنو هاشم فانبعثت تقول

عينيّ جودا بالدموع السواجم   على المرتضى كالبدر من آل هاشم
على المرتضى والبر والعدل والتقى   والدين والدنيا بهيم المعالم

(١) المتن الظهر والعدوان اسم مكان (٢) الغدائر الذوائب (٣) فود الرأس جانباه (٤) في الاصل الدر وهو سهو والصحيح الجدر والملاحكة شدة الملائمة والمعنى ان الجدر ترى كأنها طبعت بوجهه ويشهد لهذا ما بعده من انه اذا سر فكأن وجهه المرآة

على الصادق الميمون ذى الحلم والنهى وذى الفضل والداعى بخير التراحم

فشبهته بالبدر ونعتته بهذا النعت ووقعت فى النفوس كما القى الله منه فى الصدور ولقد وانها لعلى دين قومها وكان صلى الله عليه وسلم اجلى الجبين اذا طلع جبينه من بين الشعر كأنما طلع فى فلق الصبح او عند طفل الليل (١) او طلع بوجهه على الناس فرأوا جبينه كأنه ضوء السراج قد تلألأ وكانوا يقولون هو كما قال شاعره حسان بن ثابت

فمن كان او من قد يكون كاحمد نظام لحق او نكال لملحد

وكان واسع الجبهة ازج الحاجبين سابقهما والازج الحاجبين هما الحاجبان المتوسطان اللذان لا تعدو الشعرة منهما شعرة فى الثبات والاستواء من غير فرق بينهما وكان ابلج ما بين الحاجبين حتى كان ما بينهما الفضة المختلطة بينهما عرق يدره الغضب لا يرى ذلك العرق الا ان يدره الغضب والابلج النقى ما بين الحاجبين من الشعر وكانت عيناه صلى الله عليه وسلم نجلاوين ادعجهما والعين النجلاء الواسعة الحسنة والدعج شدة سواد الحدقة وكان فى عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى تكاد تبين من كثرتهما اقنى العرنين والعرنين مستوى الانف من اوله الى آخره وهو الاشم وكان ابلج الاسنان اشنبها والشنب ان تكون الاسنان متفرقة فيها طرائق مثل تفرق المشط الا انها حديدة الاطراف وهو الاشر الذى يكون اسفل الاسنان كأنه ماء يقطر فى تفتحه ذلك وطرائقه وكان يبسم عن مثل البرد المنحدر من متون الغمام واذا افتر ضاحكا افترعن مثل سنا البرق اذا تلألأ وكان احسن عباد الله شفتين والطفه ختم ثم سهل الخدين صلتهما قال والصلت الخد الاسفل والسهل الخد المستوى الذى لا تقرب لحم بعضه بعضا ليس بالطويل الوجه ولا بالمكلثم كث اللحية والكث الكثير منابت الشعر الملتفها وكانت عنفقته بارزة فنيكاه حول العنفقة كانها بياض اللؤلؤ وفى اسفل عنفقته شعر منقاد على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها والشكان هما موضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعا وكان احسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس وللرياح كأنه ابريق فضة يشاب ذهبا يتلألأ فى بياض الفضة وحمرة الذهب وما غيبت الثياب من عنقه مما تحتها فكأنه البدر وكان عريض

(١) طفل الليل دنوه شبه بالطفل لانه لم يمر قليل من عمره

الصدر ممسوحه كأنه المرايا فى شدتها واستوائها ولا يعدو بعض لحمه بعضا على بياض القمر ليلة البدر موصول ما بين لبته الى سرته شعر منقاد كالقضيب لم يكن فى صدره ولا بطنه شعرة غيره وكانت له نكتة يغطى الازار منها واحدة وتظهر اثنتان ومنهم من قال يغطى الازار منها اثنتين وتظهر واحدة من كل تلك المكن ابيض من القباطى المطراة (١) والين مسا منها وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس والكراديس عظام للمنكبين والمرفقين والركبتين والوركين وكان جليل الكتد قال والكتد مجمع الكتفين والظهر واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو بمنكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس منهم من قال كانت شامة النبوة باسفل كتفه خضراء محفرة فى اللحم قليلا وكان طويل مشربة الظهر والمشربة الفقار الذى فى الظهر من اعلاه الى اسفله وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين والزندان العظمان اللذان فى ظاهر الساعدين وكان فعم الاوصال منبسط القصب شثن الكف رحب الراحة سائل الاطراف كأن اصابعه قضبان فضة كفه الين من الحرير وكأن كفه كف عطار طيب مسها بطيب او لا مسها فاذا صافحه المصافح يظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساقين شثن الكفين والقدمين غليظهما ليس لهما اخمص ومنهم من قال كان فى قدميه شئ من اخمص يطأ الارض بجميع قدميه معتدل الخلق بدن فى آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكا وكان يكون على الخلق الاول لم يضره سمن وكان فخما مفخما فى جيده كله اذا التفت التفت جميعا واذا ادبر ادبر جميعا واذا اقبل اقبل جميعا وكان فيه صلى الله عليه وسلم شئ من صور علامة فتحه والصور الرجل الذى كأنه يطمح ببعض وجهه واذا مشى مشيا فكأنما يتقلع فى صخر وينحدر فى صبب يخطوا تكفيا ويمشى الهوينا بغير عسر والهوينا تقارب الخطا والمشى على الهيبة يبدر القوم اذا سارع الى خير او مشى اليه ويسوقهم اذا لم يسارع الى مشيته الهوينا ويرفعه فيها وكان عليه الصلاة والسلام يقول انا اشبه الناس بابى آدم عليه السلام

(١) القباطى ثياب رقيق بيضاء والمطراة التى يعمل عليها انواع الطيب وغيرها كالعنبر والمسك والكافور

وكان ابراهيم خليل الرحمن اشبه الناس بى خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين وقال انس لقد خدمت رسول الله عشر سنين فوالله ما قال لى اف قط ولم يقل لشئ فعلته لم فعلت كذا ولا لشئ لم افعله لم لا فعلت كذا ولقد قدم رسول الله المدينة وانا يومئذ ابن ثمان سنين فذهبت بى امى اليه فقالت يا رسول الله ان رجال الانصار ونسائهم قد اتحفوك غيرى وانى لم اجد ما اتحفك به الا ابنى هذا فتقبله منى يخدمك قال فخدمته عشر سنين لم يضربنى مرة قط ولم يسبنى ولم يعبس فى وجهى ولم يكن سبابا ولا لعانا ولا فحاشا وكان يقول لاحدنا عند المعاتبة ما له تربت يداه وانى قد شممت العطر كله فلم اشم نكهة اطيب من نكهته عليه السلام وكان اذا لقيه احد من اصحابه فقام قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه واذا لقيه احد من اصحابه فتناول يده ناوله اياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزع يده منه واذا لقى رجلا من احد اصحابه فتناول اذنه ناولها اياه ثم لم ينزعها عنه وقال انس دخلت على رسول الله المسجد وعليه ثوب بحرانى غليظ الحاشية فاتاه اعرابى من خلفه واخذ بجانب ردائه فاجتره حتى ابدت الحاشية فى صفح عنق رسول الله وقال له يا محمد اعطنا من مال الله الذى عندك فالتفت اليه متبسما وامر له وقال انس ايضا ما رأيت رجلا قط التقم اذن رسول الله فينحى رأسه حتى يكون هو الذى ينحى رأسه يعنى الرجل وما رأيت رسول الله اخذ بيد رجل فيترك يده حتى يكون هو الذى ينزعها فيدع يده ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليسه وقال خارجة بن زيد دخل على زيد بن ثابت فقال بعض من حضر حدثنا احاديث رسول الله فقال ماذا احدثكم كنت جاره فكان اذا نزل عليه الوحى ارسل الى فكتبت له وكان اذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا كل هذا احدثكم عنه ورواه البيهقى وقال انس مر النبى صلى الله عليه وسلم بغلمان وانا غلام فسلم علينا وكان احسن الناس خلقا وروى البيهقى عن ابى هريرة قال كنا نقعد مع رسول الله فى المسجد بالغدوات فاذا قام الى بيته لم نزل قياما حتى يدخل بيته فقام يوما فلما دخل وسط المسجد ادركه اعرابى فقال يا محمد احمل لى على بعيرى هاتين فانك لا تحمل من مالك ولا من مال

ابيك وجبذه بردائه حتى ادركه تحمر رقبته فقال رسول الله واستغفر الله لا احلك حتى تقيد لى قالها ثلاث مرات ثم دعا رجلا فقال احمل لى على بعير شعيرا وعلى بعير تمرا وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سبابا ولا لعانا ولا صخابا فى الاسواق وقال حبيش بن جنادة كان انكه الناس خلقا واخرج عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة انها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما قط ولا امرأة ولا شيئا الا ان يجاهد فى سبيل الله ولا انتقم لنفسه من شئ حتى تنتهك محارم الله فيكون هو ينتقم لله ولا خير بين امرين الا اختار ايسرهما حتى يكون اثما كان ابعد الناس من الاثم ورواه مالك بلفظ آخر وهو ما خير رسول الله بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى بها ورواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى ورواه الجوزقى بلفظ ما خير بين امرين قط احدهما ايسر من الآخر الا اخذ الايسر منهما واخرج ابو يعلى عن عائشة انها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتصر على ظلامة ظلمها قط الا ان ينتهك من محارم الله شئ فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشدهم فى ذلك وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما وفى رواية الا ان يكون اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه ورواه الامام احمد عن عائشة ولفظه ما ضرب رسول الله خادما له قط ولا امرأة له قط ولا ضرب بيده الا ان يجاهد فى سبيل الله وما نيل منه شئ فانتقم من صاحبه الا ان ينتهك من محارم الله فينتقم لله وما عرض عليه امران احدهما ايسر من الآخر الا اخذ بايسرهما الا ان يكون مأثما فان كان مأثما كان ابعد الناس منه ورواه الحاكم وروى احمد فى مسنده والجوزقى عن عبدالله بن عمر انه قال لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا وكان يقول ان من خياركم احاسنكم اخلاقا وروى الخطيب عن الحسين ابن محمد بن هشام قال قلت لعائشة ما كان خلق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فخلقه القرآن وفى لفظ ادب القرآن وروى ابو نعيم عن ابى عبد الله الجدلى قال سألت عائشة عن خلق رسول الله فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة

السيئة ولكنه يعفو ويصفح ورواه من طرق متعددة واللفظ واحد وفى رواية انها قالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وعن عمرة قالت سألت عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله اذا خلا بنسائه قالت كان كرجل من رجالكم الا انه كان اكرم الناس خلقا وكان ضحاكا بساما وروى عن عائشة انها قالت كان رسول الله الين الناس واكرم الناس وكان ضحاكا بساما وعن بعض آل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان عمر كان يوم الفتح ورسول الله بمكة فارسل الى صفوان بن امية بن خلف والى ابى سفيان بن حرب والى الحارث بن هشام فقال له عثمان قد امكن الله منهم فعرفهم بما صنعوا فقال لهم رسول الله ان مثلى ومثلكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال عمر فانتضحت حياء من رسول الله كراهية ان يكون بدر (١) منى شئ وقد قال لهم ما قال وروى ابو يعلى الموصلى عن صفية بنت حيى قالت اردفنى رسول الله على عجز ناقته ليلا فجعلت اتعكس (٢) فيمسنى رسول الله بيده ويقول يا هذه يا بنت حيى وجعل يقول يا صفية انى اعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا لى كذا وكذا وفى رواية عنها ما رأيت قط احسن من رسول الله لقد رأيته اركبنى من خيبر على عجز ناقته ليلا فجعلت انعس فيضرب رأسى مؤخرة الرحل فيمسنى بيده ويقول يا هذه مهلا يا صفية بنت حيى حتى كنا بالصهباء قال اما انى اعتذر اليك يا صفية مما صنعت بقومك انهم قالوا لى كذا وكذا وقال وهب قرأت فى واحد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا

باب ما جاء فى الكتب من نعته وصفته وما يشرف الانبياء به امها من بعثته

عن عبد الله بن سلام انه سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه فقال

(١) معناه كراهية ان اكون تسرعت بكلمة (٢) اتعكس معناه اتحير فلا اعرف كيف اركب

له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم (١) قال بالله الذى انزل التوراة على موسى بطور سيناء هل تجد صفتي فى كتاب الله الذى انزل على موسى فقال عبد الله انسب ربك يا محمد فارتج على النبي صلى الله عليه وسلم يعنى اغلق عليه فلا يدري ما يقول فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد لك انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتحوا اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكنيسة فاذا هو بيهود

(١) روى فى سبب نزول سورة الاخلاص غير هذا فروى الترمذى عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت ولا شئ يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شئ وعن ابى العالية ان رسول الله ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك فانزل الله تعالى قل هو الله احد قال الترمذى وهذا اصح من الاول واختلف المفسرون فى معنى الصمد فقال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم هو المصمت الذى ليس باجوف لا يأكل ولا يشرب وقيل الذى لم يخرج منه شئ وقيل الذى لم يلد ولم يولد وقال ابن عباس الصمد السيد الذى كمل فى سؤدده والشريف الذى كمل فى شرفه والعظيم الذى كمل فى عظمته والحليم الذى كمل فى حلمه والغنى الذى كمل فى غناه والجبار الذى كمل فى جبروته والعالم الذى كمل فى علمه والحكيم الذى كمل فى حكمته وهو الذى قد كمل فى انواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه لا ينبغى لاحد الا له وقال الحسن وقتادة هو الباقى بعد خلقه روى هذين القولين ابن جرير فى تفسيره وقد جنح ابن جرير الى ان الاصح ان يقال ان الصمد عند العرب هو السيد الذى يصمد اليه الذى لا احد فوقه وهذا هو المعروف من لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وقصدوه فى اشعارهم اه ومعناه الذى تتوجه القلوب بالفطرة اليه وتقصده فى المهمات والشدائد وهذا الذى اختاره فى تفسير هذا الاسم العظيم وهو المناسب لما قبله ولما بعده واليه مال الغزالى فى المقصد الاسنى وقوله لم يلد معناه ليس بمحدث لم يكن ثم كان لان كل مولد فانه وجد بعد ان لم يكن وحدث بعد ان كان غير موجود بل هو تعالى قديم لم يزل ودائم لم يفن ولا يزول والكفؤ فى كلام العرب الشبيه والمثل والمعنى ليس احد مكافئا له ولا مماثل

يقراؤن التوراة فلما اتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم امسكوا وفي جانبهم رجل مريض فقال لهم رسول الله ما لكم امسكتم فقال المريض اتوا على صفة نبي وامسكوا ثم جاء المريض يحبو حتى اتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وامته فقال هذه صفتك وصفة امتك اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه او اخاكم (١) وعن سهل مولى غنيمة وكان نصرانيا من اهل مريس وكان يتيما في حجر امه وعمه وكان يقرأ التوراة والانجيل قال فاخذت مصحفا لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة انكرت كتابتها حين مرت بي ومسستها بيدي قال فنظرت فاذا اصول الورقة ملصوقة بغراء قال ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد عليه الصلاة والسلام وانه لا قصير ولا طويل ابيض ذو صفرة من بين كتفيه خاتم يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ويركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة ويلبس قميصا مرقوعا ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبر وهو يفعل ذلك وهو من ذرية اسماعيل اسمه احمد قال سهل فلما انتهيت الى هذا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم جاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك فقلت فتحت هذه الورقة وقرأتها فاذا بها نعت النبي احمد فقال انه لم يأت بعد وقال عبد الله بن عمرو بينا رجلان يحدث احدهما صاحبه وكعب خلفهما يسمع لا يعلمان بمكانه اذ قال احدهما لصاحبه رأيت الليلة او قال رأيت البارحة كل نبي في الارض مع كل نبي منهم اربعة مصابيح مصباح من بين يديه ومصباح من خلفه ومصباح عن يمينه ومصباح عن يساره ومع كل رجل ممن معه مصباح مصباح اذا قام رجل منهم اضاء في كل شعرة من رأسه مصباح ورأيت رجلا مع كل رجل ممن معه اربعة مصابيح في جهاته الاربع فقلت من هذا قال محمد رسول الله فقال كعب للمحدث عمرك الله عمن تحدث فقال عن رؤيا رأيتها البارحة فقال كعب والله لكأنك نشرت التوراة فقرأت هذا فيها وقال ابو هريرة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول وقد استعمل عشر سنين من هجرته فلما كانت صبيحة الخميس فاذا نحن بشيخ ابيض الرأس واللحية متلثم بعمامة على قعود له حتى جاء فنزل فعقل بعيره بباب المسجد وقال وهو بالباب السلام

---

(١) معناه تولوا امره

عليكم ورحمة الله هل فيكم محمد رسول الله فقال له على ايها السائل عن محمد ماذا تريد منه فقال انا حبر من احبار بيت المقدس قرأت التوراة ثمانين سنة وتدبرتها اربعين صباحا فوجدت فيها ذكر محمد وان الله تعالى يقول في التوراة ليس بكذاب ولا بقوال للكذب وقدجئت اطلب الاسلام على يده فقال له على كرم الله وجهه ايها السائل عن ابي القاسم قداصبح ابو القاسم تحت اطباق الثرى فوضع الحبر يديه على رأسه ونادى واانقطاع ظهراه بابى وامى لم اشهده ولم اره يا محمد المصطفى يا خير من ولدت النساء ثم قال هل فيكم قرابة محمد فقال على يا بلال انطلق بهذا الرجل الى منزل فاطمة فانطلق به فقال لها الحبر يا ابنة رسول الله انا حبر من احبار بيت المقدس وان الذى قدمت اليه قد مات اما عندك ثوب من ثياب رسول الله فقالت فاطمة للحسين هات الثوب الذى توفى فيه رسول الله فجاء به فاخذه الحبر والقاه على وجهه وجعل يستنشق ريحه ويقول بابى وامى من جسد نشف فيه هذا الثوب ثم رفع رأسه وقال يا على صف لى صفة رسول الله حتى كأنى انظر اليه فبكى على بكاء شديدا وقال والله لان كنت مشتاقا الى محمد فانا اشوق الى حبيبى منك ثم قال بابى وامى لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير كان ربعة من الرجال ابيض مشربا بحمرة جعد المفرق شعره الى شحمة اذنيه صلت الجبين مقرون الحاجبين ادعج العينين سبط الاظفار اقنى الانف دقيق المسربة مليح الثنايا كث اللحية كأن عنقه ابريق فضة وكأن الذهب يجرى فى تراقيه كأن عرقه فى وجهه اللؤلؤ شثن الكفين والقدمين له شعرات ما بين لبته وصدره يجرى كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها يفوح منه ريح المسك اذا قام غمر الناس واذا مشى كأنما يتقلع من صخرة اذا التفت التفت جميعا واذا تحدر كأنما يتحدر فى صبب اطهر الناس خلقا واشجع الناس قلبا واسمح الناس كفا لم يكن قبله مثله ولا يكون بعده مثله ابدا فقال الحبر يا على انى اصبت فى التوراة هذه الصفة وقدايقنت ثم اسلم الحبر وعن عبادة بن الصامت قيل يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابى ابراهيم وكان آخر من بشر بى عيسى بن مريم وقال عبد الله ان صاحبكم خامس خمسة مبشر بهم قبل ان يكونوا اسحاق ويعقوب قال الله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ويحيي قال

الله تعالى يبشرك بيحيي مصدقا وعيسى بن مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ومحمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين قال عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فهؤلاء اخبر بهم قبل ان يكونوا وروى البيهقي عن ام الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله في التوراة قال نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق اعطى المفاتيح ليبصر الله به اعينا عوراء ويسمع به اذانا وقرأ ويقيم به السنا معوجة حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يعين المظلوم ويمنعه وقال وهب بن منبه ان الله لما قرب موسى نجيا قال ربي انى اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب انى اجد في التوارة امة هم الآخرون من الامم السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال يا رب انى اجد في التوراة امة اناجيلهم في صدورهم يقراؤنها وكان من قبلهم يقراؤن كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب انى اجد في التوراة امة يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون رؤوس الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال انى اجد في التوراة امة يأكلون صدقاتهم في بطونهم وكان من قبلهم اذا اخرج صدقة بعث الله عليها نارا فاكلتها فان لم تقبل لم تقربها فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب انى اجد في التوراة امة اذا هم احدهم بسيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة واذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة فاذا عملها كتبت له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال رب انى اجد في التوراة امة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي وما اوحى اليه في الزبور يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمه محمد واحمد صادق سيد لا اغضب عليه ابدا ولا يغضبني ابدا وقد غفرت له قبل ان يغضبني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة اعطيتهم من النوافل مثلما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل الانبياء وذلك انى افترضت عليهم ان ينظروا الي بكل صلاة كما افترضت على الانبياء قبلهم وامرتهم بالغسل من الجنابة كما

امرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد كما امرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالحج كما امرت الانبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد يا داود انى فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم ستة خصال لم اعطها غيرهم لا اؤاخذهم بالخطاء والنسيان وكل ذنب ركبوه عن غير عمدان يستغفرونى منه غفرت لهم وما قدموا لآخرتهم من شئ طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم فى المذخور عندى اضعاف مضاعفة وافضل من ذلك اعطيهم على المصائب فى البلايا ان صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون والصلاة والرحمة والهدى الى جنات النعيم فان دعونى استجيب لهم فاما ان يروه عاجلا واما ان اصرف عنهم سوأ واما ان ادخر لهم فى الآخرة يا داود من لقينى من امة محمد يشهد ان لا اله الا الله وحدى لا شريك لى صادقا بها فهو معى فى جنتى وكرامتى ومن لقينى وقد كذب بمحمد وكذب بما جاء به واستهزأ بكتابى صبيت عليه فى قبره العذاب صبا وضربت الملائكة وجهه ودبره عند نشره من قبره ثم ادخله النار او قال الدرك الاسفل من النار وروى اللالكائى عن مقاتل بن حيان انه قال اوحى الله الى عيسى بن مريم جدّ فى امرى ولا تهزل واسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول انى خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياى فاعبد وعلىّ فتوكل فسر لاهل سوران بالسريانية (١) بلغ من بين يديك انى انا الله الحى القيوم الذى لا ازول وسأبعث النبى الامى العربى صاحب الجمل والمدرعة والعمامة وهى التاج والنعلين والهرواة وهى القضيب الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الانجل العينين الاهدب الاشفار الاقنى الانف الواضح الخدين الكث اللحية عرقه فى وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجرى فى تراقيه له شعرات من لبته الى سرته يجرى كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكفين والقدمين اذا جاء مع الناس غمرهم واذا مشى كانما يتقلع من صخر وينحدر فى صبب ذى السيل القليل وقال عمرو بن مهاجر الكندى كانت امرأة من حضرموت يقال لها تهنات بنت كليب صنعت لرسول الله كسوة ثم دعت ابنها كليبا فقالت انطلق بهذه الكسوة الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتاه بها واسلم فدعا له فقال رجل من ولده يعرض باناس من قومه

---

(١) من هذه اللفظة اخذ اسم سوريا

لقد مسح الرسول ابا ابينا ولم يمسح وجوه بني جبير
شبابهم وشيبهم سواء فهم في اللؤم اسنان الحمير (١)

﴿ وقال كليب جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فانشدت ﴾

من وشر يهزوب يهدى بى عذافرة اليك يا خير من يحفى وينتعل (٢)
تجوب بى صفصفا غبرا مناهله تزداد عفوا اذا ما كلت الابل (٣)
شهرين اعملها نصا على وجل ارجو بذاك ثواب الله يا رجل (٤)
انت النبي الذى كنا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل (٥)

(باب ذكر طهارة مولده وطيب اصله وكرم محتده)

روى محمد بن سعد عن ابن عباس مرفوعا خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح ورواه البيهقي بلفظ ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شئ ما ولدني ألاّ نكاح كنكاح الاسلام وفى لفظ ما ولدتني بغى قط (٦) منذ خرجت

(١) الشيب جمع شائب وقوله اسنان الحمير يريد انهم متساوون فى اللؤم واختار اسنان الحمير على غيرها لان المقام مقام هجو وتحقير واسنان بالنصب على نزع الخافض والتقدير كاسنان الحمير (٢) الوشر والاشر الفرح والنشاط واليهزوب المسرع والعذافرة الناقة الصلبة القوية والمعنى انى هدانى اليك من بلاد بعيدة ناقة صلبة قوية لها فى سيرها فرح ونشاط واسراع وهذا كناية عن الشوق والحبة (٣) تجوب تقطع والصفصف المستوى من الارض والمعنى تقطع بى هذه الناقة فى سيرها مستويا من الارض وغبرا مناهله معناه ان موارد مياه ذلك الصفصف صارت مغبرة لخلوّها من الماء وكلت تعبت والمعنى ان هذه الناقة تسير بى ذلك السير فى وقت تعب الابل فهى لا تتعب اذا تعبوا بل يزداد سيرها عفوا اى عدم كلفة ومشقة (٤) المعنى انى اعملها اى اسير عليها شهرين نصا اى اقصى السير وغايته فهو من قولهم نص الناقة اذا حركها حتى يستخرج اقصى سيرها وقوله على وجل اى على خوف (٥) نخبره بضم النون وسكون الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة (٦) السفاح الزنا مأخوذ من سفحت الماء اذا صببته نقل النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كانت مناكح الجاهلية على اربعة اضرب نكاح الرايات ونكاح الرهط ونكاح الاستبضاع ونكاح الولادفاما نكاح الرايات فقد كانت العاهرة فى الجاهلية تنصب على بابها راية ليعلم المار بها عهرها ليزنى بها واما نكاح الرهط فهو ان النفر من القبيلة او القبائل كانوا يشتركون فى اصابة المرأة فاذا جاءت بولد الحق باشبههم به واما نكاح الاستبضاع فهو ان المرأة كانت اذا رأت ولدا نجدا نجيبا بذات نفسها انجيب كل قبيلة وسيدها فلا تلد الا نجيبا فتلحقه بايهم شاءت واما نكاح الولاد فهو النكاح الصحيح المقصود للتناسل اه اى وهو المقصود فى هذا الحديث واقول بقى نوع آخر وهو نكاح الشغار وهو ان يزوج الرجل موليته لرجل آخر ويزوج الآخر موليته للاول ولا مهر لكل واحدة منهما البغى الزانية.

من صلب ابي آدم ولم تزل الامم تتنازعني كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من العرب هاشم وزهرة وعن ابن عباس مرفوعا فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجت نبيا وفى لفظ لابن عباس لا زال رسول الله يتقلب فى اصلاب الانبياء حتى ولدته امه وروى عبد الرزاق عن جعفر بن محمد عن ابيه فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال لم يصبه شئ من ولاد الجاهلية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها انى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هذا الحديث موقوف وقال هشام بن محمد الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية وقال ابن عباس كانت امرأة من خثعم تعرض نفسها فى مواسم الحج وكانت ذات جمال وكان معها ادم تطوف بها كأنها تبيعها فاتت بها على عبد الله بن عبد المطلب فاظن انه اعجبها فقال انى والله ما اطوف بهذا الادم وما لى بها والى ثمنها حاجة وانما اتوسم الرجال هل اجد كفوا فان كان لك الى حاجة فقم فقال لها مكانك حتى ارجع اليك فانطلق الى رحله فبدأ فواقع اهله فحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما رجع اليها قال ألا اراك ههنا قالت ومن انت قال الذي واعدتك قالت لا ما انت هو وان كنت هو لقد رأيت ما بين عينيك نورا ما اراه الآن وقال ابو يزيد المدني ثبت ان عبد الله اتى على امرأة من خثعم فرأت النور بين عينيه ساطعا الى السماء فقالت هل لك فيّ قال نعم حتى ارمى الجمرة فانطلق حتى اتى الجمرة ثم اتى امرأته آمنة بنت وهب ثم تذكر الخثعمية فاتاها فقالت هل اتيت امرأة بعدى قال نعم امرأتى آمنة فقالت لا حاجة لى فيك انك مررت وبين عينيك نور ساطع الى السماء فلما وقعت عليها ذهب فاخبرها انها قد حملت بخير اهل الارض وقال ابن عباس لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من اهل تبالة بلدة فى اليمن متهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك ان تقع عليّ الآن واعطيك مائة من الابل فقال عبد الله

اما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه

فكيف بالامر الذى تبغينه والحر يحمى عرضه ودينه

ثم مضى مع ابيه فزوجه آمنة ابنت وهب فاقام عندها ثم ان نفسه دعته الى ما دعته اليه الكاهنة فاتاها فقالت يا فتى ما صنعت بعدى فاخبرها فقالت والله ما انا بصاحبة ريبة ولكنى رأيت فى وجهك نورا فاردت ان يكون فىّ وابى الله ان يصيره الا حيث اراد ثم انشأت فاطمة تقول

انى رأيت مخيلة لمعت ثم تلألأت بحناتم القطر
فاصابها نور يضيء به ما حوله كأضاءت البدر
فرجوته فخرا انوء به ما كل قادح زنده يورى (١)
لله ما زهرية سلبت بويل ما سلبت وما تدرى (٢)

وقالت ايضا

بنى هاشم قد غادرت من اخيكم امينة اذ للباه يعتلجان
كما غادر المصباح بعد خموده فتائل قد ميثت له بدهان (٣)
وما كل ما يحوى الفتى من تلاده بحرص ولا ما فاته لتوان (٤)
فاجمل اذا طالبت امرا فانه سيكفيكه جدان يصطرعان
ستكفيكه اما يد مقفلة واما يد مبسوطة ببنان (٥)
ولما حوت منه امينة ما حوت حوت منه فخرا ماله من ثان

وفى رواية فى غير الاصل

ولما قضت منه امينة ما قضت نبا بصرى عنه وكلّ لسانى

وقيل ان التى عرضت نفسها على عبد الله هى اخت ورقة بن نوفل واسمها قتيلة وكانت تنظر وتعتاذ (٦) فمر بها عبد الله فدعته ليستمتع بها وازمت طرف ثوبه فابى وقال حتى آتيك وخرج سريعا فدخل على آمنة فوقع

(١) المخيلة موضع الخيال وهى الظن كالمظنة والمراد هنا يعنى ان غاية وضنا لمعالها ثم ظهرت تلك الغاية لغيرها بحناتم القطر الحناتم السحاب والقطر الناحية تريد انها تلألأت بعيدة عنها بعد السحاب (٢) انوء انهض وقولها ما كل قادح الخ مخرج مخرج المثل والقادح الذى يضرب بالقداحة وهى الحجر الذى يورى النار والمعنى ما كل طالب حاجة ينالها وميثت شيبت (٤) التلاد المال القديم الاصلى الذى ولد عندك وهو ضد الطارف والتوانى الكسل (٥) الا مايد الطرق والاسباب (٦) اى كانت من الكهان ومن الذين ينظرون فى النجوم

عليها فحملت برسول الله ثم رجع الى المرأة فوجدها تنتظره فقال هل لك فى الذى عرضت علىّ فقالت لا مررت وفى وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس هو فى وجهك وقد ورد ان التى عرضت عليه نفسها لم تكن بغيا وانما كانت زوجة لعبد الله وقد روى عن اسحاق ابن يسار انه كان لعبد الله زوجتان فمر باحدهما وقد اصابه اثر طين عمل به فدعاها فابطأت عليه لما رأت من اثر الطين فدخل فغسل عنه الطين ثم دخل عامدا الى آمنة فاصابها ثم خرج فدعا الثانية الى نفسه فقالت لا حاجة لى بك مررت بى وبين عينيك نور ساطع فلما دخلت على آمنة ذهب منك وقال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فداك ابى وامى اين كنت وآدم فى الجنة قال فتبسم حتى بدت ثناياه ثم قال كنت فى صلبه وهبط الى الارض وانا فى صلبه وركبت السفينة فى صلب ابى نوح وقذف بى فى النار فى صلب ابى ابراهيم لم يلتق ابواى قط على سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الحسنة الى الارحام الطاهرة مهذبا لا يتشعب شعبان الا كنت فى خيرهما قد اخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالاسلام عهدى وبشر بى وفى التوراة والانجيل ذكرى وبين كل نبى صفتى تشرق الارض بنورى والغمام بوجهى وعلمنى كتابه فى سحابة واشتق لى اسما من اسمائه فذو العرش محمود وانا محمد ووعدنى ان يحبونى بالحوض والكوثر وان يجعلنى اول شافع واول مشفع ثم اخرجنى من خير قرن لامتى وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال ابن عباس قال لى حسان بن ثابت فى النبى صلى الله عليه وسلم

من قبلها طبت فى الظلال وفى	مستودع حيث يخصف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشر	انت ولا نطفة ولا علق
مطهر تركب السفين وقد	الجم اهل الضلالة الغرق
تنقل من صلب الى رحم	اذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله حسانا فقال على بن ابى طالب وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة وهذا الاثر روى من وجه غريب جدا والمحفوظ ان هذه الابيات للعباس رضى الله عنه وروى من طريق ابى يعلى ابن الفرا الحنبلى عن خريم انه قال هاجرت الى رسول الله فقدمت عليه وهو

منصرف من تبوك فاسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق (١)
ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق (٢)
وردت نار الخليل مكتتما ... تجول فيها واست تحترق
تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق (٣)
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندق علياء تحتها النطق (٤)
وانت لما ولدت اشرقت الار ... ض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النـ ... ـور وسبل الرشاد نخترق (٥)

وروى ابو بكر الخطيب عن ابي بكرة ان جبريل ختن النبي صلى الله عليه وسلم حين طهر قلبه كذا في هذه الرواية وقد جاء من وجه آخر انه ولد مختونا وقال ابن عباس ولد مختونا مسرورا وكذا قال العباس وزاد واعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن وكذا روى عن ابي هريرة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على الله اني ولدت مختونا ولم ير سوأتي احد روى هذا باسانيد يقوى بعضها بعضا وفي بعض الفاظها ولدت مختونا مسرورا (٦)

---

(١) المراد بالظلال ظلال الجنة والمقصود كونه في صلب آدم قبل الولادة والمستودع المستحفظ والمراد به الرحم اى كنت مع آدم وحواء في الجنة حيث يخصف الورق اى يضم ويجمع ليسترا عورتهما به (٢) نسر هو الصنم الذي كان قوم نوح يعبدونه وكانوا يعبدون ايضا ودا وسواع ويغوث ويعوق (٣) الصالب الظهر واما الطبق فقال الزمخشري في الفائق هو القرن من الناس (٤) البيت الشرف والمهين نعته والمعنى حتى احتوى شرفك المهين اى الشاهد على فضلك ارفع مكان وافضل من نسب خندف وهي امرأة الياس ابن النضر والنطق جمع نطاق شقة تلبسها المرأة وسط وسطها ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة وينجر الاسفل على الارض (٥) نخترق نقطع تلك السبل بنور ضيائك وبهجة نور نبوتك (٦) اختلف العلماء في ختانه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقوال احدها انه ولد مختونا مسرورا اى مقطوع السرة قال الحافظ ابن الجوزي روى في ذلك حديث لا يصح قال وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم الثاني ان الملائكة ختنته يوم شق قلبه وهو عند مرضعته حليمة الثالث ان جده ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمدا قال ابن عبد البر وفي هذا الباب حديث غريب وقال يحيى ابن ايوب طلبته فلم اجده عند احد من اهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن ابي السري وقد وقع في هذه المسألة خلاف بين كمال الدين ابن طلحة وكمال الدين ابن العديم فجنح الاول الى انه ولد مختونا ورد عليه ابن العديم بانه ختن على عادة العرب والمسألة طويلة ومردها الى الله

(باب اخبار الاحبار بنبوته والرهبان وما يذكر من امره عن العلماء والكهان)

عن الفلتان بن عاصم قال سمعت خالي يقول كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ شخص بصره الى رجل فاذا هو يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان قال فجعل رسول الله يكلمه وهو يقول يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتشهد اني رسول الله قال لا فقال اتقرأ التوراة قال نعم قال اتقرأ الانجيل قال نعم قال والقرآن ولو تشاء قرأته لقرأته فقال رسول الله فيم تقرأ في التوراة والانجيل ان الله اتخذني نبيا قال انا نجد نعتك ومخرجك فلما خرجت رجونا ان تكون فينا فلما رأيناك عرفنا انك لست به فقال له ولم يا يهودي قال انا نجده مكتوبا انه يدخل من امته سبعون الفا بلا حساب ولا نرى معك الا نفرا يسيرا فقال له ان امتي لاكثر من سبعين الفا الفا وقال ابو هريرة بلغني ان بني اسرائيل لما اصابهم ما اصابهم من ظهور بخت نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا وكانوا يجدون محمدا منعوتا في كتابهم وانه يظهر في بعض هذه القرى العربية في قرية ذات نخل فلما خرجوا من ارض الشام جعلوا يفترون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فنزل بيثرب طائفة منهم فمات اولئك وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يحثون ابناءهم على اتباعه ان جاء فادركه من ادركه من ابنائهم فكفروا به وهم يعرفونه وقال ابو نملة كانت يهود قريظة يدرسون ذكر رسول الله في كتبهم ويعلمونه للولدان بصفته واسمه ومهاجره الينا فلما ظهر حسدوه وبغوا عليه وقالوا ليس هو وقالت عائشة سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات فلما كانت ليلة ولد رسول الله قال في مجلس من مجالس قريش هل كان فيكم من مولود هذه الليلة قالوا لا نعلمه قال اخطأت والله حيث كنت اكره انظروا يا معشر قريش واحصوا ما اقول لكم ولد الليلة نبي هذه الامة احمد فان اخطأتم في معرفته فان به شامة بين كتفيه سوداء صفراء فيها شعرات متواترات فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه فلما

صاروا في منازلهم ذكروا لاهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمدا فالتقى بعضهم ببعض بعد يومهم فاتوا اليهودي في منزله فقالوا اعلمت انه ولد فينا مولود فقال ابعد خبره ام قبله قالوا قبله واسمه احمد قال فاذهبوا بنا اليه فخرجوا معه حتى دخلوا على امه فاخرجته اليهم فرأى الشامة في ظهره فغشى على اليهودي ثم افاق فقالوا ويلك مالك فقال ذهبت النبوة من بني اسرائيل وخرج الكتاب من ايديهم وهذا مكتوب بقتلهم وبوء اخبارهم فازت العرب بالنبوة افرحتم يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبأها من المشرق الى المغرب وقال ابو هريرة اتى رسول الله بيت المدراس فقال اخرجوا الى اعلمكم فقالوا هو عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده بدينه وبما انعم الله به عليهم واطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام وقال له اتعلمني انى رسول الله فقال اللهم نعم ثم قال ان القوم ليعرفون ما اعرف وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك انت قال اكره خلاف قومي وعسى ان يتبعوك ويسلموا فاسلم وروى المحاملي عن عبد الرحمن بن حميد بن عوف انه قال خرج عبد المطلب الى اليمن فلقيه رجل من اليهود له علم فنظر الى عبد المطلب فقال ارنى منك شيئين فقال له انى اريك ما لم يكن عورة مني فقال لا اريد الصورة وانما اريد ان انظر الى انفك وكفيك فقال انظر فقال له ابسط كفيك فبسطهما فقال له اما في احد كفيك فملك واما انفك فان فيه النبوة ولا يتم ذلك الا ببني زهرة هل لك شاغة قال لا فقال له تزوج في بني زهرة قال فلما رجع عبد المطلب تزوج هالة وزوج عبد الله آمنة بنت وهب فقالت قريش فلج عبد الله على ابيه وهذا الحديث غريب والمحفوظ ما رواه احمد بن محمد بن زياد بن الاعرابي بمعناه وفيه ان عبد المطلب خرج الى الشام في رحلة الشتاء قال فنزلت على حبر ممن يقرأ الزبور ثم ذكر نحوا مما تقدم ثم قال هل لك من شاغة فقال له وما الشاغة فقال زوجة فقال لا فقال له اذا قدمت فتزوج في بني زهرة فلما رجع تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة وزوج عبد الله آمنة بنت وهب ورواه البيهقي بلفظ قال عبد المطلب قدمت اليمن في رحلة الشتاء وفيه ان هالة ولدت لعبد المطلب صفية وحمزة وروى من وجوه

آخر ترجح ان السفر كان الى اليمن لا الى الشام وروى ابن الاعرابي عن قيس ابن زمانة عن يوسف بن عبد الله بن سلام انه قال له ان رجلا من اهل الشام نزل على رجل من اهل يثرب فاكرمه فقال له الشامي انى لا ارى ما اجازيك بما صنعت الي الا انى اكرمك بحديث احدثك به فاحفظه منى ان نبيا خارج بارض العرب بارض تيماء فان ادركته فاتبعه فان انت لم تفعل فليكن بينك وبينه عهد قال فلما خرج رسول الله جاء اليهودى اليه فقال له انك لرسول الله فقال له اما تتبعنى فقال له اليهودى لا ادع دينى ولكن لى الف نخلة لك منها مائة وسق (١) فى كل عام وانا آمن على اهلى ومالى فاكتب لى بذلك فكتب له رسول الله ما اراد وروى الخرائطى عن عروة ان نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وعبد الله وعبيد الله ابنا جحش وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون اليه وقد اتخذو ذلك اليوم من كل سنة عيدا وكانوا يعظمونه وينحرون له الجزر ويأكلون ويشربون الخمر عنده ويعكفون عليه فدخلوا عليه فى الليل فرأوه مكبوبا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فلم يلبث ان انقلب انقلابا عنيفا فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك منه اغتموا له واعظموا ذلك فقال عثمان بن الحويرث ماله قد اكثر التنكس ان هذا لامر قد حدث وكان ذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان يقول

ايا صنم العيد الذى صف حوله ... صناديدوفد من بعيد ومن قرب (٢)
تنكست مغلوبا فما ذاك قل لنا ... اذاك سفيه ام تنكست للعتب (٣)
فان كان من ذنب اتينا فاننا ... نبوء باقرار ونلوى عن الذنب
وان كنت مغلوبا تنكست صاغرا ... فما انت فى الاوثان بالسيد الرب

قال فاخذوا الصنم فردوه الى حاله التى كان عليها فلما استوى هتف هاتف بهم من الصنم بصوت جهورى وهو يقول

تردى لمولود اضاءت لنوره ... جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

---

(١) الاصل فى الوسق الحمل وكل شئ وسقته فقد حملته وللفقهاء خلاف فى تقديره ليس هنا محله اذ المقصد بيان المعنى اللغوى (٢) صناديد وفد اشرافه وعظماؤه ورؤسه الواحد صنديد وكل عظيم غالب يقال له صنديد (٣) اذاك اصله أأذاك حذفت منه همزة الاستفهام تخفيفا

وخرت له الاوثان طرا وان عدت قلوب ملوك الارض طرا من الرعب
ونار جميع الفرس ناحت واظلمت وقد بات شاه الفرس فى اعظم الكرب
وصدت عن الكهان بالغيب جنها فلا مخبر منهم بحق ولا كذب
فيا آل قصى ارجعوا عن ضلالكم وهبوا الى الاسلام والمنزل الرحب

فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيا فقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض فقالوا اجل فقال لهم ورقة بن نوفل تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد اخطأوا المحجة وتركوا دين ابراهيم ما حجر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر يا قوم التمسوا لا نفسكم دينا قال فخرجوا عند ذلك يضربون فى الارض ويسألون عن الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة فتنصر وقرأ الكتب حتى علم علما واما عثمان بن الحويرث فسار الى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده واما زيد بن عمرو بن نفيل فاراد الخروج فحبس ثم انه خرج بعد ذلك فضرب فى الارض حتى بلغ الرقة من ارض الجزيرة فلقى بها راهبا عالما فاخبره بالذى يطلب فقال له الراهب انك لتطلب دينا ما تجد من يحملك عليه ولكن قد اظلك زمان نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية فلما قال له ذلك رجع يريد مكة فعدت عليه لخم فقتلوه واما عبيد الله بن جحش فاقام بمكة حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم خرج مع من خرج الى ارض الحبشة فلما صار بها تنصر وفارق الاسلام فكان بها هناك حتى مات نصرانيا وروى ابن سعد ان ابا طالب لما اراد المسير الى الشام قال له النبى صلى الله عليه وسلم اى عم الى من تخلفنى ههنا فمالى ام تكفلنى ولا احد يؤوينى فرق له ثم اردفه خلفه فخرج به فنزلوا على صاحب دير فقال له صاحبه ما هذا الغلام منك قال ابنى فقال له ما هو بابنك ولا ينبغى ان يكون له اب حى قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينيه عينى نبي قال وما النبي قال الذى يوحى اليه من السماء فينبئ به اهل الارض قال الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود قال ثم خرج حتى نزل براهب ايضا صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغى ان يكون له اب حى قال ولم ذلك فقال مقالة الراهب الاول فقال ابو طالب سبحان الله الله اجل مما تقول ثم قال يا ابن اخى الا تسمع ما يقول فقال اى عم لا تنكر لله قدرته وروى ابن ابى

شيبة عن شعيب بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال كان بمر الظهران راهب يقال له عيصا من اهل الشام وكان متخفرا بالعاص بن وائل وكان قد اتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة من طب ورفق وعلم وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فى كل سنة فيلقى الناس ويقول انه يوشك ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فمن ادركه واتبعه اصاب خيرا كثيرا واصاب حاجته ومن ادركه وخالفه فقد اخطأ حاجته وتالله ما تركت ارض الخمر والخمير والامن ولا حللت ارض البؤس والجوع والخوف الا فى طلبه وكان لا يولد بمكة مولود الا سئل عنه فيقول ما جاء بعد فيصفه ويكتم ذلك الذى قد علم انه يلقاه من قومه مخافة على نفسه ان يكون ذلك داعية الى ان يؤذى يوما من الايام فلما كانت صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف فى اصل صومعته ثم نادى يا عيصا فناداه من هذا فقال انا عبد الله فاشرف عليه فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت احدثكم به ولد يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين قال فانه قد ولد لى مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا فقال والله لقد كنت اشتهى ان يكون هذا المولود فيكم اهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه فقد اتى عليهن منها ان نجمه طلع البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمدا انطلق فان الذى كنت احدثكم عنه هو ابنك قال فما يدريك انه ابنى ولعله ان يولد من غيرى فان ههنا مولودين عدة فقال قد وافق ابنك الاسم ولم يكن الله عز وجل ليشبه علمه على العلماء لانهم حجته وآية ذلك الآن يشتكى اياما ثلاثة ثم يعافى فاحفظ لسانك وفمك فانه لم يحسد حسده احد قط ولم يبغ على احد كما يبغى عليه وان يعين عليه حتى تبدو معالمه ثم يدعو فيظهر لك من قومك ما لا تحتمله الا على صبر وعلى ذل فاحفظ لسانك قال فما عمره قال ان طال عمره او قصر لم يبلغ السبعين يموت فى ستين او فى احدى وستين او ثلاث وستين وبين الستين والسبعين اكثر اعمار امته وروى البيهقى عن ابن عباس قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا فى قومه مطاعا عظيما فى عشيرته ظاهر الادب شامخ النسب بديع الجمال حسن الفعال ذا منعة ومال فى وفد عبد القيس من ذوى الاخطار والاقدار والفضل والاحسان كل

رجل منهم كالنخلة السحوق على ناقة كالفحل العتيق قد جنبوا الجياد واستعدوا للجلاد مجدين فى مسيرهم حازمين فى امرهم يسيرون ميلا ويقطعون ميلا فميلا حتى اناخوا عند مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل الجارود على قومه والمشائخ من بنى عمه فقال يا قوم هذا محمد الاغرّ سيد العرب وخير بنى عبد المطلب فاذا دخلتم عليه ووقفتم بين يديه فاحسنوا عنده الاسلام واقلوا عنده الكلام فقالوا باجمعهم ايها الملك الهمام والاسد الضرغام لن نتكلم ان حضرت ولن نجاوز ما امرت فقل ما شئت فانا سامعون واعمل ما شئت فانا تابعون فنظر الجارود فى كل كمى صنديد قد دوموا العمائم واتزروا بالصوارم يسحبون اذيالهم ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون مناقب الاخيار لا يتكلمون طويلا ولا يسكتون عناء ان امرهم ائتمروا وان زجرهم انزجروا كأنهم اسد يقدمها ذو لبدة مهول حتى مثلوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل القوم المسجد وابصرهم من كان به دلف الجارود امام النبى صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه وانشأ يقول

يا نبى الهدى اتتك رجال ... قطعت فدافداً وآلاً فآلا
وطوت نحوك الصحاصح طرا ... لا تخال الكلال فيك كلالا
كل دهناء يقصر الطرف عنها ... ارقلتها قلاصنا ارقالا
وطوتها الجياد تجمح فيها ... بكماة كالنجم تتلألا
تبتغى دفع بؤس يوم عبوس ... اوجل القلب ذكره ثم هالا

فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فرح فرحا شديدا وقرّبه وادناه ورفع مجلسه وحياه واكرمه وقال يا جارود لقد تأخر بك وبقومك الموعد وطال بكم الامد فقال والله يا رسول الله لقد اخطأ من اخطأك قصده وعدم رشده وتلك وايم الله اكبر خسة واعظم حوبة والرائد لا يكذب اهله ولا يغش نفسه لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا واختارك للمؤمنين اماما انى لأنا قد وجدت وصفك فى الانجيل وقد بشر بك ابن البتول (١) فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك وارسلك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين

---

(١) قال ابن اسحاق قدم الجارود على النبى صلى الله عليه وسلم وكان نصرانيا فقال يا رسول الله انى على دين وانى تارك دينى لدينك فتضمن لى بما فيه فقال نعم انا ضامن لذلك ان الذى ادعوك اليه خير من الذى كنت عليه فاسلم واسلم اصحابه

مدّ يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله قال فآمن الجارود وآمن من قومه كل سيد فسر رسول الله به سرورا وابتهج حبورا وقال يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا (١) فقال كلنا نعرفه يا رسول الله وانا من بين قومي كنت اقفوا اثره واطلب خبره وهو سبط من اسباط العرب صحيح النسب فصيح اذا خطب ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة يتقفر القفار لا تكنه دار ولا يقره قرار يتحسى في تقفره بيض النعام ويأنس بالوحش والهوام يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح لا يفتر من الرهبانية ويقر لله بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال وتتبعه الابدال ادرك رأس الحواريين شمعان فهو اول من تأله من العرب واعبد من تعبد في العقب وايقن بالبعث والحساب وحذّر سوء المنقلب والممات ووعظ بذكر الموت وامر بالعمل قبل الفوت الحسن الالفاظ الخاطب بسوق عكاظ العالم بشرق وغرب ويابس ورطب واجاج وعذب كأني انظر اليه والعرب بين يديه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله وانشأ يقول

هاج القلب من جواه اذ كا ... ن وليال خلا لهن نهار
ونجوم يحثها قمر الليـ ... ـل وشمس في كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وارعا ... د شديد في الخافقين مطار
وغلام واشمط ورضيع ... كلهم في التراب يوما يزار
وقصور مشيدة حوت الخـ ... ـير واخرى خلت لهن فقار
وكثير مما تقصر عنه ... جوسة الناظر الذي لا يحار
والذي قد ذكرت دل على اللـ ... ـه نفوسا لها هدو واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست انساه بسوق عكاظ على جمل له اورق وهو يتكلم بكلام موثق ما اظن اني احفظه فهل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيئا فوثب ابو بكر الصديق

(١) قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر وقيل حذافة بن زهر بن اياد بن نزار كذا في كتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني وقال عنه انه اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية واول من توكأ على عصا واول من قال اما بعد وكان من حكماء العرب

رضى الله عنه قائما فقال يا رسول الله انى احفظه وكنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فاطنب ورغّب ورهّب وحذّر وانذر وقال فى خطبته ايها الناس اسمعوا وعوا واذا دعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نبات ومطر وارزاق واقوات واباء وامهات واحياء واموات جميع واشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات ارتياج وبحار ذات امواج (١) مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما لم يكن خائنا فيه ولا آثما ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذى انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم زمانه وادرككم ابانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد من الاباء والاجداد من المريض والعواد اين الفراعنة الشداد اين من بنى وشيد وزخرف وجدد وغره المال والولد اين من طغى وبغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا وابعد منكم آمالا واطول منكم اجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فصارت عظامهم بالية وبيوتهم خالية وعمرتها الذئاب العادية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشأ يقول

فى الذاهبين الاولـ ـين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى ولا من الباقين غابر

ورواية الخرائطى فى كتاب هواتف الجان

لا من مضى يأتى اليـ ـك ولا من الماضين غابر
ايقنت انى لا محا له حيث صار القوم صائر

قال فجلس ثم قام رجل من الانصار بعده كأنه قطعة جبل ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة قد دوّر عمامته وارخى ذؤابته منيف منوف اشدق حسن

(١) وفى كتاب المعمرين زيادة وهى نجوم تغور وبحار تمور ولا تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع

الصوت فقال يا سيد المرسلين وصفوة رب العالمين لقد رأيت من قس عجبا وشهدت منه مرغبا فقال وما الذى رأيته منه وحفظته عنه فقال خرجت فى الجاهلية اطلب بعيرا لى شرد منى اقفو اثره واطلب خبره فى فيافى او حقائف ذات دعادع ورعادع وليس لارکب فيها مقيل ولا لغير الجن سبيل واذا بموئل هول فى طود عظيم ليس به الا البوم وادركنى الليل فولجته مذعورا لا آمن فيه حتفى ولا اركن الى غير سيفى فبت بليل طويل كأنه بليل موصول ارهب الكوكب وارمق الغيهب حتى اذا عسعس الليل وكاد الصبح ان يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا ايها الراقد فى الليل الاجم قد بعث الله نبيا فى الحرم
من هاشم اهل الوفاء والكرم يجلو دجنات الدياجى والظلم

قال فادرت طرفى فما رأيت شخصا ولا سمعت له فحصا فانشأت اقول

يا ايها الهاتف فى داجى الظلم اهلا وسهلا بك من طيف الم
بين هداك الله فى لحن الكلم ما ذا الذى تدعو اليه يغتنم

قال فاذا انا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا بالخير صاحب النجيب الاحمر والتاج والمغفر والوجه الازهر والحاجب الاقمر والطرف الاحور صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذلك محمد المبعوث الى الاسود والابيض اهل المدر والوبر ثم انشأ يقول

الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبث
لم يخلقنا سدى من بعد عيسى والمرث
ارسل فينا محمدا خير نبى قد بعث
صلى الله عليه ما حج له ركب وحث

قال فذهلت عن البعير والبنى السروح ولاح الصباح واتسع الايضاح فتركت المور واخذت الجبل فاذا انا بالعتيق يشقشق الى النوق فاخذت بخطامه وعلوت سنامه فمرح طاعة وهززته ساعة حتى اذا لعب وذل منه ما صعب وحميت الوسادة وبردت المزادة فاذا الزاد قد هش له الفؤآد بركته فبرك واذنت له فنزل فى روضة خضرة نضرة عطره ذات حوذان وقريان وعنقران وعنبران ونمنع وشيح وخلى واتاح وخيتحاث ونزار وشقائق وبهار كأنها قدمات الجو

بها مطيرا وباكرها المزن بكورا فخلالها شجر وقرارها نهر فجمل يرتع ابا واصيد ظبيا حتى اذا اكل واكلت ونهل ونهلت وعلل وعلت وحللت عقاله وعلوت خلالة واسعة سحالة واغنم الجلة وتركا لنيله يسبق الريح ويقطع عرض البر الفسيح حتى اشرف بي على واد وشجر من شجر عال مورقة مونقة قد هدلت اغصانها كأنما بزرها حب فلفل فدنوت فاذا انا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة بيده قضيب من اراك ينكث به الارض وهو يترنم ويشعر فيقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث — عليهم من بقايا بزهم خرق

دعهم فان لهم يوما يصاح لهم — فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا

حتى يعودوا بحال غير حالهم — خلقا جديدا كما من قبله خلقوا

منهم عراة وفيهم فى ثيابهم — منها الجديد ومنها المنهج الخرق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام واذا انا بعين خوارة فى الارض ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به ويتمسحان باثوابه واذا احدهما سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر الى الماء فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذى ورد قبلك على الماء قال فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران فقال هذان قبرا اخوين لى كانا يعبدان الله تعالى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيئا فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر اليهما فتغرغرت عيناه بالدموع وانكب عليهما وجعل يقول

الم تريا انى بسمعان مفرد — ومالى فيها من خليل سواكما

خليلى هبا طال ما قد رقدتما — اجدكما لا تقضيان كراكما

الم تريا انى بسمعان مفرد — ومالى فيها من خليل سواكما

مقيم على قبريكما لست مبارحا — طوال الليالى او اغيب حداكما

ابكيكما طول الحياة وما الذى — يرد على ذى عولة انكاكما

كأننا والموت اقرب غائب — بروحى فى قبريكما قد اتاكما

امن طول يوم لا تجيبان داعيا — كأن الذى يسقى العقار سقاكما

فلو جعلت نفس لنفس وقاية — لجدت بنفسى ان تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى ارجوا ان يبعثه

الله امة وحده · هذا حديث غريب

(تفسير الالفاظ اللغوية الواقعة فيه)

السحوق الطويلة والعتيق الفحل من الابل والذبل ضرب من السير وهو اعلى من العنق والضرغام من اسماء الاسد ودوموا من تدوير العمامة وهو من الدوامة التي تستدام وتردوا ارتدوا السيوف جعلوها بمنزلة الاردية فتقلدوها والفيل الشجر الملتف وذو لبدة الذي تكاثف وبره على منكبه ومهول من الهول وىثاوا انتصفوا ودلف مشى بسرعة مع تقارب الخطا وحسر كشف والعرقد الارض الغليظة المرتفعة ذات الحصى والآل السراب والصحاصح جمع صحصح وهو الفضاء الواسع وتخال تظن والكلال التعب ودهماء برية سوداء وارقلتها من الارقال وهو ضرب من السير والقلاص جمع قلوص وهي الناقة والجياد الخيل وتجمع من جمع الفرس اذا اعتن فارسه على رأسه حين عثرته والكماة جمع كمي وهو الفارس الذي عليه آلة الحرب والحوبة واحدة الحوب وهو الاثم والرائد الذي يرسله القوم ليكشف لهم مواضع العشب والماء والبتول المرأة التي قطعت عن الازواج واقفوا اتبع واطلب والسبط ههنا الامة وفي غير هذا الموضع ولد الولد ويتقفر يطلب الارض الخالية من الانيس ويكنه يغطيه ويحسى يحسو وبيض النعام كانوا يملؤن البيض ماء ويدفنوه في الارض التي لا ماء فيها فاذا احتاجوا الى الماء استخرجوا بيض النعام وحسوا ما فيه وتأله تعبد والحقب جمع حقبة وهي السنة وجواه طول مرضه والخافقان هو الجو ومطارا معناه قد استطار وعلا والاشمط شائب الشعر وحوسة من خشب اصل الحوس شدة الاختلاط ومداركة الضرب ورجل احوس جريء لا يرده شيء والمعنى هنا طلب شيئا مع شدة الطلب له ويحار يرجع والاورق البعير الذي في لونه رمدة والمرتق المجب والاشتات المتفرقون والدجى الاسود وزناج بات والابان الوقت والكلكل الصدر وغابر يأتي ومنيف مشرف لطوله واشدق واسع الشدقين وشرب هرب والفيافي البراري وكذلك النفانف سميت بذلك لكثرة الهواء بها والتنائف جمع تنوفة وهي القفر من الارض وكذلك الفيافي ايضا والحقائف

جمع حقف وهى ما انعطف من الارض والرمل والدعادع من دعدعت الريح الشجر اذا حركته تحريكا شديدا ودعادع شدائد والموئل المكان الذى يلجأ اليه ومهويل مخوف والطود الجبل والغيهب الظلمة وعسعس اشتدت ظلمته وقيل ادبار الليل والاجم غابة الاسود ودجيات جمع دجية وهى الظلمة وكذلك الدياجى والهم واكترث معناه كان له به عناية واهتمام والمور الطريق السهلة ويشقشق يهدر ولغب يغب دهش واعجب به وخوزان وما بعده انواع من النبت والاب المرعى ونهلت شربت وعلت شربت ايضا شربة ثانية بعد اولة وتهدّل تذلل واسترخى البرير ثمر الاراك والملحود الذى فى اللحد والجدث القبر وفرقوا خافوا والمنهج الباقى وخوارة رخوة وتغرغرت تردد فيها الدمع وجدكا معناه جدكا وهو ضد الهزل والصدا الصوت الذى يسمعه المصوت عقيب صياحه راجعا اليه من الجبل والبناء المرتفع ولا يكون الصدى الا للحى المصوت او للصوت • وعوله مأخوذ من العويل وهو البكاء • والاوعة الوجد • والعقار الخمر والوقاية ما توقى به الشئ والفداء ممدود لكنه قصره لضرورة الشعر والقصر لغة فيه والامة الجماعة والامة المعلم للخير والامة الواحد فى الخير والله تعالى اعلم

(وفود قريش على سيف بن ذى يزن)

روى البيهقى وغيره ومحمد بن السائب الكلبى عن ابى صالح السمان عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما ظهر النعمان بن قيس على الحبشة ولفظ البيهقى لما ظهر سيف بن ذى يزن وهو الصحيح وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين اتته وفود العرب وشعراؤها واشرافها تهنيه بما ساق الله اليه من الظفر وتمتدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه وقد كان فيمن اتاه من الوفود وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وامية ابن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وخويلد بن اسد ووهب بن عبد مناف ابن زهرة فى ناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء فاذا هو فى رأس

غمدان (١) الذى ذكره امية بن ابى الصلت بقوله

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا في رأس غمدان دارمنك محلالا (٢)
واشرب هنيأ فقد شالت نعامتهم واسبل اليوم في برديك اسبالا (٣)
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابو الا (٤)

وكان الملك مضمخا بالعنبر يلوح وبيص المسك في مفرق رأسه وعليه بردان

---

(١) غمدان بضم الغين المعجمة وسكون الميم كعثمان اسم قصر وكان احد القصور التى بنيت لبلقيس بامر من سليمان عليه السلام وفى القاموس غمدان كعثمان قصر بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعا قال فى التاج واختلف فى بانيه فقيل هو سليمان وفى الروض الانف هو حصن كان لهوذة بن على ملك اليمامة وذكر ابن هشام ان غمدان انشأه يعرب بن قحطان واكمله بعده وائل بن حميد بن سبا وكان ملكا متوجا كأبيه وجده والذى رجحه جماعة انه من بناء يشرخ بن الحارث بن صيفى بن سبا جد بلقيس وهذا القصر لم يزل قائما حتى هدمه عثمان رضى الله عنه • وقصة الواقعة المذكورة ان اعراب الحبش كانوا قد استولوا على ملك اليمن واهلكوا الحرث والنسل وعاثوا فى البلاد وافسدوا فيها فلما طال البلاء على اهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكى اليه امر الحبشة وسأله ان يدفعهم عن البلاد ويبعث الى اليمن من شاء من الروم فيكون ملك اليمن فلم يشكه فاتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق وشكا اليه حالة اليمن فقال له النعمان ان لى وفادة على كسرى فى كل عام فاقم عندى حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فادخله على كسرى وكان يجلس فى ايوانه فاذا كان على رأسه التاج برك من رآه لهيبته فشكى اليه حالة اليمن فلم يشكه وانعم عليه بعشرة آلاف درهم فلما خرج من عنده اخذ ينثر الدراهم على الناس فعلم بذلك كسرى فسأله عن السبب فقال ما اصنع به ما جبال ارضى التى جئت منها الا ذهب وفضة وانما قال ذلك ليرغبه فيها فجمع كسرى وزراءه فقال ما ترون فى امر هذا الرجل وحاله فقالوا ان فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو بعثتهم معه فان يهلكوا كان الذى اردت بهم وان ظفروا كان ملكا لك ازددته فبعث معه كسرى من كان فى سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا من عنده يقال له وهرز ثم ارسلهم كسرى مع سيف وضم اليهم رجالا فكان الجيش سبعة آلاف وخمسمائة فارس من الفرس ثم جمع سيف الى هذا الجيش ما استطاع من قومه فخرج اليهم مسروق بن ابرهة ملك اليمن والتحم القتال حتى ولت الحبشة وانهزموا ودخل وهرز وجيشه صنعاء وصارت اليمن بيد الفرس يتداولون ملكها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ملوك اليمن تحت امارة امراء كسرى (٢) محلالا حال من فاعل اشرب والمعنى اشرب حال كونك محلالا اى كثير الحلول (٣) شالت نعامتهم يقال شالت نعامة القوم اذا ماتوا وتفرقوا كأنهم لم يبق منهم الا بقية والنعامة الجماعة قاله فى النهاية (٤) القعبان تثنية قعب وهو قدح يروى الرجل قاله الزمخشرى فى اساس البلاغة وقوله شيبا معناه خلطا

اخضـران مرتديا باحدهما متزرا بالآخر وسـيفه بين يديه وعن يمينـه وعن شماله الملوك والقواد وفى لفظ وهو جالس على سـرير من ذهب وحوله اشراف اليمن على كراسى من الذهب فدخل عليه الآذن فاخبره بمكانهم فدنا عبد المطلب واسـتأذنه فى الـكلام فقـال له ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد اذنا لك فقال عبد المطلب ان الله احلك ايها الملك محلا رفيعـا صعبا منيعا باذخا شامخا وانبتك منبتـا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه فى اكرم موطن واطيب معدن فانت ابيت اللعن ملك العرب وربيعها الذى تخصب به البلاد ورأس العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى يلجأ اليه العبـاد سلفك خير سـلف وانت لنـا منهم خير خلف ولن يهلك الله من انت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة بيتـه اشخصنا اليك الذى ابهجنا من كشف الضـر الذى فدحنا اى اثقلنا فنحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة فقـال سيف من انت ايهـا المتكلم فقـال انا عبد المطلب بن هاشم فقال ابن اختنا قال نعم قال ادنه فادناه ثم اقبـل عليه وعلى القوم فقـال مرحبا واهلا وان لمثلها مثـلا . وكان اول من تكلم بها . وناقة ورحلا ومسـتناخا سهلا وملكا رِبَحلا (١) يعطى عطـاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسـيلتكم فانتم اهل الليـل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحبـاء اذا ظعنتم (٢) ثم قال انهم انهضوا الى دار الضيافة والوفود والاقامة واجرى عليهم الانزال فاقاموا شـهرا لا يصلون اليـه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسـل الى عبد المطلب فادنى مجلسه واخلاه ثم قال يا عبـد المطلب انى مفض اليك من سـر علمى امرا لو غيرك يكون لم ابح به اليـه ولكنى رأيتك معدنه فاطلعتك طليعته فلتكن عنـدك مطوية حتى يأذن الله تعالى فان الله تعالى بالغ امره انى اجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسـنا واحتجبناه دون غيرنا خـبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحيـاة وفضيلة العلم ونخر الممـات للعرب عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال عبد المطلب ايهـا الملك مثلك سـرّ وبرّ فمـا هو فداك اهـل الوبر زمرا بعد زمر

(١) الربحل بكسر الراء وفتح الباء الكثير العطاء والجزل العظيم الكثير (٢) الحباء العطاء وظعنتم اقمتم والانزال لوازم الضيافة

قال اذا ولد مولود بتهامه غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة قال عبد المطلب ابيت اللعن لقد ابت بخير ما آب به وفد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسئالته من ان يزيدني من السرورة اياى سرورا قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه او قد ولد واسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداؤه يضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويزجر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب ايها الملك عزّ جدك وعلا كنفك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك سارّني بافصاح قد وضح لى بعض الايضاح فقال ابن ذى يزن والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب انك يا عبد المطلب لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا امرك فهل احسست شيئ مما ذكرت لك فقال ايها الملك كان لى ابن وكنت به معجبا وبه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام فسميته محمدا فمات ابوه وامه فكفلته انا وعمه قال ابن ذى يزن ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولم يجعل الله لهم عليه سبيلا واطوماذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمنا ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون ذلك او ابناءهم غير شك ولولا انى اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى اجعل مدينة يثرب دارملكى فانى اجد الكتاب الناطق والعلم السابق يقول ان يثرب هى استحكام امره واهل نصرته وموضع قبره ولولا انى اقيه الآفات واحذر عليه العاهات لا علنت على حداثة سنه امره ولا وطأت على اسنان العرب يعنى شجعانهم وشيوخهم كعبه ولكنى صارف ذلك اليك عن غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم فامر لكل رجل منهم بعشرة اعبد سود وعشرة اماء سود ومائة من الابل وحلتين من البرود وبخمسة ارطال ذهب وعشرة ارطال فضة وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذ جاءك الحول فأتنى بخبره

وما يكون من امره فمات ابن ذى يزن قبل ان يحول الحول فكان عبد المطلب كثيرا ما يقول يا معشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثرفانه الى نفاد ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل له وما هو او متى ذلك قال سيعلم ولو بعد حين وفى ذلك يقول امية بن عبد شمس

جلبنا النضح نحقبه المطايا ... على اكوار اجمال ونوق (١)
مغلغلة مراتعها تعالى ... الى صنعاء من فج عميق (٢)
تؤم بنا ابن ذى يزن ويعرى ... ذوات بطونها امّ الطريق (٣)
وترعى من مخايله عروقا ... مواصلة الرميض الى بروق (٤)
فلما وافقت صنعاء حلت ... بدار الملك والحسب العتيق

قال البيهقى وقد روى هذا الحديث فى تاريخ اليمن من طريق الكلبى وقال محمد بن اسحق حدثنى شيخ من الانصار يقال له عبد الله بن محمود من آل محمد بن مسلمة قال بلغنى ان رجالا من خثعم كانوا يقولون ان مما دعانا الى الاسلام انا كنا قوما نعبد الاوثان فبينا نحن ذات يوم عند وثن لنا اذ اقبل نفر يتقاضون اليه يرجون الفرج من عنده لشئ شجر بينهم يعنى وقع فيه خلاف بينهم اذ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول

يا ايها الناس ذوى الاجسام ... من بين اشياخ الى غلام
ما انتم وطائش الاحكام ... ومسند الحكم الى الاصنام
اكلكم فى حيرة نيام ... ام لا ترون ما ارى امامى
من ساطع يجلو دجى الظلام ... قد لاح للناظر من تهام
ذاك نبى سيد الانام ... قد جاء بعد الكفر بالاسلام
اكرمه الرحمن من امام ... ومن رسول صادق الكلام

---

(١) النضح والنضاح الغلمان وهم العبيد ونحقبه نردفه خلفنا على المطايا والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو الرحل باداته والاجمال جمع جمل (٢) تغلغل فى الشئ دخل فيه ومعناه انها داخلة فى مراتعها يعنى مرعاها وهى تعالى اى تصعد والفج الطريق الواسع بين الجبلين والعميق البعيد (٣) تؤم تقصد وقوله ويعرى الخ معناه ان ام يعنى قصد الطريق يجعل ذوات بطونها اى ما فيها خالية من الغذاء وهو كناية عن الجوع (٤) خلب النبات قطعه اى ترعى من النبات المقطوع عروقا حالة كونها مواصلة الرميض وهو شدة وقع الشمس على الارض والمراد شدة الحر حتى تنتقل الى بروق وهو مواقع الغيث

اعدل ذي حكم من الحكام يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام ويزجر الناس عن الآثام
والرجس والاوثان والحرام من هاشم في ذروة السنام
مستعلنا في البلد الحرام

قال فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه واتينا النبي صلى الله عليه وسلم فاسلمنا
وروى الخرائطي عن مرداس بن قيس الدوسي انه قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت عنده الكهانة وما كان مما من يغنوها عند مخرجه فقلت يا رسول الله قد كان عندنا من ذلك شيء اخبرك به ان جارية منا يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا اذ جاءتنا فقالت يا معشر دوس العجب العجب لما اصابني هل علمتم الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني في غنمي اذ غشيتني ظلمة ووجدت كحس الرجل مع المرأة وقد خشيت ان اكون قد حبلت حتى اذا دنت ولادتها وضعت غلاما ما اغضف (١) له اذنان كاذني الكلب فمكث فينا حتى انه ليلعب مع الغلمان اذ وثب والقى ازاره وصاح بأعلا صوته وجعل يقول يا ويله يا ويله يا عوله يا عولها يا ويل غنم ويا ويل فهم من قابس النار الخيل والله وراء العقبة فيهن فتيان حسان نجبة قال فركبنا فاخذنا الاداة وقلنا يا ويلك ما ترى قال اهل من جارية طامث (٢) قلنا من لنا بها فقال شيخ مناهي والله عندي عفيفة الام فقلنا فعجلها فاتى بالجارية وطلع الجبل وقال للجارية اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم وقال للقوم اتبعوا اثرها ثم صاح برجل منا يقال له احمر بن حابس فقال يا احمر بن حابس عليك اول فارس فحمل احمر فطعن اول فارس فصرعه وانهزموا وغنمناهم قالوا فابتنينا عليه بيتا وسميناه ذا الخلصة وكان لا يقول لنا شيئا الا كان كما يقول حتى اذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا ذات يوم يا معشر دوس نزلت بنوا الحارث بن كعب فاركبوا فركبنا فقال لنا اكدسوا (٣) الخيل كدسا واحشوا القوم رمسا القوهم غدية واشربوا الخمر عشية قال فلقيناهم فهزمون وفضحونا فرجعنا اليه فقلنا ما حالك وما الذي صنعت بنا فنظرنا اليه وقد احمرت عيناه وابيضت اذناه وانزم غيظا حتى كاد ان ينفطر واقامنا

(١) قال في الصحاح الغضف بالتحريك استرخاء الاذن (٢) حائض (٣) الكدس اسراع المثقل في السير اي اسرعوا السير في الجبل اسراعا

فقام وركبنا واغتفرنا هذه له ومكثنا بعد ذلك حينا ثم دعانا فقال هل لكم في غزوة تهب لكم عزا وتجعل لكم حرزا ويكون في ايديكم كنزا قلنا ما احوجنا الى ذلك فقال اركبوا فركبنا وقلنا ما تقول فقال بنوا الحارث بن مسلمة ثم قال قفوا فوقفنا ثم قال عليكم بفهم ثم قال ليس لكم فيهم دم بعضرهم ارباب خيل ونعم ثم قال لا رهط دريد بن الصمة قليل العدد وفيّ الذمة ثم قال لا ولكن عليكم بكعب بن ربيعة واشكروها صنيعة عامر بن صعصعة فلتكن فيهم الوقيعة قال فلقيناهم فهزمونا وفضحونا فرجعنا وقلنا ويلك ما ذا تصنع بنا قال ما ادري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا به ذلك ثم اتيناه بعد ثالثة ففتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء قلنا اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني في رأس جبل فاني سوف اضطرم نارا وان تركتموني كنت عليكم عارا فاذا رأيتم اضطرامي وتلهبي فاقذفوني بثلاثة احجار ثم قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدأ واطفأ قال وانه مات فاشتعل نارا ففعلنا به ما امر وقذفناه بثلاثة احجار نقول مع كل حجر باسمك اللهم فخمد وطفي واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يا رسول الله وروى ابن ابي شيبة عن ابن عباس انه قال ان قريشا اتوا امرأة كاهنة فقالوا لها اخبرينا باشبهنابصاحب هذا المقام يعني ابراهيم عليه السلام فقال ان انتم جزرتم كبيشا على هذه السهلة ثم مشيتم انبأتكم قال فجزروا ثم مشى الناس عليها فابصرت محمد بن عبد الله فقالت هذا اقربكم اليه شبها قال فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة او ما شاء الله ثم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقال رجل من خثعم كانت العرب لا تحرم حلالا ولا تحالل حراما وكانوا يعبدون الاوثان ويتحاكمون اليها قال فبينما هم ذات ليلة عند وثن لنا جلوس وقد تقاضينا اليه في شيء وقع بيننا ليفرق بيننا اذ هتف بنا هاتف يقول

يا ايها الناس ذووا الاجسام ما انتم وطايش الاحلام

الى آخر الابيات المتقدمة وانما كررنا القصة لزيادة يسيرة رأيناها بها وروى البيهقي عن نايل بن طفيل بن عمرو الدوسي ان النبي صلى الله عليه وسلم قعد في مسجده عند منصرفه من الطائف فقدم عليه حقاف بن نضلة الثقفي

فانشده قوله

كم قد تحطمت القلائص فى الدجى ... فى مهمه قفر من الفلوات
فل من التوريس ليس بقاعه ... نبت من الاسنات والاربات
انى اتانى فى المنام مساعد ... من نحو وجرة كان لى ومواتى
يدعوا اليك لياليا ولياليا ... ثم انثنى عنى وليس بآت
فركبت ناجية اضر بنيها ... جرى تخب به على الاكمات
حتى وردت الى المدينة جاهدا ... كيما اراك فتفرج اللذات

قال فاستحسنها رسول الله وقال ان من البيان لسحرا وان من الشعر كالحكم وروى ابن ابى شيبة عن طلحة قال وجد فى البيت كتاب فى حجر منقور فى الهدمة الاولى فدعى رجل فقرأه فاذا فيه عبدى المنتخب المتمكن المنيب المختار مولده بمكة ومهاجره طيبة لا يذهب حتى يقيم السنة العوجاء ويشهد ان لا اله الا الله امته الحامدون يحمدون الله بكل اكمة يأتزرون على اوساطهم ويطهرون اطرافهم وروى الخرائطى عن جامع بن خيران انه قال لما حضرت بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر الوفاة اجتمع اليه قومه من غسان فقالوا انه قد حضر من امر الله ما ترى وقد كنا نأمرك بالترويج فى شبابك فتأبى وهذا اخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك قال ان يهلك هالك ترك مثل مالك ان الذى يخرج النار من الوثمة قادر ان يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكل الى موت ثم اقبل على مالك فقال اى بنى المنية ولا الدنية والعقاب ولا العتاب والتجلد ولا التلدد القبر خير من الفقر انه من قل ذل ومن كرم الكريم الدفع عن الحريم والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصطبر وكلاهما سينحسر ليس يفلت منها الملك المتوج ولا اللئيم المعلج سلم ليومك حياك ربك ثم قال

شهدت السبايا يوم آل محرق ... وادرك عمرى صيحة الله فى الجر
فلم ار ذا ملك من الناس واجدا ... ولا سوقة الا الى الموت والقبر
فعل الذى اردى ثمودا وجرهما ... سيعقب لى نسلا على آخر الدهر
تقربهم من آل عمرو بن عامر ... عيون لذى الداعى الى طلب الوتر
فان تكن الايام ابلين جدتى ... وشيبن رأسى والمشيب مع العمر
فان لنا ربا علا فوق عرشه ... عليما بما نأتى من الخير والشر

الم يأت قومى ان لله دعوة يفوز بها اهل السعادة والبر
اذا بعث المبعوث من آل غالب بمكة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغوا نصرة ببلادكم بنى عامر ان السعادة فى النصر

ثم قضى من ساعته

باب تطهير قلبه من الغل (١) وانقاح (٢) جوفه بالشق والغسل

عن انس بن مالك انه قال اتى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فصرعه فشق بطنه ثم استخرج قلبه فشقه فاستخرج منه علقة ثم قال هذا حظ الشيطان منه ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم اعاده مكانه ولأمه (٣) ثم اخاطه قال انس فكنت ارى اثر المخيط على بطنه ورواه ابويعلى الموصلى وزاد فيه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون ورواه ابو القاسم البغوى ورواه ابن وهب ايضا ولفظه عن انس ان الصلاة فرضت بمكة وان ملكين اتيا رسول الله فذهبا به الى زمزم فشقا بطنه فاخرج حشوته فى طست من ذهب فغسلاه بماء زمزم ثم كبسا جوفه حكمة وعلما واخرج ابو داود الطيالسى عن ابى ذر الغفارى انه قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبى حتى علمت ذلك واستيقنت انك نبى قال يا ابا ذر اتانى ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما على الارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال هو هو قال فزنه برجل قال فوزنت برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنانى بعشرة فوزنتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزنانى فرجحتهم فجعلوا ينتشرون على من كفة الميزان قال فقال احدهما للآخر او وزنته بامته لرجحها ثم قال احدهما لصاحبه اخرج قلبه او قال شق قلبه

---

(١) الغل الحقد والشحناء (٢) انقاح جوفه تطهيره يقال أنقح العظم اذا استخرج مخه وانقح الكلام اذا هذبه واحسن اوصافه (٣) اطبق بعضه على بعض

فشق قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان (١) وعلق الدم فطرحهما ثم قال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء (٢) ودعى بالسكينة كأنها درة كهرة بيضاء فادخلت قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خط بطنه فخاطا بطني وجعلا الخاتم بين كتفي فما هو الا ان وليا عني فكأنما اعاين الامر معاينة وروى حديث انس من طرق متعددة في بعضها اختلاف في الالفاظ ولنذكر مواضع الاختلاف منها اتماما للفائدة فرواه ابن وهب بلفظ اتى رسول الله ثلاث ليال فقيل خذوا خيرهم وسيدهم فاخذوا رسول الله فعمدوا به الى زمزم وفي رواية الزهري ان نبي الله قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري فغسله من ماء زمزم واخرج المحاملي عن ابيّ بن كعب انه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما اول ما انكرت من امر النبوة فقال انى لفي صحراء وفي لفظ ابن عشرين واشهر اذ بكلام فوقي يهوى الى اسه. فاذا رجل يقول للآخر اهو هو قال نعم فاستقبلاني بوجوه وفي لفظ لم ارها الخلق قط لم ار مثل بياضها قط وعليهما ثياب لم ار مثل حسنها وطولها وارواح لم اجد ريحا من احد قط مثله قال فاخذ احدهما بضبعي (٣) واخذ الآخر بضبعي الآخر لا احد يمسهما مسا فقال احدهما للآخر اضجعه قال

(١) مغمز الشيطان هو الذي يغمزه اى يكبسه الشيطان من كل مولود (٢) الملاة الازار والريطة (تذييل) اختلف الروايات في هذا الباب فروى انه اتاه ملكان وفي رواية ثلاثة فالملكان جبريل وميكائيل والثالث لم يميز اسمه وفي رواية جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وقد روى الحديث من طريق غريبة تدل على انه نزل عليه كركيان فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فيه بمنقاره ثلجا وبردا رواها البيهقي وفي رواية نسران ولا منافاة في ذلك لان الروايات ان صحت كانت بحسب الرؤية وقوله في بعض الروايات فانتقع لونه ليس المراد ان لونه تغير لالم حصل له بل المراد انه خاف لانه امر غريب طرا عليه ولذلك قال ابن الجوزي فشقه وما شق عليه واعلم ان شق صدره صلى الله عليه وسلم عند مرضعته حليمة انما وقع مرة واحدة فما ورد من اختلاف الالفاظ في الاحاديث الواردة في ذلك اما لاخباره بذلك في عدة مجالس كما هو المعلوم فكان يطيل في بعضها ويذكر اشياء يطويها في بعض المجالس الاخرى واما لان كل واحد من رواة الاحاديث ذلك حدث بما حفظه وترك ما لم يحفظه من ذلك وعبر عما فهمه بعبارة عبر عنها غيره بعبارة اخرى فوقع في بعض الروايات اختصار وطوى بعض اشياء وردت من وجوه وطرق اخرى وروى انه اعيد شق صدره وهو ابن عشر سنين وسيأتي لهذا مزيد بيان في محله ان شاء الله (٣) الضبع بسكون الباء وسط العضد وقيل هو ما تحت الابط

فاضجعا نى فقال لصاحبه افلق صدره ففلق صدرى فيما ارى بلا وجع ولا الم ولا دم فقال اخرج منه الغل والحسد وادخل فيه الرأفة والرحمة قال فاخرج علقة فرمى بها ثم استخرج شيئا مثل الفضة فادخله فيه وقال هذه الرأفة والرحمة ثم قال بابهامه اليمنى على صدرى ثم قال اغد واسلم ثم قمت ثم جئت يعنى ما غدوت به من رحمتى للصغير ورأفتى على الكبير ورواه عبد الله بن احمد بن حنبل. وروى ابو يعلى الموصلى عن عبدة ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كيف كان اول شأنك فقال كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر فانطلقت انا وابن لها فى بهم (١) لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت يا اخى اذهب فأتنا بزاد من عند امنا فانطلق اخى ومكثت عند البهم فاقبل الى طيران ابيضان كأنهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاقبلا يبتدرانى فاخرجانى فبطحانى للقفا فشقا بطنى واستخرجا قلبى فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما لصاحبه ائتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى ثم قال ائتنى بماء برد فغسلا به قلبى ثم قال ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة وقال احدهما لصاحبه اجعله فى كفة واجعل الفا من امته فى كفة فاذا انا لانظر الى الالف فوقى اشفق ان يخر علىّ بعضهم فقال لو ان امته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركانى وفرقت فرقا شديدا ثم انطلقت الى امى فاخبرتها بالذى لقيته فاشفقت ان يكون قد التبس بى فقالت اعيذك بالله فرحلت بعيرا لها وجعلتنى على الرحل وركبت خلفى حتى بلغتنى الى امى فقالت اديت امانتى وذمتى وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها ذلك وقالت انى رأيت خرج منى نور اضاءت منه قصور الشام وبالسند المتصل الى مكحول عن شداد بن اوس انه قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل من بنى عامر وهو سيد قومه وكبيرهم ومدرههم (٢) يتوكأ على عصاه فقام بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده فقال يا ابن عبد المطلب انى

---

(١) البهم جمع بهمة وهى ولد الضان المذكر والمؤنث وجمع البهم بهام واولاد المعزى السخال فاذا اجتمعت اطلق عليهما البهم والبهام (٢) المدره كمنبر السيد الشريف والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ومنه قولى من قصيدة حماسية

وسريت فى جنح الدياجى قاصدا — حتى غدوت قبيل صبحى مدرها

انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الاوائل وانك قد تفوهت بعظيم انما كانت الانبياء والملوك فى بيتين من بنى اسرائيل بيت نبوة وبيت ملك فلا انت من هؤلاء ولا انت من هؤلاء انما انت رجل من العرب ممن يعبد الحجارة والاوثان فما لك والنبوة ولكن لكل امر حقيقة فانبئنى بحقيقة قولك وبدو شأنك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم مسئالته وفى رواية وكان النبي صلى الله عليه وسلم حليما لا يجهل ثم قال يا اخا بنى عامر ان للحديث الذى تسئال عنه نبأ ومجلسا فاجلس فثنى رجليه وبرك كما يبرك البعير فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اخا بنى عامر ان حقيقة قولى وبدء شأنى دعوة ابى ابراهيم وبشرى اخى عيسى ابن مريم وانى كنت بكر امى وانها حملتنى كاثقل ما تحمل النساء حتى جعلت تشكى الى صواحبها ثقل ما تجد وان امى رأت فى المنام ان الذى فى بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصرى النور فجعل النور يسبق بصرى حتى اضاء لى مشارق الارض ومغاربها ثم انها ولدتنى فلما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الىّ الشعر واسترضع لى فى بنى جشم بن بكر فبينا انا ذات يوم فى بطن واد مع اتراب لى من الصبيان اذ انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن من ثلج فاخذونى من بين اصحابى وانطلق اصحابى هرابا حتى انتهوا الى شفير الوادى ثم اقبلوا على الرهط فقالوا ما لكم ولهذا الغلام انه غلام ليس منا وهو ابن سيد قريش وهو مسترضع فينا من غلام يتيم ليس له اب فماذا يرد عليكم قتله ولان كنتم لا بد فاعلين فاختاروا منا اينا شئتم فليأتكم فاقتلوه مكانه ودعوا هذا الغلام فلم يجيبوهم فلما رأى الصبيان ان القوم لا يجيبونهم انطلقوا هرابا مسرعين الى الحى يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد الى احدهم فاضجعنى الى الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين صدرى الى متن عانتى وانا انظر فلم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطنى فغسله بذلك الثلج فانعم غسله ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج قلبى وانا انظر فصدعه فاخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة كأنه يتناول شيئا فاذا انا بخاتم فى يده من نور يخطف ابصار الناظرين من دونه فختم قلبى فامتلأ نورا وحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم

قام الثالث فهى صاحبه فامرّ بيده بين ثديي ومنتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا فقال الاول الذي شق بطني زنوه بعشرة من امته فوزنوني فرجحتهم ثم قال زنوه بمائة من امته فوزنوني فرجحتهم ثم قال زنوه بالف من امته فوزنوني فرجحتهم قال دعوه فلو وزنتموه بامته جميعا لرجح بهم ثم قاموا الى فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير اقرت عينك فبينما نحن كذلك اذ اقبل الحي بحذا فيرهم واذا ظئرى امام الحي تهتف باعلى صوتها وهي تقول ياضعيفاه فاكبوا على يقبلوني ويقولون يا حبذا انت من ضعيف ثم قالت يا وحيداه فاكبوا على وضموني الى صدورهم وقالوا حبذا انت من وحيد ما انت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنون من اهل الارض ثم قالت يا يتيماه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا على وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وقالوا يا حبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله او تعلم ماذا يراد بك من الخير فوصلوا الى شفير الوادي فلما بصرت بي ظئرى قالت يا بني الا اراك حيا بعد فجاءت حتى اكبت على فضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده انى في حجرها قد ضمتني اليها وان يدي لفي يد بعضهم وظننت ان القوم يبصرونهم فاذا هم لا يبصرونهم فجاء بعض الحي فقال هذا غلام اصابه لمم او طائف من الجن فانطلقوا بنا الى الكاهن ينظر اليه ويداويه فقلت له يا هذا ليس بي شيء مما تذكرون ان لي نفسا سليمة وفؤادا صحيحا وليس بي قلبة (١) فقال ابي وهو زوج ظئرى الا ترون كلامه صحيحا انى لارجو ان لا يكون بابني بأس فاتفق القوم على ان يذهبوا بي الى الكاهن فاحتملوني حتى ذهبوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه اعلم بامره فقصصت عليه امري من اوله الى آخره فلما سمع مقالتي ضمني الى صدره ونادى باعلى صوته يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه ليبدلن دينكم وليسفهن احلامكم واحلام ابائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فانتزعتني ظئرى من يده وقالت لانت اعته منه (٢)

(١) ما بي قلبة اي ما بي الم ولا علة را لم عرض من الجنون يلم بالانسان اي يقرب منه ويعتريه (٢) المعتوه المجنون المصاب بعقله

واجن ولو علمت ان هذا يكون من قولك ما آتيتك به ثم احتملونى وردونى الى اهلى فاصبحت مغموما مما دخل بى واصبح اثر الشق ما بين صدرى الى منتهى عانتى كأنه شراك فذلك حقيقة قولى وبدء شأنى فقال العامرى اشهد ان لا اله الا الله وان امرك حق فانبئنى اشياء اسئلك عنها قال سل عنك وكان يقول للسائلين قبل ذلك سل عما بدا لك فقال يومئذ للعامرى سل عنك فانها لغة بنى عامر فكلمه بما يعرف فقال العامرى اخبرنى يا ابن عبد المطلب ماذا يزيد فى الشر فقال التمادى قال فهل ينفع البر بعد الفجور قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ان التوبة تغسل الحوبة (١) وان الحسنات يذهبن السيئات فاذا ذكر العبد ربه فى الرخاء اعانه عند البلاء قال العامرى وكيف ذلك يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بان الله تعالى يقول لا اجمع لعبدى ابدا امنين ولا اجمع له ابدا خوفين ان هوامننى فى الدنيا خافنى يوم اجمع فيه عبادى وان هو خافنى فى الدنيا امنته يوم اجمع فيه عبادى فى حظيرة القدس فيدوم له امنه ولا امحقه فيمن امحق فقال العامرى يا ابن عبد المطلب الى م تدعو قال ادعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وان تخلع الانداد (٢) وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من الله من كتاب ورسول وتصلى الصلوات الخمس بحقا ئقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدى زكاة مالك فيطهرك الله به ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا وتغتسل من الجنابة وتقر بالبعث بعد الموت وبالجنة والنار قال يا ابن عبد المطلب فاذا انا فعلت هذا فما لى قال النبي صلى الله عليه وسلم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى قال يا ابن عبد المطلب هل مع هذا من الدنيا شئ فانه يعجبنا الوطاءة فى المعيشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم النصر والتمكين فى البلاد فاجاب العامرى واناب رواه ابو يعلى وابو نعيم وفى اسناده مكحول عن شداد ومكحول لم يدرك شدادا وروى الحديث من طريق آخر باخصر من هذا وفيه فقال له يا اخا عامر ان

---

(١) الحوبة الاثم وتفتح الحاء وتضم وقيل الفتح لغة الحجاز والضم لغة تميم (٢) الانداد جمع ند بالكسر وهو مثل الشئ الذى يضاده فى اموره ويناده اى يخالفه ويريد بالند ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله

للأمر الذى سألتنى عنه قصصا وبناء فاجلس حتى انبئك عنه بحقيقة قولى وبدء شأنى فجلس العامرى وتهافت العرب حذوا بين يدى رسول الله فقال ان ابى لما بنى بامى وحملت رأت ان نورا خرج من جوفها فجعلت تتبعه بصرها حتى ملأ ما بين السموات والارض نورا فقصت ذلك على حليمة من اهلها فقالت لها والله لان صدقت رؤياك ليخرجن من بطنك غلام يعلو ذكره بين السماء والارض وكان هذا الحى من بنى سعد بن هوازن ينتابون (١) نساء اهل مكة فيحضنون اولادهم وينتفعون بخيرهم وان امى ولدتنى فى العام الذى قدموا فيه وكان قد مات والدى فكنت يتيما فى حجر عمى ابى طالب فاقبل النسوان يتدافعن ويقلن ضرع صغير(٢) لا اب له فما عسانا ان ننتفع به من خيره وكانت فيهن امرأة يقال لها ام كبشة بنت الحارث فقالت والله لا انصرف عامى هذا خائبة فاخذتنى والقتنى على صدرها فدر لبنها فحضنتنى فلما بلغ ذلك عمى ابا طالب اقطعها ابلا ومقطعات من الثياب ولم يبق عم من عمومتى الا اقطعها وكساها فلما بلغ ذلك النسوان قلن والله يا ام كبشة لو علمنا بركة تكون هكذا ما سبقتينا اليه ثم ترعرعت وكبرت وقد بغض الى اصنام قريش والعرب فلا اقربها ولا آتيها حتى اذا كان بعد زمين خرجت بين اتراب (٣) لى من العرب نتقاذف بالاجلة يعنى البعر واذا بثلاثة نفر مقبلين معهم طست من ذهب مملوء ثلجا فقبضوا علىّ من بين الغلمان فلما رأى ذلك الغلمان انطلقوا هرابا ثم رجعوا فقالوا يا معشر النفر ان هذا الغلام ليس منا ولا من العرب (٤) وانه لابن سيد قريش وبيضة (٥) المجد وما من حىّ من احياء العرب الا لاباته فى رقابهم نعمة مجللة فلا تصنعوا بقتل هذا الغلام شيئا فان كنتم لا بد قاتليه فخذوا احدنا فاقتلوه مكانه ثم ساق نحوا مما تقدم وفى آخره فقال العامرى يا محمد فاى المسمعات اسمع قال جوف الليل الدامس اذا هدأت العيون فان الله تعالى حى قيوم يقول هل من تائب فاتوب

(١) ينتابون اى يقصدونهم مرة بعد مرة (٢) الضرع النحيف الضاوى الجسم (٣) الترب بكسر التاء اللدة والسن ومن ولد معك وفى كتاب الترقيص للازدى الاتراب الاسنان لا يقال الا للاناث ويقال للذكور الاسنان والاقران (٤) يعنى من عرب قبيلتهم (٥) بيضة المجد معناه مجتمعه وموضع سلطانه ومستقر دعوته وبيضة الدار وسطها ومعظمها

عليه هل من مستغفر فاغفر له ذنبه هل من سائل فاعطيه سؤاله قال فوثب العامرى وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى وهذا حديث غريب وفى رجال اسناده من يجهل حاله واخرج البيهقى عن سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس انه قال كانت حليمة بنت ابى ذؤيب التى ارضعت رسول الله صلى عليه وسلم تحدث انها لما فطمت رسول الله تكلم قالت سمعته يقول كلاما عجيبا سمعته يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم فقال لى يوما من الايام يا اماه مالى لا ارى اخوتى بالنهار قلت فدتك نفسى يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل فاسبل عينيه وبكى وقال يا اماه فما اصنع ههنا وحدى ابعثينى معهم قلت وتحب ذلك قال نعم فلما اصبح دهنته وكحلته وقمصته وعمدت الى خرزة جزع يمانية فعلقتها فى عنقه من العين واخذ عصا وخرج مع اخوته فكان يخرج مسرورا فلما كان يوما من ذلك خرجوا يرعون بهما لنا حول بيوتنا فلما انتصف النهار اذا انا بابنى ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح قد علاه البهر (١) باكيا ينادى يا ابة يا امة الحقا اخى محمدا فما تلحقاه الا ميتا قلت وما قصته قالا بينا نحن قيام نترامى ونلعب اذ اتاه رجل فاختطفه من اوساطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق من صدره الى عانته ولا ادرى ما فعل به ولا اظنكما تلحقاه ابدا الا ميتا قالت فاقبلت انا وابوه يعنى زوجها نسعى سعيا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلت ما بين عينيه وقلت فدتك نفسى ما الذى دهاك قال خيرا يا اماه فاخبرها خبره على نحو ما تقدم وذكرت خبر الكاهن ثم قالت فاتيت به منزلى فما اتيت يعلم الله منزلا من منازل بنى سعد بن بكر الا وقد شممنا منه ريح المسك الاذفر وكان فى كل يوم ينزل عليه رجلان ابيضان فيغيبان فى ثيابه ولا يظهران فقال الناس رديه يا حليمة الى جده عبد المطلب واخرجيه من امانتك قالت فعزمت على ذلك فسمعت مناديا ينادى هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والكمال فقد امنت ابد الابدين ودهر الداهرين قالت فركبت اتانى وحملت النبى صلى الله عليه وسلم بين يدى اسير حتى اتيت الباب الاعظم من ابواب مكة وعليه جماعة فوضعته لاقضى حاجة

---

(١) البهر ما يعترى الانسان عند السعى الشديد والعدو من التهيج وتتابع النفس

واصلح شأني فسمعت وجبة (١) شديدة فالتفت فلم ار شيئا فقلت معاشر الناس
اين الصبي فقالوا اى الصبيان قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى
نضر الله به وجهي واغنى عيلتي واشبع جوعتي ربيته حتى اذا ادركت به سروري
واملي اتيت به الى داره لاخرج من اماتتي فاختلس من يدي من غير ان تمس قدميه
الارض واللات والعزى لان لم اره لارمين بنفسي من شاهق الجبل ولا تقطعن
اربا اربا فقال الناس انا لنراك غائبة عن الركبان ما معك محمد قالت قلت الساعة
كان بين ايديكم قالوا ما رأينا شيئا فلما آيسوني وضعت يدي على رأسي فقلت
وا محمداه وا ولداه ابكيت الجوارى الابكار لبكائي وصاح الناس معي بالبكاء
حرقة لي فاذا أنا بشيخ كبير كالفاني متوكأ على عكاز له قالت فقال لي مالي اراك
تبكين وتصيحين قالت فقلت فقدت ابني محمدا قال لا تبكي انا ادلك على من يعلم علمه
وان شاء ان يرده عليك فعل قالت قلت دلني عليه قال الصنم الاعظم قالت
ثكلتك امك كأنك لم تعلم ما نزل باللات والعزى في الليلة التي ولد فيها محمد
قال انك لاتهتدين ولا تدرين ما تقولين انا ادخل عليه فأسأله ان يرده عليك
قالت حليمة فدخل وانا انظر فطاف بهبل اسبوعا وقبل رأسه وقال له ياسيدي لم
تزل منعما على قريش وهذه السعدية تزعم ان محمدا قد ضل قالت فانكب هبل
على وجهه وتساقطت الاصنام بعضها على بعض ونطقت او نطق منها فقالت اليك
عنا ايها الشيخ انما هلاكنا على يد محمد قالت فاقبل الشيخ ولاسنانه اصطكاك
ولركبتيه ارعاد وقد ألقى عكازته بين يديه وهو يبكي ويقول ياحليمة لاتبكي ان
لابنك ربا لايضيعه فاطلبيه على مهل قالت فخفت ان يبلغ الخبر عبد المطلب
فيبكي فقصدت قصده فلما نظر الى قال اسعدية نزل بك أمر نحوس قالت فقلت
بل النحس الاكبر ففهمها مني وقال لعل ابنك قد ضل منك قالت نعم ان بعض
قريش اغتاله فقتله فسل عبد المطلب سيفه وغضب وكان اذا غضب لم يلتفت
له احد لشدة غضبه فنادى باعلى صوته ياسبيل وكانت دعوتهم في الجاهلية فاجابته
قريش باجمعهم فقالوا ما قصتك يا أبا الحارث فقال فقد ابني محمد فقالت قريش
اركب نركب معك فان شققت جبلا شققناه معك وان خضت بحرا خضناه معك
ثم انه ركب فركبت معه قريش جميعا فأخذ على مكة وانحدر الى اسفلها فلما

(١) الوجبة صوت الساقط يسقط فتسمع له هدة

ان لم ير شيئا ترك الناس واتشح بثوب وارتدى باخر واقبل الى البيت الحرام فطاف اسبوعا ثم انشأ يقول

يارب ان محمدا لم يوجد فجميع قومى كلهم متردد

قالت حليمة فسمعت مناديا ينادى من حواليهم معاشر القوم لاتضجوا فان لمحمد ربا لايخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب يا أيها الهاتف فمن لنا به فقال بوادى تهامة عند الشجرة اليمنى فاقبل عبد المطلب راكبا فلما كان ببعض الطريق تلقاه ورقة بن نوفل فصارا جميعا يسيران فبينما هم كذلك اذ بالنبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يجذب اغصانها ويعبث بالورق فقال عبد المطلب من انت ياغلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال عبد المطلب فدتك نفسى وانا جدك عبد المطلب ثم احتمله على عاتقه ولثمه وضمه الى صدره وجعل يبكى ثم حمله على قربوس سرجه ورده الى مكة فاطمأنت قريش فلما اطمأن الناس نحر عبد المطلب عشرين بعيرا وذبح اكبشا وبقرا وجعل طعاما واطعم اهل مكة قالت حليمة ثم جهزنى عبد المطلب باحسن الجهاز وصرفنى فانصرفت الى منزلى واذا بكل خير دنيا لا احسن وصف كنه خيرى وصار محمد عند جده قالت حليمة وحدثت عبد المطلب بحديثه كله فضمه الى صدره وبكى وقال ياحليمة ان لابنى شانا وددت انى ادرك ذلك الزمان هذا حديث غريب جدا وفى رواته يعقوب بن جعفر وهو غير مشهور فى الرواية والمحفوظ من حديث حليمة ماتقدم من قبل من رواية عبد الله بن جعفر • وقال بن غنم • نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فشق بطنه (١) ثم قال جبريل قلب واع فيه اذنان يسمعان وعينان يبصران محمد رسول الله المقفى الحاشر قلبك قيم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة

---

(١) اورد ابن حجر فى شرح الهمزية لطيفة على قول الابوصيرى (شق عن قلبه واخرج منه • مضغة عند غسله سوداء) فقال انما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها نقص فى الابدان واخراجها بعد خلقها على هذه الصورة البديعة ادل دليل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها اه وروى الطيالسى والحارثى فى مسنديهما وابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله عليه وسلم وغسلاه ثم قالا اقرأ باسم ربك الآيات وثبت فى البخارى وغيره انه شق قلبه ليلة الاسراء وهو بالمسجد وجميع ماورد من الشق واخراج القلب وغيرهما انما هو من

باب ذكر عروجه الى السماء واجتماعه بجماعة من الانبياء (١)

عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان زاد في رواية الامام احمد في مسنده اذا اقبل احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت بطست من ذهب ملئ ايمانا وحكمة فشق من النحر الى مراق البطن واخرج القلب فغسل بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة واوتيت بدابة ابيض دون البغل وفوق الحمار يقال له البراق فانطلقت انا وجبريل حتى اتينا السماء الدنيا فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قالوا مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على آدم فسلمت عليه فقال مرحبا بك من ابن ونبي ثم اتينا السماء الثانية قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قالوا مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على يحيي وعيسى عليهما السلام فسلمت عليهما فقالا مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء الثالثة قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به نعم المجيء جاء فاتيت على يوسف فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء الرابعة قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على ادريس فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء الخامسة قيل من هذا قال جبريل قيل

الامور الخارقة للعادة والقدرة صالحة له . (١) اختلفت كلمة العلماء في تاريخ المعراج فحكى الواقدي عن رجاله انه كان لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية عشرة من البعث وحكى عن اشياخ له انه كان ليلة سبع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وقال هو الزهري انه كان قبل الهجرة بسنة وادعى ابن حزم فيه الاجماع وهو قول ابن عباس وعائشة وقيل كان قبل الهجرة بثمانية اشهر وقيل بستة اشهر فمن قال بسنة قال كان في شهر ربيع الاول ومن قال بثمانية اشهر قال كان في رجب ومن قال بستة اشهر قال كان في رمضان واختار الحافظ عبد الغني القدسي انه كان ليلة سبع وعشرين خلت من رجب والله اعلم

ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على هارون فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فاتينا السماء السادسة فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على موسى فسلمت عليه فقال مرحبا بك من اخ ونبي فلما جاوزت بكى قيل وما ابكاك فقال يا رب هذا الغلام الذي بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر وافضل مما يدخل من امتي فاتيت السماء السابعة قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجيء جاء فاتيت على ابراهيم فسلمت عليه فقال مرحبا بك من ابن ونبي فرفع الى البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لا يعودون فيه اخر ما عليهم ورفعت الى سدرة المنتهى فرأيت نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه اذان الفيلة ورأيت في اصلها اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسألت جبريل فقال اما هذا الباطنان فمن الجنة واما هذان الظاهران فالنيل والفرات وفرضت على خمسون صلاة فاقبلت على اتيت على موسى فقال ما صنعت قلت فرضت على خمسون صلاة قال اني اعلم بالناس منك (١) وقد عالجت بني اسرائيل اشد المعالجة وان امتك لن يطيقوا ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فخففها عني فجعلها اربعين صلاة فاقبلت حتى اتيت على موسى قال ما صنعت قلت جعلها اربعين صلاة قال اني اعلم بالناس منك وقد عالجت بني اسرائيل اشد المعالجة وان امتك لن يطيقوا ذلك فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك فرجعت اليه فسألته ان يخفف عني فجعلها ثلاثين فاقبلت حتى اتيت على موسى فقال ما صنعت قلت جعلها ثلاثين صلاة قال اني اعلم بالناس منك وقد عالجت بني اسرائيل اشد المعالجة وان امتك لن يطيقوا ذلك فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك فرجعت الى ربي فسألته التخفيف عني فجعلها عشرين الى هنا روى الحافظ الحديث وقطعه ثم اتمه من طريق يحي بن سعيد

---

(١) فيه دليل على انه يجب على العالم ان يكون عارفا باحوال زمانه وبعوائدهم حتى يمكنه ان يجلبهم الى ما فيه الخير والى ما فيه نجاحهم وفلاحهم

القطان عن هشام عن قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة فقال وسألته ان يخفف عني فخفف الى عشرين ثم الى عشر ثم الى خمس فاتيت على موسى فاخبرته فقال لي مثل مقالته الاولى فقلت اني استحي من ربي من كم ارجع اليه فنودي ان قد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزي بالحسنة عشر امثالها ثم رواه من طريق البغوي بنحو اللفظ الذي تقدم وفيه بعض زيادات نذكرها هنا منها انه قال عند ذكر البراق يضع خطوه عند اقصى طرفه (١) ومنها ان آدم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وفيه عند ذكر بقية الانبياء مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ومنها انه قال بعد حكاية السدرة واتيت باناءين احدهما خمر والآخر لبن فعرضا علي فاخترت اللبن فقال اصبت اصاب الله بك وبامتك الفطرة ومنها ان حط الصلاة كان خمسا خمسا وفيه فقد رجعت الى ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم ورواه ابو يعلى الموصلي وقال الحافظ بعد ان رواه مختصرا ومطولا على ما مر هذا حديث متفق على صحته اخرجه البخاري وقد اختلف فيه على انس بن مالك على وجوه فرواه عنه قتادة ورواه الزهري عن انس فاختلف عنه فيه فروي عنه عن انس عن ابي ذر وروى عنه عن انس عن ابي بن كعب وروي عن انس نفسه فاما حديث الزهري عن ابي ذر ففيه انه قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري وساق نحوا مما تقدم الا ان فيه فلما علونا السماء الدنيا اذا رجل عن يمينه اسودة (٢) وعن يساره اسودة فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن يساره بكى قال فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقلت ياجبريل من هذا فقال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه (٣) فاهل اليمين منهم اهل الجنة واهل الاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك

---

(١) اشار بهذا الى ان سير البراق كان خارقا للعادة وقد اخذ الحنابلة وغيرهم من هذا ان من طويت له المسافة البعيدة في الساعة الواحدة يتناوله اسم المسافر وتشمله احكام السفر باعتبار القصر والفطر فعلى هذا ان المسافر في السفينة البرية او البحرية تعتبر المسافة في حقه بسير الاثقال ودبيب الاقدام كما قرره الفقهاء لا باعتبار سير السفين الذي هو راكب لها وهذا يشمل النجاب وراكب الطيارات وغيرها فليعلم (٢) الاسودة جمع قلة السوداء وهو الشخص لانه يرى عن بعد اسود وجمع الاسودة اساود (٣) النسم جمع نسمة وهي النفس والروح

واذا نظر قبل شماله بكى وفيه قال انس فذكر انه وجد فى السموات آدم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه قد ذكر انه وجد فى السماء الدنيا آدم وابراهيم فى السماء السادسة وفيه واخبرنى ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصارى انهما كان يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى حتى ظهرت الى مستوى اسمع فيه صرير الاقلام وزاد فى اخره ثم انطلق بى الى سدره المنتهى فغشيها الوان لا ادرى ماهى ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك وهذه الرواية بهذه الزيادة متفق عليها ايضا رواها البخارى ومسلم واما الرواية عن ابى بن كعب فقد اخرجها عبد الله بن احمد بن حنبل فى زوائد المسند واما حديث انس نفسه فاوله اتيت وانا فى بيتى فانطلق بى الى زمزم فشرح صدرى قال انس انه ليرينا اثره ثم غسل بماء زمزم ثم ساق الحديث على نحو ماتقدم وزاد عند كلام الانبياء مرحبا بك من اخ ومرحبا بك من رسول ورواه من طريق ابى يعلى عن انس ايضا ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه اتى بالبراق وهى دابة فوق البغل ودون الحمار يضع حافره حين ينتهى طرفه قال فركبته حتى سار بى فاتيت على بيت فربطت الدابة بالحلقة التى تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتانى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخذت اللبن فقال لى جبريل اخترت الفطرة ثم ساق الحديث على نمط ماتقدم وفيه عند ذكر السماء الثالثة فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحبت ودعى لى بخير ثم ذكر لفظ ودعا لى بخير عند الاجتماع بالانبياء وروى الدار قطنى حديث انس ايضا ولفظه ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال اولهم هو هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال احدهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه (١) وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه

---

(١) اختلف العلماء فى الاسراء هل كان بالروح والجسد ام بالروح فقط نقل ابن اسحاق عن عائشة ومعاوية انهما قالا انما كان الاسراء بروحه ولم يفقد جسده ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك قال فى زاد المعاد لكن ينبغى ان يعلم الفرق بين ان يقال كان الاسراء مناما وبين ان يقال كان بروحه دون جسده وبينهما فرق عظيم وعائشة

فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جوفه ثم اتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشى به صدره وصعد به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا قال جبريل ثم ساق الحديث على نحو ماتقدم وفى آخره ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه الا الله حتى جاء سدرة

ومعاوية لم يقولا كان مناما وانما قالا اسرى بروحه ولم يفقد جسده وفرق بين الامرين فان ما يراه النائم قد يكون امثالا مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة فيرى كأنه قد عرج به الى السماء او ذهب به الى مكة واقطار الارض وروحه لم تصعد ولم تذهب وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال والذين قالوا عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان طائفة قالت عرج بروحه وبدنه وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه وهؤلاء لم يريدوا ان المعراج كان مناما وانما ارادوا ان الروح ذاتها اسرى بها وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها الى السموات سماء سماء حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فتقف بين يدى الله عز وجل فيأمر فيها بما يشاء ثم تنزل الى الارض فالذى كان لرسول الله ليلة الاسراء اكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ومعلوم ان هذا امر فوق ما يراه النائم لكن لما كان مقام رسول رسول الله خارقا للعادة فشق بطنه وهو حى لا يتألم من ذلك عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير اماتة ومن سواه لا تنال بذات روحه الصعود الى السماء الا بعد الموت والمفارقة فالانبياء انما استقرت ارواحهم هناك بعد مفارقة الابدان وروح رسول الله صعدت الى هناك فى حال الحياة ثم عادت وبعد وفاته استقرت فى الرفيق الاعلى مع ارواح الانبياء ومع هذا فلها اشراق على البدن واشراف وتعلق به بحيث يرد السلام على من سلم عليه وبهذا التعلق رأى موسى قائما يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة ومعلوم انه لم يعرج بموسى من قبره ثم رد اليه وانما ذلك مقام روحه واستقرارها وقبره مقام بدنه واستقراره الى يوم معاد الارواح الى اجسادها فرآه يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة كما انه عليه الصلاة والسلام فى ارفع مكان فى الرفيق الاعلى مستقرا هناك وبدنه فى ضريحه غير مفقود واذا سلم عليه المسلم رد الله روحه حتى يرد عليه السلام ولم يفارق الملأ الاعلى ومن غلظت طباعه وكثف ادراكه عن ادراك هذا فلينظر الى الشمس فى علو محلها وتعلقها وتأثيرها فى الارض وحياة النبات والحيوان بها هذا وشأن الروح فوق هذا فلها شأن وللابدان شأن وهذه النار تكون فى محلها وحرارتها تؤثر فى الجسم البعيد عنها مع ان الارتباط والتعلق الذى بين الروح والبدن اقوى واكمل من ذلك واتم فشأن الروح اعلى من ذلك والطف

فقل للعيون الرمد اياك ان ترى سنا الشمس فاستغشى ظلام اللياليا

وقال النووى فى شرح مسلم والحق الذى عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بجسده الشريف والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج الى دليل

المنتهى ودنا الجبار رب العزة وتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما اوحى خمسين صلاة وفيه انه كلما راجعه موسى التفت الى جبريل يستشيره فلا يكره ذلك جبريل وروى من طريق آخر وفيه ثم مضى به فى السماء فاذا بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد واذا هو مسك ازفر فقال ياجبريل ماهذا النهر فقال هذا الكوثر الذى سمى لك ربك وروى حديث انس من وجه آخر فقال لما جاء جبريل بالبراق فكانما ضربت اذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ماركبك مثله فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير اذا هو بعجوز تأتى على جانب الطريق فقال ماهذه ياجبريل قال سر يا محمد فسار ماشاء الله ان يسير فاذا هو بشىء يدعوه متنحى عن الطريق يقول هلم يامحمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ماشاء الله ان يسير ثم اتى خلقا من الخلق فقال له الاول السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل اردد السلام يامحمد فرد السلام ثم لقيه الثانى فقال له مثل مقالة الاول ثم لقيه الثالث فقال له مثل مقالة الاولين حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الماء واللبن والخمر فتناول اللبن فقال له جبريل اصبت الفطرة لو شربت الماء لغرقت امتك ولو شربت الخمر لغويت وغويت امتك ثم بعث آدم فمن دونه من الانبياء لرسول الله عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ثم قال له جبريل اما العجوز التى رأيت على جنب الطريق فهى الدنيا ولم يبق من عمرها الا ما بقى من عمر تلك العجوز واما الذى اراد ان تميل اليه فذلك عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه واما الذين سلموا عليك فهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وروى الحافظ حديث المعراج بمثل الاول من طريق ابى بكر دحية بن طاهر وفى آخره فاوحى الى انى خيرتك ان شئت ملكا وان شئت نبيا عبدا فقلت اختار ان اكون نبيا عبدا واخرج من طريق ابى بكر محمد بن عبد الباقى الانصارى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل فوكز بين كتفى فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر فقعدت فى احدهما وقعد فى الاخرى فنمت فارتفعت حتى سدت الخافقين (١)

---

(١) هذه الرواية تفتح لك سرا عجيبا من اسرار المعراج وتعلمك بانها حالة روحانية ملكوتية وترفعك الى علم اليقين حتى كأنها تمثل لك الحال عيانا ان كنت ممن يشرق فؤاده بانوار الملكوت ويعترف بقدرة الحى القيوم وربما يرى العارف اخذه عن احساسه واختطافه عن اناسه ما كذب الفؤاد ما رأى وفى انفسكم افلا تبصرون

فلو شئت ان امس السماء لمستها وانا اقلب طرفى فالتفت الى جبريل فاذا هو كأنه حلس لاطى (١) فعرفت فضل علمه بالله تعالى على وفتح لى باب من السماء ورأيت النور الاعظم وسمعت رفرفة الدر والياقوت واوحى الله الى ماشاء ان يوحى ورواه من طريق فيه ابو يعلى الموصلى عن ابن مسعود ولفظه اتيت بالبراق فركبت خلف جبريل فسار بنا فكان اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت قدماه فسار بنا فى ارض غمة منتنة حتى انتهينا الى ارض فيحاء طيبة فقلت يا جبريل انا كنا نسير فى ارض غمة (٢) وانا افضينا منها الى ارض فيحاء (٣) طيبة فقال تلك ارض النار وهذه ارض الجنة فاتيت على رجل قائم يصلى فقال من هذا ياجبريل فقال هذا اخوك محمد فرحب بى ودعى لى بالبركة وقال سل لامتك اليسر فقلت من هذا ياجبريل فقال هذا اخوك عيسى ثم سار فاتينا على رجل فقال من معك ياجبريل فقال هذا اخوك محمد فرحب بى ودعى لى وقال سل لامتك اليسر فقلت من هذا ياجبريل فقال هذا اخوك موسى ثم سرنا فرأينا مصابيح وضوأ فقلت ماهذا ياجبريل فقال هذه شجرة ابيك ابراهيم اتحب ان تدنو منها قلت نعم فدنونا منها فرحب بى ودعى لى بالبركة ثم مضينا حتى اتينا بيت المقدس ونشرت لى الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم غير أولئك الثلاثة عيسى وموسى وابراهيم ورواه من طريق آخر بنحو ما تقدم ولفظه اتانى جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملنى عليه ثم انطلق يهوى بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه واذا هبط استوت يداه مع رجليه حتى اذا مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال ازد شنوءة وهو يركع ويقول اكرمته وفضلته فقال فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبى الامى العربى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قلت ويرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف حدته قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمارها السرج تحتها شيخ وعياله فقال لى جبريل اعمد

(١) الحلس الكساء الذى يلى ظهر البعير تحت القتب (٢) الغمة الضيقة (٣) الارض الفيحاء اللينة

الى ابيك ابراهيم قال فاندفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال ابراهيم يا جبريل من هذا قال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي الامي الذى بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا بني انك لاق ربك الليلة وان امتك آخر الامم واضعفهم فان استطعت ان تكون حاجتك اوجلها فى امتك فافعل قال ثم اندفعنا حتى اتيت الى المسجد الاقصى فنزلت وربطت الدابة بالحلقة التى بباب المسجد التى كانت الانبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم اتيت بكأسين من عسل ولبن فاخذت اللبن فشربته فضرب جبريل منكبي وقال اصبت الفطرة ورب محمد قال ثم اقيمت الصلاة فاممتهم ثم انصرفنا فاقبلنا وقال ابن مسعود فى قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب اعطى نبيكم عندها ثلاثا فرضت عليه الصلاة واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لامته المقحمات (١) ما لم يشرك به شيئا وقال ايضا لما اسرى برسول الله انتهى به الى سدرة المنتهى وهو فى السماء السابعة او السادسة اليها ينتهى ما يخرج من تحتها فيقبض منها واليها ينتهى ما بسط من فوقها فيقبض منها وفى رواية والى السدرة ينتهى ما يعرج من الارواح فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض واخرج البيهقى عن ابى سعيد الخدرى ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله اخبرنا عن ليلة اسرى بك فيها فقال قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله الآية قال فاخبرهم قال بينما انا نائم عشاء فى المسجد الحرام اذ اتانى آت فايقظنى فاستيقظت فلم ار شيئا فاذا انا بهيئة خيال فاتبعته ببصرى حتى خرجت من المسجد فاذا انا بدابة ادنى اشبهه بدوابكم هذه بغالكم هذه مضطرب الاذنين يقال له البراق وكانت الانبياء تركبه قبلى يقع حافره مد بصره فركبته فبينما انا اسير عليه اذ دعانى داع عن يمينى يا محمد انظر الى اسألك فلم اجبه ولم اقم عليه وبينما انا اسير اذ دعانى داع عن يسارى يا محمد انظر الى اسألك فلم اجبه ولم اقم عليه فبينما انا اسير عليه اذ دعانى داع عن يسارى يا محمد انظر الى اسألك فلم اجبه ولم اقم

(١) المقحمات الذنوب العظام

عليه فبينما انا اسير عليه اذ انا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظر الى اسئالك فلم التفت اليها ولم اقم عليها حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الانبياء توثقها به فاتانى جبريل بأنائين احدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن وتركت الخمر فقال جبريل اصبت الفطرة فقلت الله اكبر الله اكبر قال جبريل ما رأيت فى وجهك هذا فقلت بينما انا اسيراذ دعانى داع عن يمينى يا محمد انظر الى اسئالك فلم اجبه ولم اقم عليه فقال ذلك داعى اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك وبينما انا اسيراذ دعانى داع عن يسارى فقال يا محمد انظر الى اسئالك فلم التفت اليه ولم اقم عليه قال ذاك داعى النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت امتك وبينما انا اسير اذ انا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظر الى اسئالك فلم اجبها ولم اقم عليها قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها او اقمت عليها لا اختارت امتك الدنيا على الآخرة قال ثم دخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم اتيت بالمعراج الذى تعرج عليه الارواح (١) فلم تر الخلائق احسن من المعراج اما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فانما يشق بصره طامحا الى السماء لعجبه بالمعراج قال فصعدت انا وجبريل فاذا بملك يقال له اسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك واحد من جنده سبعون الف ملك قال وقال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد بعث اليه قال نعم فاذا انا بآدم كهيئة يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين ثم مضيت هنية فاذا انا باخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها احد واذا انا باخونة (٢) عليها لحم قد اروح ونتن عندها اناس يأكلون منها فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء من امتك يتركون الحلال ويأتون الحرام قال ثم مضيت

---

(١) هذه الرواية تؤيد ان المعراج كان امرا روحيا برزخيا كما مر بيانه سابقا (٢) جمع خوان السفرة التى يوضع عليها الطعام

هنية فاذا انا باقوام بطونهم مثل البيوت كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون فتجيء السابلة فتطأهم قال فسمعتهم يضجون الى الله تبارك وتعالى فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء من امتك الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنية فاذا انا باقوام مشافرهم كمشافر الابل (١) فيفتح على افواههم ويلقمون الجمر ثم يخرج من اسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله فقلت ياجبريل من هؤلاء قال امتك الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ثم مضيت هنية فاذا انا بنساء يعلقن بثديهن يضجون الى الله فقلت ياجبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من امتك قال ثم مضيت هنية فاذا انا باقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل ما كنت تأكل من لحم اخيك قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من امتك اللمازون (٢) ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا انا برجل احسن ماخلق الله قد فضل على الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت ياجبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت الى السماء الثالثة فاذا انا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلما على ثم صعدت الى السماء الرابعة فاذا انا بادريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت الى السماء الخامسة فاذا انا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء فكان لحيته الى نصف سرته من طولها فقلت يا جبريل من هذا قال هذا المحبب فى قومه هارون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ثم صعدت الى السماء السادسة فاذا انا بموسى بن عمران رجل ادم كثير الشعر لو كان عليه قيصان لنفذ شعره دون القميصين واذا هو يقول يزعم الناس انى اكرم على الله من هذا بل هو اكرم على الله منى قال فقلت ياجبريل من هذا قال هذا اخوك موسى بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد على السلام ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا انا بابينا ابراهيم خليل الرحمن ساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال فقلت ياجبريل من هذا قال هذا ابوك

(١) المشفر الشفة (٢) الهمز الغيبة والوقيعة فى الناس بذكر عيوبهم واللمز العيب والوقوع فى الناس وقيل اللمز العيب فى الوجه والهمز العيب بالغيب

ابراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على واذا انا بامتى شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد (١) فدخلت البيت المعمور ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم ثياب رمد وهم على خير فصليت انا ومن معى فى البيت المعمور ثم خرجت انا ومن معى والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه الى يوم القيامة ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطى (٢) هذه الامة فاذا فيها عين تجرى يقال لها سلسبيل يشتق منها نهران احدهما الكوثر ويقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لى ماتقدم من ذنبى وما تأخر ثم انى رفعت الى الجنة فاستقبلتنى جارية فقلت لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا انا بانهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى واذا رمانها كانه الدلاء عظما (٣) واذا انا بطيرها كانها بختكم (٤) هذه فقال عندها صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعد لعباده الصالحين مالا عين رأته ولا اذن سمعته ولا خطر على قلب بشر قال وعرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته او طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دونى ثم انى رفعت الى سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة مايغشى وكان بينى وبينه قاب قوسين او ادنى قال ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة قال وفرضت على خمسون صلاة وقال لك بكل حسنة عشرة اذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة واذا عملتها كتبت لك عشرا واذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شئ فان عملتها كتبت لك سيئة واحدة ثم رفعت الى موسى عليه السلام فقال ما امرك ربك قلت بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فان امتك لاتطيق ذلك ومتى لاتطيقه تكفر فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن امتى فانها اضعف الامم فوضع عنى عشرا وجعلها اربعين فما زلت اختلف بين موسى وربى كلما اتيت عليه قال لى

(١) ثياب رمد اى غبر فيها كدورة كلون الرماد ومفرد الرمد ارمد (٢) لفظة تغطى كان موضعها بياض فى الاصل فكشفت عنها فى الكتب الصحاح والمسانيد فلم اجد هذه الرواية حتى رأيتها فى كتاب معارج الانوار السفارينى فوضعتها وزاد السفارينى فقال وفى رواية الورقة منها تظل الخلق على كل ورقة ملك وما خذه فى كتابه من كتاب الوفا للحافظ الجوزى (٣) الدلاء جمع دلو (٤) البخت والبختى من الابل وجمعا بخاتى

مثل ذلك حتى رجعت اليه فقال بم امرت فقلت امرت بعشر صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف الى امتك فرجعت الى ربى قلت اى رب خفف عن امتى فانها اضعف الامم فوضع عنى خمسا وجعلها خمسا فنادانى ملك عندها تمت فريضتى وخففت عن عبادى واعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت الى موسى عليه السلام فقال بم امرت قلت بخمس صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه لايؤده اى لايعجزه شئ فسله التخفيف لامتك فقلت رجعت الى ربى حتى استحييته ثم اصبح بمكة يخبرهم بالعجائب ويقول انى رأيت البارحة بيت المقدس وعرج بى الى السماء ورأيت كذا ورأيت كذا فقال ابو جهل بن هشام الا تعجبون مما يقول محمد يزعم انه اتى البارحة بيت المقدس ثم اصبح فينا واحدنا يضرب مطيه مصعدة شهرا ومنقلبة شهرا فهذا مسيرة شهرين فى ليلة واحدة قال فاخبرهم بعير لقريش لما كان مصعدا وقال رأيتها فى مكان كذا وكذا وانها نفرت فلما رجعت رأيتها عند العقبة فاخبرهم بكل رحل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال ابو جهل يخبرنا باشياء فقال رجل من المشركين انا اعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل فان يكن محمد صادقا فسأخبركم وان يكن كاذبا فسأخبركم فجاءه ذلك المشرك فقال يامحمد انا اعلم الناس ببيت المقدس فاخبرنى كيف بناءه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر اليه كنظر احدنا الى بيته وجعل يقول بناؤه كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الاخر صدقت فرجع الى اصحابه فقال صدق محمد فيما قال او نحوا من هذا الكلام (١)

---

(١) فوائد منثورة تتعلق بهذا الموضوع على سبيل الاختصار لان القصة افردت بالتأليف فلا حاجة الى الاطالة بها • منها قيل انه عليه الصلاة والسلام نزل بيت لحم ليلة المعراج وصلى فيه ولم يصح ذلك عنه البتة • قاله الحافظ بن الجوزى والقصة رواها البزار وابن ابى حاتم وبن مردوية والبيهقى فى الدلائل وصححها فا قاله بن الجوزى فيه نظر ومنها ان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج كانا فى ليلة واحدة ولا تعدد فى القضية وهو الصحيح المعتمد عند اهل العلم • ومنها ان بعض الاذهان الجامدة الذين يرون العلم انكار كل شئ يعترضون على قضية المعراج ولم يعلموا ان هذا الزمن قد اثبته تمام الاثبات وبيانه ان مخلوقا اخترع السفن البرية فجعلت تطوى المسافات وتقرب البعيد من البلدان الى بعضها وقد بين صلى الله عليه وسلم ان من علامات الساعة تقارب البلدان وهذا الخبر كان قبل حينه باكثر من الف سنة واخترع ايضا الاسلاك البرقية والبرقيات بدون سلك واستخدم القوى الكهربائية التى فى الهواء واخترع السفن الطيارة فاستخدم الماء والهواء وهو مخلوق عاجزا فيعجز خالق الخلق من ان يسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى

﴿ احمد ﴾ بن عتبة بن مكين ابو العباس السلامى الجريرى المطرز الاطروش الاحمر روى عن محمد بن جعفر الخرائطى وابى الفضل العباس ابن الفضل الدينورى وجماعة وروى عنه تمام الرازى وابوالحسن بن السمسار وجماعة ومن احاديثه المتصلة بالرواية الى الحافظ بسنده الى محمد بن ابراهيم ابن عبيد بن رفاعة انه حدثه ان ابا سعيد صنع طعاما فدعا النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة فقال كلوا فقال رجل منهم انا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلف لك اخوك وصنع طعاما فافطر وصم يوما غيره ان احببت (١) . توفى احمد المذكور فى شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وكان ثقة نبيلا مأمونا

(ذكر من اسم ابيه عثمان)

﴿ احمد ﴾ بن عثمان بن ابراهيم ابو بكر البغدادى العلق حدث بدمشق عن محمد بن عبد الملك الدقيق وعبد الله بن محمد بن ابى الدنيا وروى عنه ابو بكر محمد بن سليمان البندار وروى من طريقه عن انس بن مالك عن امه ام سليم قالت لم نر لفاطمة رضى الله عنها دما فى حيض ولا نفاس (٢)

﴿ احمد ﴾ بن عثمان بن سعيد بن ابى يحيى ابو بكر بن ابى سعد الاحول يعرف بكرنيب سمع بدمشق احمد بن ابى الحوارى وبغيرها احمد بن حنبل وجماعة وروى عنه محمد بن جعفر الطبرى وروى عنه من طريق الدارقطنى عن ابى هريرة قال قلت يا رسول الله فى غزوة حنين والخيل تمزع بنا (٣) فى ادبار

(١) هذا الحديث له شواهد فى الكتب الصحاح وبه وبغيره استدل من قال ان من افسد صوم النفل لا قضاء عليه (٢) للحفاظ فى هذا الحديث مقال ولا يلزم من عدم الرؤية انتفاء المرئى وسيأتى بيان درجته (٣) تمزع على لفظ المضارع معناه تقطع

الكواكب العلياء والاجرام السماوية وان فى ذلك لتبصرة لمن القى السمع وهو شهيد والاعجب من هذا ان متفلسفتنا اذا سمعوا ان اميركيا استحضر روح رجل فى اقصى الصين يذعنون ويصدقون ثم اذا سمعوا قضية المعراج بادروا الى الانكار كأنهم يعتقدون ان ذلك الاميركى اقدر من الخالق جل وعلا فالعاقل المحقق هو الذى لا يسلم بشئ الا بعد اقامة البراهين عليه ولا ينفيه الا بعد اقامة الادلة على نفيه وما لم يقم عليه عنده دليل النفى او الاثبات يجعله موقوفا ويقول وفوق كل ذى علم عليم

الخيل اكان سيرنا هذا فى الكتاب السابق قال نعم قلت يا رسول الله انى شاب وليس لى طول (١) اتزوج به النساء او انكح به النساء وانا اخاف العنت (٢) فسكت عنى ثم قلت له الثانية فسكت عنى ثم قلت له الثالثة فاقبل علىّ بوجهه ثم قال يا ابا هريرة او يا ابا هر جف القلم بما انت لاق فاختصر على ذلك او دع وروى ايضا عن عبد الرحمن بن بشر الحضرمى قال ان كنت لادخل البلدة من البلدان فى الحديث الواحد لاسمعه وكان المترجم ثقة حافظا مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن عثمان بن عبد الرحمن النسوى سمع من دحيم وابى الجوزاء وجماعة وروى عنه ابو بكر احمد بن على الرازى وجماعة ومما روينا عنه بسنده الى ابى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع آخرين رحل المترجم الى خراسان والحجاز والعراق وحدث بنيسابور سنة اربع وثمانين ومائتين وحدث بجرجان سنة احدى وسبعين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن عثمان بن الفضل بن بكر ابو بكر الربعى البغدادى المقرى المعروف بغلام السباك قرأ القرآن العظيم برواية ابى بكر بن العلاء وحكى ابو الحسن عبد القاهر الصائغ انه كان يقول ثقل علىّ سمعى وكان ابو الفتح بن المقرى يقرأ علىّ وكان جميل الوجه فكنت اصرف بصرى الى فمه ولسانه مراعاة لقراءته وكان الناس يقفون ينظرون اليه لجماله فاتهمت فيه فساءنى ذلك فسألت الله ان يرد علىّ سمعى فرده على سكن المترجم دمشق وقرأ بها القرآن على قراءة ابى عمرو بن العلاء ومات سنة خمس واربعين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن عثمان بن يحيي بن عمرو بن بيان بن فروخ ابو الحسين البغدادى المقرى القطستى البزاز المعروف بالادمى سمع محمد بن عثمان بن ابى شيبة وجماعة وروى عنه الحاكم وابن رزقويه وجماعة وخرج له الحافظ بسنده الى خلاد بن السائب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل فامرنى ان امر اصحابى ان يرفعوا اصواتهم بالاهلال (٣) وروى

(١) بفتح الطاء القدرة والغنى والسعة ومثله الطائل والطائلة (٢) العنت الفجور والزنا
(٣) الاهلال التلبية بالحج

من طريق الحاكم ومن طريقه عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ينح عليه (١) يعذب قال الحاكم تفرد به الحكم عن منصور وروى عنه وعن ابن خزيمة عن عبيد بن محمد الوراق قال كان بالرملة رجل يقال له عمار وكانوا يقولون انه من الابدال فاشتكى بطنه فذهبت اعوده وقد بلغني عنه رؤيا رآها فقلت له رؤيا حكوها عنك فقال لي نعم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فدعى لي ثم رأيت الخضر بعد ذلك فقلت ما تقول في القرآن فقال كلام الله ليس بمخلوق قلت فما تقول في النبيذ فقال انه الناس عنه فقلت هؤلاء انها هم فليس ينتهون فقال من قبل فقد قبل ومن لم يقبل فدعه قلت فما تقول في بشر ابن الحارث قال مات من يوم مات وما على ظاهر الارض اتقى لله منه قلت واحمد بن حنبل فقال لي صديق قلت له فالحسن الكرابيسي فغلظ في امره قلت فما تقول في امي فقال تمرض وتعيش سبعة ايام ثم تموت فكان كما قال وكان المترجم ثقة حسن الحديث توفي في شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وثلاثمائة ومولده سنة خمس وخمسين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن عثمان بن البقال ابو سعيد البغدادي الفقيه حدث عن البغوي وابي بكر بن ابي داود وجماعة وسمع من جماعة واخرج الحافظ من طريقه عن حذيفة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وروى عنه من طريق مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال اينقص اذا يبس فقالوا نعم قال فلا اذا هكذا رواه ولم يذكر الصحابي والمحفوظ انه عن سعد بن ابي وقاص نزل المترجم دمشق وحدث بها ولم يتصل بنا تاريخ وفاته غاية الامر ان حديثه بدمشق كان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن عطاء بن احمد بن محمد بن عطاء ابو عبد الله الروزبادي الصوفي سكن صور وسمع الحديث من جماعة منهم المحاملي والدولابي وابو بكر ابن ابي داود والبغوي واخذ الحديث عنه جماعة وروى من طريقه بسنده الى

(١) ينح بالبناء للمجهول مشتق من النياحة ومعناه ان الميت يعذب بنياحة اهله عليه فليتق الله اهله به

مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الولاء (١) وعن هبته ورواه البغوى وكان الروزبادى يقول من خرج الى العلم نفعه قليل العلم وقال العلم موقوف على العمل والعمل موقوف على الاخلاص والاخلاص لله يورث الفهم عن الله عز وجل وكان يقول كان منى استقصاء فى امر الطهارة فضاق صدرى ليلة من كثرة ما صببت من الماء ولم يسكن قلبى فقلت يا رب محفوظ محفوظ فسمعت هاتفا يقول العفو فى العلم فزال عنى ذلك وقال ابو عبد الرحمن السلمى دخل الروزبادى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وباب بيته مقفل فقال صوفى وله باب مقفل اكسروا القفل فكسروه فامر بجميع ما وجدوا فى الدار والبيت فالقوه الى السوق وباعوه واصلحوا وقتا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه ان يقول شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت الكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع فبيعوها فقال الزوج لها لم تكلفى هذا باختيارك فقالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شئ نؤخره عنه وسئل احمد بن عطاء الله عن قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فقال ان الله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هى ثم نفخ فيه من روحه فلاجله قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (٢) وقال ايضا كامنى جمل فى طريق مكة رأيت الجمال والمحامل عليها وقد مدت اعناقها فى الليل فقلت سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت الى جمل فقال لى قل جل الله فقلت جل الله وقال كنت راكبا جملا فغاصت رجلا الجمل فى الرمل فقلت جل الله فقال الجمل جل الله وكان اذا

---

(١) الولاء هو ان يكون لانسان عبد ثم يعتقه فاذا مات لعبد عن غير وارث ورثه المعتق او ورثة المعتق وكانت العرب تبيع الولاء وتهبه فنهى عنه لان الولاء كالنسب فلا يزول بالازالة (٢) الضمير فى صورته يرجع الى آدم لا الى الله تعالى كما يقوله بعض الاغبياء وهذا المرجع هو مراد الروزبادى

دعى اصحابه الى دعوة فى دور السوقة ومن ليس من اهل التصوف لا يخبر الفقراء وكان يطعمهم شيئا فاذا فرغوا اخبرهم ومضى بهم فكانوا قد اكلوا فى الوقت ولا يمكنهم مدا يديهم الى طعام الدعوة الا بالتعذر وانما كان يفعل ذلك لئلا يسوء ظنون الناس بهذه الطائفة فيأثمون بسببهم وكان يمشى على اثر الفقراء يوما وكذا كانت عادته ان يمشى على اثرهم وكانوا يمضون الى دعوة فقال انسان هؤلاء المستحلون وبسط لسانه فيهم وقال ان واحدا منهم استقرض منى مائة درهم ولم يردها ولست ادرى اين اطلبه فلما دخلوا دار الدعوة قال الروزبادى لصاحب الدار وكان من محبى هذه الطائفة ائتنى بمائة درهم ان اردت سكون قلبى فاتاه بها فى الوقت فقال لبعض اصحابه احمل هذه المائة الى البقال الفلانى وقل له هذه المائة التى استقرضها منك بعض اصحابنا وقد وقع له فى التأخير عذر وقد بعثها الآن فاقبل عذره فمضى الرجل وفعل فلما رجعوا من الدعوة اجتازوا بحانوت البقال فاخذ البقال فى مدحهم وصار يقول هؤلاء السادة الثقات الامناء الصلحاء وما فى هذا الباب وقال اقبح من كل قبيح صوفى شحيح وكان الروزبادى يتمثل بقول محمد بن الزبرقان

دين النبي محمد مختار   نعم المطية للفتى الآثار
لا تخدعن عن الحديث واهله   فالرأى ليل والحديث نهار

ومن كلام المترجم

اذ انت صاحب الرجال فكن فتى   كأنك مملوك لكل رقيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا   على الكبد الحرّى لكل صديق

وقال ايضا

اهلا بمن زار فما وارد   احق بالاكرام من زائر
ونحن لا نسأم من امنا   ونضمر الحزن على السائر

وقال احمد بن عطاء بن احمد ابن اخت الروزبادى ان خالى كان عارفا بانواع من العلوم منها علم القرآت وعلم الشريعة وعلم الحقيقة وكانت له اخلاق فى التجريد يختص بها وبها يربو على اقرانه كتعظيم الفقر واهله ورياضة الفقراء ومراتبهم وهو اوحد مشايخ وقته فى بابه وطريقته توفى فى ذى الحجة سنة تسع وستين وثلاثمائة فجأة فى قرية يقال لها منوات من عمل عكا وحمل الى صور فدفن

بها فى الحربة وذكر ابو نعيم انه توفى سنة تسع وخمسين وهو وهم وقال ابو بكر الخطيب نشأ الروزبادى ببغداد واقام بها دهرا طويلا ثم انتقل عنها فنزلا صورا من بلاد ساحل الشام وحدث عن ابى بكر بن داود والقاضى المحاملى وابن البهلول وغيرهم وفى مروياته احاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا وكان محمد ابن على الصورى يقول حدثونا عن الروزبادى عن اسماعيل الصفار عن الحسن ابن عرفة احاديث لم يروها الصفار عن ابن عرفة قال الصورى ولا اظنه ممن كان يتعمد الكذب لكن شبه عليه وقال القشيرى كان الروزبادى شيخ الشام فى وقته وقال غيث بن على الصورى كان احد الصلحاء المشهورين والاتقياء المذكورين ذا همة فى التصوف عالية وطريقة راجحة وافية وله فيه عدة تصانيف طاف وسمع واستوطن صور

﴿ احمد ﴾ بن عقيل بن محمد بن على بن احمد بن رافع ابو الفضل القيسى الفارسى المعروف بابن ابى الحوافر اصله من بعلبك سمع الحديث من ابيه ومن عبد العزيز الكتانى وصحب نصرا المقدسى مدة وكتب عنه قال الحافظ وكتبت عنه شيئا يسيرا ببغداد وبدمشق وكان شيخا خيرا كثيرا التلاوة للقرآن صحيح السماع حسن الاعتقاد وكان شافعيا قدم بغداد ورويت عنه بسنده الى عروة بن الزبير انه قال سألت عائشة عن الرجل يقبل امرأته ايعيد الوضوء قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض نسائه لا يعيد الوضوء قال فقلت لها فان كان ذلك ما كان الا منك قال فسكتت ورواه محمد بن شعيب النسائى توفى ليلة الخميس ودفن يومه لتسع او لثمان وعشرين خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ودفن بباب الصغير

﴿ ذكر من اسم ابيه على ﴾

﴿ احمد ﴾ بن على بن احمد بن عمر بن موسى ابو الحسن البصرى قدم دمشق وسمع الحديث بها من تمام بن محمد الرازى وحدث بها عن جده احمد وروى عنه الكتانى والعلمى وروى من طريقه عن انس قال قال رجل يارسول الله كم افترض على من الصلوات قال خمس صلوات قال هل على قبلهن او بعدهن

شيء قال افترض الله على عباده صلوات خمس قال فحلف الرجل بالله لايزيد عليهن ولاينقص فقال رسول الله ان صدق دخل الجنة ورواه في الابدال عاليا من طرق ثلاثة

﴿احمد﴾ بن علي بن احمد ابو العباس المصري حدث بدمشق واخرج له الحافظ بسنده الى موسى بن طلحة بن عبيد الله قال دخلت مع ابي طلحة بعض المجالس فاوسعوا له من كل ناحية فجلس في ادناها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجالس

﴿احمد﴾ بن علي بن احمد بن صالح بن الحسن بن منصور ابو الحسن الطائي المعروف بابن الزيات اعتنى بالحديث وحدث بشيء يسير وكان خيرا قال ابو الفرج غيث بن علي انشدني احمد الطائي يعني المترجم بمسجد القدم بظاهر دمشق

كفى حزنا اني مقيم ببلدة ... اخلاي عنها نازحون بعيد
اقلب طرفي في البلاد فلا ارى ... وجوه اخلائي الذين اريد

قال الاكفائي توفي الطائي يوم الاربعاء السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين واربعمائة بدمشق وكانت ولادته سنة ثلاث واربعين واربعمائة وكان ثقة

﴿احمد﴾ بن علي بن احمد بن سعيد بن بكران بن شعيب بن ليث ابو الحسين بن الارتاحي التغلبي القاضي الشيرازي ولد سنة عشر واربعمائة اعتنى بالحديث قال ابن صابر هو ثقة ولم يكن الحديث من شأنه توفي بدمشق يوم الاحد السادس والعشرين من صفر سنة ست وثمانين واربعمائة

﴿احمد﴾ بن علي بن ابراهيم ابو الحسين الانصاري سمع الحديث وروى عنه الماليني واخرج الحافظ من طريقه عن عبد الله بن عمر انه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد بلا اذان ولا اقامة ثم صليت مع ابي بكر فصلى بلا اذان ولا اقامة ثم صليت مع عمر فصلى بلا اذان ولا اقامة ثم صليت مع عثمان فصلى بلا اذان ولا اقامة (١)

﴿احمد﴾ بن علي بن اسحاق ابو حامد الجرجاني الحافظ قدم دمشق وطلب الحديث وحدث ببيت المقدس وروى الحافظ والبيهقي من طريقه عن

(١) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة وعليه عمل الناس

الامام الشافعى انه قال كان فلان يفتى ويضمن ويقول ماكان فيه من اثم فهو على وقال أبن ماكولا قال لى ابو اسحاق الحبال بمصر ان عبد الغنى بن سعيد قال جئت يوما الى على بن زريق فقال الا اعجبك من الجرجانى يعنى المترجم ذاكرنى بحديث ليحيي بن سعيد القطان عن يحيي بن سعيد الاعمال بالنية فانكرت عليه ذلك فقلت انا ان هذا الحديث اخطأ فيه الاعشى بخراسان فقال أبن زريق سمعت النسوى يقول حديث الاعمال بالنية حديث جليل تفرد به يحيي بن سعيد الانصارى وقول عبد الغنى ان الاعشى اخطأ فيه خطأ فقد رواه غيره من طرق متعددة

﴿ احمد ﴾ بن على بن ثابت بن احمد بن مهدى ابو بكر الخطيب البغدادى الفقيه الحافظ احد الائمة المشهورين والمصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين ومن ختم به ديوان المحدثين كان ابوه حافظا للقرآن قرأ على ابى حفص الكتانى وكان خطيبا بدريجان قرية من قرى بغداد نحوا من عشرين سنة سمع ابو بكر الكثير ببغداد ونيسابور واصبهان والرى والدينور والكوفة وغيرها وقدم دمشق سنة خمس واربعين واربعمائة حاجا فسمع الحديث بها وتوجه منها الى الحج ثم قدمها سنة احدى وخمسين فسكنها مدة وحدث بها بعامة مصنفاته وروى عنه الحافظ من طريقه بسنده الى ابى سعيد الخدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاوسط من شهر رمضان فاعتكف عاما حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج فيها من صبحتها من اعتكافه فقال من كان اعتكف يعنى فليعتكف العشر الاواخر فقد رأيت هذه الليلة ثم انسيتها ولقد رأيتنى اسجد من صبحتها فى ماء وطين فالتمسوها فى العشر الاواخر والتمسوها فى كل وتر قال ابو سعيد فامطرت السماء من تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف فابصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عنا وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وقال بن زريق قال لنا ابو بكر الخطيب كنت كثيرا اذاكر البرقانى بالاحاديث فيكتبها عنى ويضمنها جموعه وروى الحافظ من طريق الخطيب عن رجل من بنى سليم يقال له خفاف قال سألت بن عمر عن صوم ثلاثة فى الحج وسبعة اذا رجعتم قال اذا رجعت الى اهلك قال الخطيب اول ماسمعت الحديث وقد بلغت احدى عشرة سنة لانى ولدت فى يوم

الخميس لست بقين من جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة واول ماسمعت
فى المحرم سنة ثلاثة واربعمائة وكان يقول انه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث
شربات وسأل الله ثلاث حاجات اخذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء
زمزم لما شرب له فالحاجة الاولى ان يحدث بتاريخ بغداد ببغداد والثانية ان يملى
الحديث بجامع المنصور والثالثة ان يدفن اذا مات عند قبر بشر الحافى فلما عاد الى
بغداد حدث بالتاريخ بها ووقع اليه جزء فيه سماع الخليفة القائم بامر الله فحمل
الجزء ومضى الى باب حجرة الخليفة وسأل ان يؤذن له فى قراءة الجزء فقال الخليفة
هذا رجل كبير فى الحديث وليس له الى السماع منى حاجة ولعل له حاجة اراد
ان يتوصل اليها بذلك فسلوه ماحاجته فسئل فقال حاجتى ان يؤذن لى بالاملاء
فى جامع المنصور فتقدم الخليفة الى نقيب النقباء بان يأذن له فى ذلك فحضر
النقيب واملى الخطيب بجامع المنصور ولما مات ارادوا دفنه عند قبر بشر فكان
الموضع الذى بجنبه قد حفر فيه احمد بن على الطرثيثى قبرا لنفسه وكان يمضى
الى ذلك الموضع ويختم فيه القرآن ويدعو فمضى على ذلك عدة سنين فلما مات
الخطيب سئلوه ان يدفنوه فيه فامتنع وقال هذا قبرى قد حفرته وختمت فيه عدة
ختمات لا امكن احدا من الدفن فيه وهذا مما لا يتصور فانتهى الخبر الى ابى
سعيد الصوفى شيخ الشيوخ فقال له يا شيخ اوكان بشر بن الحارث الحافى فى الاحياء
ودخلت انت والخطيب عليه ايكما كان يقعد الى جانبه انت ام الخطيب فقال بل الخطيب
كذا ينبغى ان يكون فى حالة الممات فانه احق به منك فطاب قلبه وسمح بالقبر وقال
على بن هبة الله الحافظ ان الخطيب البغدادى كان آخر الاعيان ممن شاهدناه معرفة
واتقانا وحفظا وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفننا فى علته
واسانيده وخبرة برواته وناقليه وعلما بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره وسقيمه
ومطروحه ولم يكن للبغداديين بعد ابى الحسن على بن عمر الدارقطنى من يجرى
مجراه ولاقام بعده منهم بهذا الشأن سواه وقد استفدنا كثيرا من هذا اليسير الذى
نحسنه به وعنه وتعلمنا شطرا من هذا القليل الذى نعرفه بتنبيهه ومنه فجزاه الله عنا
الخير ولقاه الحسنى وقال المؤتمن بن احمد الحافظ ما اخرجت بغداد بعد الدار
قطنى احفظ من ابى بكر الخطيب قال وسألت احمد بن محمد البردانى الحافظ
الحنبلى ببغداد هل رأيت مثل ابى بكر الخطيب فى الحفظ فقال لعل الخطيب لم ير

مثل نفسه وقال الفيروز ابادى ابو بكر الخطيب يشبه بابى الحسن الدارقطنى ونظرائه فى معرفة الحديث وحفظه وقال غيث بن على الصورى كان الخطيب معنا فى طريق الحج وكان يختم كل يوم ختمة الى قرب الغياب قراءة بترتيل ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون حدثنا فيحدثهم وكتب ابو بكر البرقانى الى ابى نعيم احمد بن عبد الله الاصبهانى الحافظ كتابا يقول فى فصل منه وقد نفذ الى ما عندك عمدا متعمدا ابو بكر احمد بن على بن ثابت ايده الله وسلمه ليقتبس من علومك ويستفيد من حديثك وهو بحمد الله ممن له فى هذا الشأن سابقة حسنة وقدم ثابت وفهم به حسن وقد رحل فيه وفى طلبه وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من امثاله الطالبين له وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك مع التورع والتحفظ وصحة التحصيل ما يحسن لديك موقعه وتجمل عندك منزلته وانا ارجوا اذا صحت لديك منه هذه الصفة ان يلين لك جانبه وان يتوفر وتحتمل منه ما عساه يورده من يتقبل فى الاكثار وزيادة فى الاصطبار فقد ما حمل السلف من الخلف ما ربما ثقل وتوفروا على المستحق منهم بالتخصيص والتقديم والتفضيل ما لم ينله الكل منهم وقال ابو الوليدان الخطيب رجل حافظ متقن ومن نظم الخطيب صاحب الترجمة

لاتغبطن اخا الدنيا لزخرفها ولا للذة وقت عجلت فرحا
فالدهر اسرع شئ فى تقلبه وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وقال ابو الخطاب بن الجراح يمدح المترجم

فاق الخطيب الورى صدقا ومعرفة فاعجز الناس فى تصنيفه الكتبا
حمى الشريعة من غاويه اسمها بوضعه ونفى التدليس والكذبا
جلا محاسن بغداد فاودعها تاريخه مخلصا لله محتسبا
وقام فى الناس بالقسطاس منزويا عن الهوى وازال الشك والريبا
سقى ثراك ابا بكر على ظمأ جون ركام تسح الوا كف السربا (١)
ونلت فوزا ورضوانا ومغفرة اذا تحقق وعد الله واقتربا
يا احمد بن على طبت مضطجعاً وباء شانئك بالاوزار محتقبا (٢)

---

(١) الجون من اسماء الاضداد يطلق على الابيض وعلى الاسود والمراد هنا السحاب الاسود والركام المتجمع وواكف قطر والسرب المرسل المتتابع (٢) الشانى المبغض ومحتقبا معناه حاملا الاوزار فى حقيبة اى متاعه

قال مكى بن عبد السلام المقدسى مرض ابو بكر الخطيب ببغداد فى النصف من شهر رمضان الى ان اشتد به الحال غرة ذى الحجة واستاء منه واوصى الى ابن فيرون وجعل وقف كتبه على يده وفرق جميع ماله وهو مائتا دينار فى وجوه البر وعلى اهل العلم والحديث وتوفى يوم الاثنين رابع ساعة السابع من ذى الحجة سنة ثلاث وستين واربعمائة واخرج الغد يوم الثلاثا طلوع الشمس وعبروا به من الجانب الشرقى على الجسر الى الجانب الغربى الى مسجد معروف وحضر الصلاة عليه خلق كثير ثم صلى عليه بباب حرب ودفن الى جانب قبر بشر الحافى فى مقبرة باب حرب وكان المترجم اليه المنتهى فى علم الحديث وحفظه وله ستة وخمسون مصنفا فى علم الحديث فمنها تاريخ بغداد مائة وستة اجزاء وكان يذهب الى مذهب ابى الحسن الاشعرى وكان ثقة حافظا متقنا متيقظا متحرزا مصنفا

﴿ احمد ﴾ بن على بن جعفر بن محمد ابو بكر الحلبى الوراق بن البرامى المعروف بالواصلى سكن دمشق وحدث عن جماعة وروى عنه جماعة ومن كلامه انه قال اشتكت عينى فشكوت الى على بن المسلم الفقيه فقال لى انظر فى المصحف ثم روى حديثا مسلسلا الى عبد الله ابن مسعود قال ان عينى اشتكت فشكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انظر فى المصحف ومن شعر المترجم

قالت ومدت يدا نحوى تودعنى ... وخيرة البين تأبى ان تمد يدا
اميت انت ام حى فقلت لها ... من لم يمت يوم بين لم يمت ابدا

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسن بن محمد بن شاهمرد الصيرفى الفقيه البصرى المعروف بابن خميرة ويقال ابن خرويه حدث بدمشق عن ابى داود السجستانى وجماعة وروى عنه ابو الحسين الرازى وجماعة وروى الحافظ من طريقه عن جابر بن عبد الحميد الفراوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم او ان ابن آدم يفر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت وروى ايضا من طريقه عن ابى بردة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولى

وشهود (١) وروى ايضا من طريق ابى بكر الخطيب متصلا بالمترجم باسناده الى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مس احدكم ذكره فليتوضأ ونسب السماخي المترجم الى بغداد قال الخطيب البغدادى لا احسب السماخى ضبط كنية ابن خميرة ولا اصاب فى نسبته اياه الى بغداد والسماخى سيء الحال فى الرواية اه قدم المترجم دمشق فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ونزل المصيصة وحدث بها وكان فيما يقال احد الحفاظ

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسن بن شاذان المقرى التاجر المعروف بالحسنوى النيسابورى سمع الحديث بدمشق وصور والرملة ومصر وبلخ واليمن وروى عنه ابو عبد الله الحاكم وجماعة وخرج له الحافظ بسنده الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية وانما لامرئ ما نوى وروى البيهقى عن المترجم انه قال دخلت الشام سنة ست وستين ومائتين وكان ابن اثنتى عشرة سنة ومولده سنة ثمان واربعين ومائتين قال ابو عبد الله الحافظ دخلت على الحسنوى يوما فوجدته ضيق الصدر فقال الا تراقبون الله فى توقير المشايخ اما لكم حياء يحجزكم عن تحقير المشايخ فسألته ما اصابه فقال جاءنى ابو على المعروف بالحافظ وانكر على روايتى عن احمد بن رجاء المصيصى وهذا كتابى وسماعى منه ثم قال رأيت والله من هو اكبر من المصيصى فقد كتبت عن ثلاثة عن عبد الرحمن بن مهدى وعن ثلاثة عن مروان بن معاوية الفزارى وهذا حفيدى واشار الى كهل واقف وهو ابن نيف وثلاثين سنة وقد احصيت من شيوخى من اسمه احمد فبلغوا مائة وعشرين شيخا وقال ابن‌منده ان الحسنوى كان شيخا اتى عليه مائة وعشر سنين وسألت عنه ابا زرعة فقلت هل حدث الحسنوى بجرجان فقال هو كذاب وقال ابو عبد الله الحافظ سمعت الحسنوى

---

(١) اخذ به الشافعى واحمد فاشترطا فى النكاح الولى والشهود سواء كانت المتزوجة بالغة ام لا وذهب اصحاب ابى حنيفة الى اشتراط الولى فى القاصرة عن درجة البلوغ دون البالغة فقالوا اذا زوجت البالغة نفسها بحضرة شاهدين صح نكاحها والذى استقر عليه رأى المالكية ان من شروط صحة النكاح شهادة رجلين عدلين غير الولى ومن شرطه ايضا ولى يحصل النكاح منه ومن غيره فهم موافقون لما عليه الشافعية والحنابلة

يقول ما رأيت اعجب من امر هذا الاصم كان يختلف معنا الى الربيع بن سليمان وكان منزل ياسين بن عبد الاحد القتبانى ازيق منزل الربيع ولم يسمع منه الاصم فكتبت قوله هذا وناولته ابا العباس الاصم فصاح وقال يا معشر المسلمين بلغنى ان ابن حسنويه يروى عن الربيع بن سليمان وابن عبد الحكم وغيرهما من شيوخى من اهل مصر ويذكر انه كان معى بمصر ووالله ما التقينا بمصر قط ولا عرفته الا بعد رجوعى من مصر قال الحاكم سمعت محمد بن صالح بن هانى الثقة المأمون يقول كان ابن حسنويه يديم الاختلاف معنا الى السرى بن خزيمة واقرانه ثم شيعناه يوم خروجه الى الرى الى ابى حاتم الرازى وانما المنكر من حاله روايته عن قوم تقدم موتهم وهو فى الجملة غير صحيح بحديثه غير ان النفس تأبى عن ترك مثله وقال الحاكم ايضا كان الحسنوى احد المجتهدين بالعبادة فى الليل والنهار ومن البكائين ومن الخمسة الملازمين لمسجد محمد بن عقيل الخزاعى سمع بنيسابور وبغداد والرى ورحل الى ابى عيسى الترمذى فكتب عنه جملة من مصنفاته ولو اقتصر على هذه السماعات الصحيحة التى ذكرتها لكان اولى غير انه لم يقتصر عليها وحدث عن جماعة من ائمة المسلمين اشهد بالله انه لم يسمع منهم وكنت اغار عليه بعد ان غفلت عنه وكنت اسئاله عن لقاء اولئك الشيوخ قال الخطيب ويغلب على ظنى انه عاش الى ما بعد سنة اربعين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسن ابو بكر الاطرابلسى يعرف بابن ابى السند عنى بالحديث وحدث عن جماعة وروى عنه ابو على الاهوازى وروى من طريقه عن جابر بن عبد الله انه قال لما نزلت قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك ومد بها صوته او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا اهون وهذا ايسر ورواه النسائى وروى من طريق المترجم عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب مذمة الرضاع العبد والامة

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسن بن منصور الاسد ابازى المقرى قدم دمشق وحدث بها ومن مروياته عن ابى سعيد الخدرى انه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا صاعى تمر بصاع ولا صاعى حنطة بصاع ولا درهمين بدرهم توفى سنة اثنتين وستين واربعمائة وقال احمد بن خيرون كان شيخا كذابا يدعى ما لم يسمع ويسمع لنفسه فيما لم يسمع ويدعى اشياء ويخلق شيوخا ولد بالكرخ سنة ست وستين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسن بن ابى الفضل ابو مضر بن الكفرطابى المقرى حدث عن جماعة وروى من طريقه عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليجيئن الفقير متعلقا بجاره الغنى يقول يا رب سل هذا لم اغلق بابه دونى ومنعنى فضله وروى ايضا بالسند الى حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قتات (١) توفى المترجم سنة احدى وخمسين واربعمائة فى جمادى الآخرة وقيل سنة اثنتين وخمسين

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسين الخياط حدث عن جماعة روى باسناده عن الربيع بن سليمان قال سئل الشافعى عن الظرف فقال هو الوقوف مع الحق كما وقف وكان المترجم ثقة

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسين ابو زرعة الرازى روى عن جماعة وعنه جماعة ومن مروياته ما رواه متصلا الى ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وانما كان بينهما قدر ما ينزل هذا ويرقى هذا

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسين ابو العباس الطبرى القارى سمع الحديث بمرو ومن الاحاديث المتصلة بسنده الى انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة (٢)

﴿ احمد ﴾ بن على بن الحسين بن زيد المعروف بابن الكوفى العطار قال الحافظ لم اسمع منه شيئا ولم يكن الحديث من شانه مات سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الفراديس

﴿ احمد ﴾ بن على بن سعيد بن ابراهيم ابو بكر الاموى المروزى

(١) القتات النمام يقال قت الحديث يقته اذا زوره وهيئاه وسوّاه (٢) الجنة بضم الجيم الوقاية ومعناه انه وقاية من الآثام

القاضى تولى القضاء بدمشق وكان يلى القضاء قبل ذلك بحمص وحدث بدمشق وروى عنه النسائى فى سننه وروى من طريقه الى انس بن مالك ان رجلا اطلع من بعض حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقام اليه بمشقص او بمشاقص ثم مشى نحوه قال فكأنى انظر الى النبى صلى الله عليه وسلم يختل له ليطعنه (١) وبسنده ايضا الى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المسح على الخفين للمسافر ثلاث وللمقيم يوم وليلة توفى المترجم سنة تسعين وما ئتين وقيل سنة اثنتين وتسعين وكان قد بلغ التسعين سنة او دونها وقال النسائى هو ثقة

﴿ احمد ﴾ بن على ابو البركات البغدادى المعروف بابن القيار قدم دمشق وسمع بها من ابى بكر الخطيب ومن مروياته عن مكرم البغدادى

اخفى هواك وما يخفى له اثر ... من دمع عينيه يجرى كيف يستتر
فان ابح اخش من واش ينم بنا ... بين الورى حسدا منه فيبتهر
وان كتمت امت فى حبكم كمدا ... يعيش مثلى لا يصفو له كدر

﴿ احمد ﴾ بن على بن عبد الله بن مهران ابو جعفر الكوفى روى عن ابى عبد الله احمد السكونى وروى عنه تمام ومما اتصل باسناده الى ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه

﴿ احمد ﴾ بن على بن عبد الله بن سعيد بن احمد ابو الخير الكلفى الحمصى الحافظ حدث بدمشق عن الخرائطى وابن الحكم وجماعة وروى عنه تمام بن محمد الرازى وجماعة ومما اتصل بنا من روايته ما رواه بسنده الى ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا الاحصان احصانان احصان عفاف واحصان نكاح

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى ولفظه ان اعرابيا اتى باب النبى صلى الله عليه وسلم فالقم عينه خصاصة الباب فبصر به النبى صلى الله عليه وسلم فتوخاه بحديدة او عود ليفقأ عينه فلما ان ابصره انقمع فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اما انك لو ثبت لفقأت عينك والمشقص بكسر الميم وفتح القاف سهم له نصل عريض وقيل هو النصل العريض بنفسه وقوله يختل له اى يخدعه ويراوغه والخصاصة بفتح الخاء الثقب والشق ومعناه انه جعل الشق الذى فى الباب محاذيا لعينيه وتوخاه قصده وفيه تهديد لمن يريد ان يتطلع على الناس فى بيوتهم وانه لو فقأت عينه لكانت هدرا

ومما حكاه بسنده الى صالح بن عبيد البغدادى ان ثلاثة نفر اخرجوا من بغداد فجمعتهم طريق البصرة فقعدوا فى بعض الطريق يتحدثون فقال احدهم اى شئ اجودما يجتنبه الانسان فى الدنيا فقال بعضهم المزاح وقال الآخر التيه والصلف وقال الآخر الاستخفاف بالناس فقال احدهم ليخبرنا كل واحد مما لحقه فقال صاحب المزاح انا اخبركم خبرى وذلك انى كنت بزازا فى الكرخ وكان لى دكان فيها غلمان واجرا وانا بخير من الله فخرجت الى دكانى يوما فقعدت فيها فلم اشعر الا بمخنث قد عيرنى فحملنى البطر والغرة بالله على المجون فقلت كيف اصبحت يا اختى فاجابنى بجواب مسكت فاسقط فى يدى وخجلت وضحك كل من سمعه وشاع ذلك فى البلد حتى تحدث به النساء على مغازلهن والصبيان فى الكتاتيب وكنت لا اعبر بشارع الا قالوا هذا التاجر وصاحوا خلفى كيف باتت اختك فلم اطق الكلام وخرجت على وجهى وتركت كلما املكه وكان ذلك سبب مزاحى وها انا معكم نادم وما تنفعنى الندامة وقال صاحب التيه والصلف اخبركم خبرى انى كنت اتقصف وكان على من الله نعم فما اخذتها بشكر وكان لى ندماء افضل عليهم فخرجت يوما وهم حولى فرأيت على الطريق اعمى يفسر المنامات فقلت لاصحابى تعالوا بنا حتى نسخرمنهذا الاعمى فسلمت عليه فرد السلام فقلت يا اعمى انى رأيت رؤيا اريد ان اقصها عليك فقال سل ما بدا لك فقلت رأيت كأنى اكل سمكا طريا فلما شبعت منه جعلت كأنى ادخله فى دبرى فصفق الاعمى بيديه وقال كلاما قبيحا فلما شاع ذلك فى الناس وتحدثوا به كنت لا اعبر فى طريق الا قالوا لى ذلك الكلام فلم اطق الكلام وخرجت على وجهى وكان ذلك سببه التيه والصلف الذى كان لى وتركت كلما املكه وها انا معكم فقال صاحب الاستخفاف بالناس انى كنت حاجبا لشداد والى الجسرين وكان اذا اراد ان يأكل امرنى باخذ بابه وان لا يدخل اليه احد فلم اشعر يوما الا وقد جاءنى رجل يريد ان يدخل عليه فمنعته استخفافا به ولما تقدم الىّ صاحبى قال يا هذا انا ابو العالية وصاحبك تقدم الى ان اجيئه فى هذا الوقت فرددته فقال ما ابرح فحملنى استخفافى به ان ضربته بعصا كانت فى يدى فولى عنى وانشأ يقول

مدحت شدادا فقال ائتنى بالله فى المنزل يا راويه

فجئت اسعى واذا به قد شد والحاجب فى زاويه
فقال من انت الذى جئته وقت الغدا قلت ابو العاليه
فقام يجرى بعصا ضخمة وكاد ان يكسر اضلاعيه
فطرت مرعوبا وناديته ام الذى يحجبه زانيه

فسمع غلمانه وردوه عليه فامر بضرب عنقى فخرجت مرعوبا وتركت كلما املكه وكان ذلك سببه استخفافى بالرجل وعجبى بنفسى وها انا معكم ولو كنت رفقت لم يصبنى هذا وكل ما نحن فيه بقضاء الله عز وجل فقدم القوم وصاروا الى البصرة واغناهم الله عز وجل

﴿ احمد ﴾ بن على بن عبيد الله بن على ابو نصر السلمى الدينورى الصوفى المقرى سمع الحديث بدمشق ومكة ومصر وحدث عنه جماعة ومما اتصل بنا من سنده ما رواه بطريقه عن النعمان بن بشير ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية ومن مروياته ايضا عن عمر بن دينار انه قال كان من بنى اسرائيل رجل قائم على ساحل البحر فرأى رجلا وهو ينادى باعلى صوته الا من رآنى فلا يظلم احدا قال فدنوت منه وقلت يا عبد الله ما قصتك وما الذى بك فقال ادن منى اخبرك كنت رجلا شرطيا فجئت الى هذا الساحل فرأيت رجلا صيادا قد اصطاد سمكة فسألته ان يهبها لى فابى فسألته ان يبيعنيها فابى فضربت رأسه بسوط كان معى واخذت منه السمكة وحملتها الى منزلى وقد ضربت على اصبعى التى علقت بها السمكة فاصلحوها وقدمت الى فضربت على اصبعى حتى صحت وبكيت وكان لى جار معالج فاتيته وقلت اصبعى فقال لى هو اكلة ان انت رميت بها والا هلكت فرميت بها فوقع الضربان فى عضدى فخرجت من منزلى هاربا على وجهى اصيح وابكى فبينما انا اسيح فى البلاد وقعت لى شجرة دوحاء فاويت اليها فنعست فاتانى آت فقال لى لم تقطع اعضائك وترميها رد الحق الى اهله وانج قال فانتبهت فعلمت ان ذلك من قبل الله عز وجل فاتيت الصياد فوجدته قبل ان يخرج شبكته فانتظرته حتى اخرجها فاذا فيها سمكة كبيرة فدنوت منه وقلت يا عبد الله انى مملوكك فاعتقنى فقال ما اعرفك فقلت انا الشرطى الذى ضربت رأسك بالسوط واخذت سمكتك واريته يدى فلما

رآنى على تلك الحالة رق لى وقال انت فى حل فاقبل الدود يتناثر من يدى ويسقط على الارض فهاله ذلك وانصرف فاستوقفته واخذته الى منزلى ودعونا بابنى وقلت له احفر فى هذه الزاوية فاخرج منها جرة فيها ثلاثون الف درهم فقلت اعدد منها عشرة آلاف فاستعن بها ثم قلت خذ منها عشرة آلاف اخرى اجعلها فى فقراء جيرانك وقراباتك فقام لينصرف فقلت اخبرنى هل دعوت على فقال انا اخبرك لما اخذت السمكة منى وضربت رأسى رفعت رأسى الى السماء وبكيت وقلت يا رب خلقتنى وخلقته وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا ثم سلطته على فلا انت منعتنى من ظلمه ولا انت جعلتنى قويا فامتنع من ظلمه فاسئالك بالذى خلقته قويا وجعلتنى ضعيفا ان تجعله عبرة لخلقك فبكيت وقلت لقد اجاب الله دعائك وجعلنى عبرة

﴿ احمد ﴾ بن على بن الفرج ابو بكر الحلبى الحبال الصوفى اعتنى بالحديث وروى عن البغوى وابى القاسم الزجاجى وجماعة وروى عنه تمام الرازى وابو سعيد المالينى وجماعة ومن مروياتنا عنه من طريق الامام احمد بن حنبل بسنده الى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وكل مسكر خمر وروى عن سفيان الثورى انه قال ان الرجل ليحدثنى بالحديث قد سمعته انا قبل ان تلده امه فيحملنى حسن الادب ان اسمعه منه

﴿ احمد ﴾ بن على بن الفضل بن طاهر بن الحسين بن جعفر بن الفضل ابن جعفر بن موسى بن الفرات ابو الفضل اعتنى بالحديث وسمع من جماعة وكان من اهل الادب والفضل الا انه كان يتهم برقة الدين وكان له شعر وكان قد اوقف خزانة كتب فى الجامع الكبير ومما اتصل باسنادنا بالرواية عنه ما اخرجه عن ابى هريرة انه قال راح عثمان حاجا ومعه على بن ابى طالب وادخلت على محمد بن جعفر امرأته فبات معها حتى اصبح ثم غدا فلحق الناس فرآه عثمان وعليه ردغ العصفر وريحة طيبة فانتهره وافف به وقال ايلبس المعصفر وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال له ان رسول الله لم ينهك ولا اياه انما نهانى وكان مولد المترجم فى العشر الاول من ذى الحجة سنة احدى عشرة واربعمائة بدمشق وهو رافضى قاله محمد بن صابر قال وسئالته عن نسبه فانتمى الى ابن الفرات الورس وليس هو من ولده وليس بثقة فى روايته

وقال وسمعت خالى ابو المعالى محمد بن يحيى بن على القرشى يحكى انه كان يجلس فى اكثر الليالى فى الجامع مع ابى محمد بن الابرى فاذا قرب وقت الاذان للمغرب يقول احدهما لصاحبه انت على وضوء فيقول لا فيقول ولا انا فيقومان يخرجان يمشيان فى للبادين رائحين والناس دخول الى الصلاة . ومن شعر المترجم

وقالوا لم سلوت قضيب بان رشيق القد جل عن القياس
فقلت سلوته وصبرت لما عسى يعسو عسوا فهو عاس

وقال جعفر بن دواس الكتامى فى المترجم

ابن الفرات خيال فى تبختره يمشى فواعجبا للميت الماشى
كأن اثوابه من فوقه كفن والشيخ جاؤا به من عند نباش
كالغصن ماس لحاه كى يغيره دهر ولكن لعمرى غصن طراش

توفى يوم السبت الثانى عشر من صفر سنة اربع وتسعين واربعمائة بدمشق

﴿ احمد ﴾ بن على بن محمد بن بطة ابو بكر البغدادى الاديب قدم دمشق وحدث بها عن محمد بن الحسن بن دريد الازدى وسمع منه احمد ابن محمد بن بشرام الغسانى والحسن السقلى النحويان وعبد الله بن عطية المفسر ومن شعره وقد روى قول ميمون بن صفوان من رضى من صلة الاخوان بلا شئ فليواخ اهل القبور فنظمه ابن بطة فقال

لان كنت ترضى من اخ ذى مودة اخا بلا شئ فواخ المقابرا
فلا خيرها يرجى ولا الشر يتقى ولا حاسد منها يظل محاذرا

ومن شعره ايضا

لا تصنعن الى اللئام صنيعة فيضيع ما تأتى من الاحسان
وضع الصنائع فى الكرام فشكرها باق عليك بقية الازمان

ومنه ايضا

ما شدة الحرص وهو قوت وكل ما بعده يفوت
لا تجهد النفس فى ازدياد فقصير ما اننا نموت

﴿ احمد ﴾ بن على بن محمد الدولابى البغدادى الخلال حدث بدمشق عن عبد الله بن محمد البعلبكى وروى عنه الحسين الحمانى وعبد العزيز الكتانى وروينا من طريقه بسنده الى ابى بكرة انه قال ان سورة اذا جاء

نصر الله والفتح حين انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ان نفسه نعيت اليه

﴿ احمد ﴾ بن على بن محمد النحوى الرمانى المعروف بالشرابى الاديب حدث بكتاب اصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت وحدث عن جماعة وروى عنه جماعة قال عبد العزيز الكتانى توفى الرمانى فى شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة واربعمائة ودفن خارج باب الفراديس وكان قد سمع اصلاح المنطق على على الاخفش اكثر من عشرين مرة

﴿ احمد ﴾ بن على بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن الحسين بن ابراهيم بن على بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب النصيبى قاضى دمشق فى ايام المنتصر سمع الحديث من جماعة قال ابو القاسم النسيب كان ابو الفتيان بن حيوش يوما مع الشريف احمد يعنى المترجم فقال الشريف وددت انى كنت فى الشجاعة مثل على وفى السخاء مثل حاتم وذكر غيرهما فقال له ابو الفتيان وفى الصدق مثل ابى ذر الغفارى، يعرض له بانه كذاب لان المترجم كان يرمى بالكذب توفى سنة ثمان وستين واربعمائة ودفن فى داره ثم نقل الى مقبرة الباب الصغير

﴿ احمد ﴾ بن على بن مسلم الاباز الخيوطى النخشبي ثم البغدادى اعتنى بالحديث وروى عن جماعة وروينا بالسند اليه ومنه الى ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق الروح الجسد وهو برئ من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين وحكى عن نفسه قال رأيت بالاهواز رجلا قد حف شاربه واظنه قد اشترى كتبا وتصدر للفتيا فذكر اصحاب الحديث امامه فقال ليسوا بشئ وليس يسوون شيئا فقلت له انك لا تحسن تصلى قال انا قلت نعم ايش تحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحت ورفعت يديك فسكت فقلت له ايش تحفظ عن رسول الله اذا وضعت يديك على ركبتك فسكت فقلت ايش تحفظ عن رسول الله اذا سجدت فسكت فقلت مالك لا تتكلم الم اقل لك انك لا تحسن تصلى انت انما قيل تصلى الغداة ركعتين والظهر اربعا فالزم ذا يكون خيرا لك من ان تذكر اصحاب الحديث فلست بشئ ولا تحسن شيئا قال الخطيب وكان المترجم ثقة حافظا متقنا حسن المذهب والخيوطى بضم

الخاء المعجمة وبالياء المثناة من تحت المضمومة وكانت وفاته فى نصف شعبان سنة تسعين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن على بن يزيد ابو جعفر العكبرى السوادى ويعرف بخسرو حدث عن جماعة منهم ابو نعيم وروى عنه ابن صاعد وغيره ومما رويناه بالسند اليه ثم الى ابن مسعود قال ينادى مناد عند حضرة كل صلاة يا بنى آدم قوموا فاطفئوا ما اوقدتم على انفسكم فينادى عند صلاة الصبح يا بنى آدم قوموا فاطفئوا ما اوقدتم على انفسكم فيتطهرون ويصلون فيغفر لهم ثم ينادى عند صلاة الاولى يا بنى آدم قوموا فاطفئوا ما اوقدتم على انفسكم فيتطهرون ويصلون فيغفر لهم ما بينهما فاذا صلى العصر نادى مثل ذلك فينامون ولا ذنب لهم ثم يصبحون فمدلج فى خير ومدلج فى شر وروى المترجم عن سعيد بن عبد العزيز قال ان رفيقا لحبيب بن مسلمة ضاق يوما فى شئ فقال له حبيب ان استطعت ان تغير خلقك باحسن منه فافعل والا فيسعك من اخلاقنا ما ضاق عنا من خلقك

﴿ احمد ﴾ بن على بن يحيي بن العباس بن منصور الاسد باذى الاديب قدم دمشق حاجا سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة وحدث بها وببغداد وروى عنه الخطيب البغدادى وجماعة ومما اسندناه عنه من طريق الخطيب عن بن عمر انه قال كانت امرأة تأتى قوما تستعير منهم الحلى ثم تمسكه فرفع ذلك الى النبى صلى الله علية وسلم فقال لتتب هذه المرأة الى الله والى رسوله وترد على الناس متاعهم قم يافلان فاقطع يدها وروى هذا الحديث عاليا من طرق متعددة ورواه البزار والنسائى فى سننه(١)

---

(١) رواه النسائى فى المجتبى من طرق متعددة ان امرأة كانت تستعير الحلى فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعارت من ذلك حليا لجمعته ثم امسكته فقال رسول الله لتتب هذه المرأة وتودى ما عندها مرارا فلم تفعل فامر بها فقطعت اه ومنه تعلم ان فى الاصل سقط قوله فلم تفعل واختلف العلماء فى هذه المسألة فقال كثير منهم لا قطع على من جحد العارية وقالوا انما ذكرت العارية هنا تعريفا لحالها الشنيعة لا لانها سبب القطع وسبب القطع انما كان السرقة لا جحد العارية وقال احمد واسحاق بالقطع وقول الراوى فامر بالفاء ظاهر فى قولهما وبعيد عن التأويل وقد جاء فى بعض الروايات ما هو كالصريح فى ذلك وما جاء من لفظ السرقة فى بعض الروايات فهو محتمل للتأويل والله اعلم (لطيفة) اورد على القطع فى السرقة ابو العلاء المعرى سؤالا فقال

وقد سمع المترجم الكثير عن بن شاذان والدارقطني قال الخطيب البغدادي كان المترجم يحرف في كلامه ويذكر اشياء تدل على تخليطه وقلة تحصيله ولد بالكرخ سنة ست وستين وثلاثمائة وبلغنا كونه بتبريز حيا سنة خمس واربعمائة وبلغني انه مات سنة احدى وستين واربعمائة اه فان صح هذا كان من المعمرين الكبار

﴿ احمد ﴾ بن علي بن يعقوب ابو الحسين البصري المقري قدم دمشق واستوطنها وكان له سماع سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان يقرأ بالصوت في الاعزية قال الحافظ ادركته ورأيته كثيرا ولم اسمع منه شيئا ولم يكن الحديث من شأنه وكان يقرأ القرآن بالحان غير مستطابة

﴿ احمد ﴾ بن علي بن يوسف الخراز المري روى عن جماعة وروى عنه جماعة ومما اسندناه عنه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول مايحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال الم اصح جسمك واروك من الماء البارد والخراز بخاء معجمة بعدها راء آخره زاي

﴿ احمد ﴾ بن علي اظنه ابا عمرو الصوفي نقل عن ابن يزداتيار انه قال

تناقض ما لنا الا السكوت له ... وان نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

فاجاب القاضي عبد الوهاب المالكي بقوله

صيانة الجسم اغلاها وارخصها ... صيانة المال فافهم حكمة لباري

وقد افاد بعض شارحي كلام المعري ان الذي يظهر ان القاضي لم يدرك مقاصد المعري فلم يكن كلامه جوابا له اه واذا تأملت الامر بعين متدبر وجدت ان المعري قد اورد سؤالا ولم يكن في مقام الاعتراض على الشرع ثم انه ابرز السؤال في مقام التهويل كما هو شأن الملغزين فابان ان هنا تناقضا ولكن لا يليق بنا ان ننسبه الى المخالفة بدليل قوله وان نعوذ بمولانا من النار ثم فسره بانه لاي حكمة كانت دية اليد اذا قطعت خمسمائة دينار ثم اذا سرقت ربع دينار تقطع ويكون قطعها هدرا فكان حق الجواب ان يقال الفرق بينهما كالفرق بين الامانة والخيانة فانه في الاول لما كان صاحب اليد شريفا في ذاته كان كل جزء من اجزائه ثمينا ولكن لما تدنس بالخيانة سقط شرف جسمه ومثله قاطع الطريق اذا قتله انسان مدافعة عن نفسه كان دمه هدرا بخلاف ما اذا قتل معصوما فانه يقتل به هذا وللمعري اشارات الى حكم يظنها من لم يدرك مداركها انها زندقة والحاد ولكن اذا فهمت مسالكه اتضحت الحقيقة من مقاصده

الملائكة حراس السماء واصحاب الحديث حراس السنة والصوفية حراس الله وقال المترجم سألت سمنونا عن اول مقام يستحق به العبد ان يقال له عارف فقال هو ان يكون واقفا بعلمه على همه يعرف كل هم يخطر على قلبه وقال سمنون اذا بسط الجليل غدا بساط المجد دخلت ذنوب الاولين والآخرين فى حواشيه واذا بدت ذرة من عين المجد الحقت المسيء بالمحسن

﴿ احمد ﴾ بن على السكرى امام الجامع بدمشق له ذكر ولا اعلم له رواية توفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن على المروزى الصفار حدث بدمشق سنة اثنين وعشرين واربعمائة وروى عنه جماعة

﴿ احمد ﴾ بن على الموصلى الجوهرى المقرى الاديب حدث باطرابلس وقدم دمشق سنة ست واربعين وثلاثمائة وروينا بسنده الى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انصر اخاك ظالما او مظلوما فقلت يارسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه من الظلم فقال ذلك نصرك اياه

﴿ احمد ﴾ بن عمار بن نصير السلمى روينا بسندنا اليه عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للدين دواء الا القضاء والوفاء والحمد قال الخطيب احمد بن عمار بن نصير الشامى مجهول وهذا حديث منكر وقال البرقانى والدارقطنى هو من المتروكين وقال الدارقطنى ايضا هو متروك الحديث

﴿ احمد ﴾ بن عمار ابو بكر الاسدى رجل من المتعبدين صحب ابا بكر بن سند حمويه وقال خرجنا مع المعلم فى جنازة ومعه جماعة من اصحابه فرأى فى طريقه كلابا مجتمعة بعضها يلعب مع بعض ويتمرغ عليه ويلحسه فالتفت الى اصحابه فقال انظروا الى هذه الكلاب ما احسن اخلاق بعضها مع بعض قال ثم عدنا من الجنازة وقد طرحت جيفة وتلك الكلاب مجتمعة عليها وهى يتهارش بعضها مع بعض ويخطف هذا من هذا ويعوى عليه وهى تتقاتل على تلك الجيفة فالتفت المعلم الى اصحابه فقال لهم قد رأيتم يا اصحابنا متى لم تكن الدنيا بينكم فانتم اخوان ومتى ماوقعت الدنيا بينكم تهارشتم عليها تهارش الكلاب على الجيفة وقال المترجم سمعت ابا عبيد الله البسرى يقول النفاق خبث السريرة فاتق الله ان ترى الناس

انك تخشى الله وقلبك فاجر قال ابو بكر الهلالى كان ابن عمار ينصرف الى منزله فيجد اهله قد ناموا وتركوا له شيئا يأكله فكان اذا وافى ثرد خبزه فى قصيعة وصب عليه ماتركوه له فاصلحوا فى بعض الايام دجاجة وتركوا له شيئا منها وكانوا قد عجنوا وبقى بعضه وتركوا فضلة ماء العجين فى اناء آخر فوا فى ليلا وقد ناموا فثرد الخبز على عادته واتفق انه اخذ الاناء الذى فيه ماء العجين فصبه على الخبز واكل فلما اصبحوا وجدوا سهمه من الدجاجة على حاله فذكروا له ذلك فقال ماكان الا الذى كان فى قسمى

﴿ احمد ﴾ بن ابى عمران ابو الفضل الهروى الصوفى سمع الحديث بدمشق وحدث بها وقد روينا بسندنا اليه الى انس انه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله امن العصبية ان يعين الرجل قومه على الحق قال لا (١) وبالسند اليه الى جابر انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى الظهر رفع يديه اذا كبر واذا ركع واذا رفع رأسه من الركوع وبالسند اليه ايضا الى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهجرة (٢) بين المسلمين فوق ثلاثة ايام او ثلاث ليال وبالسند اليه ايضا الى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وروى المترجم عن ابى بكر الدقاق انه قال كنت مارا فى تيه بنى اسرائيل فخطر بخاطرى ان علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة يا ابا بكر كل حقيقة

---

(١) قيل العصبى هو الذى يغضب لعصبته ويحامى عنهم والتعصب المحامات والمدافعة وتعصبنا له ومعه نصرناه والصحيح ان العصبى هو ان يدعو الرجل الى نصرة عصبته والتالب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا او مظلومين والحديث الذى فى الاصل اخرجه ابن ماجة عن فسيلة الشامية عن ابيها ولفظه سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله امن العصبية ان يحب الرجل قومه قال لا ولكن من العصبية ان يعين الرجل قومه على الظلم وروى ابو داود بعضه ولفظه قلت يارسول الله ما العصبية قال ان يعين الرجل قومه على الظلم • فهذا هو تفسير العصبية ومنه يعلم بيان المحمود منها والمذموم (٢) الهجرة هنا الهجر الذى هو ضد الوصل يعنى فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة او تقصير يقع فى حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك فى جانب الدين فان هجرة اهل الاهواء والبدع واجبة على مر الاوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع الى الحق فانه عليه الصلاة والسلام لما خاف على كعب بن مالك واصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك امر بهجرانهم خمسين يوما وقد هجر نساءه شهرا وهذه الهجرة فى الحقيقة نوع من التربية لا انها حرمان من الدين فليعلم الفرق بينهما

لا تتبعها شريعة فهى كفر وروى المترجم عن هلال بن العلاء انه قال

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ان برّ عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من ارضاك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا

بلغنى ان المترجم كان حيا سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

(ذكر من اسم ابيه عمر من الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن عمر بن ابان بن الوليد بن شداد الفارسى من اهل مصر روى عن جماعة وعنه جماعة وروينا من طريقه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التقى موسى وآدم عليهما السلام فقال موسى لآدم انت ابو الناس الذى اغويتهم واخرجتهم من الجنة فقال آدم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه والقى عليك محبة منه فذكر هذا ونحوه مما فضله الله به قال موسى نعم قال آدم تلومنى على عمل قد كتبه الله على قبل ان اعمله وقبل ان اخلق قال فحج آدم موسى

﴿ احمد ﴾ بن عمر بن الاشعث ابو بكر السمرقندى سكن دمشق مدة وكان يكتب بها المصاحف ويقرئ القرآن وسمع الحديث واسمعه وكان لجماعة من اهل دمشق فيه رأى حسن ويذكر انه خرج مع جماعة الى ظاهر البلد فى فرجة فقدموه ليصلى بهم وكان مزاحا فلما سجد بهم تركهم فى الصلاة وصعد فى شجرة فلما طال عليهم انتظاره رفعوا رؤسهم فلم يجدوه فى مصلاه واذا به فى الشجرة يصيح صياح السنانير فسقط من اعينهم فخرج الى بغداد وترك اولاده بدمشق ولما وصل بغداد اتصل بعفيف القائمى الخادم فكان يكرمه وانزله فى موضع من داره فكان اذا جاءه الفراش بالطعام يذكر اولاده بدمشق ويبكى فحكى الفراش ذلك لعفيف فقال سله عن سبب بكائه فسأله فقال له ان لى بدمشق اولادا فى ضيق فاذا جاءنى شئ من الطعام تذكرتهم فاخبره الفراش بذلك فبعث اليهم واستحضرهم ولم يزالوا فى ضيافة عفيف حتى مات توفى المترجم سنة تسع وثمانين واربعمائة

﴿ احمد ﴾ بن عمر بن العباس المعروف بابن الجليد روى عن جماعة وعنه جماعة واسندنا من طريقه عن المقدام بن معدى كرب انه سمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول يحشر الناس مابين السقط الى الشيخ الفانى (١) توفى المترجم سنة اربع وخمسين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن عمر بن عطية ابو الحسن الصقلى المقرى المؤدب وكان يؤدب فى مسجد رحبة البصل (٢) وادركته ولم يتفق لى منه السماع وقد اجازنى بجميع حديثه ورويت من طريقه عن ابن عباس قال جاء رجل الى عمر يسأله فجعل عمر ينظر الى رأسه مرة والى رجليه اخرى هل يرى عليه من البؤس شيئا فقال له عمر هل لك من مال قال نعم اربعون من الابل قال ابن عباس صدق الله ورسوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عمر ماهذا فقال هكذا اقرانيها ابى بن كعب قال فاكتبها قال نعم فاكتبها ولد المترجم سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة بدمشق وكان ثقة ولم يكن الحديث من شأنه وتوفى سنة خمس وخمسمائة ودفن بمقبرة باب الصغير

﴿ احمد ﴾ بن عمر بن محمد بن خرشند فوله الاصبهانى قدم دمشق وحدث بها وبمصر عن المحاملى وغيره وروى عنه تمام الرازى وابو نعيم وجماعة وروينا بسندنا اليه الى ابى رزين قال رأيت ابا هريرة يضرب جبهته ويقول يا اهل العراق تزعمون انى اكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون لكم المهنى

(١) السقط بفتح السين وكسرها وضمها والكسر اكثرها الولد الذى يسقط من بطن امه قبل تمامه والشيخ المتقدم فى السن (٢) مسجد رحبة البصل هذا المسجد كان قديما موضع جامع السنانية فلما تولى الوزير سنان باشا ولاية الشام جدده وجعله جامعا عظيما قال النجم الغزى فى كتابه لطف السمر يوسف بن سنان باشا الوزير الاعظم صاحب الخيرات الكثيرة والمبرات الغزيرة قيل انه انشا اربعين مسجدا جامعا يخطب على منابرها فى اقطار المملكة العثمانية غير الجسور والخانات وكان كلما مات مملوك له او مولى حفظ ماورثه منه او يتناوله من بعده فيعمر به مسجدا او غيره وعمر بدمشق جامع السنانية خارج باب الجابية وخارج دمشق (يعنى خارج السور) وجامعا بسعسع وجامعا بالقطيفة وجامعا بعيون التجار وعند كل جامع تكية مضمومة اليه وولى الوزارة للسلطان مراد خان ابن سليم خان ثم عزل عنها ثم اعيد وزيرا أعظم وولى دمشق فى اثناء ذلك فى اوائل سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفيها ابتدا بعمارة سوق السنانية خارج باب الجابية وحضر تأسيس البناء بنفسه واحضر جمعا من العلماء والمؤذنين وولى على عمارة السوق وعمارة السنانية كلها الامير محمد ابن منجك وجلال الدين شلبى وزين شلبى ثم خرج من دمشق معزولا وولى بعده خسرو باشا الطواشى ثم اعيد سنان باشا الى الوزارة وبقى بها حتى مات سنة اربع بعد الالف انتهى كلام الغزى وقال الشيخ محمود بن محمد العدوى فى ذيله على مختصر تنبيه الطالب كانت مدة ولاية سنان باشا لدمشق ستة او سبعة اشهر وتمت عمارة الجامع سنة ٩٩٩ انتهى وقد اوردت اكثر من هذا فى كتابى منادمة الاطلال ومسامرة الخيال

وعلى الاثم سمعت رسول الله يقول اذا انقطع شسع (١) احدكم فلا يمشى فى الاخرى حتى يصلحها وان ولغ الكلب فى اناء احدكم فلا يتوضأ فيه حتى يغسله سبع مرات سكن المترجم بغداد دهرا طويلا وحدث بها ثم انتقل الى مصر فنزلها واقام بها حتى مات سنة اربع وتسعين وثلاثمائة وكان ثقة حسن الاصول انتهت اليه الراوية قاله الخطيب البغدادى

﴿ احمد ﴾ بن عمر بن موسى ابن زنجويه البغدادى المحرمى القطان روى الحديث عن جماعه وروى عنه جماعة وروينا بالسند اليه الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شربوا الخمور فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاقتلوهم (٢) والى زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فى ربيع العرايا (٣) ولم يرخص فى غير ذلك قال الخطيب كان ابن زنجويه ثقة ومات سنة اربع وثلاثمائة

(١) الشسع احد سيور النعل وهو الذى يدخل بين الاصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى الزمام والزمام السير الذى يعقد فيه الشسع وانما نهى عن المشى فى نعل واحدة لئلا يكون احد الرجلين ارفع من الاخرى فيكون سببا للعثار وقبيح فى المنظر فيعاب فاعله والشرع نهى عن فعل كل ما يعاب صاحبه فيه فلتعلم الحكمة فى ذلك

(٢) هذا الحديث رواه الترمذى وابو داود وابن ماجة واحمد قال الترمذى فى جامعه بعد ان تكلم على الحديث من جهة اسناده وانما كان هذا فى اول الامر ثم نسخ بعد هكذا روى محمد ابن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان شرب الخمر فاجلدوه قال فان عاد فى الرابعة فاقتلوه ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب الخمر فى الرابعة فضربه ولم يقتله وكذلك روى الزهرى عن قبيصة بن ذؤيب عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو هذا قال فرفع القتل وكانت رخصة والعمل على هذا الحديث عند عامة اهل العلم لا نعلم بينهم اختلافا فى ذلك فى القديم والحديث ومما يقوى هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من اوجه كثيرة انه قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه فليعلم ذلك فان المقام هنا ليس مقام اطالة فى البحث (٣) هى ان من لا نخل له من ذوى الحاجة يأتى اوان ادراك الرطب ولا نقد بيده ليشتريه به لنفسه ولا لعياله ولا نخل له يطعمهم منه ويكون قد فضل من قوته تمر فيجيء الى صاحب النخل فيقول له بعنى تمر نخلة او نخلتين بخرصها من التمر فيعطيه ذلك الفاضل من التمر بثمر تلك النخلات ليصيب من رطبها مع الناس فرخص فيه اذا كان دون خمسة اوسق قال الترمذى والعمل على هذا عند بعض اهل العلم منهم الشافعى واحمد واسحاق قال ومعنى هذا عند بعض اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم اراد التوسعة عليهم فى هذا لانهم تشكوا اليه وقالوا لا نجد ما نشترى من التمر الا بالتمر فرخص لهم فيما دون خمسة اوسق ان يشتروها فيأكلوها رطبا

(ذكر من اسم ابيه عمر ومن الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن عمرو بن احمد بن معاذ ابو الحسن العبسى الداراني روى الحديث وروى عنه وبالسند اليه الى جابر بن عبد الله انه قال ان الله انزل صحف ابراهيم فى اول ليلة خلت من شهر رمضان وانزل القرآن على محمد لاربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان

﴿ احمد ﴾ بن عمرو بن اسماعيل بن عمر الفارسى المقعد الوراق قدم دمشق وسمع الحديث بها من جماعة وروى عنه جماعة وبالسند اليه ثم الى ام سلمة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد قال خيثمة احمد بن عمرو ثقة ثقة

﴿ احمد ﴾ بن عمرو بن جابر الطحان الحافظ نزيل الرملة سمع الحديث بدمشق وغيرها من جماعة وروى عنه جماعة وبسندنا اليه ثم الى عائشة انها قالت قلت يارسول الله ارأيت اذا ابدلت الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فاين الناس يومئذ قال على الصراط والى ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش املح فينادى منادى يااهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرابون وينظرون وكلهم قد رآه فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤخذ فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت وذلك قوله عز وجل وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة قال اهل الدنيا فى غفلة مات المترجم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن عمرو بن الضحاك ابى عاصم النبيل بن مخلد بن مسلم بن رافع ابن رفيع الشيبانى الفقيه القاضى محدث ابن محدث ابن محدث اصله من البصرة وسكن اصبهان وولى قضاها وكان مصنفا فى الحديث مكثرا منه رحل منها الى دمشق وغيرها وسمع من جماعة وهو مسند عن شيوخ البصريين يروى عن جده لامه ابى سلمة التبوذكى وابى الوليد الطيالسى وابى بكر بن ابى شيبة وجماعة وروى عنه ابو الشيخ وجماعة وروينا بسندنا اليه حديث ان الله قد تكفل لى بالشام واهله وقد تقدم الكلام عليه وقال عبد الرحمن بن ابى حاتم سمعت من

احمد بن عمرو وكان صدوقا انتهى وقال المترجم صحبت ابا تراب زمانا فكان يقول لى كم تشق لايجيء منك الا قاضى وكان بعد ذلك لما ولى القضاء اذا سئل عن مسألة فى التصوف يقول الكلام فى علوم الصوفية محال وذكر عند ابن الديلمى ان المترجم ناصبى (١) فبعث غلاما له معه سيف ومخلاة وقال له ائتنى برأسه فجاء الغلام والمترجم يروى الحديث فقال امرت ان احمل الى الامير رأسك فنام على قفاه ووضع الكتاب فى يده على وجهه وقال افعل ماشئت فلحقه آخر فقال للغلام امرك الامير ان لا تقتله فقام المترجم ورجع الى الحديث الذى قطعه وتعجب الناس منه وتحير الرسول فى امره وكان يوما مارا فى السوق مع ابى العباس بن سريج فقال لابى العباس او لم يكن فى ترك الدنيا الا اسقاط الكلف وراحة القلب لكفى وقال محمد بن احمد الكسائى المقرى كنت جالسا عند ابن ابى عاصم وعنده قوم فقال رجل ايها القاضى بلغنا ان ثلاثة نفرا كانوا بالبادية يقلبون الرمل فقال احدهم اللهم انك قادر على ان تطعمنا خبيصا على لون هذا الرمل فاذا هم باعرابى بيده طبق فسلم عليهم ووضع الطبق بين ايديهم وعليه خبيص حار فقال ابن ابى عاصم قد كان ذاك وكان الثلاثة عثمان بن صخر الزاهد وابو تراب والمترجم وكان هو الذى دعا وكان يقول لا احب ان يحضر مجلسى مبتدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذى ولا منحرف عن الشافعى ولاعن اصحاب الحديث وكان المترجم فقيها ظاهرى المذهب توفى سنة سبع وثمانين ومائتين ودفن بمقبرة روساباد

﴿ احمد ﴾ بن عمرو البغدادى المعروف بالرومى المصرى دخل اطرابلس من ساحل دمشق قال رويت لبعض اهل الادب قوله

رأيت قوما عليهم سمة الخير تحمل الركائب مبتهله
معتزلى الناس فى مساجدهم سألت عنهم فقيل متكله
الوقت والحال والحقيقة والبرهان والعكس عندهم مسأله
فلم ازل خادما لهم زمنا حتى تبينت انهم اكله

---

(١) الناصبى نسبة الى النواصب وهم المتدينون ببغضة على بن ابى طالب كرم الله وجهه سموا بذلك لانهم نصبوا له يعنى عادوه واظهروا له الخلاف وهم طائفة الخوارج وهم فرق شتى والكلام عليهم يطول ومن راجع الفصل لابن حزم والملل والنحل للشهرستانى وكتاب المعالم للبلادرى علم تفصيل احوالهم وسيأتى معظمها فى ترجمة سيدنا على رضى الله عنه من هذا الكتاب

فانشدتها ابا على بن ابى السمرأ باطرابلس وكان ضريرا شاعرا فقال لى قد عارضتها وانشد

عجبت من عصبة نمت وسمت | باسم التقى والنهى وهم جهله
وساوس النفس علمهم ولهم | مقالة فى الحلول مفتعله
تصوف القوم كى يبلغهم | لباسهم ماتبلغ المسأله
او ان ماهم عليه من رغد | ماجهل القوم زيهم مثله
وقد تأتى لهم بزيهم | من الورى ماتعاطت القتله
اذا تأملتهم رأيتهم | نوكى (١) كسالى اذلة اكله

هذا فى حق من تشبه بهم وليس منهم وخالفهم فى الاخلاق المروية عنهم

﴿ احمد ﴾ بن عمير بن يوسف بن موسى بن جوصا ابو الحسن الحافظ مولى بنى هاشم شيخ الشام فى وقته رحل وصنف وذاكر روى عن جماعة كثيرين وعنه ابو الحسين الرازى وابو القاسم الطبرانى وجماعة وروينا بالسند اليه ثم الى ابى قرصافة انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ابنوا المساجد واخرجوا القمامة منها فمن بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة فقال رجل يارسول الله وهذه المساجد التى تبنى قال وهذه واخراج القمامة منها مهور الحور العين وبالسند اليه ايضا الى ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة واخرجه ايضا من طريق الحاكم وقال الطبرانى لم يروه عن ابن ثوبان الا بقيةولم يروه عن بقية الا ابو تقى تفرد به ابن جوصاء وكان من ثقات المسلمين واجلتهم وقد اكثر الحافظ من رواية طرقه ليقوى بعضها بعضا وقال الفيض الغسانى صلينا فى المسجد مع مروان بن محمد الطاطرى فلما انقضت الصلاة قام رجل عند باب الساعات فقال يامعشر المسلمين انا جوصا كنت يهوديا واسلمت فصرت اعير باليهودية فلا تعيرونى بها فارجع اليها وقال ابن ما كولا جوصا بالجيم وكان مسلم بن محمد البغدادى الزاهد يحسن الثناء على جوصا وكان ابوا حمد النيسابورى الحافظ حسن الرأى فيه وقال ابو مسعود الدمشقى جاء رجل بغدادى الى ابن جوصا فقال له كلما قرأت على حديثا من احاديث اهل الشام اعطيك درهما فلم يزل الرجل يلقى عليه ماشاء

(١) النوك بالضم الحمق وحقيقة الحمق وضع الشيء فى غير موضعه مع العلم بقبحه

الله ولم يعطه فاغتم الرجل فقال ابن جوصا لاتجزع واعطاه بكل حديث ذاكره درهما وكان ابن جوصا ذا مال كثير وقال ابن مندة سمعت حمزة الكتاني بمصر يقول عندى عن ابي جوصاء مائتا جزء ليتها كانت بياضا وترك الرواية عنه اصلا وقال الدارقطنى تفرد باحاديث ولم يكن بالقوى سمعت دعلج ابن احمد يقول دخلت دمشق وكتبت عن ابن جوصا جزأً ولست احدث عنه فانى رأيت فى داره جرو كلب صينى فقلت نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اقتناء الكلب وهذا قد اقتنى كلبا توفى المترجم سنة عشرين وثلاثمائة ودفن بمقبرة باب الصغير

﴿ احمد ﴾ بن عون الله ابو جعفر الاندلسى القرطبي سمع الحديث ببلده ورحل فسمع بدمشق واطرابلس ومكة ومصر وكان رجلا صالحا شديد الانقباض عن اهل الدنيا لايمضى الى احد ولا يداخل احدا انما كان من داره الى مسجده ومن مسجده الى داره قاعدا للناس لاسماع الحديث من غدوة الى الليل وكانت عدة شيوخه الذين روى عنهم اثنين وسبعين رجلا وامرأتين وقال محمد ابن احمد بن مفرج كان المترجم محتسبا على اهل البدع غليظا عليهم مذلا لهم طالبا لمساويهم مسارعا فى مضارهم شديد الوطأة عليهم مشردا لهم اذا تمكن منهم غير مبق عليهم وكان من كان منهم خائفا على نفسه متوقيا لايداهن احدا منهم على حال ولا يسالمه وان عثر لاحد منهم على منكر وشهد عليه عنده بانحراف عن السنة نابذه وفضحه واعلى بذكره والبراءة منه وعيره بذكر السوء فى المحافل واغرى به حتى يهلكه او ينزع عن قبيح مذهبه وسوء معتقده ولم يزل دائبا على هذا جاهدا فيه ابتغاء وجه الله الى ان لقى الله عز وجل وله فى المحدين اثار مشهورة ووقائع مذكورة وقال احمد بن ابي الوليد الباجي ان المترجم رجل معروف وقال عبد الله بن الفرضى الاندلسى فى تاريخ الاندلس كان شيخا صدوقا صارما فى السنة متشددا على اهل البدع وكان لهجا بهذا النوع صبورا على الاذى فيه كتب عنه الناس الحديث قديما وحديثا وكتبت عنه توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ودفن بمقبرة الربض

﴿ احمد ﴾ بن العلاء بن هلال بن عمر ابو عبد الرحمن الرقى القاضى سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة وقدم دمشق فى ايام احمد بن طولون وكان ممن خلع الموفق بن المتوكل بن المعتصم بها سنة تسع وستين ومائتين وروينا بالسند

اليه ثم الى عائشة فيما قال لها اهل الافك فبرأها الله مما قالوا وقصتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يخرج فى سفرا قرع (١) بين ازواجه وفى لفظ له بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فاقرع بيننا فى غزاة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الحجاب وانا احمل فى هودجى وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك ودنوا من المدينة وفى لفظ حتى اذا فرغ من غزوه وقفل الى المدينة نودى بالرحيل فخرجت حين اذنوا بالرحيل فتبرزت لحاجتى فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى اقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع اظفار (٢) (صوابه ظفار بلا الف) قد انقطع فخرجت فى التماسه فحبسنى ابتغاؤه وجاء الرهط الذين يرحلون لى فاحتملوا هودجى فحملوه على بعيرى الذى كنت اركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم (٣) انما تأكل احدانا العلقة (٤) من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج وفى لفظ ثقل الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدى بعدما استمر الجيش وجئت مبادرة وفى لفظ منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت (٥) منزلى الذى كنت فيه وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينما انا كذلك فى منزلى اذ غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فاتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى والله ماتكلمنا بكلمة ولا سمعت من كلامه غير استرجاعه حتى اناخ راحلته فوطئ على يدها فانطلق بالراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة (٦) وقد هلك من اهل الافك من هلك وكان الذى تولى كبر

(١) اقرع من القرعة وهى المساهمة وهى معروفة (٢) الجزع بفتح الجيم الخرز اليمانى الواحدة جزعة قال ابن الاثير فى نهاية الغريب وفى حديث الافك عقد من جزع ظفار هكذا روى واريد بها جنس من الطيب او شيء من العطر اسود كأنه يؤخذ ويثقب ويجعل فى العقد والصحيح فى الروايات انه من جزع ظفار بوزن قطام وهى اسم مدينة لحمير باليمن اه وهو يؤيد الرواية الثانية (٣) معناه لم يكثر عليهن ولم يركب بعضه بعضا (٤) العلقة البلغة من الطعام اى مايسد الرمق (٥) قصدت (٦) اى فى وقت الهاجرة وقت توسط الشمس السماء يقال وغرت الهاجرة وغرا واوغر الرجل اذا دخل فى ذلك الوقت كما يقال اظهر اذا دخل فى وقت الظهر

الافك عبدالله بن ابى بن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمت المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول الافك لا اشعر بشىء من ذلك وهو يرمينى فى وجعى وانى لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت اراه منه حين اشتكى انما يدخل فيقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى منه ولا اشعر بشىء حتى خرجت بعدما نقهت (١) انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت انا وام مسطح وهى بنت ابى رهم بن عبد المطلب بن عبدمناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابى بكر وابنها مسطح بن اثاثه بن عبادة بن المطلب فاقبلت انا وام مسطح قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت ام مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت فيما ذا اتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اى هنتاه اولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضى فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تيكم فقلت اتأذن لى آتى ابوى وحينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لى من الغد فجئت ابوى فقلت لامى يا امه ماذا يتحدث الناس به فقالت يابنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضئة (٢) عند رجل يحبها ولها ضرائر الا ا كثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا فمكثت تلك الليلة ابكى حتى اصبحت لا يرقى لى دمع ولا اكتحل بنوم قالت ثم اصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعليا حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق اهله فاما اسامة فاشار على النبى صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة اهله وبالذى فى نفسه من الود لهم فقال يارسول الله هم اهلك وما نعلم الا خيرا واما على فقال يارسول الله ان الله لم يضيق عليك النساء والنساء سواها كثير فان تسأل الجارية تصدقك فدعا بريرة فقال يابريرة رأيت شيئا يريبك فقالت والذى بعثك بالحق مارأيت عليها امرا قط اغمصه (٣) قط ا كثر من انها حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتى الداجن (٤) فتأ كله فقام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فاستعذر

(١) يقال نقه المريض اذا برىء وافاق وكان قريب العهد بالمرض لم يرجع اليه كمال صحته وقوته (٢) حسنة جميلة (٣) اتساهل عن الخبر فيه (٤) الداجن الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم

من عبد الله بن ابى فقال من يعذرنى من رجل بلغ فى اهلى اذاه فوالله ماعلمت الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلى الا معى فقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله انا اعذرك منه ان كان من اخواننا الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا ففعلنا ما امرتنا فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد كان قبل ذلك رجلا صالحا استحملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمرالله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال يعنى لسعد بن عبادة كذبت لعمرالله ليقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين وتبادر الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يسكتهم حتى سكتوا فكنت يومى ذلك لايرقى لى دمع ولا اكتحل بنوم وبت ليلتى كذلك فاصبح ابواى عندى وقد لبثت ليلتى ويومى لايرقى لى دمع ولا اكتحل بنوم وهما يظنان ان البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان وانا ابكى اذ استأذنت امرأة من الانصار على فاذنت لها فجلست تبكى فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس فلم يجلس قبل ذلك منذ قيل ماقيل ولقد لبثت شهرا لايوحى اليه بشيء فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس جلسة فقال اما بعد ياعائشة فانه قد بلغنى كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله ثم توبى اليه فان العبد اذا اذنب ثم تاب الى الله تاب الله عليه فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم مقالته قلص (١) دمعى حتى ما احس منه بقطرة فقلت لابى اجب رسول الله فيما قال فقال والله ماادرى مااقول لرسول الله فقلت لامى اجيبى رسول الله فقالت والله ماادرى مااقول لرسول الله وانى جارية حديثة السن لم اقرأ كثيرا من القرآن فقلت والله لقد علمت انكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى انفسكم فصدقتم به ولئن قلت انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى والله ما اجد لى ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا حينئذ اعلم انى بريئة وما كنت اظن ان الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى لشأنى فى نفسى كان احقر من ان يتكلم الله فى بامر ولكنى كنت ارجو ان يرى الله نبيه فى النوم

(١) قلص ارتفع وذهب وقد تشدد اللام للمبالغة

رؤيا يبرأني الله بها فوالله ما رام رسول الله مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى اخذه ما كان يأخذه من البرحاء (١) قالت وهو العرق حين ينزل عليه الوحى وكان اذا اوحى اليه يأخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر عليه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القرآن الذى انزل عليه فسرى عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت اول كلمة تكلم بها ان قال ياعائشة اما بعد فقد برأك الله فقالت امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله فانزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الى آخر العشر الآيات كلها فلما انزل الله هذا كله فى براءتى قال ابوبكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين الآية فقال ابو بكر والله انى لاحب ان يغفر الله لى فارجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا وكان النبى صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش فقال لها يازينب ماذا علمت ورأيت قالت له زينب ماعلمت ولا رأيت الا خيرا احمى سمعى وبصرى قالت وهى التى كانت تساميني من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع فطفقت اختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك من اهل الافك (٢) ولد المترجم سنة اثنتين وتسعين ومائة ومات وهو قاضى مصر سنة اربع وسبعين ومائتين وهذا وهم والمحفوظ انه مات سنة ست وسبعين وقال محمود بن هلال يرثى اخاه المترجم ويرثى الهيثم ابن اخيه

ايا ايها القبر ان شوقى اليكما　　طويل وقدافنيت دمعى عليكما
تضمنتما دونى حبيبين فاطفا　　وشخصين حلا بين حفرتيكما
حبيبين كانا مؤنسين فاصبحا　　برعى على طول البلا مؤنسيكما

---

(١) البرحاء شدة الكرب من ثقل الوحى (٢) هذا الحديث رواه احمد فى مسنده وخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره وعبدالرزاق الرستغنى من طريق موفق الدين ابن قدامة فى تفسيره حل الرموز ومفاتيح الكنوز وقال ابن جرير والرستغنى قال الزهرى حدثنى بطائفة من حديث عائشة جماعة من التابعين وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الذى حدثنى وبعضهم حدثنى يصدق بعضهم بعضا ثم ساقا الحديث وهو لايختلف عما هنا الا بالفاظ يسيرة وقال الرستغنى هذا حديث متفق على صحته واخرجه مسلم عن اسحاق بن راهويه عن عبدالرزاق

سلام ورضوان وروح ورحمة ومغفرة المولى على اكنيكما

(ذكر من اسم ابيه عيسى من الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن عيسى بن على بن ماهان ابو جعفر الرازى المعروف بالحوال سمع الحديث بدمشق من جماعة وروى عنه جماعة وبسندنا اليه ثم الى اسامة بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كذب على معتمدا فليتبوا مقعده من النار (١) ورواه ابو نعيم من هذا الطريق وبالسند اليه ايضا الى عرفجة الثقفى انه قال كان على بن ابى طالب رضى الله عنه يأمر الناس بقيام رمضان ويأمر للرجال بأمام وللنساء بامام ورواه البيهقى ايضا وقال ابو نعيم كان المترجم صاحب غرائب وحديث كثير قدم علينا سنة تسع وثمانين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن عيسى بن يوسف ابو جعفر سمع الحديث بدمشق وروى عنه ابن عدى وبالسند اليه ثم الى البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه واخذ بيده قال فقلت يارسول الله ما كنت احسب هذه المصافحة الامن اخلاق الاعاجم وسنتهم فقال ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا لم يتاركا حتى يغفر لهما وكان تحديث المترجم بدمشق سنة اربع واربعين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن عيسى ابو سعيد الخراز الصوفى البغدادى اعتنى بالحديث ورواه عن جماعة وروى عنه جماعة واجتاز بصيدا فى سياحته وبالسند اليه ثم الى عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء الخلق شؤم وشراركم اسوئكم خلقا ورواه ابو نعيم والخطيب البغدادى وقال ابو عبد الرحمن السلمى كان ابو سعيد الخراز امام القوم فى كل فن من علومهم يعنى الصوفية بغدادى الاصل له فى مبادى امره عجائب وكرامات مشهورة ظهرت بركته عليه وعلى من صحبه وهو احسن القوم كلاما ماخلا الجنيد فانه الامام وقيل ان اول من تكلم فى علم الفناء والبقاء ابو سعيد الخراز وقال الخطيب البغدادى كان الخراز من كبار شيوخنا وكان احد المذكورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية والمجاهدة وحدث شيئا يسيرا عن ابراهيم بن بشار صاحب ابراهيم بن

(١) اجمع العلماء على ان هذا الحديث متواتر وهو يفيد العلم اليقينى

ادهم وعن غيره وقال ابو القاسم القشيري صحب الخراز ذا النون المصري والنباجي
وابا عبيد البسري والسري وغيرهم ومات سنة سبع وسبعين ومائتين ومن كلامه
كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بيني وبينهم
خلف فقالوا لم قال لاني كنت معهم على نفسي وقال ابن ماكولا الخراز بخاء
معجمة وبعدها راء واخره زاي ابو سعيد الصوفي له تصانيف وقال ابو بكر
الطرسوسي الخراز قمر الصوفية وقال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ماعليه ابو سعيد
الخراز لهلكنا قال علي الدينوري قلت لابراهيم بن شيبان واي شيء كان حاله فقال
اقام كذا وكذا سنة يخرز ما فاته الحق بين الخرزتين وسئل الخراز هل يصير
العارف الى حال يجفوا عليه البكاء قال نعم ان البكاء في اوقات سيرهم الى الله فاذا
نزلوا بحقائق القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم وقال المرتعش الخلق
كلهم عيال على ابي سعيد الخراز اذا تكلم هو في شيء من الحقائق وقال الجلا
بلغني ان الخراز كان مقيما بمكة وكان من افقه الصوفية وكان له ابنان فات احدهما
قبله فرآه في المنام فقال له يابني اوصني فقال يا ابت لاتعامل الله الا على الحق
قال يا بني زدني قال لاتخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني قال لاتطيق قال قل قال
لاتجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس القميص ثلاثين سنة فقال لابراهيم
الخواص ذلك فقال كان احجب ما كان من ربه في ذلك الوقت وقال الكتاني
سمعت الخراز يقول الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت ثان وكان يقول من ظن
انه ببذل المجهود يصل فتعني ومن ظن انه بغير الجهد يصل فتمني وقال ابو القاسم
بن مردان كان عندنا بنهاوند فتى يصحبني وكنت انا اصحب ابا سعيد الخراز فكنت
اذا رجعت حدثت ذلك الفتى ما اسمع من ابي سعيد فقال لي ذات يوم ان سهل
الله لك الخروج خرجت معك حتى اري هذا الشيخ الذي تحدثني عنه فخرجت
وخرج معي ووصلنا الى مكة فقال لي ليس نطوف حتى نرى ابا سعيد فقصدناه
وسلمنا عليه فقال الشاب مسألة ولم يحدثني انه يريد ان يسأل عن شيء فقال له
الشيخ سل فقال ماحقيقة التوكل فقال الشيخ ان لاياخذ الجة من حمولا وكان
الشاب قد اخذ جة من حمولا وهو رئيس نهاوند وما علمت به انا فورد على الشاب
امر عظيم وخجل فلما رأى الشيخ ماجاء به عطف عليه وقال ارجع الى سؤالك
ثم قال ابو سعيد كنت اراعي شيئا من هذا الامر في حداثتي فسلكت بادية الموصل

فبينما انا سائر اذ سمعت حسا من ورائي فحفظت قلبي عن الالتفات فاذا الحس قد دنا مني واذا سبعين قد صعدا على كتفي فلحسا خدي فلم انظر اليهما حيث صعدا ولا حيث نزلا وقال الخراز قال لي بعض مشايخي عليك بمراعاة سرك والمراقبة قال فبينما انا اسير بالبادية اذ انا بخشخشة خلفي فهالني ذلك واردت ان التفت فلم التفت فرأيت شيئا واقفا على كتفي فانصرف وانا مراعي لسري ثم التفت فاذاسبع عظيم وقال القشيري حكى عن ابي سعيد الخراز انه قال كنت في بعض الاسفار وكان يظهر لي كل ثلاثة ايام شيء فآكله واستقل فمضت ثلاثة ايام في بعض الاوقات ولم يظهر لي شيء فضعفت وجلست فهتف بي هاتف يقول لي ايما احب اليك سبب او قوة فقلت القوة فقويت من وقتي ومشيت اثنى عشر يوما لم اذق شيئا ولم اضعف وقال الخراز العلم من استعملك و ليقين ما حملك وقال رأيت ابليس في النوم وهو يرعني ناحيته فقلت تعالى فقال ايش اعمل بكم السبتم طرحتم عن نفوسكم ما اخادع به الناس قلت وما هو قال الدنيا فلما ولى عني التفت الي وقال غير ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث وقال ايضا رأيت ابليس في منامي وكان بيدي عصا فرفعته لاضربه فقال لي قائل هذا لايقرع بالعصا فقلت له باي شيء يقرع قال من نور مكنون في القلب . وقال ليس في طبع المؤمن قول لا وذلك انه اذا نظر الى مابينه وبين ربه من احكام الكرم استحيا ان يقول لا . وجاء يوما الى رجل من ابناء الدنيا فقال له جئتك من عنده وانا اعوذ به منك وانت تشهد لي بذلك فلا تردني اليه . وقال اذا صدق المريد في بدايته ايده الله بالتوفيق وجعل له واعظا من نفسه كما روى في الحديث وذلك اني اصبت ميزانا ازن به القوت واتقال كل يوم منه شيئا موزونا معلوما ولزمت العزلة مع ذلك فكأني خوطبت في سري فسمعت قائلا يقول اذا انت اكلت الطعام في كل ليلة فبماذا تفضل على سائر الناس ولكن اجمله في كل ليلتين اكلة فلزمت ذلك وقتا وصعب على جدا وذلك لامن طريق نفسي وامتناعها علي ولكن لعلمي بان الطي منزلة عظيمة عالية وهبة من الله جزيلة رفيعة لايعطيها الا من عرف قدرها فرغبت الى الله تعالى فيها فسألته ادامتها لي والتفضل بها على فوهبها لي بفضله ومنه فكنت آكل ذلك القوت الذي كنت آكله في كل ليلة واحدة اتناوله في ليلتين وكانت الليلة التي اطويها يأتيني شخص جميل حسن البشرة نظيف الثياب بجام ابيض فيه

عسل فيقول لى كل فالعقه واصبح شبعان وهذا فى المنام ثم فنى القوت الذى ادخرته فكنت اجيء بعض الطرقات اذا اختلط الظلام الى موضع اصحاب البقل فالتقطمنه ماسقط منهم وبقيت على ذلك ايضا وقتا كبيرا ثم كنت اخيط القميص فى القرية لقوم مساكين واكتفى باجرته اياما فبينما انا يوما مارا اريد القرية فى طلب الخياطة رأيت مسجدا فى وسط مقبرة وفيه سدرة كبيرة وفيها نبق اخضر مباح فقلت فى نفسى هذا المباح ههنا وانت تريد معاشرة الناس ومعاملتهم فلزمت المقابر اتقلل من ذلك النبق واخذ منه دون البلغة حتى فنى النبق ولم يبق منه شيء ثم بقيت بعد ذلك سنين وقوتى العظام ثم مكثت بعد العظام وقوتى الطين اليابس والرطب من الانهار فكنت لا افرق احيانا بين الطين الرطب اذا اخذته من النهر وبين الخبيص من طيبه عندى وما وجدت لاختلاف هذه الاحوال صيفا ولا شتاء ضيقا من عقل ولا ضعفا فى بدن وكنت عند البقل اضعف اذا تناولته . وقال ابو بكر الكتانى تكلم ابو سعيد الخراز بمكة بمسألة علم فانكروا عليه فوجه اليه الامير يقول له قم فاخرج من مكة فتناول نعله وقام ليخرج فقلنا له اجلس يا ابا سعيد حتى ندخل على الامير ونخاطبه ونعرفه بمكانك فقال معاذ الله اسكتوا فلو قال غير هذا اتهمت حالى فيما بينى وبين الله هذا صد من اين يقبلنى الا لعلة فى وخرج وقال ذنوب المقربين حسنات الابرار . وقال احمد بن شاكر القيروانى ذكر عند المعلم ابى سعيد الخراز اقوام يظهر عليهم سرعة الانتساب الى الله تعالى عند الحوادث ونزول الاحكام فقال ان ابعد الناس عن الله من يدعى الاشارة والقرب واكثرهم اليه اشارة امقتهم عنده . وقال اقل مايلزم المسافر فى سفره اربعة اشياء يحتاج الى علم يسوسه وذكر يؤنسه وورع يحجزه ونفس تحمله فاذا كان هكذا لم يبال اكان بين الاحياء ام بين الاموات . وقال الرضا قبل القضا تفويض والرضا مع القضا تسليم وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان هل جزاء من انقطع عن نفسه الا التعلق بربه واهل جزاء من انقطع عن انس المخلوقين الا الانس برب العالمين وهل جزاء من صبر علينا الا الوصول الينا ومن وصل الينا هل يحمل به ان يختار علينا وهل جزاء التعب فى الدنيا والنصب فيها الا الراحة فى الآخرة وهل جزاء من صبر على البلوى الا التقرب الى المولى وهل جزاء من سلم قلبه الينا ان نجعل توليته الى غيرنا وهل جزاء من بعد عن الخلق الا التقرب الى الحق .

وقال فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من احسن اليها واعجبا ممن لايرى محسنا غير الله كيف لايميل بكليته اليه وقالت اخته فاطمة سمعت اخى الخراز يقول فى تفسير قوله تعالى ولله خزائن السموات والارض خزائنه فى السموات العفو وفى الارض القلوب لان الله جعل قلب المؤمن بيت خزائنه ثم ارسل رياحا فهبت فكنسته من الشرك والكفر والنفاق والغش والخيانة ثم انشأ سحابة فامطرت ثم انبتت فيه شجرة تحمل الرضا والمحبة والشكر والصفوة والاخلاص والطاعة فهو قوله اصلها ثابت وقال الدقاق قال لى سعيد بن ابى سعيد الخراز طلبت من ابى دانق فضة فقال لى يا بنى اصبر فلو اراد ابوك ان تركب الملوك الى بيته ماتأبوا عليه . وقال بقيت احدى عشر سنة اتردد من مكة الى المدينة ومن المدينة الى مكة اريد الحج حجة لا ارى مكة وارى رب مكة فما صح لى منه يقين فلما كان بعد احدى عشرة سنة وانا راجع من المدينة الى مكة ترآءى لى من بعض الجن فقال لى يا ابا سعيد والله لقد رحمتك من كثرة ترددك فى هذا الموضع وقد حضرنى فيك ابيات قلت هات فانشأ يقول

اتيه فلا ادرى من التيه من انا سوى ما يقول الناس فى وفى جنسى
اتيه على جن البلاد وانسها فان لم اجد خلقا اتيه على نفسى

قال ابو سعيد فقلت له اسمع يا من لا يحسن يقول ان كنت تحسن ان تسمع وقلت

ايا من يرى الاسباب اعلى وجوده ويفرح بالتيه الدنىّ وبالانس
فلو كنت من اهل الدنو لغبت عن مباشرة الاملاك والعرش والكرسى
وكنت بلا حال مع الله واقفا تصان عن التذكار للجن والانس
فاسمع صفاتى فى الوجود فاننى اذا غبت عن نفسى كغيبوبة الشمس
وقامت صفاتى للمليك بأسرها وغابت صفاتى حين غبت عن الحس
وغاب الذى من اجله كان غيبتى فذاك فنائى فافهموا يا بنى جنسى
فهذا وجودى فى المغيب بحاله اقربه حتى يوارى الثرى رمسى
ولست ابالى بعد موتى بصرعتى ولو صير المحبوب دار الشقا حبسى
اذا كان ودى فى ضميرى ثابتا وكان يرانى فى العذاب هو عرسى

وقال كنت بالبادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسئال الله طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسئال الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت ها تفا يقول

ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا
ويسئالنا القوى جهداوصبرا كأنا لا نراه ولا يرانا

قال فاخذني الاستقلال من ساعتي وقت ومشيت . وقال الزهد ان لا يرغب قلبك في مرغوب الدنيا ولا يسكن الى موجودها . وقال كنت بمكة ومعي رفيق لي من الورعين فاقمنا ثلاثة ايام لم نأكل شيئا وكان بحذا ئنا فقير معه كزبرة وركوة مغطاة بقطعة خيش وربما كنت اراه يأكل خبزا حواريا فقلت في نفسي والله لا قولن لهذا نحن الليلة في ضيافتك فقلت له فقال لي نعم وكرامة فلما جاء وقت العشا جعلت اراعيه ولم ار معه شيئا فمسح بيده على سارية فوقع على يده شئ فناولني فاذا درهمان ليس يشبهان الدراهم فاشترينا خبزا وادا ما فلما مضى لذلك مدة جئت اليه وسلمت عليه وقلت انى ما زلت اراعيك تلك الليلة وانا احب ان تعرفني بم وصلت الى ذلك فان كان مما يوصل اليه بعمل فحدثني فقال يا ابا سعيد ما هو الاحرف واحد قلت ما هو فقال تخرج قدر الخلق من قلبك تصل الى حاجتك . وقال ايضا دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم افكرت في نفسي انى سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل بالحفرة فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الى القرية . وقال المحب يتعلل الى محبوبه بكل شئ ولا يسئال عن شئ ويتبع اثاره ولا يدع استخباره وانشد

اسائلكم عنها فهل من مخبر فمالي بنعمى بعد مكثتنا علم
فلو كنت ادرى اين خيم اهلها واى بلاد الله اذ ظعنوا اموا
اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها ولو اصبحت نعمى ومن دونها النجم

وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول في آخر نفسه

حنين قلوب العارفين الى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسر
اديرت كؤوس للمنايا عليهم فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي السكر
همومهم جوالة بعسكر به اهل ودّ الله كالانجم الزهر
واجسامهم في الارض تبلى بحبه وارواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرّسوا الا بقرب حبيبهم وما عرجوا عن مس بؤس ولا ضر

قال ابو بكر ابن ابي العجوز مات الخراز سنة سبع واربعين ومائتين او سنة سبع وسبعين ومائتين انتهى قال الخطيب البغدادي لا شك ان القول بانه توفي سنة سبع واربعين باطل واما القول الثاني فانه اقرب الى الصواب ان كان محفوظا وقيل مات سنة ست وثلاثين

﴿ احمد ﴾ بن عيسى ابو جعفر القمي نزيل بيروت حدث عن ابي عبد الرحمن النسائي وروى عنه ابن مندة وغيره وبالسند اليه من طريق النسائي الى عدي بن حاتم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ماقدم من عمله وينظر ايسر منه فلا يرى الا ماقدم من عمله وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة قال الاعمش وحدثني عمرو بن مرة الجملي مثله وزاد فيه ولو بكلمة طيبة ورواه الامام احمد بلفظ مامنكم من احد الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن ايمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر عن اشام منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل

(حرف الغين في اباء احمدين)

﴿ احمد ﴾ ويقال محمد بن الغمر بالغين المعجمة ويقال ابن ابي الغمر الدمشقي حكى عن ابي بكر بن عياش وعمر المؤملي العدوي وروى عنه يونس بن عبد الاعلى الصدفي وغيره وقال قال ابن عياش من امن ان يستثقل ثقل وقال ايضا قال مسلمة لجلسائه اي بيت من الشعر احكم قالوا

الذي صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه

ارادوا انه لما علاه قال للباطل ابعد فقال مسلمة انه والله ما وعظني شعر قط ما وعظني شعر ابن حطان حين يقول

افي كل عام مرضة ثم نقهة وتنعى ولا تنعى متى ذا الى متى
فيوشك يوم او يوافق ليلة يسوقان حتفا راح نحوك او غدا

فقال له رجل من جلسائه اني والله ما سمعت باحد اجل الموت ثم افناه قبله حيث يقول

لم يعجز الموت شيء دون خالقه ثان اذا ما ناله الاجل
وكل كرب امام الموت متضع للموت والموت فيما بعده جلل

فقال عبد الاعلى

من كان حين تصيب الشمس جبهته او الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته فسوف يسكن يوما راغما جدثا
في قعر مقفرة غبراء مظلمة يطيل تحت الثرى في جوفها اللبثا

وقال المترجم في تفسير قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان الفارض الكبيرة المسنة التي ليس فيها ركوب والبكر هي الصغيرة وانشد

وانت الذي اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقام على زجل
ولم تعطه بكرا فترضى سمينه فكيف يجازى بالمودة والفضل

﴿ احمد ﴾ بن الغمر بن ابي حماد الحمصي روى الحديث عن جماعة ورواه عنه جماعة روينا عنه عن علي رضي الله عنه انه قال الا اخبركم بخير الناس بعد نبيكم ابو بكر وعمر ثم الناس مستوون وعن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصيح صائح يوم القيامة اين الذين اكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا فيجلسون على منابر من نور يحدثون الله عز وجل والناس في الحساب وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل ممن كان قبلكم بجمجمة فوقف عليها وجعل يفكر فقال يا رب انت انت واما انا فانت العوّاد بالمغفرة وانا العوّاد بالذنوب فقيل له ارفع رأسك فانت العواد بالذنوب وانا العواد بالمغفرة فغفر له

(حرف الفاء فى آباء الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن فارس بن احمد ابو بكر القرشي لم يقع لى اسم من حدث عنه وحكى الحسين الرازى انه من مشايخ دمشق وانه مات سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن الفرات بن خالد ابو مسعود الضبي الرازى الحافظ احد الائمة الثقات والحفاظ الاثبات سمع الحديث بدمشق وغيرها عن جماعة وروى عنه ابو داود فى سننه وغيره ومما اتصل بنا بالسند اليه الى ابى بن كعب انه قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه صلى بهم فقرأ بسورة من الطوال ثم ركع خمس ركوعات وسجد سجدتين ثم قام الثانية فقرأ بسورة من الطوال ثم ركع خمس ركوعات ثم سجد سجدتين وجلس كما هو مستقبل القبلة حتى انجلى كسوفها اخرجه ابو داود فى سننه عن ابى مسعود وعن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة وعندها صبي تسيل منخراه دما فقال ما هذا قالوا انه العذرة فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امرأة اصاب ولدها العذرة (١) او وجع فى رأسه فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه به قال فامرت عائشة فصنعت ذلك به فبرأ وفى بعض الفاظه سقط قوله بماء ورواه ابو نعيم وقال مسلم احمد بن الفرات سمع ابا داود الطيالسى وقال النسائى سكن اصبهان وحدث عن نفسه فقال كنا نتذاكر الابواب فخاضوا فى باب فجاؤا بخمسة احاديث فجئتهم انا بآخر فصار سادسا فنخس احمد بن حنبل فى صدرى يعنى لاعجابه به وقال

---

(١) العذرة بضم العين وجع فى الحلق يهيج من الدم وقيل هى قرحة تخرج فى الخرم الذى بين الانف والحلق تعرض للصبيان عند طلوع العذرة فتعمد المرأة الى خرقة فتفتلها فتلا شديدا وتدخلها فى انفه فتطعن ذلك الموضع فيتفجر منه دم اسود وربما اقرحه وذلك الطعن يسمى الدغر يقال عذرت المرأة الصبى اذا غمزت حلقه من العذرة او فعلت به ذلك وكانوا بعد ذلك يعلقون عليه علاقا كالعوذة قاله فى النهاية والحديث رواه احمد وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة

احمد بن حنبل لبعض اهل اصبهان ما اعرف اليوم اعرف بمسندات رسول الله من ابن الفرات وقال ابو عروبة هو فى عداد ابن ابى شيبة فى الحفظ واحمد ابن سليمان الرهاوى فى التثبت وكان يقول كتبت عن الف وسبعمائة وخمسين رجلا فادخلت فى تصنيفى ثلا ثمائة وعشرة وعطلت سائر ذلك وكتبت الف الف حديث وخمسمائة الف حديث فاخذت من ذلك ثلا ثمائة الف فى التفاسير والاحكام والفوائد وغيره وقدم مصر فاستلقى على قفاه وقال لاتأخذوا حديث مصر قال فجعل يقرأ علينا شيخا شيخا من قبل ان يلقاهم وحكى انه ورد اصبهان ولم تكن كتبه معه فاملى كذا وكذا الف حديث عن ظهر قلبه فلما وصلت الكتب اليه قوبلت بما املى فلم يختلف الا فى مواضع يسيرة وكان يقول وددت انى اقتل فى حب ابى بكر وعمر وكان يقول حضرت مجلس يزيد بن هارون فاملى ثلاثين حديثا فحفظتها فجئت الى منزلى اعلق فعلقت منها ثلاثة فجاءت الجارية وقالت مولاى فنى الدقيق فنسيت سبعة وعشرين وبقيت ثلاثة وقال ابن خراش ان احمد بن الفرات يكذب متعمدا قال ابن عدى وهذا الذى قاله ابن خراش تحامل ولا اعرف لابن الفرات رواية منكرة وهو من اهل الصدق والحفظ وقال ابو نعيم الحافظ هو من الطبقة السابعة اقام باصبهان يحدث بها خمسة واربعين سنة توفى فى شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين وهو احد الائمة والحفاظ صنف المسند والكتب وقال ابو بكر الخطيب هو احد حفاظ الحديث ومن كبار لائمة فيه وكان قد سافر كثيرا وسمع وجمع فى الرحلة بين البصرة والكوفة والحجاز واليمن والشام ومصر والجزيرة وكفى علماء عصره وورد بغداد فى حياة ابى عبد الله احمد ابن حنبل وذاكر حفاظها بحضرته وكان احمد يقدمه ويكرمه واستوطن بعد ذلك اصبهان الى آخر عمره وكانت بها وفاته

﴿ احمد ﴾ ابن الفرج بن سليمان ابو عتبة الكندى الحمصى المعروف بالحجازى المؤذن قدم دمشق حاجا وروى بها عن جماعة وروى عنه ابو عبد الرحمن النسائى وجماعة ومما اتصل باسندنا اليه ثم الى انس بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليكم بالباءة فمن لم يستطع

فعليه بالصيام فانه له وجاء (١) قال ابن ابى حاتم محل احمد بن الفرج عندنا
على الصدق وضعفه عبد الملك بن محمد بن عوف قال ابن عدى وابو عتبة
مع ضعفه احتمله الناس ورووا عنه وهو وسط ليس ممن يحتج بحديثه او
يتدين به الا انه يكتب حديثه وقال ابو بكر الخطيب فى اثناء ذكر من
روى عنه فقد روى عنه عبد الله بن احمد بن حنبل ومحمد بن جرير الطبرى
وقال ايضا قدم العراق فكتبوا عنه واهلها حسنوا الرأى فيه لكن ابو جعفر
محمد بن عوف بن سفيان الطائى كان يتكلم فيه ورأيت احمد بن عمير يضعف
امره وقال ابن ماكولا ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ومات سنة احدى
وعشرين وثلاثمائة وهذا وهم فى وفاته والصواب انه توفى سنة احدى
وسبعين وقال ابو هاشم عبد الغافر بن سلامة قال محمد بن عوف ان الحجازى
يعنى المترجم كذاب كتبه التى عنده لضمرة وابن ابى فديك من كتب احمد
ابن النضير وقعت اليه وليس عنده فى حديث بقية بن الوليد الزبيدى اصل هو
فيها اكذب خلق الله انما هى احاديث وقعت اليه فى ظهر قرطاس كتاب
صاحب حديث فى اولها مكتوب نا يزيد بن عبد ربه نا بقية ورأيته عند بنى
ابى عبيدة فى سوق الرستن وهو يشرب مع فتيان ومردان وهو يتقاياها يعنى
الخمر وانا فى كوة مشرف عليه فى بيت كان لى فيه بحارة السوق سنة
تسع عشرة ومائتين وكانى اراه وهو يتقاياها وهى تسيل على لحيته وكان
ايام ابى الهرماس يسمونه الغداف وكان له ترس فيه اربع مسامير اذا اخذوا
رجلا يريدون قتله صاحوا به اين الغداف فيجيء فانما يضربه بها اربع ضربات
حتى يقتله وقد قتل غير واحد بترسه ذاك وما رأيته والله عند ابى المغيرة قط
وانما كان يتغنى فى ذلك الزمان وحدث عن عقبة بن علقمة وبلغنى ان عنده
كتابا وقع اليه فيه مسائل ليست من حديثه فوقفه عليها فتى من اصحاب الحديث
وقال اتق الله يا شيخ قال محمد بن عوف وبلغنى انه حدث حديثا عن ابى

(١) هذا الحديث وجدناه فى الاصل هكذا والذى رويناه فى الصحيحين ومسند احمد وسنن ابى داود والترمذى والنسائى يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والباءة الجماع والوجاء الخصاء اراد ان الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الاختصاء

اليمان عن شعيب بن ابى حمزة عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة فاشهد بالله انه كذاب ولقد نسخت كتب ابى اليمان لشعيب ما لا احصيه واخذت عليها الدراهم غير مرة كنت اكتب الجزء بثلاثة دراهم صحاح فكيف يحدث الجازى عند بهذا الحديث حديث ابى الزناد فينبغى ان يكون شيطان لقنه اياه قال ابو هاشم وكان ابو عتبة يعنى المترجم جارنا وكان يخضب بالحمرة وكان مؤذن المسجد الجامع وكان عمى واصحابنا يقولون انه كذاب فلم نسمع منه شيئا

﴿ احمد ﴾ بن فضالة بن الصفر بن فضالة بن سالم اللخمى حدث عن ابيه وروينا من طريقه ان عمر بن الخطاب ارسل الى كعب فقال يا كعب كيف تجد نعتى قال اجد نعتك قرن حديد قال وما قرن حديد قال لا تخاف فى الله لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون خليفة من بعدك تقتله امته ظالمين له قال ثم مه قال ثم يقع البلاء بعد

﴿ احمد ﴾ بن الفضل بن العباس ابو بكر النهروانى الدينورى المطوعى سمع الحديث من ابى جعفر الطبرى وجماعة وروى عنه جماعة وحدث بدمشق قال محمد بن ابى نصر الحميدى فى تاريخ الاندلس دخل الاندلس وحدث بها وقال عبد الله الفرضى القاضى فى تاريخ الاندلس ايضا كان المترجم يخبر عن نفسه ان مولده بالدينور وانه تحول الى بغداد وكان يكتب كتابة ضعيفة يخل بالهجاء ولزم محمدا ابن جرير الطبرى وخدمه وتحقق به وسمع منه مصنفا ته فيما زعم ولم يكن ضابطا لما روى وكان عنده منا كير وقد تساهل الناس فيه وسمعوا منه كثيرا وقال لى محمد بن يحيي لقد كان الدينورى بمصر تتلاعب به الاحداث ويتغامزون عليه ويسرقون كتبه وما كان ممن ... عنه بحال ثم قدم الاندلس فاجفل الناس اليه وازدحموا عليه توفى بقر... سنة تسع واربعين وثلاثمائة وقد بلغ من السن اثنتين وثمانين سنة

﴿ احمد ﴾ بن الفضل بن عبيد الله ابو جعفر الصائغ اصله مروزى سكن عسقلان وسمع الحديث بدمشق ومصر وروى عنه ابن خزيمة وجماعة وروينا بسندنا من طريقة الى ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

الرهن لا يغلق زاد سعيد بن المسيب فى روايته له غنمه وعليه غرمه (١)

﴿ احمد ﴾ بن فياض بن اسماعيل بن الفياض بن عبد الرحمن القرشى سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة مات سنة ست وتسعين ومائتين وروينا من طريقه حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا الحديث

﴿ احمد ﴾ بن الفيض اظنه اخا محمد بن الفيض بن محمد الغسانى روينا من طريقه عن سعيد المقبرى عن ابيه ان ابا هريرة ومروان كانا مع جنازة فجلسا قبل ان توضع فجاء ابو سعيد الخدرى فاخذ بيد مروان فقال قم فوالله لقد علم هذا لابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان فى جنازة لم يجلس حتى توضع قال ابو هريرة صدق

(حرف القاف فى آباء الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن القاسم بن عبيد الله بن مهدى ابو الفرج البغدادى ابن الخشاب الحافظ سكن طرسوس وحدث بدمشق عن ابى القاسم البغوى ومحمد الباغندى وابى بكر بن ابى داود ومحمد بن جرير الطبرى والطحاوى وعن جماعة وروى عنه الدارقطنى وتمام الرازى وجماعة واخبرنا عبد الكريم ابن حمزة من طريقه عن حميد الطويل انه قال كنا اذا اتينا انس بن مالك قال لجاريته قدمى لاصحابنا ولو كسرا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مكارم الاخلاق من اعمال الجنة وروينا من طريقه عن هلال الراى انه كان يقول اوثق المودات ما كان فى الله عز وجل توفى المترجم سنة اربع وستين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن القاسم بن عبد الوهاب بن ابان بن خلف ابو الحسن الجمحى روى الحديث عن جماعة وروى عنه ابو الحسين الرازى والد تمام

---

(١) يقال غلق الرهن اذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تحصيله والمعنى انه لا يستحقه المرتهن اذا لم يستفكه صاحبه وكان من افعال الجاهلية ان الراهن اذا لم يؤد ما عليه فى الوقت المعين ملك المرتهن الرهن فابطل الاسلام هذا العمل وقوله له غنمه وعليه غرمه معناه عليه اداء ما يفكه به وله نماؤه وفاضل قيمته

وروينا من طريقه ان الامام الشافعي كان يقول رأيت بالمدينة اربع عجائب ابنة احدى وعشرين سنة جدة ورأيت رجلا فلسه القاضي في مدين نوى ورأيت شيخا كبيرا يدور على بيوت القيان راجلا يعلمهم الغناء فاذا حضرت الصلاة صلى قاعدا ورأيت رجلا يكتب بالشمال اسرع من اليمين

﴿ احمد ﴾ بن القاسم بن عطية ابو بكر الرازي البزار الحافظ سمع بدمشق وبغيرها وروى عنه جماعة روينا بسندنا من طريقه الى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رضاء الرب في رضاء الوالد وسخطه في سخط الوالد وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال اكتب ما هو كائن من عمل او اثرا او رزق او اجل فكتب ما يكون وما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وروينا من طريقه ان ابن عينية كان يقول من طلب الحديث فقد بايع الله قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم احمد بن القاسم بن عطية كتبنا عنه وهو صدوق ثقة

﴿ احمد ﴾ بن القاسم بن معروف ابو بكر التميمي ولد بسامرا وقدم مع ابيه دمشق فسكناها روى عن ابي زرعة الدمشقي وجماعة وروى عنه تمام الرازي وابن مندة وجماعة وروينا من طريقه عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فرغ الله الى كل عبد من خلقه من خمس من اجله وعمله واثره ومضجعه ورزقه قال ابو الحسن الميداني توفي المترجم في شعبان سنة ثمان واربعين وثلاثمائة قال عبد العزيز الكتاني وكان شيخا مسنا ولم يكن عنده حديث كثير وكان ثقة مأمونا

﴿ احمد ﴾ بن القاسم بن يوسف بن فارس بن سوار المتانحي القاضي روى عن المحاملي والخلال وجماعة وروى عنه جماعة واخبرنا ابو القاسم ابن السمرقندي من طريقه بالسند الى ابي رزين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل الا طيبا ولا تضع الا طيبا وكان سماع المترجم باطرابلس سنة اربع وستين وثلاثمائة

(حرف الكاف في آباء الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن كثير الصالحي حكى عنه اسحاق بن ابراهيم الاذرعي الحكاية التي تقدمت عند الكلام على مغارة الدم من جبل قاسيون

﴿ احمد ﴾ بن كعب بن خريم بخاء معجمة مضمومة ثم راء مفتوحة ابو جعفر المزي كان يسكن بالراهب وهي محلة خارج باب الجابية قبلي المصلى ومسجد فلوس من شرقيه سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة وقد روينا من طريقه عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ورواه الخطيب البغدادي وتمام توفي المترجم سنة اثنتين وسبعين ومائتين

﴿ احمد ﴾ بن كيغلغ ابو العباس ولي امرة دمشق غير مرة في ايام المقتدر اول ذلك سنة اثنتين وثلاثمائة وقدم تكين الخاصة واليا لها في المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة ثم وليها مرة اخرى سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة في المحرم ثم عزل عنها سنة ثلاث عشرة وكان قبل ذلك قد ولي الغزو فغزا بلاد الروم من طرسوس اول سنة اربع وتسعين ومائتين فاخذ من العدو اربعة آلاف رأس سبي ودواب ومواشي كثيرة وامتعة وصار اليه احد البطارقة بالامان وولي امرة مصر من قبل المقتدر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ثم ولي مصر من قبل القاهر بالله سنة في شوال سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وجرت بينه وبين محمد ابن تكين الخاصة امور ثم خلص الامر لابن كيغلغ الى ان قدم محمد بن طغج بن حف الاخشيد اميرا على مصر من قبل الراضي بالله سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فسلم اليه مصر وكان اديبا ومما بلغني من شعره

مهما يكن للكاس في كفك يوم الغيم ابث
او ما تعلم ان للـغيوم ساق مستحث

ومن شعره

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطب
وادمى خدها لحظى وادمى لحظها قلبى

ومن شعره ايضا

واعطشى الى فم يمج خمرا من برد
ان قسم الناس فحسبك من كل احد

ومات اخوه ابراهيم بن كيغلغ سنة ثمان وثلاثمائة

(حرف اللام فى آباء الاحمدين)

﴿ احمد ﴾ بن لبيب بن عبد المنعم بن قابوس البزار المعدل سمع الحديث من جماعة وروى عنه جماعة ومن طريقه الى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر لم تقبل صلاته اربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه قالها ثلاثا فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من نهر الخبال قيل وما نهر الخبال قال صديد اهل النار ورواه عبد الرزاق

(حرف الميم فى آباء الاحمدين)

﴿ من اسم ابيه محمد مع مراعاة اسماء الاجداد من الاحمدين ﴾

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن سلامة بن بشر بن بديل ابو بكر العذرى حدث عن ابيه عن جد ابيه روى عنه ابو الحسين الرازى وابنه تمام ورويناه من طريقه عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما طلعت الشمس فى يوم قط افضل من يوم الجمعة ولا احب الى الله منه . هذا حديث غريب روى عن المترجم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد ابو بكر الكوفى الكندى المصيصى ثم الصيداوى حدث عن سلامة بن سعيد بن زياد ومحمد بن عثمان الصيداوى والحسن بن على البغدادى وروى عنه صالح الميانجى والحسن بن جميع ومن المروى لنا من طريقه عن تميم الدارى انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كفارة كل

مجلس ان تقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك حدث المترجم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن الربيع بن يزيد بن معيوف الهمذانى من اهل عين ثرما حدث عن جماعة وروى عنه تمام وغيره ومن طريقه عن ابى هريرة مرفوعا الامام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين (١)

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن يحيي بن جميع ابو بكر الغسانى الصيداوى العابد روى الحديث وروى عنه ومما اتصل بنا بسنده عن مالك عن جعفر بن محمد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد (٢) وكان المترجم يقوم الليل كله

---

(١) رواه ابو داود والترمذى ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما بلفظ فارشد الائمة واغفر للمؤذنين (٢) رواه احمد والترمذى بلفظه وزاد بلفظ آخر مع الشاهد الواحد وقال هو حديث غريب ورواه من طريق جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا انه قضى باليمين مع الشاهد الواحد قال وقضى بها على فيكم قال الترمذى والعمل على هذا عند بعض اهل العلم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم رأوا ان اليمين مع الشاهد الواحد جائز فى الحقوق والاموال وهو قول مالك بن انس والشافعى واحمد واسحاق وقالوا لا يقضى باليمين مع الشاهد الواحد الا فى الحقوق والاموال ولم ير بعض اهل العلم من اهل الكوفة وغيرهم ان يقضى باليمين مع الشاهد الواحد انتهى وروى الحديث ابن ماجة من ثلاث طرق عن ابى هريرة وعن جابر وعن ابن عباس ورواه عن سرق بلفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم اجاز شهادة الرجل ويمين الطالب ورواه الدارقطنى وعلل من اجاز ذلك بان الذى هنا قوى جانبه بالشاهد وظهر صدقه اشبه صاحب اليد والمنكر لقوة جانبه وهذا هو الذى استقر عليه مذهب اصحاب الامام احمد قالوا ويجب تقديم الشاهد على اليمين لان اليمين انما شرعت فى حقه لقوة جانبه ولا يقوى جانبه الا بشهادة الشاهد واستدل القائلون بذلك بحديث ابن عباس مرفوعا لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال اموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من انكر رواه البيهقى وغيره وبعضه فى الصحيحين بلفظ ولكن اليمين على المدعى عليه ورواه الشافعى عن ابن عباس بلفظ البينة على المدعى قال الشافعى واحسبه ولا اثبته واليمين على المدعى عليه فقالوا البينة كل ما بين صحة دعوى المدعى وشهد بصدقه والشاهد مع اليمين بينة وهؤلاء لهم مسالك لطيفة وهى انهم جعلوا القرائن من جملة البينة قالوا وقد كان شريح واياس ابن معاوية يحكمان فى الاموال المتنازع فيها بمجرد القرائن الدالة على صدق احد المتداعيين وقضى شريح فى اولاد هرة تداعاها امرأتان كل منهما

فاذاصلى الفجر نام الضحى فاذا صلى الظهر كان يصلي الى العصر فاذاصلى العصر نام الى قبل صلاة المغرب فاذا صلى العشاء قام الى الفجر وهذه كانت عادته فجاءه رجل ذات يوم يزوره بعد العصر فغفل فتحدث معه وترك عادة النوم فلما انصرف سأله الخادم عنه فقال هذا عريف الابدال يزورونى فى السنة مرة قال فلم ازل ارصده الى مثل ذلك الوقت حتى جاء الرجل فوقفت حتى فرغ من حديثه ثم سأله الشيخ اين تريد فقال ازور ابا محمد الضرير فى مغار قال الخادم فسألته ان يأخذنى معه فقال بسم الله فمضيت معه فخرجنا حتى صرنا عند قناطر الماء فاذن المؤذن المغرب قال ثم اخذ بيدى وقال قل بسم الله قال فمشينا دون العشر خطا فاذا نحن عند المغارة وهى مسير الى ما بعد الظهر قال فسلمنا على الشيخ وصلينا عنده وتحدثنا عنده فلما ذهب ثلث الليل قال لى تحب ان تجلس ههنا او ترجع الى بيتك فقلت ارجع فاخذ بيدى وسمى بسم الله ومشينا نحو العشر خطا فاذا نحن على باب صيدا فتكلم بشئ فانفتح الباب ودخلت ثم عاد الباب وحكى طلحة ابن ابى السكن خادم جد المترجم ان ابا الفتح بن الشيخ حبسه فى القلعة فاشتكت زوجته الى عمها المترجم فقال لها نعم العصر يكون عندك ان شاء الله فانصرفت قال فبينما انا جالس فى القلعة اذ بالقيد قد انفلق من رجلى واذا قائل يقول ابن طلحة فقلت ها انا فقال اخرج لا بأس عليك وان كان لك حاجة قضيت فانصرفت الى بيتى قبل العصر او العصر فلما صلى الشيخ العصر جاء الى بيتى يتوكأ على عكازه فاختبيت داخل البيت فقال اين هو فقالت المرأة اليس كنت عندك

تقول هى ولد هرتى قال شرع القها مع هذه فان هى قرت ودرت واسبطرت يعنى امتدت للارضاع فهى لها وان فرت وهرت وازبأرت يعنى تنفشت فليس لها وكان يقضى بذلك ابو بكر الشامى من الشافعية ورجح قوله ابن عقيل البغدادى من الحنابلة وقد روى عن الشافعى واحمد استحسان قول القافة فى سرقة الاموال والاخذ بذلك ونقل ابن منصور عن الامام احمد اذا قال صاحب الزرع افسدت غنمك زرعى بالليل ينظر فى الاثر فان لم يكن اثر غنمه فى الزرع لابد لصاحب الزرع من ان يجئ بالبينة وقال اسحاق بن راهويه مثل ماقال احمد قال لانه مدع وهذا يدل على اتفاقهما على الاكتفاء برؤية اثر الغنم وان البينة انما تطلب عند عدم الاثر نقل هذه الاقوال الحافظ ابن رجب البغدادى فى كتابه جامع العلوم والحكم والبحث طويل الذيل سترى منه اشياء متفرقة اثناء هذا الكتاب

وما سئالت فيه ولا مضيت الى احد فقال تخرج او اجى اخرجك فخرجت وبست رأسه عاش المترجم سبعا وتسعين سنة ووالده مثلها وجده مثلها ومات سنة احدى وسبعين وثلا ثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن الحسن بن سعيدابو على الاصبهانى المقرى سكن دمشق وصنف تصانيف فى القراآت وروى الحديث عن جماعة وروى عنه جماعة وتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلا ثمائة وكان شيخا فاضلا عالما مصنفا وقيل توفى سنة ثلاث وتسعين وثلا ثمائة ودفن بمقبرة باب الفراديس وكان من عباد الله الصالحين

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن سلمة ابو بكر بن ابى العباس الغسانى المعروف بابن ابى شمرام النحوى سمع الحديث من الخرايطى والزجاجى وجماعة وروى عنه جماعة وروينا من طريقه عن ابن عباس مرفوعا الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيها كثير من الناس وروى المترجم عن محمود الوراق قوله

ان كان شكرى نعمة الله نعمة على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر

توفى سنة تسع وثمانين وثلا ثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد ابو الحسين البغدادى الزعفرانى سكن دمشق وسمع بها ابا سليمان بن زبر فى رجب سنة ثمان وستين وثلا ثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد ابو الحسن الواسطى كتب عنه عبد الرحمن بن بكر الدينورى وحكى عنه انه انشد لابى العباس بن سريج فى كتاب المزنى

اصيق فؤادى منذ عشرين حجة وصيقل ذهنى والمفرج عن همى
عزيز على مثلى اعارة مثله لما فيه من نسج لطيف ومن نظم
جموع لاصناف العلوم باسرها وآيته ان لا يفارقه كمى

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن سليمان ابو زكريا النيسابورى الصوفى المعروف بابن الصائغ قدم دمشق وحدث بها عن احمد العمركى ومحمد السرخسى وروى عنه الكتانى وغيره ومما اتصل بنا من طريقه عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول لا يزال

امر هذه الامة عاليا على من ناواها حتى يملك اثنا عشر خليفة ثم قال كلمة خفية لم اسمعها فسألت ابى وهو اقرب اليه منى ما قال قال كلهم من قريش قال الكتانى قدم ابن الصائغ دمشق مع حجاج خراسان فى سنة خمس عشرة واربعمائة ولم ار شيخا للصوفية احسن خلقا منه وتوفى ليلة الجمعة لعشر بقين من رمضان اقول لعله فى تلك السنة نفسها

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل ابو سعد الهروى الماليني الصوفى الحافظ طاووس الفقراء سمع الحديث بدمشق من جماعات منهم العسكرى وروى عن تمام والخطيب والبيهقى والقاضى القضاعى وغيرهم وقال عنه الخطيب نعم الشيخ ومما اتصل بنا من روايته بسنده الى انس بن مالك انه قال حدثنى ابنى عنى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان يجعل فص الخاتم من غيره ورواه الخطيب وعن انس ايضا قال حدثت الحجاج بحديث العرنيين (١) فلما كانت الجمعة قام يخطب فقال تزعمون انى شديد العقوبة وهذا انس حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قطع ايدى رجال وارجلهم وسمل اعينهم قال انس فوددت انى مت قبل ان احدثه وقال حمزة بن يوسف السهمى فى تاريخ جرجان قدم ابو سعيد المالينى جرجان دفعات وكان اول دخوله جرجان فى سنة اربع وستين وثلاثمائة وسمع من الامام ابى بكر الاسماعيلى كثيرا من كتبه ومن ابى احمد ابن عدى الحافظ كتاب الكامل وغير ذلك ورحل رحلات كثيرة الى اصبهان وبغداد والشام ومصر وفارس وحورستان وخراسان وما وراء النهر وآخر دخوله جرجان

---

(١) هو ما رواه البخارى وغيره عن انس قال قدم اناس من عكل او عرينة فاجتووا المدينة فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم بلقاح وان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فجاء الخبر فى اول النهار فبعث فى آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فامر فقطع ايديهم وارجلهم والقوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا كفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله اه فانظر الى ظلم الحجاج كيف قاس فعله على فعل النبى صلى الله عليه وسلم لان من يقتلهم الحجاج ابرياء لم يسرقوا ولم يقتلوا ولم يكفروا بعد ايمانهم ولم يحاربوا الله ورسوله قوله اجتووا معناه اصابهم داء الجوف واللقاح بكسر اللام الابل والحرة الارض التى بها حجارة سود

راجعا من خراسان سألته ان يقيم بجرجان فابى وحمل جميع كتبه التي كانت عندي وديعة من سماعاته بجرجان ورأى كتابي هذا فاستحسنه وسألني ان اكتب اسمه في هذا الكتاب فاثبت اسمه فيه لما كان بيني وبينه من الصداقة والصحبة القديمة بجرجان وبنيسابور والعراق ومصر وخرج من جرجان في سنة سبع واربعمائة الى اصبهان والعراق والشام ومات بمصر سنة سبع واربعمائة اه وهذا القول وهم في وفاته وسنورد الصواب فيها وقال الخطيب البغدادي ان ابا سعد الانصاري الماليني احد الرحالين في طلب الحديث والمكثرين منه كتب ببلاد خراسان وما وراء النهر وببلاد فارس وجرجان والري واصبهان والبصرة وبغداد والكوفة والشام ومصر ولقي عامة الشيوخ والحفاظ الذين عاصرهم قال وكان قد سمع وكتب من الكتب الطوال والمصنفات الكبار ما لم يكن عند غيره وقدم بغداد دفعات كثيرة وآخر ما قدم علينا في سنة تسع واربعمائة وسمعنا منه في رباط الصوفية الذي عند جامع المنصور فانه كان نزل هناك ثم خرج الى مكة ومضى منها الى مصر فاقام بها حتى مات بمصر في يوم الثلاثا السابع عشر من شوال سنة اثنى عشرة واربعمائة وكان ثقة صدوقا خيرا فاضلا صالحا وقال ابن ماكولا كان ابو سعد الماليني جوالا مكثيرا وقال عبد العزيز بن علي الازجي اخذت من الماليني اجرة النسخ والمقابلة خمسين دينارا في دفعة واحدة اه وما روى عن الخطيب في وفاته هو الصحيح وكذا قال ابراهيم بن سعيد الحبال

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن غالب ابو بكر الخوارزمي المعروف بالبرقاني الحافظ الفقيه سمع الحديث ببلده وبدمشق وبمصر وخراسان وروى عنه البيهقي والخطيب وغيرهم ومما اتصل بنا بالسند اليه ثم الى عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي قال كل ذلك يأتي الملك احيانا في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه قال وهو اشد عليّ ويتمثل لي الملك احيانا رجلا فيكلمني فيعلمني ما اقول قال الخطيب سمعنا عن البرقاني في بغداد وكان ثقة وعاء متقنا متثبتا فهما لم نر في شيوخنا اثبت منه حافظا للقرآن عارفا بالفقه له حظ من علم العربية كثير الحديث حسن الفهم له والبصيرة فيه وصنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه صحيحا

البخارى ومسلم وجمع حديث سفيان الثورى وشعبة وايوب وعبيد الله بن عمر وعبد الملك بن عمير وبيان بن بشر ومطر الوراق وغيرهم من الشيوخ ولم يقطع التصنيف الى حين وفاته ومات وهو يجمع حديث مسعر وكان حريصا على العلم منصرف الهمة اليه وسمعته يوما يقول لرجل من الفقهاء معروف بالصلاح وقد حضر عنده ادع الله ان ينزع شهرة الحديث من قلبي فان حبه قد غلب على وليس لى اهتمام فى الليل والنهار الا به او نحوا من هذا القول وكنت كثيرا اذاكره بالاحاديث فيكتبها عنى ويضمنها جموعه قال الخطيب وسمعت البرقانى يقول ولدت فى اول سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وقال محمد بن يحيي الكرمانى الفقيه ما رأيت فى اصحاب الحديث اكثر عبادة من البرقانى وقال ابو القاسم الازهرى هو امام واذا مات ذهب هذا الشأن يعنى الحديث وقال الخطيب قال لنا البرقانى كان ابو بكر الاسماعيلي يقرأ لكل واحد ممن يحضره ورقة بلفظه ثم يقرأ عليه وكان يقرأ لى ورقتين ويقول للحاضرين انما افضله عليكم لانه فقيه وقال ابو القاسم الباجى عنه هو حافظ ثقة وقال الخطيب غير مرة ما رأينا شيخا اثبت منه وقال ابو محمد الخلال هو نسيج وحده وحكى الخطيب عنه انه قال دخلت اسفرائين ومعى ثلاثة دنانير ودرهم واحد فضاعت الدنانير منى وبقى معى الدرهم حسب فدفعته الى بقال وكنت اخذ منه فى كل يوم رغيفين واخذ من بشر بن احمد جزأ من حديثه وادخل مسجد الجامع فاكتبه وانصرف بالعشى وقد فرغت منه فكتبت فى مدة شهر ثلاثين جزأ ثم نفد ما كان لى عند البقال فخرجت من البلد وحدث احمد بن غانم الحمامى ان البرقانى لما انتقل من الكرخ كانت كتبه التى سمعها ثلاثة وستين سفطا وصندوقين كل ذلك مملوء كتبا قال وانشدنا البرقانى لنفسه

اعال نفسي بكتب الحديث ... واحمل فيه لها الموعدا
واشغل نفسى بتصنيفه ... وتخريجه دائما سرمدا
فطورا اضمه فى الشيوخ ... وطورا اضمه مسندا
واقفوا البخارى فيما نحاه ... وصنفه جاهدا مجهدا
ومسلم اذا كان زين الانام ... بتصنيفه مسلما مرشدا
ومالى فيه سوى اننى ... اراه هوي صادف المقصدا

وارجوا الثواب بكتب الصلاة على السيد المصطفى احمدا
واسأل ربي اله العباد جريا على ماله عودا

وقال ابراهيم الشيرازى فى كتابه طبقات الفقهاء ولد البرقانى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وسكن بغداد ومات بها فى اول يوم من رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة تفقه وحدث فى حداثته وكتب فى الفقه ثم اشتغل بعلم الحديث فصار فيه اماما

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن منصور ابو الحسن البغدادى المجهم المعروف بالعتيقى قدم دمشق غير مرة وسمع الحديث بها وببغداد وروى عنه الخطيب وغيره ومما اتصل الينا بالسند اليه ثم الى ابن عمر انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من قال الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته والحمد لله الذى ذل كل شىء لعزته والحمد لله الذى خضع كل شىء لملكه والحمد لله الذى استسلم كل شى لقدرته فقالها يطلب بها ماعنده كتب الله بها الف الف حسنة ورفع له بها الف الف درجة ووكل بها سبعون الف ملك يستغفرون له الى يوم القيامة وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم اهدى مرة غنما قال الخطيب ان العتيقى روياني الاصل ولد ببغداد وبكر به فى سماع الحديث وكتب عنه وكان صدوقا وسألته عن مولده فقال فى محرم سنة سبع وستين وثلاثمائة قلت فالعتيقى نسبة الى ايش قال بعض اجدادى كان يسمى عتيقا فنسبنا اليه وقال ابن ماكولا العتيقى بفتح العين المهملة وقد سمع الكثير وخرج على الصحيحين وكان ثقة متقنا يفهم ماعنده وكان الخطيب ربما دلسه واثنى عليه الازهرى خيرا ووثقه وقال ابو الوليد الباجى هو بغدادى تاجر لا بأس به وقال ابن الاكفانى توفى العتيقى ببغداد فى صفر سنة احدى واربعين واربعمائة وحكى ابو بكر الحداد انه مات سنة اربعين والصحيح الاول

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد ابو الفضل المعروف بالفراتى رئيس نيسابور وهو من اهل استونا ناحية من نواحى نيسابور قدم دمشق حاجا وحدث بها وروى عنه الفقيه نصر المقدسى وجماعة وانبأنا الموازينى وابن الحنائى وعبد الله بن هلال عنه بسنده الى ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابى فو الذى نفس محمد بيده لو ان احدكم

انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وبسنده ايضا الى انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم ذا شيبة فكأنما اكرم نوحا عليه السلام فى قومه ومن اكرم نوحا فى قومه فكأنما اكرم الله عز وجل قال عبد الغافر بن اسماعيل فى تذييل تاريخ نيسابور ابو الفضل الفراتى شيخ جليل مشهور قلد رياسة نيسابور ثم خرج الى الحج ودخل الشام ومصر ثم عاد الى بغداد ثم الى نيسابور وعقد له مجلس الاملاء وكان حسن العشرة راغبا فى صحبة الصوفية توفى فى شعبان سنة ست واربعين واربعمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد ابو الحسين الكتانى الفلسطينى حدث بدمشق وسمع منه جماعة وبسندنا اليه ثم الى ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم ست قالوا وما هن يارسول الله قال اذا لقيه سلم عليه واذا دعاه اجابه واذا استنصح فانصح له واذا مات فاصحبه توفى المترجم سنة اربع وستين واربعمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد الاكار النهربيتى الفلاح كان ساكنا بقرية الحديثة كتبت عنه بسنده الى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الولاء وعن هبته رواه ابو نعيم توفى بقرية الحديثة سنة سبع وعشرين وخمسمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم ابو طاهر ابن ابى احمد الاصبهانى السلفى الحافظ قدم علينا دمشق طالب حديث سنة تسع وخمسمائة فاقام بها مدة وكتب بها عن جماعة من شيوخنا وكان قد سمع الحديث ببلده وببغداد والرى واردبيل والبصرة والكوفة وهمذان ونهاوند والاهواز والمراغة وقزوين وتستر وتفليس وغيرهم مما لايحصى وحدث بدمشق فسمع منه بعض اصحابنا ولم اظفر بالسماع منه ثم خرج الى مصر فسمع الحديث بها وبالاسكندرية ثم استوطن الاسكندرية وتزوج بها امرأة ذات يسار فسلمت اليه مالها فحصلت له ثروة بعد فقر وتصرف وصارت له بالاسكندرية وجاهة وبنى له على بن اسحاق المعروف بابن السلار العادل امير مصر مدرسة بالاسكندرية ووقف عليها وقفا وروينا من طريقة اجازة عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل فاما ذكر واما ذكر

فقال انى كنت لابايع الناس وكنت انظار المعسر واتجاوز فى السكة او فى النقد فغفر له ومما انشد لنفسه من الشعر

ان علم الحديث علم رجال   تركوا الابتداع للاتباع
فاذا الليل جنهم كتبوه   واذا اصبحوا غدوا للسماع

وله ايضا

قد قلت اذ رفع الصبا   ح ذيول ليل الوصل عنا
ياليت هذا الدهر دام   الدهر للصب المعنىّ
فالليل استر للتنيم   والظلام عليه احنى

وله ايضا

اذا بدى فرط تجافيه   وعذل عذالى معاً فيه
دعوا ملامى وانظروا طرفه   فى ظرفه والدر فى فيه
ولاحظوا الحسن بالبابكم   حتى تعذر واقاب مصافيه
ثم اعذلونى بعد ان كنت ما اصابنى العقل شافيه

وله ايضا

اما من العام المنية بغتة   وامن الفتى جهل وقد خبر الدهرا
وليس يحابى الدهر فى دورانه   ارازل اهليه ولا السادة الزهرا
وكيف وقد مات النبى وصحبه   وازواجه طرا وفاطمة الزهرا

وله ايضا

ياقاصدا علم الحديث يذمه   اذضل عن طرق الهداية وهمه
ان العلوم كما علمت كثيرة   واجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ   فاتم سهم فى المعالى سهمه
لولا الحديث واهله لم يستقم   دين النبى وشذعنا حكمه
واذا استراب بقولنا متحذلق   ما كل فهم فى البسيطة فهمه

وله ايضا

قد نال صفوة دهرنا شريره   حتى تزايد تيهه وغروره
واختص خيره بفقر مدقع   حتى استذل وزال عنه سروره

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن ابراهيم بن مدرك حدث عن العباس بن الوليد

بن مزيد وروى عنه على بن احمد المقدسى وروينا من سنده ان اسماء بنت يزيد الانصارية من بنى عبد الاشهل اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى اصحابه فقالت بابى وامى انا وافدة النساء اليك الحديث بطوله وسيأتى فى ترجمة الاخطل ابن المؤمل

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن حكيم بن ابراهيم بن اسيد بن عمرو المدينى الاصبهانى المعروف بابن نهيك سمع الحديث بطرابلس والرملة وروى عنه بن مردوية وابن مندة وجماعة وروينا من طريقه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع قال ابو نعيم توفى فى جماد الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكان اديبا فاضلا حسن المعرفة بالحديث

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن اسباط بن عبد الله بن ابراهيم بن بديح مولى عبد الله بن جعفر بن ابى طالب ابو بكر الدينورى الحافظ المعروف بابن السنى حافظ مذكور ومصنف مشهور سمع الحديث بدمشق والبصرة والكوفة وبغداد ومصر وحدث عن ابن ابى داوود والبغوى وابى عبد الرحمن النسائى وجماعة كثيرة سواهم وروى عنه جماعة وروينا بالسند اليه من طريقه عن ابى هريرة وابى سعيد انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ بعبادة الله ورجل كان قلبه معلقا بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لم تعلم شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله رواه البخارى وغيره قال عبد الغنى بن سعيد واما السنى بالسين المهملة والنون فهو ابن السنى الحافظ الدينورى كان حمزة بن محمد يرفع به وقال ابن مأكولا هو بضم السين المهملة اه توفى سنة اربع وستين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن اسيد بن يوسف بن معن ابو الحسن الكلابى الملاعقى شيخ صالح حدث عن الخرايطى وجماعة وروى عنه ابن الجبان وابن الميدانى وروينا من طريقه عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

اكرموا الشهود فان الله يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم وروى المترجم عن الخرايطى عن عبد الله بن عبيد الكوفى انه قرئ على لوح حجر قبر مكتوب

صرت بعد النعيم ... فى منزل البعد والقلى
وجفانى احبتى ... حين غيبت فى الثرى
اخلق التراب جدتى ... ومحا حسنى البلا

وروى ايضا انه قرئ على حجر بالفسطاط مكتوب

الارض تعجب منا حيث نعمرها ... ويكثر الضحك من آمالنا الاجل
نبنى وقد نفدت ايام مدتنا ... وليس ندرى متى ندعى فنرتحل

وروى انه قرئ على لوح من رخام

يا ايها البالى المغيب فى الثرى ... زرت القبور فما تحس ولا ترى
لله درك اى كهل غيبوا ... تحت الجنادل صار رهنا للثرى
لما نقلت الى المقابر ميتا ... لم يبق دمع جامد الا جرى

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن اسماعيل بن يحيى بن يزيد بن دينار ابو الدحداح التيمى روى الحديث عن جماعة كثيرة وروى عنه ابن درستوية وسليمان بن احمد الطبرانى وجماعة وكان يسكن بدمشق فى ربض باب الفراديس فى طرف العقيبة وروينا من طريقه عن جابر بن عبد الله قال كانت يهود تقول من اتى امرأته فى قبلها من دبرها كان الولدا حول فانزل الله تعالى نسائكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم قال ابن ماكولا الدحداح بحاء مهملة وقال الدارقطنى ابو الدحداح الدمشقى شيخ توفى نحو العشرين والثلاثمائة وقال ابو الحسين الرازى كانت وفاته سنة ثمان وعشرين وكان اصل اهله من العراق فانتقلوا الى دمشق وكانوا اهل بيت علم

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الاصم ابو حامد الاردبيلى قدم دمشق وحدث بها عن جماعة وروينا من طريقه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصوم قميص كساكم الله عز وجل فلا تمزقوه بالكذب والغيبة ولا ترقعوه بالاستغفار . هذا حديث غريب بمرة وفى اسناده غير واحد من المجاهيل

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن بشر بن يوسف بن ابراهيم بن حميد بن نافع ابو الميمون القرشي مولى عثمان بن عفان المعروف بابن مأموية سمع الحديث من جماعة وروى عنه ابو الحسين الرازي وابن ابي الحديد وبالسند اليه الى ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان جارية بكرا زوجها ابوها وهي كارهة فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ان اباها زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله قال ابو الحسين الرازي كان ابوه يعني المترجم محدثا مشهورا بدمشق ومات هو في رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن بكار بن بلال القافلي روينا من طريقه الى ابي ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول ياعبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن بكار ابو العباس القرشي قدم دمشق وحدث بها وروينا من طريقه الى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن ظلم من ارض شيئا طوقه من سبع ارضين

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن بكر حدث عن جماعة وروينا بالسند اليه ثم الى علقمة بن ابي وقاص الليثي قال سمعت عمر بن الخطاب يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية وانما لامرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن بكر بن خالد بن يزيد ابو العباس النيسابوري الوراق مولى بني سليم المعروف بالقصير سمع الحديث بدمشق من جماعة وروى عنه العقيلي وجماعة وروينا من طريقه الى عائشة انها قالت اول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير قالت فجئنا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ليحنكه فقال اطلبوا الى تمرة فطلبنا له تمرة فوالله ما وجدناها قال الخطيب كان المترجم ينزل في درب الزعفران النافذ الى درب عمارة ومات سنة اربع وثمانين ومأتين

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن بكر بن الرملي ابو بكر القاضي اليازودي الفقيه

قال دخلت العراق فكتبت كتب اهل العراق وكتبت كتب اهل الحجاز فمن كثرة اختلافهما لم ادر بايهما آخذ فعبرت من باب الطاق وانا اريد الكرخ وقطيعة الربيع فحضرت صلاة المغرب فدخلنا المسجد فلما قلت الله اكبر تفكرت فى قول اهل العراق من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وفى قول اهل الحجاز لاصلاة الا بفاتحة الكتاب قال فمن كثرة اختلافهما تركت الجماعة وخرجت فاصابنى غم وبت مغموما فلما كان فى جوف الليل قمت وتوضأت وصليت ركعتين وقلت اللهم اهدنى الى ماتحب وترضى ثم اويت الى فراشى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم دخل من باب بنى شيبة فاسند ظهره الى الكعبة ورأيت الشافعى واحمد بن حنبل على يمين النبى صلى الله عليه وسلم يتبسم اليهما ورأيت بشر المريسى على يسار النبى صلى الله عليه وسلم مكلح الوجه فقلت يارسول الله من كثرة اختلاف هذين الرجلين لم ادر بايهما آخذ فاومأ الى الشافعى واحمد بن حنبل وقال اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ثم اومأ الى بشر المريسى وقال فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابو بكر والله لقد رأيت هذه الرؤيا وتصدقت من الغدا بالف دينار وعلمت ان الحق مع الشيخين لقول النبى صلى الله عليه وسلم الايمان يمان والحكمة يمانية ولقوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من قريش ولا تعلموها فوجدنا الشافعى قرشيا مطلبيا فحق على اهل الاسلام ان يتبعوه فى مقالته وروى هذه القصة ابو بكر البيهقى والجوزقى

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن جعفر ابو جعفر المنكدرى حدث بصيدا واتصل بنا من طريقه الى انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الازد ازد الله يريد الناس ان يضعوهم ويأبى الله ان يرفعهم وليأتين على الناس زمان يقول الرجل يا ليت انى كنت ازديا ويا ليت امى كانت ازدية

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن حورى ابو الفرج العكبرى سمع الحديث من جماعة وروى عنه ابو نعيم الحافظ وغيره واتصل بنا من طريقه بالسند الى الزهرى قال سمعت انسا يقول والله الذى لا اله الا هو لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنوان صحيفة المؤمن حب على بن ابى طالب قال الخطيب نزل يعنى المترجم بغداد وحدث بها وفى حديثه غرائب ومناكير

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحاج بن يحيي ابو العباس الاشبيلي الشاهد سكن مصر وسمع الحديث بدمشق وبغيرها واتصل بنا مسندا من طريقه الى البراء بن عازب انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العشاء بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن منه او قال اقرأ منه قال الحميدى فى تاريخ الاندلس سكن يعنى المترجم مصر وحدث بها وكان مكثرا اخرج عنه الحافظ عبيد الله بن سعيد اجزاء كثيرة على عدة مشايخ واثنى عليه ابراهيم الحمال وقال مات فى صفر سنة خمس عشرة واربعمائة بالفسطاط

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحباب الهروى سكن مصر وسمع بدمشق هشام بن عمار وتوفى بمصر بعد الثلاثمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد بن مفلح بن هلال ابو جعفر المهدى المصرى سمع الحديث بدمشق من جماعة كثيرة وروى عنه كثيرون واتصل بنا من طريقه مسندا الى اسامة بن شريك انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد منى فاذا اناس من الاعراب قالوا يا رسول ما خير ما اوتى المرء المسلم قال الخلق الحسن وعن ابى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مرض او سافر كان له من الاجر مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قال احمد بن شعيب النسائى دخل ابو جعفر على وعندى جماعة فصفقوا به وقالوا له يا كذاب قال ابن عدى وكان ابو جعفر يعنى المترجم صاحب حديث كثير يحدث عن الحفاظ بحديث مصر انكرت عليه اشياء مما رواه وهو ممن يكتب حديثه مع ضعفه وقال الكتانى كان يدخل الحديث على شيوخه قال ابن مندة توفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان من حفاظ الحديث واهل الصنعة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسن بن السكن بن عمير بن سيار ابو الحسن القرشى العامرى البغدادى الحافظ قدم دمشق وحدث بها وروينا بالسند المتصل به الى سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يفجأه (١) مبتلى فيقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به الا عافاه الله من ذلك البلاء كائنا ما كان ابدا ما عاش وعن ابى هريرة

(١) المفاجأة المجيء بغتة من غير تقدم سبب

انه قال ذكر الدجال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلده امه وهى مقبورة فى قبرها فاذا ولدت حملت النساء بالخطائين (١) وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدا اخاه بالسلام كتب الله له عشر حسنات ومن دعا له بظهر الغيب كتب له عشر حسنات قال انس ان كانت الشجرة لتفرق بيننا فى السفر فنتلاقى بالسلام وعن عمر بن الخطاب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقام احدكم ساعة فى سبيل الله خير من عبادة غيره سبعين عاما لا يعصى الله فيها طرفة عين قال ابو نعيم قدم علينا ابن السكن سنة اربع وثلاثمائة وكان ابو احمد العسال حسن الرأى فيه وقال ابن حبان فيه لين وقال الخطيب حدث ببلاد فارس واصبهان عن ابى نعيم الحلبى وجماعة وقال احمد بن عبدان الشيرازى قدم علينا يعنى المترجم بشيراز وحضرت مجلسه وسمعت منه ولا احدث عنه وكان لينا

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسن بن مرار ابو بكر الضبى المعروف بالصنوبرى الحلبى شاعر محسن اكثر اشعاره فى وصف الرياض والانوار (٢) قدم دمشق وله اشعار فى وصفها ووصف منتزهاتها قال عبد الله الحلبى الصفرى سألت الصنوبرى عن السبب الذى من اجله نسب جده الى الصنوبر حتى صار معروفا به فقال لى كان جدى صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدة مزاجه وقال له انك لصنوبرى الشكل يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج • ومن اشعاره ما قاله يرثى ابنته وكتب على جانب من قبة قبرها

بأبى ساكنة فى جدث ۞ سكنت منه الى غير سكن
نفس فازدادى عليه حزنا ۞ كلما زاد البلا زاد الحزن

وفى الجانب الآخر من القبة

اساكنة القبر السلو محرم ۞ علينا الى ان نستوى فى المساكن

(١) هكذا لفظه فى الاصل وقال ابن الاثير فى النهاية ومنه حديث الدجال تلده امه فيحملن النساء بالخطائين يقال رجل خطاء اذا كان ملازما للخطايا غير تارك لها وهو من ابنية المبالغة ومعنى يحملن بالخطائين اى بالكفرة والعصاة الذين يكونون تبعا للدجال وقوله يحملن النساء على لغة اكلونى البراغيث (٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر

لان ضمن القبر الكريم كريمتى   لاكرم مضمون واكرم ضامن

وفى الجانب الآخر

ايا جدتى عصانى الصبر لكن   دموع العين سامعة مطيعه
وكنت وديعتى ثم استردت   وليس بمنكر رد الوديعه

وفى الجانب الآخر

يا والدىّ رعاكما الله لا تهجرا قبرى وزوراه
اخلقتما وجهى بجدته   للقبر يخلقه ويمحاه

وفى الجانب الآخر

انس الله وحشتك   رحم الله وحدتك
انت فى صحبة البلا   احسن الله صحبتك

وفى الجانب الآخر المقدم .

ابكيا ربة قبر   تبلى وقبرها تجدد
لك منزلان ذا بيض لابكا وذا يسود

وله

دخول النار للمهجور خير   من الهجر الذى هو يتقيه
لان دخوله فى النار ادنى   عذابا من دخول النار فيه

وله ايضا

لا النوم ادرى به ولا الارق   يدرى بهذين من به رمق
ان دموعى من طول ما استبقت   كلت فما تستطيع تستبق
ولى مليك لم تبد صورته   مذ كان الاصلت له الحدق
نويت تقبيل نار وجنته   وخفت ادنو منها فاحترق

وله ايضا

تزايد ما القى فقد جاوز الحدا   وكان الهوى مزحا فصار الهوى جدا
وقد كنت جلدا ثم اوهننى الهوى   وهذا الهوى مازال يستوهن الجلدا
فلا تعجبى من غلب ضعفك قوتى   فكم من ظبا فى الهوى غلبت اسدا
غلبتم على قلبى فصرتم احق به   واملك لى منى فصرت لكم عبدا
جرى حبكم مجرى حياتى ففقدكم   كفقد حياتى لا رأيت لكم فقدا

وقال

ايها الحاسد المعد لذمى ذم ما شئت رب ذم بحمد
لا فقدت الحسود مدة عمرى ان فقد الحسود اخيب فقد
كيف لا اوثر الحسود بشكرى وهو عنوان نعمة الله عندى

وله

انظر الى اثر المداد بخده كبنفسج الروض المشوب بورده
ما اخطأت نوناته من صدغه شيئا ولا الفاته من قده
القت انامله على اقلامه شبها اراك فرندها كفر نده (١)
وكأنما انفاسه من شعره وكأنما قرطاسه من خده
ما صد عنى حين صد تعمدا لو لا المعلم ما رميت بصده

وله ايضا

شمس غدت تشرب شمساغدا (٢) وخدها فى النور من خده
تغيب فى فيه ولكنها من بعد ذا تطلع فى خده

قال ابو الحسن بن حبش الكاتب شرب ابى دواء فكتب اليه جحظة رقعة يسأله فيها عن حاله ويقول

ابن لى كيف امسيت وما كان من الحال
وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالى (٣)

قال ابو بكر الخطيب وفى غير هذه الرواية الاولى ان الصنوبرى شرب بحلب دواء فكتب اليه صديق له بالبيتين المتقدمين فاجابه الصنوبرى بقوله

كتبت اليك والنعلان مآن اقلهما من السير العنيف
فان رمت الجواب الى فاكتب على العنوان يدفع فى الكنيف

---

(١) الفرند بكسر الفاء والراء السيف نفسه وقال ابو منصور فرند السيف جوهره وماؤه الذى يجرى فيه وطرائقه (٢) فى البيت الجناس التام لانه اراد بالشمس الاولى غادة بارعة الجمال وبالشمس الثانية الخمر وفى كلا التشبيهين اخرج التشبيه من حيز الابتذال الى حيز الغرابة (٣) كنى بهذا البيت عن خروج المسؤول الى بيت الخلا وما الطف هذه الكناية وعندى ان الشعر من جملة فنون الادب فاذا كان الشاعر اديبا طابق الاسم المسمى وان خرج به الشاعر عن حد الادب تبرأ الفن منه وقلاه وصار معدودا صاحبه من اولى المجون والخلاعة فانتفى عنه اسم الادب

ومن شعره

هدم الشيب ما بناه الشباب والغوانى وما غضبن غضاب
قلب الابنوس (١) عاجا فللاعـ ـين منه وللقلوب انقلاب
وضلال فى الرأى ان يشنان الـ ـبازى على حسنه ويهوى الغراب

ومنه ايضا

ملأت وجهها على عبوسا واستثارت من المآقى الرسيسا (٢)
ورأتنى اشرح العاج بالعا ج فظلت تستحسن الابنوسا
ليس شئ اذا تأملت شيئا انما الشيب ما اشاب النفوسا

وقال

ان كان فى الصيف ريحان وفاكهة فالارض مستوقد والجو تنور
وان يكن فى الخريف النخل مخترفا فالارض محسورة والجو مأسور
وان يكن فى الشتاء الغيث متصلا فالارض عريانة والجو مقرور
ما الدهر الا الربيع المستنير اذا جاء الربيع اتاك النور والنور
فالارض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلور
ما يعدم النبت كاسا من سحائبه فالنبت ضربان سكران ومخمور
فيه انا الورد منضود مورّده بين المجالس والمنثور منثور
ونرجس ساحر الابصار ليس لما كانت له من عمى الابصار مسحور
هذا البنفسج هذا الياسمين وذا النسـ ـرين مذ قربا فالحسن مشهور
يظل ينثر فيه السحب لؤلؤها فالارض ضاحكة والطير مسرور
حيث التفت فقمرىّ وفاختة يغنيان وشفنين وزرزور
اذا الهز اران فيه صوتا فهما بحسن صوتيهما عود وطنبور
تطيب فيه الصحارى للمقيم بها كما تطيب له فى غيره الدور
من شم ريح تحيات الربيع يقل لا المسك مسك ولا الكافور كافور

وله ايضا

---

(١) جعل الابنوس وهو شجر خشبه اسود كناية عن سواد الشعر والعاج وهو ناب الفيل كناية عن الشيب (٢) الرسيس الشئ الثابت الذى لزم مكانه والمراد هنا الدمع الكامن

تقول لى وكلانا عند فرقتنا ضدان ادمعنا در وياقوت
اقم بارضك هذا العام قلت لها كيف المقام وما فى منزلى قوت
ولا بارضك حر يستجار به الا لئيم ومذموم وممقوت

وقال ايضا

افنيت يومى هكذا باطلا منتظرا للدعوة الباطله
هى الرسل وانباثهم هم التى تطلق بالقابله
يادعوة ماحصلت فى يدى بل ذهبت بالدعوة الحاصله

قال الصنوبرى كان اول شعر قلته وارتضيته قولى

ما حل بى منك وقت منصرفى ما كنت الافريسة التلف
كم قال لى الشوق قف لتلثمه فقال خوف الرقيب لا تقف
فكان قلبى فى زى منعطف وكان جسمى فى زى منصرف

وله ايضا

عدينى بوعد وامطلى ماحييت به
ودعينى افوز منك بنجوى تطلبه
فعسى بعير الزمان ينحنى فينتبه

قال على بن حمدان الفارسى كان للصنوبرى ابن مسترضع ففطم فدخل الصنوبرى يوما داره والصبى يبكى فقال ما لابنى قالوا فطم فتقدم الى مهده وكتب عليه

منعوه احب شئ اليه من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاه وقد كان مباحا له وبين يديه
عجبا منه ذا على صغر السن هوى فاهتدى الفراق اليه

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسين اظنه اصبهانيا سمع الحديث بدمشق وروى عنه ابو نعيم الحافظ وروينا بسندنا من طريقه عن ابى هريرة انه قال لما توفى ابو طالب ضرب النبى صلى الله عليه وسلم بيديه فقال ما اسرع ماوجدت من فقدك ياعم

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسن بن مالك بن العباس الجرجانى قدم الشام وحدث بها روينا من طريقه مسندا عن ابى بردة انه قال كنت جالسا

عند عبيد بن زياد فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عذاب هذه الامة في دنياها قال الخطيب البغدادي هكذا حدثناه ابوطالب العسكري من اصل كتابه وقد سقط منه الفاظ كثيرة ففسد بذلك وصوابه ان ابا بكرة قال كنت عند عبيد الله بن زياد فأتي برؤوس من رؤوس الخوارج فجعلت كلما اتى برأس اقول الى النار الى النار فعيرني عبدالله بن يزيد الانصاري فقال يا ابن اخي وما تدري ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل عذاب هذه الامة في دنياها

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسن بن علي بن ملوك ابو بكر السمندي الكرماني سكن عسقلان وروى عن جماعة وحدث عنه هبة الله الشيرازي توفي سنة احدى وستين واربعمائة

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسين ابو بكر السجيمي قاضي همذان سمع الحديث بدمشق من احمد بن محمد بن حمزة وجماعة وبمصر وجبلة والعراق وغيرهم وروى عنه جماعة وروينا من طريقه الى ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ذهب منكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا قال الانماطي قدم المترجم سنة ثماني عشرة وما كتبت عنه شيئا وقال الخطيب البغدادي كان احزم رجل كتب وسمع وقال صالح بن احمد الحافظ كتبنا عنه وكان صدوقا واسع العلم

﴿ احمد ﴾ بن محمد بن الحسين ابو العباس حدث عن محمد بن المنكدر وحدث عنه عبد الوهاب الميداني واظنه انه الخليلي الطبري وروينا بالسند اليه من طريقه عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على لحيته وقال آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره وقبض انس بيده على لحيته وقال آمنت الخ اقول وهذا الحديث من المسلسلات وكل من رواته يقبض بيده على لحيته ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وروينا ايضا عن انس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخاف على امتي تصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر ولا يؤمن عبد بالله حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره واخذ انس بلحيته وقال

آمنت بالقدر خيره وشره حلوه ومره وهذا ايضا من المسلسلات والله اعلم

انتهى المجلد الاول من تهذيب تاريخ ابن عساكر ويليه المجلد الثانى واوله ترجمة الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه

هنا انتهت السلسلة الاولى من مسلسلات تهذيب تاريخ الامام الكبير والحافظ المسند الهمام ابى القاسم على ابن عساكر الذى وسمه بتاريخ دمشق وهو فى الحقيقة تاريخ عام لم يعزب عنه من تراجم علماء الحديث الا النذر اليسير لانه مامن امام منهم غير ما ندر الا وقد طوف البلاد للظفر بعلو الاسناد وجاب الاقطار للاكثار من الاحاديث والآثار هذا غير ما اعتنى به من رواية الاحاديث النبوية الشريفة التى تبلغ الآلاف من كل فن من فنون الشريعة الغراء فبينما هو يورد حديثا من احاديث الاحكام اذا به قد روى غيره فى الاداب والحكم والمواعظ وتلاه باخيه المبشر والمنذر وثلثه بالادعية المأثورة والوصايا المنثورة فهو عقد جمع اصناف اللآلى وكنز يفتح لطالبه المعالى ويوصله بالعمل بما فيه الى زلفى وحسن مآب وبينما هو يذكر اذا به قد روّح الفؤاد بتراجم الشعراء وايراد مالطف وراق من بنات افكارهم وينظمه فى عقد احاديث الامراء والاجناد ويجعل واسطة العقد قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو بستان فيه من كل فاكهة زوجان وروضة تفتحت بانواع الزهر والورود تخجل ورد الخمائل وتبهر بلطفها ذهب الاصائل ومما يعد له افتخارا ظهوره فى هذا الزمن المتلون بالوان الفنون والمتحلى بحلية كل مظهر عجيب وبكل حال غريب فظهر فيهم بعد ان كان اخفى من عنقاء مغرب يخاطب كل ذى مشرب بما يروق له ويلذه وينادمهم بكل مايهشون له ويطربون وكأنى ببعض من ليس له من مطالعة الكتب الاحظ كأنه تماد اوان اعتنائه بالمطالعة اعز من بيض الانوق يهز عطفيه مستكبرا ويقول قد طمى بحر هذا الكتاب بالخرافات وآخر يقول كنا ظنناه كتاريخ فلان وفلان وآخر يقول انه من مؤلفات العصور المظلمة الى غير ذلك مما يتبجح به اهل دعوى المعارف والعلوم ويموهون به على غيرهم بانهم من ذوى العقول النيرة والاذهان الثاقبة فاقول لهم لولا الغث لما عرف السمين ولولا العلة لما عرفت

نعمة العافية وليس كل مايذكره المؤلف يكون من معتقداته على انه جرت عادة السلف ان يستقصوا قول كل قائل مما عثروا عليه في الموضوع الواحد ويجلونه للعيان ليجد كل طالب بغيته وليقف الحاذق المستنير بنور العلم موقف المحقق المدقق فتراهم قدس الله اسرارهم لايستبدون بحمل الناس على ماحسن لافكارهم ولا يضيقون دائرة البحث على غيرهم بل يفسحون للمتأمل مجالا ويوضحون للسائر طرقا ليجول فكره في تيار التحقيق ويسرح جواد خاطره في ميدان التدقيق وينسبون كل قول الى قائله تبرأ من وصحته وخروجا من عهدته فلذلك اتسعت علومهم وعلى منارهم فلا يجنح الى تضييق العبارة الا ضيق العطن ولا يقتصر على مروى واحد الا من بالدعوى مع قلة العلم اكتفى على ان قصد صاحب هذا التاريخ ان يجمع فيه كل ماسمعه عن مشايخه الذين طاف البلاد لاخذ العلم عنهم فاشكر سعيه ايها الواقف عليه حيث قضى عمره في الاسفار وفي الاجتماع بالائمة الاخيار ثم اهداك ماجمعه في طول الغيبة لتقرأه وانت قار في بيتك لم ترحل ولم تسافر واشكر لمهذبه الذى اطال السهر واعمل الفكر واشغل اكثر اوقاته في استخراج الدرر من اصدافها فغاص بحر حدثنا فلان بن فلان ووقف عند المكرر برهة حتى ضم المتفرق ونظمه في سلك التأليف ولم يترك من الاصل قليلا ولا كثيرا الا جمعه وجلاه للعيان منظوما في سلك التحرير والتحبير وعانى اشد المعاناة في مراجعة كل حديث من اصوله المروية فيه لكثرة التحريف في نسخة الاصل واشكر لمن انفق ماله واشغل مطبعته في طبع هذا الكتاب خدمة لحديث النبي المختار صلى الله عليه وسلم ورجاء شفاعته يوم القيام وتبركا بذكر الصالحين . فنسأله تعالى ان يوفقنا لاتمام هذا المشروع وامثاله بمنه تعالى وكرمه وليس ذلك على الله بعزيز

﴿ فهرست الجلد الاول من تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ﴾

جدول الخطأ والصواب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٠	الاستمام	الاستمام
١١	٢٤	بكنية	بكنية
١٣	١٣	اربعة وعشرون فرسخا	اربعة وعشرون الف فرسخ
١٣	١١	جاءت	جاء
٣٥	٢٨	لحول	لحصول
٧٥	١٧	بالعلم	بالغنم
١١٩	٣	فاستشر واستمن به	فاستشيره واستعين به
١٢٦	٢٥	للمسين	للمسلمين
١٢٨	٧	ثانيه	تأنيه
١٣١	٢٧	فام به	فارم به
١٤٢	٩	فنحن احق ونحن	فنحن احق به ونحن
١٥٧	٢٣	عنصت	عصفت
١٧٦	١٤	يعلمان الناس	يعلمان الناس السحر
١٧٧	٧	ايضا	ارضا يقال لها
٢٠٧	١	عبسى	عبس
٢١٨	١٣	ملق	معلق
٢١٨	١٤	ليطف	لطيف

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٢	٢٤	باين الدولة	بامين الدولة
٢٤٢	٢٠	كننستا	كنيستا
٢٤٣	٩	الشاآمة	الساآمة
٢٤٥	٧	سيلوب	سيلون
٢٥٩	٢٣	بالطريز	بالتطريز
٢٦٠	٢٥	الدرجة	الدجنة
٢٦١	١٧	مظمها	نظمها
٢٦١	٢٦	الخل	الخطل
٢٩٥	٢٤	فلم هذا ن	فلمن هذا
٣١٤	٢٦	يقيل جميعا وبدبر	يقبل جميعا ويدبر
٣٢٠	٢٨	الربس	الرأس
٣٩٩	١٨	كذا ينبغي	فقال له كذا ينبغي
٤٦٣	٧	وصحته	وصمته